

مجلة الحكماء اليمنية

١٩٣٨ - ١٩٤١

وحركة الإصلاح في اليمن

دراسة ومقالات

تأليف

جمع المقالات

دكتور سيد مصطفى سالم

على أحمد أبو الرجال

الطبعة الثانية

١٩٨٨

البحوث والدراسات اليمنية - صنعاء - ٤



مجلة الحكماء اليمنية

١٩٣٨ - ١٩٤١

وحركة الإصلاح في اليمن

دراسة ومقالات

تأليف

مع المقالات

دكتور سيد مصطفى سالم

على أحمد أبو الرجال

الطبعة الثانية

١٩٨٨

مركز البحوث والدراسات اليمنية - صنعاء - ٤

الإهداء

إلى الأجيال العربية - خاصة اليمنية - الصاعدة .
للإطلاع على بعض تراث أسلافهم .

الباختان

مقدمة الطبعة الثانية

إن إقبال المرء على إعادة طبع كتاب من كتبه لا يعنى إلا أنه مازال هناك حاجة إليه ، وأن نسخه قد نفذت ، وأن هذا قد أتاح الفرصة لظهور طبعة أخرى . ولا يسع المؤلف — أى مؤلف — إلا أن يُصدّر مقدمة الطبعة الجديدة بالشكر والامتنان إلى جميع من أقبل على قراءة الكتاب ، سواء من مدحه أو قدحه ، أو أعجب به أو ازدراه ، سواء من أبدى ملاحظاته شفاهة بالسلب أو الإيجاب ، أو من تكرم فأرسل لى ملاحظاته مكتوبة .

وقد يتوقع القارئ باستمرار في الطبعة الجديدة أن يكون المؤلف قد غير بعض ما جاء في الطبعة الأولى من أفكار أو آراء ، أو قد أضاف ما وجده من مادة علمية جديدة بالإضافة وربما تؤدي إلى تصحيح بعض المعلومات ، وهذه سنة من السنن المتبعة الحميدة ، غير أن العادة قد تتغلب أحياناً ، وقد تعودت أن أعيد طبع كتبى كما هى ، لأحتفظ بها أولاً وثيقة تاريخية تثبت ما سجلته لأول مرة من آراء ومعلومات وأفكار حول الموضوع ، وثانياً حتى تكون المادة التاريخية التى توفرت لدى جنباً إلى جنب الملاحظات والانتقادات ، مدخلاً إلى بحث وكتاب جديد لأن التاريخ اليمنى — كما أكرر دائماً — ما زال أرضاً بكرّاً يحتاج إلى الجهود الوفيرة . وثالثاً لأترك المجال مفتوحاً أمام الباحثين الجدد من الشباب ليكملوا ما نقص ، وليضيفوا ما جدّ وما تُكشف فهم أصحاب المستقبل ، وعليهم تقديم الجديد والمتجدد .

ولا تعنى هذه المبررات — إن صح وصفها بهذا — أن الكتاب لا يشوبه النقص ، وأنه يتصف بالكمال ولا يحتاج إلى تعديل ، فهذا يتنافى مع أى عمل بشرى أو طبيعة بشرية ، ولا يعنى فى نفس الوقت أنه ليس لدى الجديد الذى أضيفه أو التعديلات اللازمة ، فقد آليت أن أضع هذا كله فى دراستى المقبلة حول « البريد الأدبى فى اليمن » التى أرجو الله أن يوفقنى فى دفعها قريباً إلى المطبعة ، إذ أن كل من « مجلة الحكمة » و « البريد الأدبى » نتاج مرحلة واحدة ، ويعتبر كل منها — من الناحية الموضوعية — مكماً للآخر .

وانسى أنتهز فرصة احتفال اليمن — بشطريه — بمرور خمسين عاماً على صدور أول عدد من أعداد مجلة الحكمة ، لأقوم بإعادة طبع كتابى هذا مساهمة ضئيلة من جانبى فى هذه الاحتفالات ، وخاصة لأن هذا الكتاب كان محاولة أولى متواضعة لدراسة أعداد المجلة جميعها وللتعريف بها .

وقد أصدرت الطبعة الأولى ضمن مطبوعات مركز الدراسات اليمنية تحت رقم — ٤ — للدفع بالمركز حينذاك وللإعلان عن وجوده ، وهأنذا أحفظ بهذا الرقم وبعنوان المركز الجديد وهو « مركز البحوث والدراسات اليمنية » ، لحبى وتقديرى لهذه المؤسسة التى عاصرت وأسهمت فى إنشائها ، ولتمنياتى لها باستمرار النجاح .

والله ولى التوفيق

دكتور

سيد مصطفى سالم

جامعة صنعاء

القاهرة فى أغسطس ١٩٨٨

مقدمة الطبعة الأولى

من المعروف في ميدان البحث العلمي أن الباحث عندما يتناول بحثاً معيناً يبدأ في التعلق بنقاط بحثه ، ويزداد هذا التعلق كلما طالت مدة الانشغال بالبحث لطول المعاشة ، فيؤدى هذا — ربما — إلى الانحياز والخروج عن الموضوعية ... إلا من عصم ربى . وينشأ هذا التعلق عادة — بين الباحث وموضوعه — خلال الجرى وراء جمع المادة وتصنيفها ، وأخيراً عند صياغة سطور البحث . غير أنى بالنسبة لهذا البحث تعلقت « بمجلة الحكمة » قبل أن أراها ، وقبل أن أبدأ الخطوات التقليدية المعروفة للكتابة عنها ، وذلك عندما سمعت عنها منذ عهد طويل ، أى منذ بدأت البحث في تاريخ اليمن الحديث في أواخر الخمسينات من هذا القرن . وكان موضوع هذه البداية هو « اليمن تحت حكم الإمام يحيى » وهو الإمام الذى ظهرت في عهده « المجلة » ، فتمنيت حينذاك أن أعثر عليها لأتخذها مرجعاً — ضمن مراجع البحث — حتى ولو كانت منحازة لذلك العهد كما تخيلت ، ولكن الظروف وقتذاك لم تساعدنى على العثور عليها في المكتبات الكبيرة بالقاهرة — وعلى رأسها دار الكتب المصرية — كما لم يكن من السهل حينذاك السفر إلى اليمن للبحث والتقصي .

وهنا بدأ التعلق بالمجلة والتفكير فيها يخبر رويداً رويداً مع مرور الأيام والسنين لانشغالى بموضوع آخر لنيل درجة الدكتوراه ، ثم قيامى بالتدريس بجامعة عين شمس ، حتى فوجئت بافتتاح جامعة صنعاء — في

«الحكمة» لتساند «الايمان» في دعم حكمه، غير أنى سمعت كثيراً — من مصادر عدة متنوعة المشارب — أنها كانت ملتقى الأحرار ، وأنها عبرت — صراحة وعلناً ومبكراً — عن الدعوات الإصلاحية في عهد الإمام يحيى ، بل وقيل عنها أنها كانت تمثل منبر المعارضة الهادىء الهادف ، ذلك كله رغم أنها كانت حكومية ، إذ كانت تصدر عن وزارة المعارف ، وتضع لإشراف وزيرها سيف الإسلام عبد الله — أحد أبناء الإمام — فزاد هذا جميعه من شوقى إلى العثور عليها .

ولقاء أخبرنى أخى وصديقى الأستاذ على أبو الرجال — محافظ لواء صنعاء ، وعضو مجلس إدارة مركز الدراسات اليمنية — بأنه عثر على أعداد مجلة «الحكمة» جميعها فى مجلد واحد لدى أحد بانئى الكتب القديمة بصنعاء فاشتراها منه ، ثم قدمها لى — إعاره — للاطلاع عليها ، وهكذا تحقق اللقاء أخيراً بينى وبين المجلة فتجددت الأحلام ، وتلقفت المجلد بسعادة ظامرة ، أقلب صفحاته ، وألتهم سطوره .

وكانت مفاجأة الأستاذ على أبو الرجال لى بداية نظرة جديدة إلى المجلة ، ولم يعد الأمر مجرد العثور على مرجع تاريخى هام يخص عهداً معيناً ، بل تطور التفكير — بعد تقليب صفحاته — إلى أن تصبح المجلة موضع بحث ظم بذاته نظراً لما عرضته من جديد حينذاك ، ولما لصورها من دلالة تاريخية فى تلك الفترة ، وتبلور أيضاً هذا التفكير بعد قليل — كلما أمعنت النظر فى محتويات المجلة — فلم يقف الأمر عند الحديث عن المجلة فى حد ذاتها ، بل تجاوز ذلك إلى أن تكون هى المحور لبحث تاريخى ، ذلك لتعدد لها فى النهاية موضعاً معيناً فى تاريخ اليمن الحديث والمعاصر .

ولقد أدت هذه التطورات فى فكرة البحث إلى تطور فى المنهج ، من حيث جمع المادة ، ومن حيث النقاط التى يجب معالجتها ، ولم يعد بالإمكان

«الحكمة» لئساند «الايان» في دعم حكمه، غير أنى سمعت كثيراً — من مصادر عدة متنوعة المشارب — أنها كانت ملتقى الأحرار ، وأنها عبرت — صراحة وعلنياً ومبكراً — عن الدعوات الإصلاحية في عهد الإمام يحيى ، بل وقيل عنها أنها كانت تمثل منبر المعارضة الهادىء الهادف ، ذلك كله رغم أنها كانت حكومية ، إذ كانت تصدر عن وزارة المعارف ، وتخضع لإشراف وزيرها سيف الإسلام عبد الله — أحد أبناء الإمام — فزاد هذا جميعه من شوقى إلى الثور عليها .

ونظراً أخبرنى أخى وصديقى الأستاذ على أبو الرجال — محافظ لواء صنعاء ، وعضو مجلس إدارة مركز الدراسات اليمنية — بأنه عثر على أعداد مجلة «الحكمة» جميعها فى مجلد واحد لدى أحد بانى الكتب القديمة بصنعاء فاشترأها منه ، ثم قدمها لى — إعاره — للاطلاع عليها ، وهكذا تحقق اللقاء أخيراً بينى وبين المجلة فتجددت الأحلام ، وتلقفت المجلد بسعادة فائرة ، أقلب صفحاته ، وألهم سطور .

وكانت مفاجأة الأستاذ على أبو الرجال لى بداية نظرة جديدة إلى المجلة ، ولم يعد الأمر مجرد الثور على مرجع تاريخى هام ينص عهداً معيناً ، بل تطور التفكير — بعد تقليب صفحاته — إلى أن تصبح المجلة موضع بحث قائم بذاته نظراً لما عرضته من جديد حينذاك ، ولما لصدورها من دلالة تاريخية فى تلك الفترة ، وتبلور أيضاً هذا التفكير بعد قليل — كلما أعمنت النظر فى محتويات المجلة — فلم يقف الأمر عند الحديث عن المجلة فى حد ذاتها ، بل تجاوز ذلك إلى أن تكون هى المحور لبحث تاريخى ، ذلك لنحدد لها فى النهاية موضعاً معيناً فى تاريخ اليمن الحديث والمعاصر .

ولقد أدت هذه التطورات فى فكرة البحث إلى تطور فى المنهج ، من حيث جمع المادة ، ومن حيث النقاط التى يجب معالجتها ، ولم يعد بالإمكان

فقط الاكتفاء بالرجوع إلى أعداد المجلة للتعريف بها ، ولتقديمها إلى القارئ العربي . فقد أصبح المنهج أكثر تعقيداً ، وتعرضه العديد من الصعوبات التي يتصف بها البحث العلمي في مجال التاريخ المعاصر . ولا شك أنه على رأس هذه الصعوبات — بالنسبة للتاريخ المعاصر — تلك التي تدور حول قلة المراجع بل وندرتها ، فقد لا يجد الباحث ما يلزمه من مصادر أصلية لتغطية جوانب بحثه ، وما يثور في ذهنه من تساؤلات وتفرعات حول نقاط البحث . وهذا يزيد الأمر تعقيداً ، إذ في مثل هذا البحث — المعاصر — يضيف المرء نوعاً آخر إلى أنواع المراجع التقليدية ، هو روايات ومقابلات بعض الشخصيات التي عاصرت الأحداث ، سواء ممن كانوا من صانعيها ، أو ممن كانوا قريبين منها على الأقل .

لهذا كله سارت خطوات جمع المادة العلمية اللازمة في خطوات ثلاث:

أولاً : أعداد المجلة نفسها فهي تعتبر المصدر الرئيسى للمادة الأصلية ،

ثانياً : النتف القليلة المتناثرة مما عثرت عليه في الكتب والمجلات .

ثالثاً : المقابلات الشخصية التي قمت بها مع بعض الشخصيات القيمة .

وقد سارت هذه الخطوات في خطوط متوازية ، أي جنباً إلى جنب . فمن ناحية أعداد المجلة ، فقد تمعدت تمحيص محتوياتها ، بل والرجوع إليها من حين إلى آخر ، لا لاقتباس بعض العبارات — أو حتى الموضوعات — ذات الدلالة في البحث ، بل أيضاً للغوص وراء الاتجاهات والأفكار التي وردت بها ، وقد احتاج هذا إلى تدقيق ومراجعة ليكمل ما جاء في أعداد المجلة جميعها . وكان لا بد أن يتم هذا في روية وأناة .

ومن ناحية ما جاء في الكتب والدوريات فقد كان قليلاً نادراً كما ذكرت ، وكان يحتاج إلى السعي الحثيث لجمعه من هنا وهناك ، ومن الطريف أني

لمست أن بعض هذه الكتابات تحدثت عن المجلة على استحياء أو تشير إليها إشارة سريعة خفيفة ، إما لعدم الاطلاع على أعدادها كاملة ، وإما جهلا بأهميتها في تاريخ اليمن المعاصر ، رغم أن هذه الكتابات تناولت التطور الذي أدى إلى قيام ثورة عام ١٩٤٨ م ، التي اشترك فيها عدد من حرروا بمجلة « الحكمة » .

أما من ناحية المقابلات الشخصية وجمع المادة العلمية اللازمة من خلال الروايات الشفوية المختلفة ، فكان هذا يمثل قلة الصعوبات التي واجهتها . فقد توفيت الشخصيات التي لعبت الأدوار الرئيسية في إصدار المجلة وتحريرها منذ أن كانت فكرة ، لكن عوض هذا وجود عدد كبير من عاصروها محررين وقارئین ، وكانوا على صلة وثيقة بظروف صدورها ، وبأخبار تحريرها ، طوال حياتها القصيرة . وفي البداية طرحت موضوع « الحكمة » في جلسات تضم عددا من كبار السن الذين عاصروا المجلة مع عدد من الشباب المهتمين بالجوانب الثقافية في اليمن . وسجلت النقاط التي أثيرت خلال هذه الجلسات ، وبعد قليل ، أعددت مجموعة محدودة من الأسئلة حول « الموضوع » ووزعتها مطبوعة على عدد من المعاصرين المهتمين ، فتلقت عندهم عدداً من الإجابات بخطوط أصحابها . ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، بل قمت بتسجيل بعض المناقشات التي دارت مع بعض الشخصيات ، ثم نقلت هذه التسجيلات إلى أوراق .

وهكذا أصبح لدى ثلاثة أنواع من الروايات الشخصية :

(أ) ما كتبته في حينه خلال عقد الجلسات الموسعة .

(ب) الإجابات المخطوطة على مجموعة من الأسئلة المحدودة .

(ج) التسجيلات المنقولة إلى الورق .

أبين أسباب توقفها والعوامل التي أدت إلى هذا ، وخلال هذه الخطوط الرئيسية أكون قد تمكنت من توضيح النقاط التي يمكن أن تطرق هنا وهناك حول إحدى المحاولات الفكرية - وهي مجلة الحكمة - التي ظهرت في فترة خاصة من تاريخ اليمن الحديث والمعاصر .

وهنا يأتي دور أخى وصديق الأستاذ على أبو الرجال ، فعند عبوره على أعداد المجلة تمنى أن تكون لديه الإمكانات السكانية لإعادة طبع هذه الأعداد كما هي مرة أخرى ، لإعجابه بمحتوياتها ، ولتعم الفائدة ، وليطلع أبناء الجيل الحاضر والأجيال القادمة على جزء من تراث أسلافهم الذين يعدون من المجددين الإصلاحيين ، الذين جاد تاريخ اليمن بأمثالهم بين الحين والآخر .

غير أنه لنقص الإمكانات ، ولثالية الفكرة ، وبعد طول الدراسة والمناقشة ، وتمحيص مقالات المجلة وتقاييها ، اتفقنا على الاكتفاء بجمع ونشر « المسلسلات » أو « الحلقات » الرئيسية لكل من :

أحمد عبد الوهاب الوريث ، أحمد بن أحمد المطاع ، وعبد الله المزب ، تلك المجموعات التي دارت حول محاور معينة ومقالات متتالية ، وليست جميع كتاباتهم بالمجلة .

والاقتصار على نشر حلقات هؤلاء الثلاثة فقط لا ترجع إلى أهمية شخصياتهم ، ولا إلى الدور الثقافي والسياسي الذي لعبوه في حياتهم ، ولكن يرجع إلى أنهم كانوا نموذجاً لجيل من أبناء اليمن الذين اهتموا على تثقيف أنفسهم ذاتياً ، فدرسوا ما كان متوفراً داخل البلاد من مصادر ثقافية ، والتمهوا البعثات الذي كان يصل إليهم من خارجها ، لجمعوا بذلك بين القديم والجديد ، أو بين الأصالة والمعاصرة ، اعتماداً على

أبين أسباب توقفها والعوامل التي أدت إلى هذا ، وخلال هذه الخطوات الرئيسية أكون قد تمكنت من توضيح النقاط التي يمكن أن تطرق هنا وهناك حول إحدى المحاولات الفكرية - وهي مجلة الحكمة - التي ظهرت في فترة خاصة من تاريخ اليمن الحديث والمعاصر .

وهنا يأتي دور أخى وصديق الأستاذ على أبو الرجال ، فعند عشوره على أعداد المجلة تمنى أن تكون لديه الإمكانيات الكافية لإعادة طبع هذه الأعداد كما هي مرة أخرى ، لإعجابه بمحتوياتها ، ولتعم الفائدة ، وليطلع أبناء الجيل الحاضر والأجيال القادمة على جزء من تراث أسلافهم الذين يعدون من المجددين الإصلاحيين ، الذين جاد تاريخ اليمن بأمثالهم بين الحين والآخر .

غير أنه لنقص الإمكانيات ، ولثألية الفكرة ، وبعد طول الدراسة والمناقشة ، وتمحيص مقالات المجلة وتقايبها ، اتفقنا على الاكتفاء بجمع ونشر « المسلسلات » أو « الحلقات » الرئيسية لكل من :

أحمد عبد الوهاب الوريث ، أحمد بن أحمد المطاع ، وعبد الله المزب ، تلك المجموعات التي دارت حول محاور معينة ومقالات مثالية ، وليست جميع كتاباتهم بالمجلة .

والاقتصار على نشر حلقات هؤلاء الثلاثة فقط لا ترجع إلى أهمية شخصياتهم ، ولا إلى الدور الثقافي والسياسي الذي لعبوه في حياتهم ، ولكن يرجع إلى أنهم كانوا نموذجاً لجيل من أبناء اليمن الذين اعتمدوا على تنقيف أنفسهم ذاتياً ، فدرسوا ما كان متوفراً داخل البلاد من مصادر ثقافية ، واتهموا الشغبات الذي كان يصل إليهم من خارجها ، فجمعوا بذلك بين القديم والجديد ، أو بين الأصالة والمعاصرة ، اعتماداً على

جهودهم الشخصية ، وعلى إرادتهم القوية ، إذ من المعروف أن هؤلاء الثلاثة لم يغادروا البلاد قط طوال حياتهم ، ورغم ذلك لفتوا أنظار معاصريهم - ومن تلاميهم - إلى كتاباتهم كما سنرى .

والآخ على أبو الرجال غنى عن التعريف به وبنشأته الجلم في المجالات المتعددة ، فهو إلى جانب نشاطه الإدارى فى محافظة صنعاء ، فهو معروف بنشاطه الثقافى العام ، كذلك بنشاطه التعاونى فى هيئة تطوير صنعاء . وبالإضافة إلى هذا وذاك ، فقد اشتهر بحرصه الشديد على أن يجمع فى مكتبته الخاصة كل ما يمس التراث اليمنى من قريب أو بعيد ، وأن يضعه تحت يد الباحثين على اختلاف مشاربهم ، حتى أطلق عليه أحد الكتاب المعاصرين فى صنعاء لقب « الوثائق اليمنية » .

أما بالنسبة للمنهج الذى اتفقنا على التمسك به عند نشر المقالات ، فهو التزام الحياد التام حيالها ، وعدم التدخل فيها بأى شكل من الأشكال . وانطبق هذا أيضاً على الهوامش الملصقة بها ، كذلك غريب الألفاظ التى استخدمها أصحابها ، وأيضاً بعض المعلومات وأسماء الأعلام التى ورد ذكرها ، ذلك جميعه حتى تظهر تلك الكتابات بالصورة التى وضعها أصحابها ، حفاظاً على شكلها التاريخى وأهميتها التاريخية . وقد اقتصر التدخل على ناحية شكلية بسيطة اتخذت خلال الطبع فى القاهرة ، وهى وضع المزيد من الفواصل والنقاط والأقواس بأنواعها ، ليزداد معنى الجمل وضوحاً ، كذلك الإشارة فى الهوامش إلى أرقام وتواريخ أعداد الحكمة التى نشرت بها تلك المقالات كل منها على حدة ، مع وضع أرقام الصفحات بين قوسين داخل السطور عند بداية كل صفحة حسب ترتيب صفحات الحكمة ، وذلك حتى تكون تحت يد الباحثين كما جاءت فى أعداد المجلة نفسها .

غير أن هناك تقصيراً هاماً من جانبي أحب أن ألفت إليه الأنظار ،
 اهترافاً به ، وأملأ في ملاقاته في طبعة تالية إذا قدر الله ذلك ، رغم أني
 لست المسئول الوحيد عنه إذ بشاركني فيه بعض الإخوة اليمينيين . فقد
 كنت أود أن ألقى بمجموعة المقالات تراجم وافية لأصحابها ، لإكالا
 للفائدة ، وحتى يتمكن القارئ من التعرف على هؤلاء حق المعرفة
 بعد أن يكون قد طالع كتاباتهم . غير أن الوقت والجهد لم يساعدا في
 على جمع معلومات وفيرة ومتساوية عن الكتاب الثلاث ، لذلك آثرت
 السلامة ، وتراجعت عن تقديم ما لدى من معلومات عن كل منهم لشعوري
 بنقص بعضها .

ومن ناحية أخرى ، رغبت أيضاً في أن أجمع تراجم وافية لكل
 من أمدني بالمعلومات اللازمة عن مجلة الحكمة - الذين أشرت إليهم في
 هوامش الكتاب ، ثم ضمن مراجع البحث - ليوقف القارئ على
 علاقة هؤلاء بموضوع البحث ، غير أني لم أوفق أيضاً لظروف عديدة
 متنوعة خارجة عن الإرادة ، في أن أحصل على ما أبتغيه من تراجم ،
 إذ لم أحصل إلا على بعض التراجم فقط ، وبخطوط أصحابها . لذلك
 فإني ألتمس العذر عند ظهور أي نقص أو تقصير خلال أجزاء هذا
 الكتاب المتواضع .

وأخيراً فإنني أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع الإخوة اليمينيين -
 شعباً ومسؤولين - فلولا وجودي بينهم معاراً للتدريس بجامعة
 صنعاء ، ولولا مساعداتهم المادية والمعنوية خلال هذه المدة ، ولولا
 ذلك الحب والمودة والتقدير مما أتمتع به جميعاً بين ظهرانيهم ،

- ١٦ -

ما ظهر هذا البحث إلى الوجود ، ولا اتسعت آفاقه وامتدت أبعاده ،
فإلهم جميعاً دون تخصيص — فالتخصيص قد يؤدي إلى التقصير —
أقدم شكرى وامتنانى ، متمنياً أن أكون قد قدمت شيئاً يذكر في مجال
الدراسات اليمنية .

وعلى الله التوفيق ؟

دكتور
سيد مصطفى سالم

القاهرة : سبتمبر ١٩٧٦ م .
رمضان ١٣٩٦ هـ .

دراسة وتحليل

التعريف بالمجلة وبنواحيها الشكطية :

نسب عنوان المجلة إلى الحديث الشريف ، الذى يتمسك به اليمانيون كثيرا ويعتزون به والذى جاء به : «الإيمان يمان والحكمة يمانية» (١) لذلك كانت تسميتها الكاملة «الحكمة اليمانية» ، وإن كانت قد اشتهرت باسم «الحكمة» فقط . وفخر اليمانيين بهذا الحديث فقد أطلق على الجريدة الأولى - والوحيدة - التى صدرت فى عهد الإمام يحيى (١٣٢٢ - ١٣٦٧هـ) = ١٩٠٤ - ١٩٤٨م) عنوان «الإيمان يمان» ، واشتهرت باسم «الإيمان» (٢).

(١) سبق تحقيق النص الكامل لهذا الحديث الشريف من أمهات كتب الحديث ونشره فى كتابنا «نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر» ص ١٤٨٠ - ١٤٩٠ ، ويمكن الرجوع إليه .

(٢) صدر العدد الأول من جريدة «الإيمان» فى جمادى الأولى عام ١٣٤٥هـ «١٩٢٦م» ، وكانت بمثابة الجريدة الرسمية للدولة . وهى تشبه فى ذلك جريدة «الوقائع المصرية» التى صدرت منذ عهد محمد على باشا للنشر توافين الدولة وأخبارها . وقد صور الأخ / على أبو الرجال فى صدر «الإيمان» عن مجموعة المؤرخ المعروف المرحوم السيد محمد بن محمد زباره . . . وكانت تقع فى أربع ورقات بثمان صفحات وأحيانا فى أربع صفحات فقط من الحجم المتوسط ، وكان لخارجها ضعيفا ولا تهتم إلا بالتحدث عن الدولة وأخبارها ومراسيمها ، وكانت تصدر كل شهر مرة واحدة . واستمرت هكذا برغم أنها ظلت تعلن أنها ستصدر نصف شهرية ، وأخيرا فقد استمر صدورها الى قيام الثورة فى ١٩٦٢م . وروى الفاضل محمد بن محمد الخالدى نقلا عن السيد / محمد زباره المؤرخ ما يشبه النكسة للتعبير عن ضعف الجريدة ، لاذ قال الأخير أنه أثناء وجوده بالقاهرة لطبع بعض كتبه ، شاهد أحد أصدقائه الطرفاء من علماء الأزهر عدداً من أعداد «الإيمان» فعلق عليه بقوله «يا سيد محمد إيمانكم ضعيف» غامراً بذلك إلى الجريدة . (انظر نهاية الكتاب) .

وبالإضافة إلى الاقتباس من هذا الحديث الشريف - الذى كان يضاف بخط صغير تحت عنوان المجلة - فقد حرص المشرفون على تحريرها على إبراز الآية الكريمة: «يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا» (١) على الغلاف بين خطين طويلين تحت عنوان المجلة الضخم مباشرة وأحيانا بأعلى الغلاف .

أما إذا أردنا التعريف بالمجلة ، فليس هناك أفضل مما عرفت به نفسها بأنها «مجلة علمية جامعة شهرية» ، فقد كان هذا هو الشعار الذى وضعته على غلافها ، فحددت بهذا ماهيتها ، والتزمت به طوال حياتها القصيرة - كما سنرى فيما بعد - إذ حافظت على الجهتين : « علمية » و « جامعة » فطبعت شخصيتها بطابع خاص ميزها عن زميلاتها « الإيمان » . ولم تعمّر « الحكمة » طويلا كما حدث مع « الإيمان » ، ويرجع هذا إلى طبيعة ودور كل منهما كما سيتضح ، فقد صدر العدد الأول من « الحكمة » فى ذى القعدة عام ١٣٥٧ هـ (ديسمبر ١٩٣٨ م / يناير ١٩٣٩ م) وصدر العدد الأخير منها فى صفر ١٣٦٠ هـ (فبراير / مارس ١٩٤١ م) أى أنها لم تستمر إلا عامين وثلاث ، لذلك كان مجموع أعدادها ثمانية وعشرين عددا فقط .

ولقد كان حجم المجلة صغيرا كما كان عمرها قصيرا ، وكان لإخراجها متواضعا وأن عد متقدما بالنسبة لليمن فى ذلك الحين ، فقد كان العدد الواحد يقع فى اثنين وثلاثين صفحة من الحجم الصغير ، أى تشبه مجلة « الكاتب » التى تصدر حاليا بالقاهرة - ثم يتسلسل أرقام صفحات السنة كاملة - أى أعداد المجلد الواحد الذى يضم اثنى عشر عددا - وهى بهذا تشبه الكثير من المجلات الشهرية العربية والأجنبية .

(١) الآية ٢٦٩ مدنية من سورة البقرة .

وكان طبع المجلة محليا - إذ كانت تطبع في المطبعة الوحيدة التي كانت توجد في الين حينذاك ، وهي التي خلفها الأتراك للإمام يحيى عند خروجه من البلاد في نهاية الحرب العالمية الأولى . وكان هؤلاء يستخدمونها في طبع أوراقهم وأوامرهم الرسمية ، كذلك في إصدار جريدتهم التي أطلقوا عليها اسم « صنعاء » ، والتي كانوا ينشرون بها أخبارهم وأحوال « ولاية الين » ، في عهدهم . وكانت بمثابة النشرة الرسمية للحكم التركي ، فقد كانت تصدر في أربع صفحات ، اثنتان منها باللغة التركية ، والآخرين باللغة العربية ، أي ترجمة لنفس ما كتب بالتركية ، وكان عنوانها « صنعاء » ، يكتب على الجانبين - العربي والتركي .^(١) وقد ظلت هذه المطبعة هي الوحيدة في الين طوال عهد الإمام يحيى ولا تستخدم إلا بإذن منه ، وكانت توضع في مدرسة الصناعة المجاورة لمدرسة الأيتام بصنعاء حينذاك^(٢) . ولعلنا يبدو أن المطبعة كانت تحت إشراف وزارة المعارف - أو بالأحرى تحت إشراف وزيرها سيف الإسلام عبد الله ابن الإمام يحيى - إذ كان يكتب بأسفل غلاف المجلة « طبعت بمطبعة وزارة المعارف بصنعاء » ، وهناك وصف لهذه المطبعة لأحد معاصريها ورد خلال وصف أوضاع الين في ذلك العهد فقال : « وعلى مدى ستين سنة لم يكن فيها (في الين) غير مطبعة واحدة بدائية ، تدار وترص حروفها باليد ، خلفها الأتراك للإمام يحيى لاستعمالها في أغراض حكومية ، ومع هذا كانت لها ثمرة واحدة هي جريدة « الإيمان » ، ثم مجلة « الحكمة » ، التي تمكن أفراد من إظهارها وبالتحايل ولمدة قصيرة »^(٣) . ورغم هذا فالجدير

(١) عثرنا على أحد أعدادها لدى الأخ / عبد الله الحبشي الذي ذكر أنها كانت موجودة بمكتبة الأسرة بقرية الغرفة بمضرموت وصور الأخ على أبو الرجال صدر العدد وأهدى لي نسخة منه (انظر نهاية الكتاب) .

(٢) من لمجابات الصني لأحمد محبوب .

(٣) أحمد المعلى : من مقدمته لكتاب « من الأدب اليني » تأليف أحمد بن محمد

يرجع هذا إلى تفتير الإمام يحيى الذى اشتهر به ... كذلك جندت أجهزة الدولة كما كان يحدث مع جريدة الإيمان لتوزيع المجلة في داخل البلاد ، فكانت توزع بالبريد إلى الحديدة ونعز وذمار واب ، وفي الداخل (أى فى صنعاء) عن طريق المراسلين^(١) فى الدوائر الرسمية وكانت تستقطع الاشتراكات من مرتبات الموظفين ،^(٢) .

ويؤكد هذا ، نص البرقية - التى عثر عليها أحد الأصدقاء - المرسلة من الإمام إلى عامل الحداء ، يحثه فيها على جمع اشتراكات جريدة الإيمان ، بمناسبة انتهاء الاشتراك السنوى ، وإرسال قائمة بمن يرغب الاشتراك فى الجريدة ، بل ويأمر بالزام كل من يبلغ مرتبه الشهرى عشرين ريالاً أن يشترك فى الجريدة ، ويلاحظ أن تاريخ هذه البرقية يسبق صدور الحسكة ، عام واحد فقط^(٣) .

ولنقص وسائل الإعلام والدعاية حينذاك ، قررت إدارة المجلة توزيع

(١) تعبير على ، ويطلق عليهم لاسم « السعاة » فى مصر .

(٢) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٣) هو صديقى وتلميذى الأستاذ أحمد داعر ، ويشغل حالياً وظيفة مدير مكتب وزير الاقتصاد . ولطرافة البرقية ودلالاتها هنا ، وللإطلاع على تعبيرات تلك الفترة نورد نصها : « من الامام إلى عامل الحداء حرسه الله ، منتهى (منتهى) السنة لاشتراك جريدة الإيمان إلى غايته جمادى الآخر ٥٦ هـ » فأنمركم بإرسال البدلات (الاشتراكات) مع قطعة (قائمة) أسماء المشتركين للسنة الجديدة لإرسال النسخ ، وليكن الأخبار بالتوفيق والغائبين عن حصوله بوقته ليس عند تمام السنة وطلب البدل فيحصل ضياع الجرايد وتراكم البدلات فاعتمدوا هذا ، الله الله (تعبير للحث والدفع) وكل مأمور (موظف) يبلغ معاشه عشرين ريالاً يلزم اشتراكه فى جريدة الإيمان وقطع بدله من معاشه ، والسلام عليكم .

بتاريخه ١١ جمادى الآخرة ٥٦ (أى عام ١٩٣٦ هـ) .

« ما جاء خلال النص بين قوسين تفسير لبعض الألفاظ والتعابير الشائعة باليمن » .

يرجع هذا إلى تفتير الإمام يحيى الذى اشتهر به ... كذلك جندت أجهزة الدولة كما كان يحدث مع جريدة الإيمان لتوزيع المجلة فى داخل البلاد ، فكانت توزع بالبريد إلى الحديدة وتعز و ذمار و اب ، وفى الداخل (أى فى صنعاء) عن طريق المراسلين (١) فى الدوائر الرسمية وكانت تستقطع الاشتراكات من مرتبات الموظفين ، (٢) .

ويؤكد هذا ، نص البرقية - التى عثر عليها أحد الأصدقاء - المرسلة من الإمام إلى عامل الحداء ، يحثه فيها على جمع اشتراكات جريدة « الإيمان » بمناسبة انتهاء الاشتراك السنوى ، وإرسال قائمة بمن يرغب الاشتراك فى الجريدة ، بل ويأمر بالإزام كل من يبلغ مرتبه الشهرى عشرين ريالاً أن يشترك فى الجريدة ، ويلاحظ أن تاريخ هذه البرقية يسبق صدور الحكمة ، بعام واحد فقط (٣) .

ولنقص وسائل الإعلام والدعاية حينذاك ، قررت إدارة المجلة توزيع

(١) تعبير على ، ويطلق عليهم اسم « السعاة » فى مصر .

(٢) من اجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٣) هو صديقى وتلميذى الأستاذ أحمد داعر ، ويشغل حالياً وظيفة مدير مكتب وزير الاقتصاد . ولطرافة البرقية ودلالاتها هنا ، وللإطلاع على تعبيرات تلك الفترة . لورد نصها : « من الامام إلى عامل الحداء حرسه الله ، منها (منتهى) السنة لاشتراك جريدة الإيمان إلى غايته جمادى الآخر ٥٦ هـ » فتأمركم بإرسال البدلات (الاشتراكات) مع قطفة (قائمة) أسماء المشتركين للسنة الجديدة لإرسال النسخ ، وليكن الأخبار بالتوفيق والفاين عن حصوله بوقته ليس عند تمام السنة . وطلب البدل فيحصل ضياع الجرايد وتراكم البدلات فاعتمدوا هذا ، الله الله (تعبير للحث والدفع) وكل مأمور (موظف) يبلغ معاشه عشرين ريالاً يلزم اشتراكه فى جريدة الإيمان وقطع بدله من معاشه ، والسلام عليكم .

بتاريخه ١١ جمادى الآخرة ٥٦ (أى عام ١٩٣٦ هـ) .

« ما جاء خلال النص بين قوسين تفسير لبعض الألفاظ والتعابير الشائعة باليمن » .

العدد الأول هدية إلى بعض الشخصيات المعروفة ، وذلك كما جاء في افتتاحيته -
 وهي بقلم المرحوم أحمد عبد الوهاب الوريث الذي كان بمثابة رئيس التحرير
 وإن لم يحمل هذا اللقب رسمياً طوال حياته القصيرة ، فقد قال : « وقد اقترح
 حضرة الرئيس حفظه الله (المقصود هنا هو سيف الإسلام عبد الله) أن
 يرسل هذا العدد إلى كل من يصل إليه هدية لمطالعتيه ونشره بين إخوانه ،
 وكل من يظن فيه الميل إلى العلم والأدب والاطلاع ، ومن أحب
 الاشتراك قدم الطلب إلى الإدارة قبل مضي العشرين من ذى الحجة الحرام
 مشكوراً ... » (١).

وقد وجدت المجلة أيضاً طريقها إلى خارج اليمن ولكن لا ندرى كيف ؟
 هل كان ذلك عن طريق الاشتراكات ؟ أم كان عن طريق مندوبي التوزيع
 كما هو معروف الآن ؟ حقيقة أننا لم نثر على ما ثبت هذا أو ذاك ، ولكن
 المؤكد أنها عرفت طريقها إلى خارج اليمن ، وإلى أيدي بعض مثقفي العرب -
 حينذاك - والمرجح أن هذا كان عن طريق الجهود الفردية الذاتية ، مثل
 قيام بعض محرريها أو المعجبين بها في داخل البلاد بإرسالها إلى أصدقائهم
 اليمنيين في الخارج ، أو إلى أصدقائهم العرب في العواصم العربية ، ثم يقوم
 هؤلاء وهؤلاء بتداول النسخ بينهم للاطلاع عليها ، كما كانت إدارة المجلة
 ترسل بعض أعدادها إلى دور الصحف العربية المعروفة لديها من قبيل تبادل
 المطبوعات معها . وقد حاولت جاهداً العثور على عدد من الحكمة - أو أكثر -
 ضمن مقتنيات دار الكتب المصرية بالقاهرة ففشلت ، رغم وجود عددها نال
 من المجلات العربية هناك مما كان يصدر في العواصم العربية المختلفة - وأيضاً
 في استامبول - قبل صدور الحكمة بسنوات طويلة ، وربما يرجع تاريخ

(١) الحكمة : لإنتاجية العدد الأول ، السنة الأولى ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ .

بعضها إلى أواخر القرن التاسع عشر— وهذا مما يرجع عدم إرسال المجلة إلى خارج اليمن بطريقة رسمية . وفي نفس الوقت روى لى الأستاذ زيد عنان— كان بالعراق أواخر الثلاثينيات ضمن البعثة الطلابية اليمنية هناك— أن بعض العراقيين أبدوا إعجابهم بمجلة الحكمة عندما اطلعوا عليها ، وأنهم تساءلوا عن مصدر ثقافتها محررها الرفيع رغم عدم وجود جامعة باليمن (١) . كذلك يؤكد الأستاذ أحمد المرونى تسرب « الحكمة » إلى خارج اليمن ، وإنها كانت مثار اهتمام المثقفين العرب ، فيذكر أن— السيف عبد الله أطلعه على رد « مجلة الحكمة البيروتية » على مقال المرحوم أحمد عبد الوهاب الوريث الخاص بفكرة الجامعة العربية والجامعة الإسلامية وطلب منه إبداء الرأي فيما جاء بالمقالين (٢) .

ومسكداً يتضح الإطار العام الذى ظهرت فيه مجلة « الحكمة » ، والذى حددته عدة اعتبارات هامة : مطبعة وحيدة باليمن لا تستختم إلا بإذن الإمام ، إمكانيات وأجهزة حكومية فى مجال التمويل والتحرير والتوزيع ، العزلة والانغلاق تغلف سياسة الدولة الخارجية ، وسياسة داخلية تقوم على الحكم الفردى المطلق للإمام يحيى ، وهو إطار كفيل بالحد من ظهور المحاولات الفكرية والثقافية وتطورها فى تلك الفترة . ورغم هذا فقد نجحت « الحكمة » خلال عمرها القصير فى إثبات وجودها وفى لغت الانظار إليها داخلياً وخارجياً ، حتى أن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين عندما تم تكوينه ، بدأ نشاطه بإصدار مجلة أدبية علمية فى عدن أطلق عليها اسم « الحكمة » (٣) اعتبرها

(١) من إجابات الأستاذ زيد عنان .

(٢) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٣) هي « مجلة شهرية أدبية فكرية » كما عرفت نفسها ، تصدر فى عدن باسم السكرتارية العامة لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، ولذى تكون منذ عدة سنوات من أبناء اليمن عمرماً دمالاً وجنوباً ، والمجلة تمر الآن بستانها السادسة ، ويقع العدد فى أكثر من مائة صفحة من الحجم الصغير وسنشير إليها فى هذا البحث بإضافة لفظ « الجديدة » للتمييز بينها وبين « الحكمة » الأم .

إمتداداً للحكمة الأم إذ كتب على غلافها عبارة: «أسسها في صنعاء عام ١٣٥٧هـ
الشهيد : أحمد عبد الوهاب الوريث ، وذلك تمثلاً لدورها في تاريخ اليمن
الحديث من حيث الدعوة إلى الإصلاح والتحرير والنقد» .

ولاشك أن هذا التناقض الواضح - بين الإطار والوجود - هو الذى
جعل للمجلة أهميتها ، وهو الذى يثير أماننا الكثير من التساؤلات حول :
ماهية وطبيعة المجلة ، والظروف التى أحاطت صدورها ، والطريق الذى
الوعر الذى سلكه محرروها - كما سنرى - حتى وصلوا بها إلى المكانة التى
اشتهرت بها .

حددت «المجلة» طبيعتها منذ الوهلة الأولى بأنها «علمية» و«جامعة» -
كما أشرت فى البداية - والتزمت بهذا الشعار دائماً ، فظلت مقالاتها
تقسم بالجدية والعمق ، كما كانت شاملة وليست متخصصة . وقد وصفها أحد
المحدثين - مع تبرير جانب الشمولية فيها - فقال : «منذ أعدادها الأولى
اهتمت بكل مجالات الحياة بلا استثناء لأنها المجلة القيمة فى اليمن كله إذا
استثنينا الإيمان»^(١) ، ورغم صحة هذا التبرير ، فإن ما يهمنا هنا هو الوقوف
على ما قدمت به المجلة نفسها إلى القراء لتتعرف على طبيعتها وعلى السياسة
التي رسمتها وسارت عليها ، فقد جاء فى افتتاحية العدد الأول : «... على أن
تكون تلك المجلة جامعة تتناول شتى الفنون والمواضيع ، وتوافي قراءها
من كل ذلك بمقالات تبحث فى الشؤون الإسلامية والإصلاحية والمسائل
العلمية والمباحث الأدبية والفصول التاريخية والأخبارية ، وتعينهم بلباب آراء
المفكرين ، وعصارة أقوال الكائنين ، ونتيجة مقدمات الباحثين ، وتكون

(١) عمر الجاوى : نشأة الصحافة اليمنية وتطورها حتى عام ١٩٤٨ ، الحكمة
«الجديدة» ، العدد ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٩٣ هـ - يناير ١٩٧٤ م ، ص ٦٤ .

حلبة سباق تنبارى فيها أقلام بعض أدباء اليمن الناهضين ، فتشعذ همهم ،
وتصقل من أفكارهم ، وتقوى من عزائمهم ، وتنمى فيهم ملكة البيان^(١) .

وكان أحمد عبد الوهاب الوريث يحضر بهذه الافتتاحية — بأسلوب
هادى عميق — الطريق الذى سارت فيه المجلة حتى توقفت عن الصدور ،
وذلك أمام نفسه وأمام المسئولين حينذاك ، وأمام من حرروا بها فى شتى
المجالات ، وأيضاً أمام قرائها . فقد ضمت المجلة المقالات الطويلة إلى جانب
الأخبار القصيرة ، وتنوعت المقالات فتناولت النواحي السياسية والاقتصادية
والاجتماعية والتاريخية والأدبية وغير ذلك ، وتنوعت الأخبار من داخلية إلى
خارجية ، ومن أخبار مجردة إلى أخبار ذات التعليقات المطولة ، ومن الآيات
الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال المأثورة — وكما نخدم هدفنا خاصاً
وتوحي بغايات معينة — إلى جانب النصوص الكاملة للقرارات والأوامر
الحكومية حين صدورها . وإلى جانب هذا وذاك ، تميزت المجلة بالمقالات
الطويلة ذات الحلقات التى تنشر بالأعداد المتتالية وكانت بهذا تشبه الكثير —
حينذاك على الأقل — من الدوريات العلمية ، وربما لجأت المجلة إلى هذا
الأسلوب — أى الحلقات — نظراً لطول الأبحاث المقدمة لها وجديتها
مما يصعب معه نشرها فى عدد واحد وخاصة مع صغر حجم المجلة ، وربما
كانت تهدف إلى جذب القراء إليها ليواصلوا الإقبال على قراءتها واقتنائها ،
وإن كنا نرجح أن العاملين معها يفسران لجوء المجلة إلى هذا الأسلوب من
أعمال النشر .

ولما كان من الصعب هنا عرض جميع محتويات المجلة — الثمان والعشرون
عددًا — فانه يمكن الاكتفاء بالإشارة إلى أهم ملامح المحتويات فقط — نظراً

(١) أحمد عبد الوهاب الوريث: الافتتاحية ، المسكاة ، العدد الأول ، السنة الأولى ،

ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ٤ ، ج ١ .

لأننا سنقوم بتحليل هذه المحتويات فيما بعد لمعرفة أبعادها - وخاصة تلك « المسلسلات » التى تمثل العمود الفقرى للمجلة ، بالإضافة إلى بعض الملامح الأخرى التى تكمل الحديث عن جانب المحتويات .

لقد بدأت هذه المقالات « المسلسلة » مع العدد الأول من « الحكمة » وبادر بذلك أعضاء هيئة السكرتارية للمجلة - وهى الهيئة التى سنتكلم عن تشكيلها فيما بعد - إذ بدأ أحمد عبد الوهاب الوريث مقالاته التاريخية والسياسية المشهورة بعنوان « الإصلاح ، الذى نشر منها تسع حلقات - خلال حياته ، ونشرت العاشرة بعد وفاته ، ثم حرص زميله وخليفته - فى الإشراف على المجلة - وهو أحمد المطاع ، على نفس العنوان ، وسار على نهجه ، فبلغت تلك المقالات ثمان عشرة مقالة ، كذلك بدأ العضو الثانى من الهيئة وهو يحيى النهارى سلسلة قصيرة حول « الأخلاق ، فى حلقتين فقط ، وإن ظل يكتب حول هذا الموضوع مقالات متناثرة ، أو بالأحرى لقد ظلت كتاباته تدور حول التمسك بالدين القويم والأخلاق الحميدة ، أما العضو الثالث من الهيئة وهو محمد أحمد ، فقد بدأ سلسلة أخرى عن « الأدب ، العربى منذ العصر الجاهلى وتطوره ، وبلغت هذه السلسلة ست حلقات .

وهكذا رسمت الهيئة المشكلة للبدء فى تحرير المجلة والإشراف عليها ، أسلوب الكتابة فى المجلة ومنهجها ، وكأنها بهذا دعت إلى كتابة الأبحاث الطويلة التى تتناول موضوعات شتى تتعرض لنواحي الحياة المختلفة ، وأوضحت بهذا أيضا طريقها أمام الجميع .

وقد حدثت الاستجابة بشكل سريع ، فقد بدأ عبد الله العزب - فى العدد الثالث من السنة الأولى - مقالاته القيمة عن « تاريخ الأدب العربى ، وحظ اليمين منه ، واستغرقه هذه تسع مقالات ، وبدأ أحمد حسن الحورش - فى العدد السادس مباشرة - مقالاته العلمية حول « علم التربية ،

استمرت ثمان حلقات ، ثم كتب أحمد عبد الواسع الواسع في العدد التاسع سلسلة بعنوان « المكتابة واهتمام الأمة العربية بها ، في أربع حلقات ، ورغم أن محمد حسن عماد الذاري قد طرق موضوع الزراعة والمزارعين في مقالة منفردة ، فقد بدأ الأستاذ زيد عنان - بعد عودته من بعثة العراق - في العدد الحادى عشر - يكتب عن نفس الموضوع - بعمق واستفاضة - تحت عنوان « الزراعة ثروة اقتصادية ، بلغ عدد حلقاتها خمس . وتبعه عبد الواسع بن يحيى الواسع في العدد الثانى عشر ، مقالاته « حسن الإدارة والتدبير والاقتصاد ، وبلغ عددها تسع ، وإن اقتصر عنوانها بعد الحلقة الأولى على : « فى الاقتصاد » .

وفى العام الثانى من عمر « الحكمة » ، حافظت المجلة على أسلوبها ومنهجها رغم وفاة قائدها - أحمد الوريث - فى خلال ذلك العام ، فقد واصل أحمد المطاع مقالات صديقه الوريث - مع الاحتفاظ بعنوانها وهو « الاصلاح » - وذلك من العدد الرابع أى عقب الوفاة مباشرة ، بل وأضاف إليها من العدد السادس حلقات قيمة جديدة فى منهجها بعنوان « فى التاريخ النبوى ، عددها ست حلقات ، أما المؤرخ النبوى المعاصر عبد الله عبد الكريم الجرافى ، فقد ألزم تقريبا بتحرير باب « مخنارات من الشعر القديم والحديث » وأسهم فيه بسهم وافر ، وإن شاركه أحيانا الشاعر النبوى المشهور إبراهيم الحضرائى فى تحرير هذا الباب . وعاد الأستاذ زيد عنان - بعد انتهاء حلقاته عن الزراعة إلى كتابة بحث جديد عن : « أمراض الحيوانات وعلاقتها بالإنسان من الناحية الاقتصادية والصحية » ، استمر فى نشره ثلاث حلقات . وفى العدد العاشر كتب يحيى الدين العيسى الحلقة الأولى عن : « اليمن السعيد بين الماضى والحاضر » .

أما فى عام المجلة الثالث الذى لم يكتمل ، إذ ظهر فيه أربعة أعداد فقط منها ، فقد ظهرت فيه أيضا أبحاث جديدة لم يقدر لها أن تستمر لتوقف

المجلة عن الصدور، فبدأ على محمد الزرقه موضوعا في العدد الأول بعنوان -
«التعاون»، استمر ثلاث حلقات. وكتب يحيى الدين العيسى في العدد الثالث
عرضا نقديا لديوان أحد الشعراء اليمنيين المعاصرين للاعلان عن النشاط
الأدبي في اليمن، وكان ينوى المضى في هذا المضمار. وفي نفس العدد بدأ
زيد عثمان مسلسته الثالثة بعنوان «علم البلدان وفضل العرب فيه».

وهكذا تتضح طبيعة محتويات المجلة، كما يظهر مدى «التنوع»
و«الاغتناء» الذي حظيت به نتيجة الاتجاه إلى «الشمولية» وليس «التخصص»
واتباع «نظام الحلقات». غير أنه من الملاحظ أن الإشارة إلى هذه
«المسلسلات» وعناوينها وكتابتها، لا يعنى إهمال باقي الجهود التي بذلت في
مقالات منفردة خاصة، فكم لا تسن في المسلسلات، فقد طرقت أيضا المقالات
المنفردة موضوعات متنوعة، لم يكن المجتمع اليمني التقليدي حينذاك
قد اعتاد معالجتها ونشرها، ولم يكن يحدث هذا إلا بشكل خاص في
الجلسات الخاصة، أو في المراسلات الشخصية التي عرفت فيما بعد باسم
«البريد الأدبي»، كما سنوضح فيما بعد. وبالإضافة إلى هذا وذاك، فقد أغنت
«المجلة» محتوياتها بما كانت تقتبسه من مقالات ومقطعات من المجلات
العربية والإسلامية مما كان يتناسب مع سياسة «الحكمة» وأهدافها، وذلك
لربط القارئ اليمني بالإنتاج الفكري الخارجي، مع نشر أسماء مؤلفي هذه
الاقتباسات والجهات التي نشرت بها.

وربما يحتاج الأمر هنا - بعد الحديث السريع عن المحتويات. إلى
تساؤل هام، وهو كيف كان يخرج هذا كله إلى القارئ؟، وهذا يحتاج
إلى إشارة موجزة إلى إخراج المجلة. لقد سبق أن أشرنا إلى أن إخراجها
كان يعد متقدما - بوجه عام - بالنسبة لما كان سائدا في اليمن حينذاك.
ويتضح هذا بشكل كبير بالمقارنة بين «الإيمان» و«الحكمة»، أو بين ما كان
ينشر من كتب في هذه الفترة، رغم ما هو معروف من فوارق بين الجريدة

والمجلة . فبالرجوع إلى أعداد « الإيمان » يتضح أنها كانت تسير على وتيرة واحدة ، وتحافظ على أسلوب تقليدى جامد يشبه الاكليسيات المحفوظة ، وتدور فى فلك الدولة - أو بالأحرى الإمام يحيى - ولا تحيد عنه . فقد كانت تبدأ بمقالة طويلة - فى العادة تقناول موضوع الشهر ، سواء كان موقفاً أو قراراً للدولة ، أو حديثاً عن مناسبة أو عيداً دينياً ، ويتلو هذا فيض من الأخبار الداخلية التى تدهور حول مقابلات الإمام وأبنائه سيوف الاسلام وتنقلاتهم، وتعيينات كبار وصغار الموظفين على السواء ، أو حتى استئذان هؤلاء للحصول على أجازات قصيرة . وكان الجانب الأدبى فى الجريدة - وكان موضع الاهتمام - يتمثل فى القصائد الطوال التى تلقى فى مدح الإمام وأبنائه ، أو تكون بمناسبة دينية أو وطنية معينة ، أو رثاء لإحدى الشخصيات الكبيرة، ومع الاهتمام أيضاً بجانب المدح . ورغم اهتمام رئيس تحريرها : القاضى عبد الكريم مطهر - ثم السيد عبد الكريم الأمير ، بتطويرها نسبياً ، داخل الإطار التقليدى العام المرسوم لها ، مثل أفراد صفحة خاصة بالأخبار الخارجية اقتباساً من الصحف القليلة التى تصل إلى ديوان الإمام ، فقد كانت هذه الاقتباسات تخدم أغراضاً داخلية وظل التطوير محدوداً للغاية . ولا غرابة فى أن يظل مضمون وأسلوب الجريدة ينصب فى قالب واحد ، فقد كان الإمام يحرص تماماً طوال حياته على أن يراجع بنفسه بروفااتها قبل صدورها ، وهذا ما أكده لى الكثير من كانوا مقرَّبون إليه ، أو ممن كانوا يعملون فى ديوانه .

أما الحكمة ، فقد خرجت إلى القراء فى ثوب مختلف تماماً ، وزادها التنوع والأغناء فى محتوياتها ، جودة فى إخراجها . ولهذا فنحن نوافق - بوجه عام - على رأى أحد أبناء مكرثارية تحرير مجلة الحكمة الجديدة،

في وصف المجلة الأم بأنها « مجلة متوسطة الحجم مبنية بتبويباً جيداً » .^(١) ولا شك أن هذا التبويب الجيد ، وتكون المجلة على « الإيمان » ، يفسر بأسباب عدة : منها تنوع مادة محتوياتها كما أشرنا ، ومنها أن هذا التنوع كان يطرق موضوعات جديدة يتطالع الأهل إلى التزود منها ، ومنها الظروف الخاصة التي أحاطت صدور الحكمة والتي سنفاقشها فيما بعد ، ومنها تكتل عدد كبير من متعلين ومتحرريين وراء صدور الحكمة ، ومنها أن المسئول عن إصدار « الحكمة » ، والإشراف عليها كان السيف عبد الله ، الذي كان يمثل وجهاً مشرقاً متقدماً بالنسبة لأبيه الإمام يحيى الذي كان يشرف على « الإيمان » . غير أن هذه العوامل كلها التي تضافرت على انجاح « الحكمة » وتحسين إخراجها لا تجعلنا ننسى الإشارة إلى شائبة ضئيلة تتصل بالإنخراج ، فمن ناحية ، وربما لظروف الفترة التي صدرت بها ، لم تتمكن المجلة من وضع أبواب ثابتة تحدد ملامح العدد ، وترتبط بين الأعداد المختلفة ، مما يسهل أمام القارئ الرجوع إلى ما يشاء ، بل كانت « المجلة » تنصرف في حدود ما يصلها من مادة مكتوبة وفي حدود المسموح لها في داخل الإطار العام للدولة ، ورغم هذا فقد استعملت « الأكلشيات » الكبيرة في عناوين المقالات والموضوعات ، وفي الأبواب التي حاولت تثبيتها مثل « من القراء » و « من الأخبار » ، وغير ذلك من الأبواب المتعارف عليها . ومن ناحية أخرى لم يهتم محررو « المجلة » بوضع الفواصل والنقاط ، أو وضعها ، في غير موضعها ، مما كان يقلل من وضوح « الجملة » وتقسيماتها . وربما كان هذا يرجع إلى نقص في إمكانيات « المطبعة » ، حينذاك ، وربما يعود هذا إلى تعود سكرتارية التحرير على أسلوب كتابة المخطوطات أو نسخها مما كان سائداً حتى ذلك الوقت بين متعلين الدين . ويلاحظ أن هذه الأمور الشكلية في الكتابة

(١) عمر الجاوي : الحكمة « الجديدة » ، العدد ٢٦ ، يناير ١٩٧٤ م ،

لم تكن معروفة متداولة بشكل واسع بل كان العكس هو الصحيح ، وكان الاهتمام ينصب على الموضوع فقط مع إهمال الشكل . ورغم هذا فقد عوّضت « المجلة » هذا النقص بأن قسمت الكثير من صفحاتها إلى عمودين ، وقسمت كل عمود إلى فقرات ، وهذا يعتبر ثورة في مجال النشر ، فقد كان السائد هو « الاستطراد » المستمر في الكتابة سطرا بعد آخر ، ولم يكن هناك التفات إلى مسائل « التنسيق » هذه . ومن مظاهر تطور الإخراج أيضاً ظهور فهرس لمحتويات العدد ، وظهر هذا في آخر صفحة من العدد الأخير ، من الأعداد التي ظهرت^(١) ، وكان هذا يبشر باضطراد إدخال التحسينات إليها إذا كان قد طال بها العمر . وبالإضافة إلى هذا وذاك فقد ندرت الأخطاء المطبعية بالمجلة بشكل كبير يثير الإعجاب ، وهذا ما لفت أيضاً نظر أحد الباحثين اليمنيين المحدثين فأشار إلى ذلك صراحة في دراسته^(٢).

ويتعلق بالسؤال السابق سؤال آخر لا يقل أهمية وهو : من كان - إذا - وراء تخطيط المجلة ؟ أو بالأحرى من كان وراء توزيع المحتويات ؟ وهل كانت هناك مؤثرات خارجية ؟

ولقد كان هذا التساؤل ضمن التساؤلات الأخرى التي طرحتها للمناقشة مع بعض الشخصيات اليمنية ، فكان هناك إجماع حول الرأي القائل بأن : « الذي خطط للمجلة هو رئيس تحريرها الشهير أحمد بن عبد الوهاب الوريث مع مشاركة الكاتب السيد أحمد المطاع »^(٣) وأن التخطيط « كان تقليداً للمجلات العربية الأخرى »^(٤). وتعددت الإشارات لتحديد هذه المجلات ،

(١) الحكمة : العدد الرابع ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، صفر ١٣٦٠ هـ « فبراير

١٩٤١ م » ص ١٢٨ .

Abdallh Yahia El Zine : Le Yemen et Ses Moyens
D' information, Tome I, P. 98.

(٢)

(٣) من إجابات الصفي أحمد الجرافي .

(٤) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

ف قيل أنها كانت تنسبة بمجلة « المنار » التي كان يصدرها الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا ، كذلك بمجلة « الرسالة » ورئيس تحريرها أحمد حسن الزيات ، ومجلة « الفتح » ، ورئيس تحريرها محب الدين الخطيب ، ومجلة « النمدن الإسلامي » ، لشكيب أرسلان ، ومجلة « الحكمة البيروتية » ، وغير ذلك من الدوريات العربية الجادة من القاهرة ودمشق وبغداد (١)

ظروف صدور المجلة :

وربما يكمل ما سبق أن تناولنا من نقاط أن فوضع الخطرات التي تمت لإصدار المجلة ، ، ونعالج الأهداف والأغراض التي رمت إليها الأطراف المختلفة من وراء هذا الإصدار ، أو بمعنى آخر كيف صدرت الحكمة ؟ ولماذا ؟ فإن تناول هذا الموضوع ربما يغطي ما يكون قد فاتنا توضيحه في النقاط السابقة جميعها ، وفي نفس الوقت فإنه بداية لتحديد الآثار الذي سنضع فيه المجلة في النهاية .

وربما كانت البداية الطبيعية للإجابة على هذا التساؤل هو الرجوع إلى ما جاء في إفتتاحية العدد الأول ، فرغم أنها كتبت بالشكل التقليدي للإفتتاحيات ، فإنها عالجت في دبلو ماسية عميقة الكثير من المسائل ذات الدلالات المتعددة ، التي تنير لنا الطريق وتحدد الخطى ، لنصل إلى ما نبتغيه . وقد جاء فيها : « وقد أشار سموه (السيف عبد الله) عليهم بأن يكون من أنفسهم جماعة مشتركة تضطلع بإنشاء تلك المجلة وتحريرها ، فتأهوا لإشارته العالمة تلقيا ونقا ، ودولوا على سموه الماسكي في أن يوليهم رعاية العالمة وتشجيعه الأدبي حتى يتسمل لهم قطع الشوط الأول في مهمتهم الإنشائية ، فأبدى حفظه الله من العطف والتأييد ما شجعهم على تحقيق تلك الفكرة الحميدة ، وتولى بنفسه إصدار الرخصة

(١) من إجابات عبد الله حمران ، أحمد المعلى ، أحمد المروني .

اللازمة باصدار المجلة بعد تقرير أهدافها وقد نالت الفكرة حسن القبول في الحضرة العلية الإمامية فتفضل صاحب الجلالة أيده الله باصدار إرادته الملكية باعطاء الرخصة المطلوبة للجماعة المشار إليها بذلك ، وهذه الجماعة المشتركة تتألف من كاتب هذه السطور (أى الوريث) والسيد بن العالمين علي بن إسماعيل المؤيد ، ويحيى بن حمود النহারى ، والقاضى محمد بن أحمد^(١) . وهكذا بين لنا أحمد الوريث عدة أمور خلال هذه السطور فأوضح كيف صدرت المجلة ، ودور السيد عبد الله ووسائله لإصدارها ، وموافقة الامام على صدورها ، بعد تقرير أهدافها ، وبيان بأسماء أعضاء هيئة التحرير أو سكرتارية التحرير ، وذكر هذا كله في إطار مشحون بالمجاملة للسلطات ، وأنها صاحبة الفضل في إصدار المجلة ، باعتبارها — على الأقل — مجلة حكومية .

غير أن سطور الوريث تتصف بأنها عامة موجزة ، تتناسب مع طبيعة عصره ومع الشكل الرسمى للافتتاحيات ، ولكنها لاتعطي كافة الأبعاد الخاصة باصدار المجلة ، ولاتجيب على مختلف التساؤلات التي تثار في ذهن الباحث والتي كانت هي نفسها — أى هذه السطور — سببا في إثارتها . فقد حاولت جاهداً العثور على نص د رخصة ، أو امتياز ، لإصدار المجلة فلم أصل إلى شيء ، بما في ذلك صفحات الإيمان ، الجريدة الرسمية لذلك العهد . وأكدت الاجابات المختلفة ما كنت أتوقعه وهو عدم وجود أمر ملكي ، أو وزارى ، بصور المجلة وبتحديد أهدافها وأعضاء سكرتارية تحريرها — وفالم يكن هناك لإجراءات رسمية لإصدار المجلة ، فجرد موافقة الإمام يحيى دلى إصدارها اتخذ السيد عبد الله الإجراءات والأمر لمطبعة المعارف لطبعها مع جريدة الإيمان^(٢) ، وهناك أيضاً من أجاب على سؤالى بتبسيط الأمر أكثر من

(١) أحمد عبد الوهاب الوريث : الافتتاحية ، الحسكة ، العدد الأول ، السنة الأولى ،

المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ٤ ، ١٤ ، ٢٠ .

(٢) من اجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

ذلك فقال : « تتم مثل تلك الاجراءات بأمر يصدره وزير المعارف في وقت السيف عبد الله » (٢) . وترجع بساطة الاجراءات حينذاك — بل وقلة صدور الأوامر والمراسيم إلى فردية حكم الإمام يحيى ، وهيمته على جميع الأمور بشكل مطلق ، فكان يسكتني بالأوامر الشفوية المباشرة للبيت في الكثير من شئون البلاد كبيرها وصغيرها على السواء ، وهذا يعنى — بالنسبة للحكمة ، أن موافقته الشفوية على رأى السيف عبد الله كانت د هى الاجراء الذى أغنى عن كل شئ » (٢) .

ولإزاء هذا فقد كان من الأجدى محاولة فهم أهداف وأغراض الأطراف المختلفة من وراء إصدار الحكمة ، أكثر من محاولة البحث عن الاجراءات الرسمية التى اتخذت ، حتى نصل إلى الاجابة المطلوبة لسؤالنا: كيف صدرت الحكمة ؟ ولماذا ؟ .

من البديهي أن يكون الدافع الثقافى من الدوافع الهامة لإصدار المجلة ، أو كما قيل : « إن الدافع إلى إصدار مجلة الحكمة هو الدافع إلى نشر أية مجلة علمية أدبية تاريخية يقصد منها تنوير الأفكار وتزويدها بما تنشره من علم وأدب وتاريخ مع تشجيع للكاتب اليمنى وفتح مجال للكتابة والنشر » (٣) . غير أن هذا الرأى يتصف بالعمومية ولا يمس دوافع إصدار الحكمة ، إلا مساً خفيفاً ، فقد تنوعت الدوافع ، كما تعددت مصادرها . ولما زيد من الشرح والتفصيل يمكن تقسيم الحديث هنا إلى قسمين : قسم يتصل بدوافع المسؤولين ، وقسم آخر يتصل بالمحررين بوجه عام وليس بالطبقة المعالجة فقط التى سبق الإشارة إليها في إفتاحية الوريث ، ففى واقع الأمر : ولقد كان وراء صدور الحكمة ، من الرجال أكثر مما ظهر فيها من أفكاره ، (٤) ، كما سيتضح فيما بعد .

(١) من إجابات الصفى أحمد الجراى .

(٢) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٣) من إجابات الصفى أحمد الجراى .

(٤) من إجابات الأستاذ عبد الله حمران ، ومحمد عبد الله الشامى .

لقد لعب سيف الإسلام عبد الله الدور الفعال في ظهور « الحكمة » إلى الوجود ، لا لاقتناعه فحسب - باعتباره وزيراً للمعارف حينذاك - بفكرة أحمد الوريث حول ضرورة ظهور مثل هذه المجلة ، بل أيضاً لما بذله من جهد في إقناع والده الامام بالموافقة عليها . وقد تعددت الآراء حول تفسير هذا الاقتناع ، وهذا الجهد ، فقد قيل أن اقتناعه يرجع إلى تأثير أحمد الوريث وإلى رغبته في الظهور بالمظهر التقدمي ، في داخل البلاد وخارجها ، فقد كان السيد أحمد عبد الوهاب الوريث بعد أن انتقل من ذمار إلى صنعاء - كما سيتضح فيما بعد - يكرر زيارته لسيف الإسلام عبد الله الذي كان وزيراً للمعارف ، والذي أعجب بذلك الوريث وطلاقة لسانه وبحوثه ، وفي خلال الزيارة والحديث كان يعرض على سيف عبد الله بعض المجلات التي تأتي من بغداد ومن القاهرة ودمشق بشكل متواصل ، فقد اشترك الوريث في بعضها ، كما كان يعرض عليه بعض إقترحاته ونقده على بعض المقالات من تلك المجلات ، واستعداده لأن يقوم بتحرير مجلة مماثلة لتلك المجلات ، وبما أن سيف عبد الله كان يحب الظهور بالمظهر التقدمي المنطلق الخارج على الأنظمة القديمة فقد اقتنع هو على أن يقوم الوريث بإصدار مجلة مماثلة لتلك المجلات لتظهر حكومة أبيه الامام بالمظهر المنحدر المحب للإصلاح والتقدم ، وإستطاع سيف عبد الله أن يقنع والده الامام بحججه لذلك ، (بذلك) الغرض فأذن الامام بإصدار المجلة على ألا تصدر إلا بعد عرضها على سيف عبد الله (١) .

ومن ناحية أخرى ، ظل موقف سيف عبد الله من المجلة وموقف المتبنين لها ليظهر بالمظهر المنحدر أمام الأحرار والمتنفذين وجرمهم إلى صفة المنافس لأخيه سيف الإسلام أحمد بصورة غير واضحة (٢) ، ويتأكد تفسير موقف

(١) ، (٢) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

المسؤولين من المجلة تفسيراً أساسياً في رأي آخر، فقد قيل: «وكان إقناع الامام بضرورة صدور الحكمة هو ما يترتب عليه من دعاية طيبة وسمعة سياسية حسنة لاسيما واليمن مشهورة بالحكمة والعلم والعلماء، بالإضافة إلى أن السيف عبد الله كانت له طموحات سياسية أراد أن يحققها من خلال الأدباء والمفكرين... كما كان يحاول أن يستقطب هؤلاء، وأن يظهر بأفكار عصرية، وقد جعل المجلة وسيلة للقائه بالنبيهاء وحملة الأفكار» (١). ويبدو أن السيف عبد الله كان مفادياً ذكياً أمام والده الامام، فلم يعتمد فقط في إقناعه على ضرورة إصدار «مجلة» لمواكبة العصر، وتمثلاً بما يصدر في البلاد العربية من مجالات علمية، بل اعتمد أيضاً على فكرة أن وجود مثل هذه المجلة يتيح «للسلطات» فرصة التعرف على ما يدور في أذهان الجماعات المتعلمة، فبدلاً من أن يتداولوا الآراء والأفكار في جلسات خاصة مع ما في ذلك من خطورة على «الدولة»، فإنه يجب على الأخيرة أن تتيح مجالاً ومتنفساً أمام هؤلاء لينفثوا فيه ما يدور في صدورهم، فيسبل على «الحكومة» تلمس التيارات الفكرية والسياسية المختلفة. وقد مارس السيف عبد الله هذا المفهوم بنفسه، فقد كان يقرب إليه الشباب والمثقفين ويجالسهم ويتبادل معهم الآراء المختلفة، وكان هؤلاء من جانبهم - سواء مدنيين أو عسكريين - يشعرون برغبته في معرفة آرائهم وكشف ما في نفوسهم فكانوا لا يتوانون في طرح أفكارهم - أو بعضها على الأقل - ليساعدوا على دفع عجلة التطور والإصلاح (٢). وفي نفس الوقت فلا يجب أن نقلل من الجوانب الشخصية لدى السيف عبد الله، فقد أظهر نشاطاً وتفتحاً - بالنسبة للآطار العام الذي رسمه الامام يحيى لليمن حينئذ - عندما تولى وزارة المعارف، وهذا ما يؤكد الرأي القائل: «وكان فيما يظهر يود أن يعمل ما يعتبر تقدماً بالبلد، لذلك بعث البعثات إلى الخارج وطبع بعض الكتب» (٣). وأيضاً نحن لا ننكر على السيف عبد الله

(١)، (٢) من إجابات الاستاذ أحمد المروني.

(٣) من إجابات الصفي أحمد الجرافي.

طموحه الشخصى - فى داخل ذلك الإطار - فقد كان شبابه وتعيينه وزيرا للمعارف يعنيان التطلع إلى المستقبل . وكانت هذه الفترة التى صدرت فيها المجلة ، هى الفترة التى بدأ فيها الإمام يحى يعتمد على أبنائه فى تولى الوظائف الهامة ، فيوليهم الوزارات المختلفة - وكانت حينذاك أسماء على غير مسميات - كذلك حكم المحافظات المختلفة . وبعدها هنا الإشارة إلى تولى سيف الإسلام أحمد إمارة لواء تمر ، وكان يشار إليه حينذاك بأنه ولى العهد والإمام المنتظر ، وذلك فى نفس الوقت تقريبا الذى عين فيه سيف الإسلام عبد الله وزيرا للمعارف ، لهذا كان نشاط كل ابن من أبناء الإمام ، وعمله على إبراز كيانه - داخل إطار دولة أبيه الإمام - أمرا متوقعا ، فى الوقت الذى تحمس فيه السيد عبد الله لإصدار « الحكمة » ، والتقرب من الشباب والمثقفين فى صنعاء ، كان السيد أحمد يستقطب أيضاً فى تمر الأدباء والشعراء والمثقفين ، الذين كانوا يحدون فيه - أو يأملون فيه على الأقل حينذاك - وجه المستقبل الأفضل ، فقد حاول هناك أن يجعل من نفسه حارسا ومشجعاً للأدباء والمفكرين ، فأوى إلى مقامه (أى ديوانه) الكثير من اللامعين مثل الموشكى ، والحضرائى ، والفسيل ، والشامى ، والأستاذ نعمان ، والزبيرى ، والمعلمى ، والعنسى وغيرهم ، ولذلك لم يعارض ظهور المجلة ، بل تمنى لو صدرت بتمر^(١) .

ويكمل الحديث عن موقف السلطات المسئولة من صدور المجلة ، التعرف على موقف الإمام بشئ من التفصيل ، وخاصة لما عرف عنه من التوجس والحذر الشديدين من كل جديد ، بل وبالسير البطيء بأمور دولته حتى أنه اتصف بالجمود . وكان يعرف عنه أنه إذا وافق على مشروع ما ، يظل يرقبه فى يقظة وتخوف حتى لا يتعدى هذا المشروع الحدود التى رسمها فى ذهنه ،

(١) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

وداخل الإطار العام الذي وضعه لدولته ، لذلك نراه يوافق على صدور الحكمة على « ألا تصدر إلا بعد عرضها على سيف عبد الله » - كما ذكرنا - وكما كان يفعل هو بالنسبة « للإيمان » ، وهذا أيضا ما ألمح إليه أحمد الوريث في افتتاحيته في عبارة موجزة ذات دلالة عميقة ، فأشار إلى أن الإمام وافق على صدور المجلة « بعد تقرير أهدافها » . وقد انعكس هذا بوضوح على موقفه : « بما كان ينشر في المجلة فكان موقف الحذر الشاخص بعينه إلى ما قد ينتج من ذلك ويتحين الفرص لأوثاك المحررين ، وكانوا على حذر وخوف من سطوته إلا أنه كان ذا أناة وحكمة فهو لا يعجل ولا تستفزه العبارات أو المقالات ، ويواصل صاحب هذا الرأي قوله : « والذي اعتنقه أنه أوكل أمر المجلة إلى السيف عبد الله ونادرا ما كان يبدى ملاحظاته »^(١) . ورغم الإيجاز الشديد في عبارات هذا الرأي فإنه ينطوى على الكثير من الحقائق والمراقف - كما سيوضح فيما بعد - وخاصة إذا أدركنا طبيعة أوضاع اليمن في عهد الإمام يحيى^(٢) . حقيقة كان هناك إجماع على أنه فوض أمر المجلة إلى ابنه السيف عبد الله ، غير أنه في نفس الوقت : « كان يزوده بالنصائح ، ويحاول تحذيره من أن يترك الحبل على الغارب للمحررين في المجلة » وكان السيف عبد الله يستبعد ما كان يحذر منه الإمام أو يخشاه ثقة منه بالنفس ، ولعدم وجود المبرر للخاوف ، أي أنه لم يشعر بأن هناك قصدا واضحا من المقالات يهدف إلى غرض سيامي ضد الإمام وأولاده بالرغم من بعض نفثات الوريث وغيره^(٣) .

(١) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

(٢) لمزيد من الدراسة ، يرجع إلى كتابنا « تسكوين اليمن الحديث » اليمن والإمام يحيى ١٩٠٤ - ١٩٤٨ ، من مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ، طبعان ١٩٦٣ ، ١٩٧١ .

(٣) من إجابات الأستاذ أحمد المروني .

وكيفما كان الأمر ، فقد وافق الإمام يحيى على ظهور « الحكمة » استجابة لرأى السيف عبد الله ، أو بمعنى أدق لما أبداه من حجج ومبررات كما ذكرنا ، ورغم هذه الموافقة فقد ظل خائفاً متوجساً منها ، بل ومحذراً لابنه مما ينشر فيها ، حتى أتيحت الفرصة له فأوقفها - وإلى الأبد - بحجج مختلفة ، وذلك في خلال الحرب العالمية الثانية ، فلم تعد إلى الظهور ، وعادت « الإيمان » مرة أخرى ، وهذا ما سناقشه فيما بعد . وقد سبق أن ذكرنا أن الإمام كان يخشى « الجديد » ، ولأنه إذا وافق عليه يظل يرقبه في حذر حتى يبق في الإطار الذي يرسمه هو ، غير أن الفترة التي ظهرت فيها « الحكمة » كانت فترة حرجية بالنسبة لحكمه ، فمن ناحية فقد حدث في عام ١٩٣٤ م (١٣٥٢ / ١٣٥٣ هـ) هزتان هزيفتان ، هزت نظام الحكم الإمامي القائم ، أولاهما : الهزيمة أمام انجلترا على حدوده الجنوبية ، وعقد المعاهدة في فبراير من هذا العام ، وثانيتهما : الهزيمة أمام المملكة العربية السعودية على حدوده الشمالية في نفس العام ، وعقد معاهدة « الطائف » معها ^(١) .

وقد ترتب على هذا ظهور حركة معارضة لحكم الإمام ، أو على الأقل حركة سخط وتذمر ورغبة في الإصلاح كما سنرى ، وفي نفس الوقت عمل الإمام على تولية أبنائه الوظائف الرئيسية ، كما سبق أن ذكرنا . وهكذا يتضح أن الإمام يحيى وافق على طلب ابنه السيف عبد الله نظراً لهذه الظروف ، وإن ظل يرقب « المجلة » ، ويحذر ابنه مما ينشر فيها حتى توقفت ، وهذا جميعه يحتاج إلى شرح وتفصيل .

كما سبق يتضح الموقف « الحكومى » من صدور « الحكمة » وبقى

(١) عمر الجاوى : نشأة الصحافة اليمنية . . الحكمة (الجديدة) العدد ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٩٣ هـ ، يناير ١٩٧٤ م ، ص ٦٤ ، وللتوسع في دراسة تلك الأحداث يرجع إلى الباب الأول من القسم الثالث من كتاب : « تكوين اليمن الحديث » ، اليمن والإمام يحيى ١٩٠٤ - ١٩٤٨ م .

أماننا التحدث عن الجانب « الأهل » ، أو بتعبير آخر موقف بعض الرجال الذين حرروا بها ، والذين أعطوا لها من وقتهم وجهدهم ما أكسبها تلك الشهرة التي لفتت إليها الأنظار . . . وقد سبق أن أشرت إلى أنه كان وراء الحكمة من الرجال أكثر مما ظهر فيها من الأفكار والآراء ، ويقصد بهؤلاء تلك الجماعة التي مثلت ضغطاً على الإمام وابنه السيف عبدالله حتى صدرت المجلة ، والتي كان الإنان يعملان على كشفها ، ومعرفة آرائها كما أشرت ، والتي ظل الإمام يرقبها ويحذر ابنه منها حتى توقفت المجلة ، والتي أعدم منها البعض وسجن البعض الآخر بعد فشل ثورة عام ١٩٤٨ . لذلك صدق القول بأن بعض من كتبوا لها ، أو اشتركوا في تنسيق الجهود لإخراجها لم تظهر أسماءهم على صفحاتها ، لأن الإمام كان يكره ظهور اسمائهم على سطح الحياة العسكرية ، فهو يشك في نواياهم ، ولأنهم خافوا على « المجلة » أن يبطش بها الإمام وخاصة في بداية عهدها (١) . وبناءً على هذا إذا تصفحنا أعداد المجلة الأولى بصفة خاصة - بالإضافة إلى غيرها من الأعداد - إذ يتضح أماننا أن الكثير مما ورد بها كان بدون توقيع ، وأن الأسماء التي ظهرت بها كانت محدودة تكاد تكون قاصرة على بعض أعضاء هيئة السكرتارية الأربعة وليس جميعهم ، ثم بدأت - تدريجياً - تظهر بعض الأسماء ، بعد وساطات ومراجعات لدى الإمام كما سيوضح بعد قليل .

وبرجع هذا إلى التناقض بين الموقف الرسمي ، وموقف تلك « الجماعة » من المجلة ، واختلاف وجهات النظر بين الطرفين ، فقد « كان » غرض المسؤولين من إصدار « الحكمة » ، هو التحدث عن أعمال الحكومة ومدحها وتدعيم سياستها كما كان الحال بالنسبة للإيمان ، ، ولكن لم يحدث هذا تماماً لأن من كان يحرق بها كان من الوطنيين (٢) ويذهب البعض إلى أبعد

(١) من إجابات القاضي محمد أحمد السباغى .

(٢) من إجابات الصفي أحمد محبوب .

من هذا لإظهار التناقض واختلاف وجهتى النظر ، فقد قيل : « وكان إصدار مجلة الحكمة بمبادرة من صاحب الإمتياز سيف الإسلام عبد الله ابن الإمام الذى حاول استقطاب بعض الشباب الإصلاحى لدفعهم فى مجلة مطبوعة ، وأن مجلة الحكمة « كرسى كل موادها فى مصب واحد هو دفع الين بروح وطنية إلى مواكبة العصر الحديث بكل السبل . كانت صفحات الحكمة ٢٢ صفحة ، جمع الوريث وصحبه فيها باقة من المعلومات والآراء المبررة عن روح العصر مركزين جهودهم - كما يبدو من أعداد الحكمة - لخلق طليعة قيادية لحركة الإصلاح (١) ، ورغم أن هذا رأى يحتاج فى بعض جوانبه إلى بعض المناقشة والتوضيح - كما سيتضح خلال إكمال هذه النقطة - فإنه فى نهاية الأمر يبرز التناقض الذى نتحدث عنه .

ولإزاء هذه الزغبات المتعارضة ، ولحرص الإمام وابنه السيف عبد الله على السيطرة على دفة الأمور فى « المجلة » ، تم تشكيل هيئة السكرتارية لها من الأشخاص الأربعة الذين سبق الإشارة إليهم ، دون غيرهم ، رغم أنهم لم يكونوا - باستثناء أحمد الوريث - ممن تحمسوا لهذا المشروع أى صدور « الحكمة » ، بل وكانوا جميعاً - بما فى ذلك أحمد الوريث - موظفين لدى الإمام ، أو بالتعبير المحلى حينذاك « كتاباً » فى ديوانه أى « مقامه » أو فى وزارة المعارف ، فى وقت - بالنسبة لليمن - لم تعرف فيه التخصصات والمواصفات الدقيقة للوظائف والموظفين كما هو معروف الآن ، ويعنى هذا إما أنهم موضع ثقة الإمام وأنهم طوع بنائه ، أو أنهم خاضعون لسلطوته بحكم أنهم موظفون لديه ، أو بحكم طبيعة الحكم الفردى المطلق فى عهده .

فن ناحية ، لم يحتقر أحمد عبد الوهاب الوريث ضمن هيئة السكرتارية

(١) عمر الجاوى : نشأة الصحافة اليمنية ، الحكمة (الجديدة) ، العدد ٢٦ ،

ذو الحجة ١٣٩٣ هـ ، يناير ١٩٧٤ م ، ص ٦٤ .

إلا لأنه صاحب فكرة إصدار هذه المجلة ، ولأنه كان صاحب نشاط جم
في المجال الفكري ، يصعب معه تجاهله عند تشكيل « هيئة السكرتارية »
للمجلة ، ولأنه أخيراً - أريد منه - حتى وقت إظهار « الحكمة » - ما يخيف
السلطة منه ، وذلك على عكس بعض العناصر الأخرى التي كان من المتوقع
أن تختار ضمن هذه « الهيئة » ، والتي فرضت - كما سئرى - نفسها على
صفحات « الحكمة » ، فيما بعد . ومن ناحية أخرى ، لمعت بعض الأسماء
على صفحات « المجلة » ، بل وتولت مسؤولية السير « بالسفينة » بعد وفاة
أحمد الوريث ، كذلك كانت « حجر الزاوية » في الحركة الوطنية اليمنية
حتى عام ١٩٤٨ م ، ورغم هذا لم يقبل الامام تعيينها ضمن « هيئة السكرتارية » ،
المشار إليها ، مثل أحمد أحمد المطاع ، وعبد الله العزب ، وغيرهما . لذلك
عمل هؤلاء - رويداً - على التسرب إلى صفحات المجلة بعد محاولات
مع الجهات المسؤولة ، ثم فرضت وجودها حتى سيطرت على دفترها رغم
أنف الجهات المسؤولة ، وهذا ما جعل هذه الجهات تتحين الفرص حتى
أوقفت « الحكمة » ، كما سئرى . ويرجع هذا إلى أن « المطاع والعزب
وأمثالهما ممن كتب في المجلة » كانوا لا يجرءون على إبداء آرائهم في ذلك
(أى في صدور الحكمة) ، لأن الامام قد حبسهم لأنهم من دعاة الأحرار
الذين لا يأمن الامام آرائهم ، وبعد إصدار المجلة عدة أعداد اشترك المطاع
والعزب بواسطة الوريث^(١) . ويؤيد هذا الرأي أنه لم يظهر اسم عبد الله
العزب إلا في العدد الثالث ، وبمقالة عن الأدب تحت عنوان « نظرة في الأدب
وكيف يكتب » ، ولم يظهر اسم أحمد المطاع إلا في العدد الرابع بموضوع
أدبي أيضاً تحت عنوان « إن من الشعر الحكمة » ، وان هذا وذاك - كأمثلة
واقعية - توضحان كيف بدأت الحكمة ، وكيف خضت خطواتها الأولى
في هذه الظروف الخاصة التي عاشتها حين تحت حكم الامام يحيى .

(١) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

ونتيجة ظروف الإمام السياسية حينذاك إلى جانب طبيعة نظام الحكم الخاص الذي وضعه للبلاط ، ونتيجة طموحات ابنه السيف عبدالله إلى جانب محاولاته في تجميع الشباب المتعلم حوله ، فإنه يمكن أن نقبل الرأي القائل : « ظهرت بحجة الحكمة لاستجابة لتطور الفكر في اليمن وظهور عدد من النباه والأدباء » (١) ، وذلك بالإضافة إلى موقف الإمام وابنه السيف عبد الله فقد مثل هذا التيار الفكري الصاعد : « ضغطا كبيرا على السلطات الحاكمة ، إذا زاد حينذاك السخط والتذمر على حكم الإمام ، الذي لم يجد مفرأ أمام هذا الضغط -- الذي سيتضح أبعاده فيما بعد -- إلا الموافقة على صدور « المجلة » ، مثلما وافق على غير ذلك من الخطوات » (٢) . وكان النظام الإمامي - أو بالأحرى الوضع القائم حينذاك - يعاني من الهزائم التي تلقاها على حدوده الشمالية والجنوبية ، ومضطرا للاستجابة لذلك السخط والتذمر الذي بدأ ينتشر في أوساط المتعلمين والقبايل على السواء ، حتى قيل : « وعلى أثر الهزيمة بدأ الإمام يقوم ببعض الإصلاحات الطفيفة مدارس ، ورش صناعية ، إلخ » (٣) . وأدى ازدياد السخط والتذمر إلى أن الكثيرين من اليمنيين خلال سنتي التسع والثلاثين والأربعين -- الذين كانوا يعارضون الفكر والتقدم بالأسلوب الأجنبي ، بدءوا يتحمسون لإدخال الإصلاحات إلى داخل البلاد ، ويرتبطون بالدوائر الساخطة الأخرى ، ضد الإمام وحكمه مثل العناصر الشافعية ، والجماعات الدينية الزيدية المتطرفة » (٤) .

لهذا كله ، علينا أن نتلص الخطوات التي مارستها « عناصر السخط » هذه

(١) من إجابات الأستاذ أحمد المروني .

(٢) من إجابات القاضي محمد أحمد السباعي .

(٣) عمر الجاوي : نشأة الصحافة اليمنية ، الحكمة (الجديدة) ، العدد ٢٦٥ ، ذو الحجة

١٣٩٣ هـ - يناير ١٩٧٤ م ، ص ٦٤ .

(٤) Wenner, M.W. : Modern Yemen, 1918-1936, p. 82.

للضغط على الإمام وابنه السيف عبدالله ، حتى نتعرف على الأهداف التي
 رموا إليها ، والتي أدت في النهاية إلى صدور « الحكمة » .
 وربما كانت من المحاولات « العسكرية » الأولى تشكيل « لجنة التاريخ » ،
 وربما هدف الإمام من وراء تشكيلها إلى غرض سياسي معين - كما تفعل بعض
 الحكومات - عن طريق إعادة كتابة تاريخ اليمن على حسب ما يقتضيه الحال
 حينذاك . وقد تم تشكيل هذه اللجنة قبل صدور مجلة « الحكمة » ، بحوالى عام ،
 فقد أعلنت جريدة « الإيمان » عنها بقولها : « ومن آثار هذا الاهتمام (الخاص
 بوزارة المعارف) البارز توجيه عنايتها المشكورة إلى تأليف لجنة قوامها كل
 من السيد العلامة المؤرخ محمد بن محمد بن يحيى زبارة ، والسيد العالم الذكي
 الأديب أحمد بن أحمد المطاع ، والقاضى العلامة عبدالله عبد الكريم الجرفاني
 لجمع تاريخ اليمن وتهذيبه وتنقيحه وترتيبه على أكل صورة تناسب روح
 العصر ، وتقى ببيان الحقائق المطلوبة ، وخصائص هذا القطر الميمون ، ولقد
 أحسن حضرة صاحب السمو الملكي المولى عبدالله بن أمير المؤمنين وزير
 المعارف الجليل في انتخاب أعضاء اللجنة المشار إليها ، ويسرنا أن نتحف
 القراء بخبر شروع اللجنة في القيام بمساعده إليها وانتدبت لأجله (١) . وبعد
 قليل انضم أحمد عبد الوهاب الوريث إلى اللجنة التاريخ وانتقل من مدينته
 « ذمار » إلى صنعاء وذلك : « بناء على ماله من السكال استدعاه سمو المولى
 العلامة سيف الإسلام - وزير المعارف حفظه الله من ذمار إلى صنعاء
 للاشتراك مع لجنة التاريخ في العمل فكان ربان السفينة الذي يعتصم بالخيزرانة
 عند اشتداد العواصف ، ولم تقف نفسه الكبيرة وآماله الطامحة عند محاولة
 مشاق البحث والتنقيب عن مهام مسائل التاريخ وكفى ، بل جنح إلى بث
 الثقافة وخدمة الأدب وتهذيب النفوس وإنارة الأفكار وإيقاظ الهمم
 ومواصلة النصيح من طريق الصحافة فقام بمجلة « الحكمة » « اليمنية » الحرة
 بمؤازرة عامل لواء نهضة العلم والأدب وزير المعارف الجليل مولانا سيف

(١) الإيمان : العدد ١٣٦ ، السنة الثانية عشرة ، شوال ١٣٩٦ هـ ، ص ٦ ، ج ٢ .

سيف الإسلام عبد الله^(١) . ويبدو أن انتقال الوريث من ذمار إلى صنعاء ليس نقلاً لموظف عادى إلى العاصمة مكافأة له على ما أبداه من نشاط في وظيفته ، ولسكنه واستدعاء ، من السيد عبد الله - كما جاء في العبارة السابقة التي نشرت تأييداً له عند وفاته - إما للاستفادة منه ومن نشاطه في مجال أوسع من مجالات الحكومة المركزية في العاصمة ، وإما ليكون قريباً من هذه الحكومة ، وتحت رقابتها . فمن المعروف والشائع : أن أحمد الوريث ما وصل إلى صنعاء إلا بعد أن وصلتها شهرته وشغلت المقامات العليا ... وكان قد اشتهر وذاع صيته في ذمار وخطب على منابرهما معلناً الدعوة للإصلاح العلمى ، والتغيير الفكرى ، والاجتهاد بصوت يشبه صوت الإمام محمد عبده والإمام المقبلى ، وشيخ الإسلام الشوكانى ، وبنبوة مستمدة من الهام جمال الدين الأفغانى وشكيب أرسلان ، وذلك ما ألقى الحكام فاستدعوه إلى صنعاء وعينوه عضواً فى « لجنة التأليف » ثم رئيساً لتحرير مجلة « الحكمة » الألمانية ، وظل حتى مات فى ميعه الشباب قبله لكبار واحترام الجميع ،^(٢) .

والحديث عن أحمد الوريث ونشأته وعلمه ودوره بل ومدى تأثيره « ذمار ، ذوشجون وقد يطول ، ولكن ما يهمنا هنا هو مواصلة الحديث عن « الموقف الأهلى » من صدور « الحكمة » وتناول الأغراض والأهداف التي وراء هذا الموقف حتى يتضح « الموقفان » اللذان أدبا إلى صدور « المجلة » . وربما يكمل ما نحن بصدده الإشارة إلى رأى أحد المعاصرين - رغم التحفظ تجاه ماورد به إذ أن بعض نقاطه تحتاج إلى مناقشة وتوضيح - فقد جاء به : « ارتفع اسم السيد أحمد الوريث فلم يتركه الإمام يحيى بدمار ، فاستقدمه إلى صنعاء ليشرع على المعارف بالتعاون مع وزير المعارف سيف الإسلام عبد الله ، وكان المطاع مستشاراً للمعارف والصحافة ، وبالتقاء الوريث

(١) أحمد المطاع : دمة عزون .. الحكمة ، العدد ٣ ، المجلد الثانى ، السنة الثانية ،

محرم ١٣٥٩ هـ ، فبراير / مارس ١٩٤٠ م ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) أحمد بن محمد الشامي : من الأدب اليمني ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

المطاع في جهاز وزارة المعارف تمسكنا من الاجتماع وتبادل الأفكار فيما يتطلبه الموقف من إصلاح ، وانتهيا إلى أن خير طريق هو التوعية الهادئة والهادئة ، فانفقا على إصدار مجلة علمية أدبية تاريخية ، وبعد مساع وافق سيف الإسلام عبد الله وتمين الوريث رئيساً لتحرير المجلة وبذل هو ومجموعة من الشباب جهوداً من التنوير والتوعية ، أكسب المجلة مقاماً كان له أثر في المجتمع اليمنى سيما بين الشباب» (١) . ورغم عمومية الرأى وحاجته إلى المناقشة وتوضيح بعض نقاطه كما ذكرنا ، فإنه يشير إلى التقاء عنصرين من عناصر السخط والتذمر التي نتحدث عنها ، وإلى كيفية التقائهما وتفاعلهما ، نتيجة عملهما في مكان واحد هو وزارة المعارف ، وإلى الخطة التي ارتضاها معا ، والتي كانت تسمح بها الظروف حينذاك . وكما كان الوريث قلة ثقافية بالنسبة لتلك الفترة ، فقد كان أحمد المطاع كذلك بل وبفوق الأول بنشاطه السيامى الكبير ، مما حرمه من الانضمام إلى سكرتارية «الحكمة» كما رأينا ، وما أدى إلى أن : «يتعرض للسجن مراراً ... حتى سيق من سجن «نافع» إلى ساحة «حورة» (٢) للإعدام في أواخر جمادى الأولى سنة ١٣٦٧ هـ - أبريل ١٩٤٨ م ، (٣) . وكان العنصران يتمتعان بثقل كبير بين متعلمي اليمن حينذاك لما لهما من مكانة وثقافة ، واجتماعية ، على السواء ، وهذا ما ساعدهما على الالتقاء بالسيف عبد الله والتأثير عليه كما ذكرنا ، وخاصة لأنه كان : «للوريث أسلوب جذاب عندما كان يتحدث وعندما كان يشرح كذلك كان أحمد المطاع بالرغم من أنه كان ضابطاً في الجيش ثم خرج منه لينفرغ للحياة الأدب والشعر والفكر» (٤) .

-
- (١) عبد الله بن عبد الوهاب الشماحي : اليمن ، الإنسان والحضارة ، ص ١٨٨ .
 (٢) يوجد سجن نافع وساحة حورة بمدينة حجة الشهيرة ، ويشبه اليمنيون هذا السجن بسجن الباستيل في فرنسا لرهبته وقسوته ، ولأنه كان منزلاً لكثير من أحرار تلك الفترة ، كذلك شهدت ساحة حورة — بالقرب من السجن — لإعدام أغلب ثوار عام ١٩٤٨ بعد فشل الثورة ، وقد زرت هذه الأماكن لشهرتها التاريخية مع بعض الأخوة اليمنيين خلال عام ١٩٧٣ م
 (٣) أحمد بن محمد الشامي : من الأدب اليمنى ، ص ١٥٨ .
 (٤) من اجابات الأستاذ أحمد المروني .

وإذا كان قد ظهر من العرض السابق كيف تم اللقاء بين الجانبين «الحكومي» و «الأهلي»، كما اتضح الظروف التي تم فيها هذا اللقاء، مع الإشارة إلى الخطوات العامة لأهداف الجانب «الأهلي»، مثل: «الإصلاح والتطوير»، و «التنوير والتوعية»، و «خاق طليعة قيادية لحركة الإصلاح»، وغير ذلك مما سبق الإشارة إليه، فإنه يزيد من توضيح هذه الأهداف الرجوع إلى ما جاء بالحكمة نفسها من إشارات وعبارات مع ملاحظة الظروف القاسية حينذاك - من سياسية واجتماعية - التي ألجأتهم إلى الأساليب الخاصة المغلفة للتعبير عن أهدافهم.

لقد وضع أحمد الوريث في البداية - في افتتاحية العدد الأول التي سبق الإشارة إليها - التعريف بالصحافة الجادة، ولأنها مدرسة لنشر العلوم المختلفة، ولرفع الوعي بين الناس، كما أنها مرآة لأوضاع الحاضر، ثم يستطرد ليوضح أمام المسؤولين وأمام من يريد الكتابة بالجملة، الخطوط العامة التي يريدونها للحكمة، حتى قال: «فيا أيها العربي عموداً والبن خصوصاً إليك هذه المجلة الجامعة التي نرجو أن نحقق كثيراً من رغبات المثقفين وأن تكون البغية التي وجهوا إليها قصدهم وفتشوا عنها في طيات الوجود. إليك أيها الأديب مجلة أخذت على عاتقها السعي في الإصلاح والدعوة إلى الخير وتهذيب الأخلاق والثقافة الحقة ونشر أخبار صحيحة وإقامة سوق عكاظية للأدب والمتأدين وإلقاء محاضرات على قرائها نتناول المباحث العلمية العالية ونشرح النظريات الصائبة ونخرج الفصول التاريخية من زوايا الإهمال»^(١). وفي افتتاحية السنة الثانية للمجلة، أكد أحمد الوريث والمبدأ الذي سبق إعلانه والذي سارت عليه في عامها الأول، والذي يجر به التزامه

(١) أحمد عبد الوهاب الوريث: الحكمة، العدد ١، السنة الأولى، ذي القعدة

به هو ومن معه من المحررين الأحرار رغم وجود الصعاب ، فليست مسألة النتيجة وضيق دائرة النجاح ، ثمينة لعزم ذوى النفوس الكبيرة والمهم العالية ولا تخففة من حماس ذوى العزمات الصادقة والارادات القوية والارواح الوثابة نحو إرماد الشعوب وإصلاح شؤون الأمم ، فهم — ما نبض فيهم عرق — ثابتون على مبادئهم سائرون في الطريق^(١) . ويواصل حديثه عن هذا المبدأ ، بل — ويتعمق في شرحه بكلمات ماثبة مدوية ، وكأنه يثبت بآخر كلماته إذ توفي بعد ذلك بحوالى شهرين فقط . غير أنه وجه كلماته إلى العالم الاسلامي ، لا لاتجاهه الاسلامي لحسب كما سنذكر فيما بعد ، بل أيضاً خوفاً من بطش الامام لأن فيها ما يمس أوضاع الدين حينذاك في الصميم فقال : ذلك المبدأ الذي قوامه الإصلاح الديني والاهابة بالمسلمين إلى أسباب سعادتهم وعوامل نهوضهم ومجدهم ، ودعوتهم إلى جمع الكلمة ولم الشعث ورأب الصدع وتنظيم الصفوف وتحذيرهم من التماذى في خوض بحار التأخر والايغال في بيداء الخمول والاستسلام والقبوع في زوايا الكسل والبطالة والنوم على بسط الذلة والمهانة والرضاء بالغيش الخانع والحياة المردولة وحفزهم إلى تحطيم قيود الجهل وتمزيق غشاوة الضلال وتبديد حجب الظلام الصادة عن إدراك أشعة الشمس ... وتشريح امراضهم الأخلاقية والسياسية وتوصيف أدوائهم الاجتماعية والعادية (المقصود العادات) المنسوبة إلى الدين جهلاً وغباًوة ، وتشخيص الفتكات الصارمة ... وإرشادهم إلى طرق الوقاية منها ، وكيفية تطهير المجتمع الاسلامي من أقدارها واقتلاع جذورها من جسمه العليل^(٢) .

(١) أحمد عبدالوهاب الوديث : الحركة ، العدد ١ ، المجلد الثاني ، ذي القعدة ١٣٥٧ هـ
(ديسمبر ١٩٣٩ م / يناير ١٩٤٠ م) ص ٢ .

(٢) نفس المصدر .

وتمسك أحمد المطاع بالمبدأ نفسه — لأنه كان عاماً بالأحرار وليس شخصياً خاصاً بالوريث فقط — فأكد عليه في افتتاحية السنة الثالثة بعد أن تولى تسيير أمور المجلة بعد وفاة صديقه وزميله في السكفاح ، أحمد الوريث . ودون الحاجة إلى أن نكرر ما ذكره أحمد المطاع عن هذا المبدأ أو الإشارة إلى ما كان يلجأ إليه — كما كان يفعل الوريث من قبل — من شكر ومديح للامام وابنه السيف عبد الله على ما يبذلانه من جهد لرعاية المجلة ولنشر المعارف في اليمن ، فإن ما يهمنا هنا هو الوقوف عند عبارته التي أشار فيها بطرف خفي إلى الأخطار التي تحيط بالمجلة من ناحية الحكومة ، وإلى ضرورة المحافظة على المجلة ، بالوقوف أمام هذه الأخطار ، والاستمرار في مدها بالمقالات التي تساند رسالتها ، فقد قال : وقد تعزم عامن وهي تمشى في سبيلها دراكاً مترفة في تقدمها ، متمسكة جرد التمسك بمبادئها ، وكثيراً ما تحيق الأحداث بالمشروعات الكبيرة في عهد عهدها ، فتمزق من خطوطها ، وتقلل من شدوها ، وتغض من محاسنها ، وتحول دون الاستمتاع بجنى ثمارها وشذا أزهارها ، غير أن العناية قد رافقت الحكمة في سيرها فاستمرت في دأبها ومساها الصحيح واتجاهها الحكيم ، ودانفتك موضع إعجاب قرائها وتقدير روادها لما اشتملت عليه من طرائف المباحث ، ولطائف الحكم ، وغالى النصيح ، وجميل الآداب^(١) . ثم يدعو العلماء والكتّاب إلى تزويد المجلة بكتاباتهم . ولا غرابة في أن ينفث أحمد المطاع حينذاك هذه الكلمات المعبرة ، فقد أوقفت المجلة في هذه السنة ولم يظهر منها بعد هذا العدد الأول إلا ثلاثة أعداد فقط . ويبدو أن الوريث والمطاع ومن معهما من المفكرين الأحرار كانوا يدركون صعوبة ظهور مجلة حرة في تلك الفترة ،

(٢) أحمد المطاع : الحكمة ، العدد ١ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، ذى القعدة

١٣٥٩ هـ (ديسمبر ١٩٤٠ م) ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ .

لذلك كتب أحمد الوريث مبكراً مقالة طويلة بعنوان « تاريخ الصحافة والصحف التربوية ، نشوؤها ونطورها ، واجباتها وحقوقها ، نشرها في حلقتين متتاليتين عند بداية ظهور الحكمة ، إلى الوجود . وقد نادى الوريث فيها بمبدأ تقدمي هام - وثق رقت مبكر - بالنسبة لأوضاع اليمن حينذاك على الأقل ، ألا وهو « حرية الصحافة ، وديمقراطيتها ، بمعنى أن تكون من أجل الجميع ، فبعد أن تحدث عن الصحافة العربية برجه عام أشار إلى قلة الصحف في الجزيرة العربية وطالب بضرورة الاهتمام بها ، ثم أخذ يحدد الصفات التي يجب أن يتحلى بها الصحفي ، كذلك حدد بميزات الصحافة الجادة ، حتى وصل النهاية فنأدى بهذا المبدأ - بأسلوب مغلف - أيضاً - فقال : « كما أن على الصحافة والصحافي واجبات فلها حقوق ، يجب على الحكومات والشعوب القيام بها ، فمن حقوق الصحافة على الحكومات إطلاق الزمام لها في حدود القانون كي تستطيع أن تؤدي واجباتها من التعليم والارشاد . وتمكن من الانتشار بين طبقات الأمة ، والدخول إلى كل بيت ، فبستوى في الانتفاع بها جميع الطبقات وتسير بين الأمة السير الذي كتب لها ، ومن حقوقها على الحكومات والشعوب معاً المساعدة لها على وجه يضمن بقاءها وانشارها ورقعها إلى أوج السكال لأنها فرع من فروع المعارف ، بل هي من أكرم الوسائل لنشرها وإشراق روح الأمة حبها ، ويجب على الأمة أن تنسابق إلى اقتناء صحائفها وتشجيع القائمين على شؤونها بشئ الوسائل ومختلف الصور ، وأن يغذيها أدباء الأمة ومفكروها بالمقالات الضافية والمباحث العالمة » (١) .

وهكذا يتضح تضارب الموقفين من صدور الحكمة :

(١) أحمد عبد الوهاب الوريث : الحكمة ، العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ،
عمر ١٣٥٨ هـ (فبراير/مارس ١٩٣٩ م) ص ٨٥ - ٨٦ .

فالحكومة ترمى من ورائها - بوجه عام - خدمة أغراضها السياسية وتدعيم حكمها كما فعلت مع جريدة «الايمان» ، كذلك نشر المقالات الدينية التي تستخدم أهدافها ، وفي نفس الوقت فلا بأس لديها من أن تسمح بظهور المجلة بمظهر جديد مغاير «الايمان» تشبهاً بما يحدث في العالم العربي ، شريطة أن يخرج هذا الجديد عن الاطار التقليدي العام الذي رسمه الامام لدولته ، وكان حكم الامام - رغم الهزات الخارجية التي أصابت نظامه - قوياً باطشاً في الداخل ، يتصف بالفردية المطلقة التي تغلف بثياب ديني حتى أن مكانة الامام لدى العامة وصلت إلى حد القداسة .

ومن ناحية متعلية الدين ومثقفها - أو ما أطلقنا عليه «الموقف الأهل» - فقد كانوا يجدون في «المجلة» فرصة للتوعية والتنوير ، ولشهر الأفكار الإصلاحية ، حتى تسير البلاد - وبخطوات أوسع - في طريق التقدم والتطور . غير أن هؤلاء كانوا يدركون جيداً الظروف العامة المفروضة عليهم ، وأن الامام قادر - لموقفه الفكري والسياسي - على البطش بهم ، وعلى التكنيل بمحاولتهم الفتية أي «بالمجلة» . وأيضاً يفهمون جيداً أوضاع بلادهم الاجتماعية ، وأن الأهل لا يقبلون الأفكار الثورية والتقدمية التي قد عرفت طريقها إلى البلاد العربية الأخرى ، لذلك اتخذوا الطريق الإصلاحى المغلف بالروح الاسلامية - كما سنرى بالتفصيل - سبيلاً إلى نشر أفكارهم ، وكان هذا الأسلوب «الهادى» هو أقصى ما يمكن القيام به حينذاك للظروف السياسية والاجتماعية السائدة .

ولقد أثر هذا «التضارب» - بين الموقفين «الحكومى» و «الأهل» - في تشكيل محتويات «المجلة» ، لامن حيث «التنوع» الذى سبق الحديث عنه من قبل فحسب ، بل من حيث الاتجاهات أيضاً ، إذا كان يوجد بها الاتجاه الدينى ، والاتجاه الإصلاحى ، والاتجاه العلمانى ، وبالإضافة إلى ذلك فكما كان يوجد ما ينخص «الحكومة» والاشادة بأعمالها وخطواتها ، كانت توجد أيضاً

المقالات العلمية المجردة التي قد تشير إلى هذه الحكومة لآمن باب المديح بل من باب الحث والتوجيه . لذلك كانت المحتويات خليطاً بين عدة اتجاهات كما سنرى ، فكما كانت تستجيب للمفروض ، باعتبارها بحجة حكومية - وتقع تحت ضغط سياسي واجتماعي معين - فقد كانت تعبر عن الممكن ، في هذه الظروف الخاصة ، ورغم هذا وذاك ، فقد ظل الامام حذراً متوجساً منها حتى توقفت بعد عمر قصير كما سيوضح .

اتجاهات المجلة :

إذا أردنا أن نتتبع هذه الاتجاهات من خلال ما جاء بالمجلة ، فعلينا في البداية أن نعرف انطباعات من عاصروها ومن حرروا بها لنصل في النهاية إلى إبراز وضعها الفكري حينذاك . لقد كان الاتجاه الإسلامي - حقيقة - هو الطابع الغالب على اتجاه المجلة ، وخاصة في بداية عهدنا تحت إشراف أحمد عبد الوهاب الوريث ، لا لميوله وثقافته لحسب ، بل أيضاً للاتجاه السائد حينذاك ، وحقى تستطيع أن تثبت أقدامها لبعض الوقت . . بالإضافة إلى ذلك ، بدأ يبرز الاتجاه الإصلاحى والعلمى الحديث تدريجياً حتى بدا واضحا ، هذا إلى جانب اتجاه وطنى محلى يرفع من شأن اليمن واليمنيين ، وقد لمع هذا وذاك - بصفة خاصة عندما عاد أعضاء البعثات اليمنية إلى العراق وبدأوا يحررون بالمجلة ، أو غيرهم ممن تأثروا بالاتجاهات الحديثة التي كانت قد بدأت تنتشر في البلاد العربية الأخرى .

وقد ظهر هذا في رأى أحد معاصريها فقد قال : « كان يغلب على تحرير المجلة الطابع الإسلامى بالنسبة لأغلب المقالات تمشيا مع الطابع السائد في البلاد تحت حكم الإمام يحيى ، من حيث سياسة الدولة ومن حيث المعاهد العلمية ، وأيضاً لأن ثقافة أغلب المحررين يغلب عليها الثقافة الإسلامية التقليدية نظراً لنوع التعليم السائد في البلاد ، ويلاحظ أن الاتجاه الإسلامى

هو الذى أدى إلى التقارب بين الأحرار اليمنيين وبين الإخوان المسلمين فيما بعد وحتى سنة ١٩٤٨ م^(١).

ورغم أن الجزء الأخير من هذا الرأى يحتاج إلى بحث خاص، فيمكن القول - بالإضافة إلى ما جاء به من تفسيرات - بأن بعض أصحاب هذا الاتجاه كانوا - وعلى رأسهم أحمد الوريث في مقالاته تحت عنوان «الإصلاح، الشهيرة - يريدون د معارضة الإمام بنفس السلاح الذى رفعه وهو «الدين»، فقد قيل : «كان (أى الوريث) بلا شك شديد الخوف من عتاب الإمام يحيى، لهذا انتهج في كتابته أسلوب التاريخ الإسلامى، فكان يكتب عن عدل الخلفاء الراشدين وعن مواقف الحكم عند معاوية وعن الفتوحات في عهد بنى أمية، وعن تشجيع خلفاء بنى العباس للعلماء والتعليم، وكان بهذا يحارب الإمام يحيى بسلاحه «الدين»، فكأنه كان يقول له أنظر كيف كانوا، أو أنه كان يقول د وأضرب لهم مثلاً». وكان أحياناً يختم بحثه بهذه الكلمة : «كان هذا شأن الإسلام ورجاله فأين نحن اليوم»^(٢). ولهذا الطابع السائد، ولأنه كان تغليفاً لأغلب محتويات المجلة، فقد رأى أحد المعاصرين المسلمين أن الجديد الذى أنت به «المجلة»، كان د فى مجال التاريخ والأدب^(٣)، وذلك لأن بعض محرريها وجدوا فى هذا المجال متنفساً لهم.

وقد عبر عن هذا أحد ناقدى حكم الامام يحيى، والذين هاجموا على صفحات إحدى الجرائد القاهرية - وهى الصدقة - بتوقيع «يمانى حر»، دون أن يذكر اسمه، فقال : «... أما مواضيع المجلة فقد وجدت مجالاً

(١) من اجابات الصفى أحمد محبوب .

(٢) عبد الله البردوني : رحلة فى الشعر اليمنى ، ص ٥٣

(٣) من اجابات الصفى أحمد الجرافى .

خصصا من تاريخ العرب العام والأدب العربي . . .^(١)، فن خلال هذا كانوا يحدون الفرصة للتعبير عن آرائهم .

وفي هذا الاطار كان اتجاه المحررين الاحرار : وهو النزوع إلى الفكر الجديد وتطوير الأساليب القديمة وجعلها تتمشى مع مقتضيات العصر ، وكان (أيضا) تتبع سير التفكير في العالم العربي والثورة الأدبية والسياسة التي قادها جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وقاسم أمين والرافعي وغيرهم . . . ، وأن المجلة بهذا : . . . جاءت بأسلوب أدبي جديد أيقظت من خلاله الوعي الوطني ، واستخدمت تحليل التاريخ وسيلة لتوجيه الفكر توجيها وطنيا وسياسيا . . .^(٢). وقد تضافر هذا الاطار العام - أي الاسلامي - مع الزعة الإصلاحية في عصبخ خطوات المحررين واتجاهاتهم ، فظل : التفكير السائد لدى الكتاب هو إصلاح ما هو قائم ،^(٣) كما ظل : الهدف الرئيسي (لهم) هو نشر وعي ما ،^(٤) .

وبناء على ماسبق أن عرضناه - منذ الحديث عن الموقف الحكومي والموقف الأهلي - فإنه يمكن أن نتوقع - بل وأن نؤكد - أن اتجاه المجلة ، كان لإصلاحيا وليس ثوريا ، لعدم توفر ظروف قيام الثورة ، وحقى يتم خلق جيل واع مستنير . وأكد هذا رأى أحد معاصريها ، فقد قال : « كان الطابع السائد بين المحررين هو الدعوة الإصلاحية والاعتناع بها وكونها إحدى طريق إلى إيقاظ الشعور الشعبي لإخراج اليمن من عزلتها ،

(١) عبد الغنى الرافعي : اليمن ظاهرها وباطنها » ص ٥٥

(٢) من اجابات الأستاذ أحمد المروني .

(٣) من اجابات الأستاذ عبد الله دمران والأستاذ أحمد المعلمي ، والأستاذ محمد عبد الله الشامي .

(٤) من اجابات الصفي أحمد الجرافي .

وأما مصدر ثقافة محرريها فهي السكتب الإصلاحية كالعروة الوثقى وما كان ينشره السيد جمال الدين الأفغانى والإمام محمد عبده والسكواكبى وغيرهم . . (وانها) بالنظر إلى اليمين الجديدة فى آرائها ، فى معالجتها الإصلاحية ، فى أدبها الجديد العصرى ،^(١) . ولا شك أن الاتجاه الإصلاحى ، و د المحاولات العصرية ، كانت خطوة متقدمة متطورة بالنسبة للأوضاع حينذاك . . كما سنرى . . حتى شعر القراء ، . . وهم بلا شك قلة محدودة . . أن هناك شىء جديد يخلق ، لا من حيث الموضوعات الجديدة التى تفسر فحسب ، بل من حيث المعالجة الحديثة لهذه الموضوعات أيضا ، هذا إلى جانب الاتجاهات والمفاهيم العصرية التى بدأت تبرز على صفحات المجلة . ولغدا كله مثلت المجلة شيئا جديدا بالنسبة لما كان ينشر فى تلك الفترة ، فقد قيل : « الجديد فى المجلة هو إيقاظ الوعى الوطنى عن طريق الأدب ، وتحليل التاريخ بالأسلوب العلمى ، والخروج عن الأساليب التقليدية فى الكتابة ، بل كانت نداء لتحرير الفكر من التهميب والخوف وتحرير الأنلام من السجع والتلق ، كما كانت منطلقا فكريا رحبا تجاوز نهج جريدة الإيمان ، بطقوسها الرسمية السخيفة . وكان أبرز المواضيع الجديدة فيها هو إقحام العلم لحل القضايا التى كانت توكل للقضاء والقدر ، وظهور القصة لمعالجة المشاكل الاجتماعية ، كما ظهرت النظريات التربوية وعلوم الاجتماع ،^(٢) . ومن الطريف الإشارة إلى التقريظ الذى قدمته « الإيمان » لزميلتها « الحكمة » عقب صدور عددها الأول مباشرة ، وربما كان هذا التقريظ يقصد به الإشادة بعمل « حكومى » ، جديد ، وأنه لمساهمة من جانب السيف عبد الله وزير المعارف . . كما قيل . . لخدمة العلم فى اليمن ، وربما كان تحايلا من هيئة تحريرها للإشادة بالمجلة . . وغاية أن كلمة الإيمان كانت بدون توقيع . والتعمس لرسالتها التى

(١) من اجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

(٢) من اجابات الأستاذ حمد المرونى .

لم نستطع الجريدة تحقيقها ، فقد جاء بهذا التقرير : . . . وأنا مع إعجابنا البالغ نقدر لهذه الهيئة حركتها العلمية والأدبية الاجتماعية الوطنية ونشكر أعضائها ولاسيما يوجد هذه الفكرة الحسنى وزير المعارف المشكورة هماته ، المعروفة عزماته ، في مشاريع المعارف والصناعات وسائر المشروعات ، كمذه العزيمة الصادقة التي أوجدها إلى حيز العرفان ، بعد أن كانت داخلية في حيز عدم الإمكان زاده الله اقداما واهتماما . وها أن جريدتنا تبدى بعد هذا فكرتها في إنعاش هذه المجلة الإصلاحية الاجتماعية العلمية الوطنية ، وما به استمرار انتشارها . (١) ، وهكذا تواصل « الجريدة » تقديمها للمجلة ، ولكن ما يهمنا في هذا الصدد هو الوقوف عند التعريف الذي قدمت به « الإيمان » زميلنا بأنها مجلة : « إصلاحية اجتماعية علمية وطنية » ، وأن هذا التعريف هو الذي شاع عن المجلة ، وأنه هو الذي حرصت عليه المجلة طوال عهدها القصير .

وهنا يجب التمرس لمحتويات « الأعداد » حتى نقف على حقيقة الناحية الموضوعية للمجلة . بعد أن تعرضنا لناحياتها الشكلية من قبل - وحتى نقبين ما شاع عنها وما حرصت على تحقيقه . وقد سبق أن ذكرنا عن محتويات « المجلة » ، أنها تضمنت شتى المواضيع والمجالات أى تميزت « بالتنوع » وليس « بالتخصص » ، وأنها احتوت على المقالة إلى جانب الخبر ، وأنها تغلبت على صغر حجمها باتباع طريقة الحلقات والمسلسلات ، وأنها لجأت إلى ذلك كله باعتبارها المجلة « القيمة » في اليمن ؛ فقامت « بدور الصحافة » والجريدة والمجلة والكتاب في نفس الوقت . (٢) وقد تحدثنا في هذا العرض السريع إلى إنقسام المحتويات إلى دين وسياسة وأدب وتاريخ

(١) الإيمان : الممدد ١٤٩ ، السنة الثالثة عشر ، ذى القعدة ١٣٥٧ ج ٠ ، ص ٣ ، ١٤ ، ٢٠ .
 (٢) عمر الجاوى : نشأة وتطور الصحافة اليمنية .. الحكمة (الجديدة) ، الممدد ٢٦ ، ذى الحجة ١٣٩٣ هـ ، يناير ١٩٧٤ م ، ص ٦٤ .

واقتصاد وغير ذلك ، ولكن ما نرمى إلى دراسته هنا هو إبراز الاتجاه ،
أرد التيار ، أو الجديد ، من خلال هذه المحتويات . مما أعطى للمجلة
شهرتها ونقلها .

ومن الصعب أن نبرز هذا كله عن طريق عرض محتويات المجلة ، العدد
بعد الآخر حتى نصل إلى آخرها ، إذ يدخلنا هذا المنهج في متاهات وتفصيل
لا حصر لها قد لا تؤدي إلى الوصول إلى الهدف المنشود . ولهذا فقد رأينا
أن يكون العمود الفقري لهذا العرض التحليلي الموضوعي للمحتويات هو تتبع
الاتجاه العصري ، و التيار الجديد ، الذي أظهرته المجلة ، في المجالات
المختلفة ، دون التقيد بتوالي الأعداد أو بتوالي الموضوعات حسب ظهورها .
ويعترض هذا المنهج أيضا صعوبات شتى ، فربما يؤدي بنا إلى التخبط بين
مواد المجلة المختلفة بحثا عما نبتغيه دون أن يكون هناك خيط رفيع يربط
خطواتنا إلى بعضها البعض . ومن ناحية أخرى فكما كان علينا تحديد
الاتجاهات التي أتت بها المجلة بين طياتها ، فعلينا أيضا تتبع تطور هذه
الاتجاهات صعودا أو هبوطا . لذلك وضعنا نصب أعيننا أن يكون الخيط
الذي يربط نقاط العرض هو تحرر الجديد ، في أنحاء المجلة ، وأن يكون
هذا التحرر داخل الموضوعات المتشابهة كل منها على حدة ، أي نتلمس -
على سبيل المثال - الجديد في الجانب التاريخي ، بعد أن نجتمع كل ما كتب عنه
إلى بعضه البعض ، ونلقى عليه نظرة إجمالية شاملة لتحقيق هذا التحرر ،
وهكذا مع باقي العلوم والفنون المختلفة ، حتى نصل في النهاية إلى كشف
الروافد المختلفة للتيار الرئيس للمجلة ، وهو التيار الاصلاحي العصري
الجديد .

جانب الأدب :

ويمكن في البداية أن نتحدث عن « الأدب » في المجلة باعتباره رافداً هاما من الروافد التي أشرنا إليها ، وذلك لا لأنه احتل مساحة كبيرة من صفحات المجلة فحسب ، ولأنه شغل جزءا كبيرا من تفكير المحررين على اختلاف مشاربهم ، بل أيضاً لأهمية موضوع الأدب ، في حد ذاته بالنسبة لمختلف اللغات ، وللثقافة السائدة في اليمن حينذاك ، فمن المعروف أن الدراسة التقليدية تعنى بالنواحي الأدبية كما تعنى بالتراث العربي والإسلامي بوجه عام . ولقد تعددت صور اهتمام المجلة « بالأدب » ، فإلى جانب المقالات الطويلة ذات المقدمات المستفيضة عن تاريخ الأدب العربي منذ أقدم العصور حتى الأزمنة الحديثة ، مع إبراز الجانب اليمني خلال هذا التطور الطويل ، فقد أفردت أبواباً خاصة أدبية مثل : « مختارات الحكمة من الشعر القديم والحديث » وغيره . ولا يهملنا هنا كثيراً تتبع النشاط الأدبي في المجلة بقدر ما يهمنا تتبع المفاهيم الجديدة للأدب وتطوراتها ، فقد كان النشاط الأدبي بها - بوجه عام - صفة غالبة ، وكان المحررون - في مختلف المواضيع - يقارون في العناية بأسلوبهم وبالمحسنات اللفظية المختلفة ، نتيجة طبيعة العصر ، والثقافة السائدة .

وقد ظهر الاهتمام بالأدب وبتطوره منذ اللحظة الأولى لظهور المجلة ، فمنذ العدد الأول منها بدأ تناول موضوع الأدب وتاريخه ، ثم تطور هذا الاهتمام مع تطور المجلة ، وتميز هذا كله بأمرين هامين : فمن ناحية ، المزج بين الأدب والتاريخ لإبراز دور اليمن واليمنيين ، وإسهامهم في إثراء الأدب العربي بوجه عام . ومن ناحية أخرى التركيز على النشاط الأدبي الوطني - أي المحلي - لإعلاء صوت اليمن في المجال العربي والإسلامي ، ولإثبات وجودهم في هذين المجالين ، وللتعريف بفشاطهم ، نظراً للعزلة التي فرضها الامام يحيى على البلاد في تلك الفترة .

وكانت البداية عند محمد بن أحمد - أحد أعضاء هيئة السكرتارية الأربعة السابقة الإشارة إليهم - فقد نشر في العدد الأول من المجلة كلمة قصيرة تحت عنوان « مقدمة » ، وكانت بداية لسلسلة طويلة من المقالات - بلغت السبع - عن تاريخ الأدب العربي ، وكانت كل منها تأخذ عنواناً خاصاً ، وكان عنوان الأخيرة منها - التي وقعها باسمه كاملاً ^(١) - : « الأدب في القرن الأول الإسلامي وتطوراته العظيمة » ، وكانت البداية طيبة دون شك من جانب صاحبها ، فقد حاول - في خلال مقالاته - أن يعرف الأدب ويتحدث عنه ، ولكنه خلط بينه وبين باقي العلوم والفنون ، كما حاول أن يتناول الخط الأدبي ولكن خلط بينه وبين المؤثرات الإسلامية على الأدب العربي. وهكذا ظلت المحاولة الأولى تهتز بين المعالجة التاريخية للأدب وبين التأثير الديني على تطور الأدب. وربما يرجع هذا إلى قرب الكاتب من الإمام وخوفه منه ، أو يرجع هذا إلى الثقافة السائدة وفهم المؤلف للموضوع الذي يتناوله ، وإلى أن محاولاته هذه كانت المبادرة الأولى في هذا المجال . ورغم هذا كله ، فقد وضع محمد بن أحمد البذرة الأولى - للتحدث عن الأدب النبوي في حد ذاته داخل إطار الأدب العام ، وفتح المجال أمام الآخرين لا كمال ما قد فاتته ، فقد قال : « ولما كان السياق هذا مسوقاً لتمحيص حقيقة الأدب والآداب ونشر عرفانهم وآثارهم

(١) وتم خلاف في البداية حول تحقيق شخصية محمد بن أحمد ، فقد ظهر اسمه هكذا فقط عند تشكيل هيئة السكرتارية المجلة ، وحافظ على هذا التوقيع عند نشر مقالاته . وذهب الأستاذ علي أبو الرجال إلى أنه محمد بن أحمد المطاع - اعتماداً على بعض الروايات ولشهرته بالأدب والعلم حينذاك ، وذهب الأستاذ أحمد المروني إلى أنه محمد بن أحمد عبد الرحمن الشامي ، ولكن أكد لي آخرون أن الأخير كان صغيراً ولم يكن قد بدأ نشاطه الأدبي بعد عند ظهور الحكمة . والمرجح أنه محمد بن أحمد مطهر أحد كتاب « المقام » أي ديوان الإمام ، فقد ظهر الاسم كاملاً بعد الحلقة الأخيرة من دراسته ، كما كان أحد أفراد أسرة المطهر التي اشتغلت بالكتابة لدى الإمام ، فكان الأخ الأكبر وهو عبد الكريم مطهر بمثابة السكائب الأول في مقام الإمام ، كما تولى رئاسة تحرير جريدة الإيمان فترة من الزمن ثم تلاه في رئاستها السيد عبد الكريم الأمير :

من الماضين والغابرين والمعاصرين من نال درجة يستأهل بها لمرار شخصيته ونشر آثاره الأدبية ، وكان هذا القطر اليماني الوحيد في عزلة عن الأمم والشعوب وأدبائه في غاية التفوق في هذا الميدان إلا أن آثارهم عافية في سائر الأقطار بل وأسماهم ، ولم تظهر نجوم سماء الأدب اليماني في قبة آداب البلاد الإسلامية الآخرة ، أردنا أن نفتتح باباً واسعاً في آداب اليمن وأدبائه العظام نبحث فيه عن تطور الأدب اليماني في القرون والأجيال ، وما وصل إليه من الحالات في الأزمنة الطوال ، فلذلك ولجنا هذا الباب مبتدئين ببذرة وافية في الأدب ومعناه ومراميه ومراتبه وتاريخه وهويته وأقسامه ومراتبه على وجه التفصيل ، ونستمر في النشر في المجلة الجليلية هذه مطلقة عنان القلم في هذا المضمار ، ولا سيما في البحوث الأدبية اليمانية ، ونشر الثقافة الأدبية اليمانية في سائر الأقطار بهذه الوسيلة ، ليكون أخواننا المسلمون على بصيرة من أمر أدبنا وأدبائنا ، والله الموفق لما فيه الخير والهداية ، (١) .

وهكذا حددت المحاولة الأولى الغرض من الكتابة عن الأدب - العربي وتطوراته وإن جانب هذه المحاولة الصواب ، فلم يصل كاتبها خلال مقالاته العديدة إلى ما يصبو إليه نظراً لحاطه بين الأدب والدين . وقد التقط هذه المحاولة « عبدالله العزب » - عندما سمح له بالكتابة - فأوصلها إلى قمتها وغايتها وبدأ بالتعريف بمعنى « الأدب » ، وتطور المعنى على مر العصور ، ثم أخذ يتحدث عن الأدب العربي وتطوراته ، وعن الأدب اليماني وكيفية معالجته وأنه يحتاج إلى من يخلص له وليكتابه ، حتى يلم بشئاته : « ثم يضع الكل في الميزان ، ويحمل ويوازن ويخرج للناس صورة تبهج الناظر ، وترفع مستوى البلاد الأدبي ، وما هذا بعزير على من يضطلع بهذا العمل الخالد ، برا بالأدب

(١) محمد بن أحمد : مقدمة ، الحكمة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ،

وإكراما لأهله ، وخدمة للشعب العزيز ، (١) ويكمل هذا المنهج وهذا الإخلاص ، الفهم الدقيق لدور الأدب في العصور المختلفة ، فقد وصل « العزب » إلى دقة الفهم لما تناوله ، وإلى قمة الروعة في المعالجة ، عند ما ربط الأدب بالحياة الاجتماعية ، وجعل هذا الربط هو المجرى الذي حفره لتيار الأدب اليمني عبر العصور . وقد وضع هذا المنهج خلال الحلقة الأولى التي بدأ بها مقالاته المطولة التي بلغ عددها تسع ، فقال : « حقا أن الأدب بهذا المعنى الأخير ، هو ظل الحياة الاجتماعية يمتد بامتدادها ، ويتلخص بتلخصها ، وعلاقتها كعلاقة الروح بالجسد ، والنور بالشمس ، وإنك إذا أردت أن تشهد أصدق صورة للحياة الاجتماعية فعليك بإرسال الطرف إلى طروس الأدب وصفحاته ، فهناك ترى الحياة بألوانها ومخادعها ، وجدها وهزلها ، ومساوئها ومحاسنها ، هناك ترى القلوب وعزوماتها ، والنفوس ورغباتها ، والعقول وآياتها ، والأفكار ومجالاتها ، هناك ترى ضوضاء الحياة ، وصخب الاجتماع ، وكفاح المجدين ، وعيب اللاعبين ، وصرخات المنكوبين ، وأنان الممضوين . وتعلات الأمل ، ومرارة اليأس ، وشكاوى المحبين وصلف المحبوبين (٢) .

ولا شك أن عبد الله العزب — بتقديمه لهذا المنهج — كان يقدم شيئا جديداً بالنسبة لمعاصريه في اليمن ، وكان يريد أن يحررهم من الالتزام بالمنهج التقليدي الذي يدور حول نشر بعض النصوص الأدبية القديمة مع التغني بمحاسنها . وهو بما ظل قائما في نفس الوقت على صفحات المجلة وغيرها — ويطلبهم بالأخذ بمنهج حديث يغوص وراء تحليل وتفسير هذه النصوص باعتبار الأدب مرآة للواقع الاجتماعي . وقد ظهرت رغبة « العزب » هذه في العنوان الذي وضعه للحلقة الأولى من مقالاته وهو : « نظرة في الأدب وكيف يكتب ، وكأنه بذلك أراد أن يضع درساً أو بالأحرى تحدياً لـ « هو ساند » . أما

(١) عبد الله العزب : نظرة في الأدب وكيف يكتب ، الحكمة ، العدد ٢ ، السنة الأولى ، المجلد

الأول ، محرم ١٣٥٨ هـ (فبراير/مارس ١٩٣٩ م) ص ٨٢ .

(٢) نفس المرجع : ص ٨٠ .

العنوان الثابت الذى اتخذته لباقي الحلقات فهو : « نظرة في الأدب العربي القديم وحظ اليمن منه » ، فهو لا يوضح فحسب الغرض من كتابة هذه المقالات ، بل يدل أيضاً على عقلية علمية واعية ، فلفظ « نظرة » لا يدل على التواضع المطلوب من العلماء فقط ، بل يدل أيضاً على أن مقالاته هذه إنما هي محاولة فحسب ، يرجو أن يتلوها محاولات أخرى لمن يريد إلى ذلك سبيلاً .

وقد ظل «العرب» يضع منهجه نصب عينيه لا يحميد عنه ، وظل ملتزماً به طوال مقالاته ، ففي بداية حلقاته الثانية مباشرة رسم الظروف الجغرافية للجزيرة العربية ، واختلاف البيئات الطبيعية والبشرية بها ، أى أنه ربط بين الواقع المادى والحياة الاجتماعية ، وأظهر مدى التأثير والتأثير بينهما ، فوضع يده بذلك على عامل هام من العوامل المؤثرة على التراث الأدبى فى الجزيرة الذى يتعرض له بالدراسة ، حتى قال : « وقد كان لهذا التفاوت فى الطبيعة والعمران أثره الذى لا يجهل ، ونتيجته التى لا تتخلف فى الأخلاق والمواهب ، ومن له دراية بعلم السنن ، وإلمامه بطبائع العمران ، يعرف المسافة الشاسعة بين أخلاق البدو والحضر ، والتباين البين بين منازع الفريقيين وميولهم وعواطفهم وإنجازاتهم^(١) » . ثم أخذ يضرب الأمثال من الشعر والحكم وغير ذلك ليبرهن على صدق رؤيته .

وأنتقل من التعميم - فى مقالاته التالية - إلى التخصيص ، فركز حديثه على بيئة اليمن الطبيعية ، وأنها ذات ثروات كثيرة ، وأن هذا قد أدى إلى ظهور عدد من الحضارات والدول بها . وكان يدعم عرضه دائماً بأقوال الأقدمين وبأبحاث المستشرقين والمحدثين ، مما يدل على سعة إطلاعه وإمتداد أفقه . ومن حين إلى آخر ، كان يقف قليلاً فى عرضه وضرب أمثله ليناقش نفسه

(١) عبد الله العزب : « نظرة فى الأدب العربي القديم وحظ اليمن منه » ، الحكمة ، العدد ٥ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ربيع الأول ١٣٥٨ هـ (أبريل / مايو ١٩٣٩م) ص ١٤٧ .

وبحسبها ، وإيؤكد منهجه حتى يظل موضوعه مترابطا متماسكا ، وهذه قدرة علمية بالغة قد لا تنوافر لكثير من الكتاب الباحثين المعاصرين . وقد لمس العرب - كما يلمس غيره - نقص المادة اللازمة لاجلاء جوانب التاريخ البنى القديم ، وأن هذا النقص يؤثر على بحثه الأدبي : « والكلام على الأدب يضطرنا إلى الإلمام بكثير من المباحث التاريخية التي يستعين بها كثير من مظاهر الحياة ومجاليها ، إذ الكلام على الأدب لا يتم على الصفة الكاملة إلا بالتعرض لما يتصل به ويلبسه لنعرف عوالم رقيه وانحطاطه ويتبين وجه الارتباط والالتحام بين الأدب والحياة ، ... ثم يواصل حديثه عن المؤثرات المسادية والاجتماعية على الأديب حتى يصل - مبكرا - إلى إقرار حقيقة أصبحت من مستلزمات الدراسات الأدبية الحديثة ، مستعملا في ذلك التعبيرات العلمية الدقيقة التي لم تنشر في حين إلا بعد ذلك بسنوات طوال ، فقد قال ... « وهذا لا يعرف جد المعرفة إلا بالتعريج على كثير من زوايا « التاريخ الاجتماعى » ودراسة كل ما له علاقة بالأدب دراسة عميقة .. » . وهو لا يقف عند هذا الحد ، بل يرسم لنفسه منهجا - على ضوء ما وصل إليه ليحدد خطواته في مقالاته التالية ، فقال : « وسنلم بخلاصة وجيزة (تاريخية) لنتمكن بها من فهم الأدب وتطوره ، وننتقل بعد ذلك إلى إثبات بعض ما وصل إلينا من أدب العرب في حين قبل الإسلام ، مع التعرض لما يحيط بالأدب ويتصل به ويؤثر فيه ، متوخين قصد الطريق اثلا ، فنكتب الحقيقة في ما نطالب ونزوم ، ونلتمس معذرة الناظرين في ما نكتب ، فذلك مبلغ ما لدينا ، وحسب المقل أن يجود بما عنده » (١) .

وقد صدق « العرب » مع نفسه ومع منهجه ، وعمل على الالتزام بالخطوات التي رسمها لنفسه ، كما حاول أن يستخدم ما وقع في يده من أمهات

(١) عبد الله العزب : الحكمة ، العدد ٩ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، رجب ١٣٥٨ هـ (أغسطس / سبتمبر ١٩٣٩ م) ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

المراجع استخدما حسنا ، فأجاد الاستشهاد والتدليل ، بالإضافة إلى التفسير والتحليل ، فبعد أن تعرض لنقص وغموض الكثير من جوانب التاريخ الإبي القديم ، وصل إلى نتيجة استنتاجية هامة ، مازال يرددها كثير من الأخوة اليمنيين إلى الآن ، وهى ضرورة : القيام بالعديد من الحفريات والكشوف للعثور على مزيد من النقوش حتى يتمكن من إثبات صحة ما وصل إليه . وقد حاول تطبيقا للنهج الذى التزم به — الذى يدور حول ارتباط الأدب بالحياة الاجتماعية — أن يصل من الملبوس الموجود إلى الضائع المفقود ، فقال : « ومن ينظر نظرة واحدة إلى ما يبدو بين آونة وأخرى فى الخرائب الخيرية من رسوم وتماثيل ، يعرف جد المعرفة أن تلك الأمة كانت قد بلغت مستوى طاليا فى العلوم والآداب ، فانه وإن كان أدبهم الناطق قد ضاع وأخنت عليه الليالى ، فأدبهم الصامت وهو الرسوم الساحرة والتماثيل الدقيقة باق ينطق بما كان هنالك من ذوق وفن ، وليس الشعر إلا تصويرا ناطقا ، كما أن التصوير شعر صامت . على أنه يمكننا تدعيم ما ذهبنا إليه بأنه ليس من المعقول أن يعج سيل الحضارة فى البلاد ولا يكون لها أدب عال مشرق الديباجة يصور عواطفها ، وجلال صدور أبنائها ، وينطق بما كان للقوم من حصافة عقل ، وجودة رأى ، وصدق إدراك ... »^(١) .

ونقطة أخيرة يجدر الإشارة إليها فى ختام الحديث عن « العزب » ، لفتت انظارنا فتمعبنا لها وأعجبنا بها ، نظرا لجرأته وشجاعته فيما طرقة من موضوع حساس . ففى بداية الحلقة السابعة من مقالاته استطرد طويلا حول أثر الدين على الأدب ، باعتباره من العوامل الهامة المؤثرة على الأدب ، فى صيغته ولونه ، وباعتبار الدين أحد نقاط التاريخ الاجتماعى التى لها مساس بالأدب وله بها اتصال وارتباط ، وذلك كما قال فى نهاية استطراده معتذرا

(١) عيد الله العزب : الحكمة ، العدد ١٠ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، شبان ١٣٥٨ هـ (سبتمبر / أكتوبر ١٩٣٩ م) ص ٣٠٢ .

عن الاطالة . ووجه العرابة هنا أنه تحدث عن الأديان الوثنية القديمة حديثاً عليها موضوعياً لا حديث هجرم أو احتقار كما هو متوقع حينذاك ، بل ونكاد نلمس في حديثه تعاطفاً مع من عبدوا : « المظاهر العظمى والآيات الكبرى زمن بساطة العقول وسذاجتها ، مثل الشمس وغيرها ، لولا سياق الحديث الذى يفهم منه نظيرته الموضوعية لتطور الأديان . ولقد تعجبنا من أن ينشر هذا الرأى فى مجلة حكومية فى عهد الإمام يحيى الذى جعل « الإسلام ، الدعاة الأساسية لحكمه ، فصبغه بصبغة خاصة لخدمة هذا الحكم ، مما كان يتقذر معه طرح الأفكار المنحرفة أو الموضوعية عن الأديان القديمة . ويبدو أن العرب ، بطريقه لهذا الموضوع - وبهذه الطريقة - لم يرد أن يثبت ، جديداً ، فى المجلة وفى الأوساط المتعلمة حوله ، بل أراد أن يثور ، على جهود هذه الأوساط وعلى رتابتها الذهنية ، فنظر فى دراسته إلى الأديان نظرة متساوية ، ولم ينظر إليها من وجهة نظر رجال الدين المتزمتين من معاصريه ، لذلك قال « ... وكيفما كان الدين فإنه يمد الأدب ويغذيه ، إذ الأدب إنما يعول على الخواج النفسية والنزعات الفكرية والعواطف الملتبته ، ولا شيء مثل الدين فى إثارة هذه العوامل وتقويتها » (١) ، أى أنه كان يقصد بالدين هنا « العقيدة » مهما كانت .

وهكذا استطاع العرب أن يكون أحد العلامات البارزة فى الحكمة ، والى رفعتها إلى سماء الفكر العربى ، فبالإضافة إلى المنهج العلمى الذى اتبعه ، فقد أخذ يغوص وراء النصوص الأدبية الرائعة فى مصادرها الأصلية ، يحملها بنظرة نقدية حديثة ، مما يحتاج إلى جهد أحد المشتغلين بالدراسات الأدبية لإبراز أهميتها .

(١) عبدالله العزب: الحكمة ، العدد ٤ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، صفر ١٣٥٩ هـ

(مارس / أبريل ١٩٤٠ م) ، ص ١٠٢ .

ولم يقف ما ألفت به الحكمة من « جديد » في المجال الأدبي عند حد دراسة « تاريخ الأدب » ، كما فعل محمد بن أحمد مطهر وعبد الله العزب ، بل ظهرت صور أدبية أخرى ، زادت من قيمة « المجلة » وأهميتها ، إذ اتصفت هذه الصور بأنها كانت « جديدة » في الين . فن ناحية نقد بدأ يحيى الدين العنسى محاولة جديدة لعرض أحد دواوين الشعر عرضاً نقدياً حديثاً ، وهو ديوان الشاعر الينى المعاصر - حينذاك - أحمد بن عبد الله بن عثمان السالمى . ومن ناحية أخرى ، ظهرت « القصة القصيرة » باعتبارها فناً أدبياً حديثاً يدخل الين لأول مرة ، إذ من المعروف أن القصة القصيرة - ببنائها الفنى الحديث - تختلف عن « الحدوتة » - بالتعبير الشعبي الدارج - التى عرفت فى الشرق العربى منذ أقدم العصور .

فن ناحية محاولة العنسى - التى لم تكتمل لتوقف المجلة عن الصدور - فقد كانت أدبية بحتة لم تختلط بالتاريخ ، لذلك فهى تعتبر تطوراً متقدماً بالنسبة لما ظهر على صفحات « الحكمة » فى المجال الأدبى . وقد كان الغرض الاسامى من وراء هذه المحاولة هو التعريف بالنشاط الأدبى فى الين واعلاء شأن الأدباء والشعراء الينيين ، ولكن هذا لا ينفى الجانب الفنى فى عرض الديوان ، فقد التزم بالمنهج النقدى الحديث فى المقدمة التى نشرها ، والتى عرفنا فيها بالشاعر وظروفه وشعره ، كما وعد بأن يتعرض فى مقالة تالية لنماذج من شعره فى الأغراض المختلفة مع تحليل لها حتى يقف على مذهبه الشعرى ، غير أن هذا الوعد لم ير النور لتوقف المجلة عن الصدور كما أشرنا . ولا غرابة فى أن يبدأ هذا النوع من الدراسة على يد يحيى الدين للعنسى ، فقد كان رئيساً لأول بثة يمنية ذهبت إلى العراق للدراسة طم ١٩٣٥م ، وفى أثناء دراسته العسكرية هناك ، انتسب إلى كلية الحقوق مستمعا ، كما كان كثير الاطلاع توافاً إلى التعبير والإصلاح ، فادى هذا إلى سجنه أكثر من مرة ، كما فر

إلى القاهرة وأقام بها مدة ، ثم أعدم في حجه بعد فشل ثورة ١٩٤٨ م . وقد بدأ العنسى مقالته بمقدمة طويلة نسبيا ، يوضح الغرض من المقالة ، بما يوحى - كما سنرى - بعمق الحبس الوطنى ، وهو الشعور الذى ساد بين أغلب محررى الحكمة ووجه كتاباتهم ونشاطهم ، لذلك فيجدر الإشارة إليها لتعرف على أحد العوامل التى كانت تحرك أفلام هؤلاء المحررين ، ويدفعهم إلى بذل الجهود الكثيرة لتحرير المجلة ، فقد بدأها بقوله : « لماذا لم يكن لكم فى اليمن أدباء وشعراء ؟ هذا هو السؤال الذى طال ما سمعته من كثير من أدباء العربية فى القاهرة ودمشق وبغداد ، وطال ما أجيبت عليه بأن لنا فى اليمن أدباء وشعراء يعدون بين فحول الطبقة الأولى . وكثيرا ما كان يعوزنى البرهان ، لذلك كنت أقدم بين يدي السائل بعض أعداد مجلة الحكمة اليمنية ليقف على نماذج من الأدب الحديث فى اليمن كدليل على ما تنتجه قرائح بعض أدباء شبابنا المثقف ، وكنت أجد من الجميع استحسانا وإعجابا بما يكتبه القاضى عبد الله العزب ، والأديب الفقيد السيد أحمد الوريث ، والأديب الضليع السيد أحمد المطاع ، حتى أن أحد الأدباء النقاد قال عن أدباننا هؤلاء الثلاثة بأنه لا بد وأنهم قد تخرجوا من المعاهد المصرية لأن المطالع يجد فى أدبهم قوة وحيوية ويلمس فيه تجديدا يننا ، ولستنى أفهمته بأنهم لم يبرحوا اليمن قط ، وإنما هم - فوق ما هم عليه من ثقافة أدبية واسعة - قد اتصلوا بالأدب الحديث عن طريق مطالعة الكتب والمجلات وتذوقوا ما فيه من متعة وطرافة ، فأخذهم بما فيه من روعة وجمال وغزر مادة ، وقاثر أساليبهم بأساليه ، فاتهموا فى إنتاجهم الأدبى نهجه ، وسلكوا سبيله فى الغرض والأسلوب والصنعة حتى أبدعوا كما ترى فيما أحسنوا وأحسنوا فيما أبدعوا . وكنت أتمنى لو أن لدى مجموعة من شعراءنا المعاصرين ، أو أن وسائل النشر متوفرة لدينا لتطلع أدباء

العربية من إخواننا في مصر والشام والIraq وغيرها من البلدان العربية على نواة نهضتنا الأدبية وانجاسها الحديث ما دام أدب كل أمة مرآة حياتها كما يقولون . وقد بقيت تلك الأمنية حسرة في نفسي حتى وقع في يدي اليوم ديوان السالمى فتصفحته وإذا بي أمام شاعر مطبوع من شعرائنا الذين ننتظر أن تتألق نجومهم في سماء الأدب العربي . ونرجو أن نفاخر بهم في يوم من الأيام ولعله غير بعيد ...^(١) . وهكذا عبر العنسى بهذه القصيدة المتحمسة الملهية عن الألم السكامن في نفوس هذا الجيل من أبناء اليمن ، فإننا جهم العلى والأدبى مجهول لدى إخوانهم العرب ، لانغلاق بلادهم وعزلتها ، ولقلة وسائل النشر بها ، كذلك لعدم وجود معاهد علمية حديثة تساعد على عقل مواهبهم وأبرازها بل كانت جهودهم ذاتية لثقة يقب أنفسهم .

أما الشكل الأدبى الآخر الذى قدمته « الحكمة » لقراءها لأول مرة فهو القصة القصيرة كما سبق أن أشرنا ، وقد انضحت أبعادها إلى حد ما فى المجلة على يد أحمد البراق الذى كان أيضاً أحد الأحرار الوطنيين ، ومن لقوا حتفهم فى عام ١٩٤٨ م بعد فشل الثورة . ولا شك أن محاولة « البراق » تعتبر مبادرة من جانبه فى هذا الوقت المبكر بالنسبة لليمن ، تحتاج إلى أحد المتخصصين لدراسة تطور فن القصة اليمنية القصيرة ، وخاصة بعد أن ظهرت الآن مجموعات مطبوعة خاصة بها^(٢) . وقد ظهرت القصة فى « الحكمة » ضعيفة — وعلى استحياء — من حيث البناء الذى يجيد الحديث عنه المتخصصون . وكانت القصة الأولى بعنوان « أنا سعيد » عبارة عن حوار بين شخصين ، وهو حوار مباشر صريح ، ليس فيها « الحكمة » أو « التشويق » كما يقول أهل

(١) يحيى الدين العنسى : ديوان السالمى ، فى الأدب المعاصر ، دراسة وتحليل (١) ، الحكمة ، العدد الثالث ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، محرم ١٩٣٦ هـ (يناير / فبراير ١٩٤١ م) ص ٧٣ — ٧٤ .

(٢) مثل مجموعة زيد مطبع دماج القصصية .

هذا الفن ، ومحور القصة أخلاقي يبحث على خدمة المجتمع في أى موقع . ومن أى موقع وقف فيه الإنسان مهما كانت وظيفته أو مكانته الاجتماعية . وتساوى في ذلك قصته الثانية وهى بعنوان « اللسان الشقيقتان » ، فقد كانت أخلاقية ذات حوار مباشر ، تعالج مشكلة اجتماعية ، وهى تبديد الورثة لتركه الآباء ، فى الترف والملاذات ، مما يضطرهما - أى « اللسان الشقيقتان » - إلى سرقة ابن عمهما ، ولكن القصة لم تكتمل لتوقف « الحكمة » عن الصدور . وقد انتهت القصة الأولى بحملة إنشائية بعيدة عن الفن القصصى ، وهى : « وفى اليوم الثانى ، قابلت صديقى ، وبعد أن تبادلنا التحية الأخوية ، تعاهدنا على أن نعمل سوية لصالح المجتمع ونسعى فى الخير قدر استطاعتنا والله ولى التوفيق »^(١) . ومن الطريف الإشارة إلى أنه كان يوضع بعد عنوان القصة مباشرة عبارة « قصة موضوعية » ، وكأن هيئة التحرير كانت تخشى أن يفهم غير ذلك ، أو لأن القصة القصيرة كانت فناً جديداً فى الفن ، وهذا وذاك يدلان على طبيعة العصر ، وعلى أن أحمد البراق ومنه « الحكمة » كانا يقدمان « جديداً » بالنسبة لما هو سائد فى الفن ، وهو الذى نهدف إلى إبرازه .

ولقد كانت هناك محاولتان سبقتنا محاولة « أحمد البراق » ، وكأنهما تمهيد لما ظهر فى « الحكمة » فيما بعد . الأولى بقلم يحيى بن حمود النهارى ، وهى بعنوان « كيف يدافع الفلسطينيون عن وطنهم » ، تضحية نادرة ، ، وكما يفهم من عنوانها فقد بدأها وختمها بحديث عن القضية الفلسطينية ، أما القصة نفسها فجاءت كتمثال للعظمة والإرشاد ، إذ تدور حول قيام أم عجوز بإبلاغ الثوار عن خيانة ابنها الوحيد للثورة - نتيجة حاجته الشديدة للمال - حتى أعدم برصاص

(١) أحمد البراق : الحكمة ، العدد ١٢ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، شوال ١٣٥٩ هـ

(نوفمبر ١٩٤٠ م) ص ٣٧٨ .

الشوار أمام عينها^(١). أما القصة الثانية فهي بقلم : زيد بن علي عنان ، بعد أن عاد من بعثته من العراق وحصل على دبلوم المعلمين ، وهي بعنوان : ماذا نتخذ من الأعمال ؟ ، وهي ضرب من الحوار المباشر الصريح بين شخصين للتعبير عما في النفس من المبادئ والأخلاق المثالية لبناء الوطن وتقديم العرب^(٢) .

جانب التاريخ :

وما أشبه التاريخ بالأدب ، فقد كان هو الآخر مجالاً للتجديد ، الذي تنهمر به الحكمة ، واحتل أيضاً مساحة واسعة من صفحات المجلة ، لا من حيث الموضوعات التاريخية المجردة ، بل لاستخدام التاريخ أيضاً في موضوعات مختلفة ، فمن المعروف أن التاريخ وعاء لكثير من العلوم الإنسانية . ولا يهمننا هنا كثيراً تتبع الملامح التاريخية في أنحاء المجلة فليس هذا ما نسمى إليه ، ولكن ما يهمننا هنا هو البحث عن الجديد ، في معالجة الموضوعات التاريخية من ناحية المنهج والأسلوب وغير ذلك . ومن يرجع إلى الكتابات التاريخية في القرن - سواء ما ظهر منها مطبوعاً أو ما زال مخطوطاً - التي وضعت إلى زمن « الحكمة » ، أو بعد ذلك إلى وقتنا الحالي ، يلمس بوضوح سيطرة المنهج القديم على هذه الكتابات ، فتجدها خضعت لأسلوب الحوليات والسير والتراجم ، والاهتمام بجمع أكبر قدر ممكن من الحوادث والتفاصيل ، أكثر من الاهتمام بتقديدها أو تمحيصها وتحليلها . وهنا يبرز دور « الحكمة » وما ظهر فيها من كتابات تاريخية ، فقد كانت تمثل الومضة التي لمعت بعض الوقت ثم انطفأت ، إذ لم تجد لها صدًى أو أثراً فيما كتب حينذاك أو بعد

(١) يحيى النهارى : الحكمة ، العدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، صفر ١٣٥٨ (مارس / أبريل ١٩٣٩ م) ص ١١٦ - ١١٩ .
(٢) زيد عنان : الحكمة ، العدد ١١ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رمضان ١٣٥٠ هـ (أكتوبر ١٩٤٠ م) ص ٣٤٣ - ٣٤٧ .

ذلك ، بل وحتى ما ظهر في «الحكمة» اندثر في طي النسيان عقب اختفاء المجلة .

حقاً لقد ظهرت المعالجة الجديدة والمنهج الجديد فيما كتب في «الحكمة» سواء عند استخدام التاريخ لخدمة موضوعات أخرى ، كما ظهر في مقالات «الإصلاح» لأحمد عبد الوهاب النورث أو في بحث محي الدين المنسي والذي لم يظهر منه إلا حلقة واحدة ، والذي كان بعنوان : «البن السعيدة بين الماضي والحاضر» ، أو عند كتابة الأبحاث التاريخية الخاصة كما فعل أحمد المطاع . فقد ظهر في النوع الأول المعرفة الجيدة لمفهوم التاريخ ، والمعالجة المبسطة للقضايا التاريخية ، والاستخدام الطيب للمراجع مع الإشارة إليها في هوامش البحث دون أن يزدحم بها المتن كما كانت عادة معاصريهم . ويظهر هذا لدى النورث عندما تتبع تاريخ العرب قبل الإسلام ، ثم ظهور الدعوة الإسلامية وانتشارها عن طريق الفتوحات وغيرها في ربوع العالم ، ثم انحطاط أمر المسلمين وإنكاش إمبراطوريتهم حتى الأزمنة الحديثة ، فقد عالج هذا كله في حلقاته الأولى في سهولة ويسر ، فلا يشعر القارئ بالملل لازدحامها بالمعلومات ، ولا يلبس - في نفس الوقت - وجود هفوات لضعف المادة التاريخية ، كذلك يشهد المرء بذلك في مقدمة محي الدين المنسي .

أما النوع الثاني من الكتابات التاريخية ، فهي التي سنقف عندها طويلاً لما ظهر فيها من «جديد» حقاً ، لا بالنسبة لزمن «الحكمة» فحسب ، بل أيضاً إلى زمننا الحالي ، إذ لا غرابة أن نصف ما ظهر في «المجلة» بأنه كان ملامح مدرسة جديدة في البن ولكن لم يكتب لها الحياة لأنها ظهرت - ربما - في غير موعدها . ورغم أن التجربة الناضجة التي نريد الوقوف أمامها هي تجربة أحمد المطاع فقد سبقها تجربة أخرى لأحمد عبد الوهاب النورث ينبغي التأمل فيها قليلاً ، وإن كانت لم تسكتم لوفاته ، ولم يظهر منها إلا حلقتان

فقط . وقد وضع الوريث عنواناً ثابتاً لمقالتيه هو : « من صور التاريخ اليمنى ،
ولكن حدد الغرض من هذه الصور في الجزء التالى من العنوان وهو : « نظرة
إجمالية فى الأحوال الدينية والعلمية فى اليمن » ، أى أنه حدد زاوية خاصة من
زوايا التاريخ اليمنى ليقوم بدراسته . ولم يقتصر الوريث على ذلك بل أوضح المنهج
الذى اختاره ، ووضعه فى مقدمته ليكون أمام المجتمع ، فكانت الحلقة الأولى
بعنوان « مقدمات لابد منها » ، والحلقة الثانية بعنوان : « تمهيد » . وقد ظهر
منهج العلمى بوضوح منذ البداية ، إذ بدأ بالتحدث عن جوانب « التاريخ ،
المختلفة وأما لا تقتصر على الجانب السياسى وحده : « خلافاً لمسايسود
بعض الافكار من أن التاريخ قصر على الأحوال السياسية فحسب ، وهذا
الوهم جرثومة من جرائم الماضى المظلم الذى كان لا يرى غير المواقع الحربية
والمآسى العالمية وتنازع الأقطار والتكالب على السلطة ... لا يرى غير ذلك
جديراً بالذكر ولا أهلاً لشيء من العناية والاهتمام »^(١) ، ثم يستطرد فى شرح
مفهومه ليؤكد اتجاهه مرة أخرى ، فيهاجم المؤرخ الذى يقف عند جانب
معين من التاريخ ، فقال : « وهو يعتقد التاريخ وفقاً على ذكر تلك الأحوال
- أى الصراع السياسى - أما غيرها من الحالات العلمية والعقلية والاجتماعية
والاقتصادية ، وكل ما هو بمجموع الأمة الصق ، فليس - فى اعتقاده - من
التاريخ فى شيء ، لأن الأمة عنده أهون من أن يعنى بشأنها ، وأردل من
أن ينظر فى حالها »^(٢) . وهكذا يواصل شرحه للمفاهيم المختلفة حتى ينتهى
إلى القول بأنه اختار الكتابة عن الجانبين - الدينى والعلمى - تاركاً الجانب
السياسى لمحاولة أخرى أو لغيره من الكتاب . ومرة أخرى يثير الوريث
عجائبنا ، فهو لا يقدم هذه المفاهيم جزافاً ، أو باعتبارها مقدمات إنشائية

(١) أحمد الوريث : الحكمة ، العدد الأول ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ذى القعدة

١٣٥٨ هـ (ديسمبر ١٩٣٩ م / يناير ١٩٤٠ م) ص ٩ - ١٠ .

(٢) نفس المرجع : ص ١٠ .

لبحثه، ولكنه قدمها عن فهم عميق لما هو مقدم عليه فقال: « ونحن موقنون بأن أعظم العقبات التي تعترض الباحث يجدها عند أن يتناول بحثه الأحوال الفكرية والنواحي العقلية لغموض مؤثراتها وأسباب تطورها وصعوبة إدراك مظاهرها التي تتجلى فيها جميع أدوارها،^(١) وهو يدرك أيضاً أن هذه الصعوبة إنما تتعلق بتاريخ أية أمة بما تتوفر فيها المراجع التاريخية، أما إذا لم تتوفر هذه المراجع كما هو الحال بالنسبة لتاريخ اليمن فإن الأمر يزداد صعوبة وتعقيداً. والى بعد ذلك نظرة عاجلة على مراجع التاريخ اليمنى، واسكنها كانت نظرة نقدية فاحصة أشار فيها إلى تناقض بعض رواياتها فقال: د... ويستمرسل الباحث في الاستغراب عندما يجد نفسه أمام متناقضات يرتكبها مؤرخ واحد في كتاب واحد بل قبل أن يمر عليه بضع صفحات، فكأنه لذلك الصنيع الغريب لا يعقل ما يكتب، ولا يفهم ماذا يؤرخ، فبينما هو يقرر أمراً ويجزم بقضية، إذ به بعد وريقات يناقض نفسه على خط مستقيم ويهدم بيده ما بنى قبل أن يقوم من مقامه... »^(٢).

ويواصل الوريث نقده للمراجع، فيشير إلى اختلافها فيما بينها حول الأحداث الكبرى التي وقعت في اليمن فضلاً عن الأحداث الأقل أهمية، ويشير إلى أن أحد أسباب هذه التناقضات هو التعصب المذهبي والسياسي، وخضوع المؤرخين لأهوائهم أي إبتعادهم عن الموضوعية. وهو بهذه النظرة النقدية الفاحصة قد وضع يده على قاعدة هامة من قواعد منهج البحث التاريخي الحديث - وهي نقد مراجع البحث ومعرفة كنهها وإنتاجاتها - وإن كان بعض مؤرخينا إلى الآن يتجاهلون هذه القاعدة، وينقلون من المراجع القديمة الروايات الطويلة على علاتها دون فحص أو تمحيص وبناء

(١) أحمد الوريث: الحكمة، العدد الأول، السنة الثانية، المجلد الثاني، ذي القعدة

١٣٥٨ هـ (ديسمبر ١٩٣٩ م / يناير ١٩٤٠ م) ص ١١.

(٢) نفس المرجع: ص ١٢.

على منهج الوريث فقد رأى أن يحدد بداية دراسته من القرن الثاني الهجرى لتوفر المراجع بالنسبة لما قبله ، غير أنه لا يمانه بأن الظواهر التاريخية - ومنها الفكرية - لا تنبثق من فراغ ، فقد خصص حلقة الثانية - تحت عنوان « تمهيد » - للتحدث عن الأوضاع التى سبقت الفترة التى حددها لدراسته ، أما الدراسة نفسها - للأسف - فلم يقدر لها الظهور لوفاته سريعاً .

وننتقل الآن إلى تجربة أحمد المطاع لمعرفة أبعادها وملامح نضجها ، وإن كنا نعتبره هو والوريث أبناء مدرسة واحدة ، هى مدرسة التجديد والعصرية فى الين بوجه عام ، أما فى التاريخ فقد وضعاً أمام معاصريهم المنهج العلمى الحديث للبحث التاريخى . وقد بلغت مقالات المطاع ست حلقات دون أن تكتمل لتوقف المجلة عن الصدور ، ولكنه استطاع بهذا القدر فقط أن يكون علامة بارزة فى تاريخ الفكر الينى الحديث وقد وضع المطاع عنواناً ثابتاً لمقالاته هو : « فى التاريخ الينى » ، وتحت « الين فى مدارج التاريخ » ، وإن كان يضع أحياناً لكل حلقة عناوين فرعية أشبه ما تكون بالعناوين الجانبية ، فكانت الحلقة الأولى على سبيل المثال تحت عنوان : « تمهيد ، التاريخ وفوائده » . وأطنب وأسهب حقاً فى فائدة التاريخ بالنسبة للأمم والشعوب ، وبالنسبة للأفراد مهما اختلفت وظائفهم وإنتاجاتهم ، حتى أن القارىء يشعر أن المطاع كاد يضع التاريخ فى مصاف « الماء والهواء » من ناحية حاجة الإنسان إليهما ، وهذا أمر طبيعى من جانبه ، فقد اشتهر كما قرأت وسمعت عنه - بأنه كان شجاعاً جريئاً يتحمس لكل ما يؤمن به ولا يتقيد فيه سواء فى الجانب الفكرى أو فى النشاط السياسى . وإلى جانب التحمس للتاريخ وفوائده ارتفع المطاع بالقارىء الينى من البداية إلى مستوى العصر ، ولم ينطلق به من مستوى الين المغلق المنعزل كما كان حينذاك ، فقد بدأ مقالاته بقوله : « من القضايا المسلبة تقدم العلوم والمعارف فى هذا العصر وارتقاء العقل البشرى إلى غاية قصر عن التحليق فيها الآباء منذ أجيال قديمة ، ومن الفنون التى بلغت أقصى ما يتصوره العقل من النجاة

والانقائ فن التاريخ ومعرفة أحوال الأمم . . (١) ، ثم وضع هامشا أسفل الصفحة ليشرح مفهومه للعلوم الحديثة المتعلقة د التاريخ ، فقال : د التاريخ ومتعلقاته كعلم الاجتماع والاقتصاد والجغرافية وعلم الكتابات والعادات القديمة والنقوش والآثار وعلم السجلات والإحصاء والنقد والمسكوكات وغير ذلك من العلوم التي كانت مجهولة كلها أو بعضها عند العرب . وأهمية هذا الهاش هنا أنه يؤكد أن مدرسة د الحكمة ، هذه كانت جديدة حقا بالنسبة لما هو سائد في اليمن حينذاك ، فن المعروف أن العلوم التي أشار إليها ذاتها هي التي يطلق عليها حاليا في داخل أقسام التاريخ بالجامعات اسم د العلوم المساعدة ، ويشار إليها بهذا التعبير في قاعات الدرس ضمن دروس د مناهج البحث ، وأنه من الضروري على المؤرخ أن يلم بها لفهم الأحداث والروايات التاريخية فهما سليما ، وليتمكن من تحليلها وتفسيرها .

وإلى جانب المنهج الحديث الذي سنتناوله بالعرض ، فالتنا نلمس منذ البداية أيضا عمق الإحساس الوطني لدى أحمد المطاع ، ونشعر بهذا طوال حلقاته المختلفة ، إلا أنه في د التقييد ، أشار إلى هذا د الحس ، إشارة عامة أخذت تتضح وتنمو مع تعدد الحلقات - ولكن دون أن يخل بالمنهج أويخرج عليه - فقال : د دراسة التاريخ إذا من ضروريات البقاء ، ومعرفة الأمة نفسها من أكبر عوامل الإرتقاء ، ولا سيما إذا كان في تاريخ الأمة من أعمال المجد والعظمة ما يشير الفتوة ، ويبعث النشاط والقوة في شرايين الأجسام المنحلة ، ويدفع بالآبناء إلى رسم آثار الآباء . . ، وبعد أن ذكر عمق إهتمام الغرب بالتاريخ قال : د ومن التواريخ التي أصبحت اليوم تدرس في جامعات الغرب كفن مستقل تاريخ اليمن القديم وما به من النقوش

(١) أحمد المطاع : في التاريخ اليمني ، اليمن في مدارج التاريخ ، الحكمة ، العدد ٦ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، ربيع الثاني ١٣٥٩ هـ (مايو / يونيو ١٩٤٠ م) ، ص ١٧٥ .

والآثار والعاديات وما خلفه آباء اليمينين من آداب وثقافة صقلت العقل
الإنسانى وازدانت بها حضارة البشر فى أيامهم . . . (١).

بدأ المطاع التحدث عن المنهج الذى التزم به من الحلقة الثانية ، ووضع
له عنوانا خاصا هو « التاريخ لغة وإصطلاحا وكيف يجب أن يكتب » .
وكانت بدايته رائعة مشوقة ، إذ أخذ يتقصى معنى كلمة « التاريخ » ، وأصلها
عند العرب ، وكيف كانوا يؤرخون بالحوادث السكبار قبل الهجرة النبوية ،
وأن المفهوم الذى ساد لديهم هو أن « التاريخ » يعنى « التوقيت » ، وأن هذا
ترك أثره على كتاباتهم التاريخية حتى انتهى إلى قوله : « يلوح مما تقدم من
مدلول كلمة تاريخ أن معناها التوقيت ، هذا ما يظهر جليا فى كتب المتقدمين
فإنه قل أن يجد القارئ فيما دونه القدماء فى فن التاريخ شيئا فى تحليل الحوادث
وتحليلها والنظر فى أسبابها وعواقبها واستخلاص النتائج منها ، كما أنهم
لم يحوموا حول بيان الحياة الاجتماعية والاقتصادية وكيفية سير العلوم
والمعارف وسير الأدب وعوامل العمران وكل ما له علاقة بالامة ...
والعل ذلك الداء مرى إلى المؤرخين من مدلول كلمة تاريخ الفارسية التى
معناها التوقيت ولو أنهم عدلوا عنها إلى الكلمة اليونانية (هستوريا) (كذا)
ومعناها الرواية والتحقيق لكانت طريقتهم فيما أخال غير ما كان » (٢).

واستطرد بعد ذلك فى عرض أخطاء المؤرخين مستشهدا ببعض أقوال
المفسكرين مثل محمد كرد على وابن خلدون ، حتى وصل إلى شرح وجهة
نظره فى كتابة التاريخ فقال : « فلا بد لكتاب التاريخ إذا تحرى الحقائق
وتمحيص الأخبار والابتماد عن كل ما يشوه وجه الحقيقة من زيادة

(١) أحمد المطاع : الحكمة ، العدد ٦ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ربيع الثانى
١٣٥٩ هـ (مايو / يونيه ١٩٤٠ م) ، ص ١٧٧ - ١٧٨ .
(٢) أحمد المطاع : فى التاريخ اليمنى ، الحكمة ، العدد ٧ السنة الثانية ، المجلد الثانى
جادى الأولى ١٣٥٩ هـ (يونيه / يوليه ١٩٤٠ م) ص ٢٠٨ .

أو نقصان ومجانبة الهوى ونزعات النفوس وأن يحكم العقل لا العاطفة ، مع ملاحظة الحالة الاجتماعية والأخلاقية والسياسية وكل ماله صلة بحياة الأمة ، وفي ذلك من المشاق والمتاعب ما لا يفي الكلام بوصفه ، ولا يدرك كنهه إلا من خاض اجج هذه الأبحاث (١) .

وقد أجاد المطاع في ترتيب خطواته فيما بعد ، فبعد أن تحدث عن معنى التاريخ وعرض وجهة نظره هو في كتابته ، بدأ يترصد للمراجع التاريخية العامة - مثل كتب الطبري وابن الأثير والمسعودي وابن خلدون - بالنقد والتحليل ، وذلك قبل أن يتناول أحداث تاريخ البين ذاتها ، مما يدل على وضوح رؤيته للطريق الذي سلكه . وقد نظر إلى هذه المراجع نظرة فاحصة فأشاد بمحاسنها وأشار إلى نقصانها فقال : . . . ولكنها لم تمتد دائرة البحث عن الحالة السياسية ووصف حركات التجاذب والتغالب بين المتوائمين من الأمراء والملوك وما يتبع ذلك من نزوات ونزعات ، ولذا جاءت تلك المؤلفات غير كافية بالمعنى المراد من التاريخ لأنهم لم يفوا « المشكلة التاريخية » حقها . ويمتاز قدماء المؤرخين بسعة الاطلاع والإحاطة بالجزئيات والفهم للحقائق والقدرة على التعبير ولكنهم لم يقدرُوا على ربط الحوادث برباط جامع لها ، وقد طوع لهم إدراك الجزئيات الإحاطة بشتى الحوادث وما جرى في السنين من الأحداث ، فجمعوا في مؤلفاتهم الكثير من الطيب مزوجا بغيره من دون نقد وتمحيص أو تحليل واستنتاج ، فكان من جراء ذلك أن برزت الحقائق محاطة باطار من الخفاء يعوزها النضوج والاكتناز كأنها منجم الذهب يتوقف الحصول عليه على إزالة ما يحاطله من العناصر

(١) أحمد المطاع : في التاريخ اليمنى ، الحكمة ، العدد ٧ ، السنة الثانية ، المجلد

الثاني ، جمادى الأولى ١٣٥٩ هـ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

المتنوعة^(١)، وأبدى المطاع إعجابه الشديد « بمقدمة » ابن خلدون الشهيرة حتى أنه قال عنه : « ومن المؤسف أن هذا الفيلسوف الاجتماعي العظيم لم ينتفع المسلمون بمبتكراته في علم الاجتماع وفلسفة التاريخ متأخر زمانه عن زمن النهضة العربية الإسلامية وظلت آثاره آنفاً لم يخط عنها اللثام إلى أن شرع الغرب في النهوض »^(٢) .

وهكذا بواصل المطاع نقده للمؤرخين القدماء ، وأشار إلى أن بعضهم « قد تأثر بالنزعات الدينية والعصبية القومية والمذاهب السياسية » ، كما أن بعضهم : « لم يتورع عن خدمة الأغراض السياسية والمقاصد الشخصية وجعل البحث التاريخي شبكة لصيده ومطية لنزوات روحه » ، ولا سيما أيام كانت السياسة تركن وراء الألسنة القوية والأفلام السليطة لتستفيد من نصرتها وتعتز بشهرتها ليتم لها احتكار السلطة في أشخاص القائمين بها ، وصرف البلاد والعباد عن التفكير المثمر والعمل النافع إلى ما يعود بالمجد الأجوف والخير المزعوم . وقد سجل التاريخ من أعمال الفريقين ما يندى منه الجبين^(٣) ، إلا أنه قد أشاد بتقدم العرب في « فن التراجم » لاعتقاده على النقد والتحريض ، كذلك عرج إلى جهود العرب في علم الجغرافيا وأوضح جهودهم فيه .

وبعد أن ألقي تلك النظرة على المراجع التاريخية العامة بدأ يخصص الحديث عن تاريخ اليمن ، وصعوباته الجمة ، لأنه مبعثر هنا وهناك ، والكثير

(١) أحمد المطاع : العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رجب ١٣٥٩ (أغسطس / سبتمبر ١٩٤٠ م) ص ٢٦٥ .

(٢) هس للرج : في التاريخ اليمني ، الحكمة ، العدد ٩ السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رجب ١٣٥٩ ، ص ٢٦٦ ، ع ١٤ .

(٣) هس للرج والمفج : ع ٢ .

من نقاطه غامضة مبهمه مما يحتاج إلى الجهود المضاعفة ، حتى أنه ناشد القارىء بقوله : لا شك أنه يعذر الكاتب في تقصيره ، ويرضى منه بمسوره ، ويوسعه العذر ، ويقابله بمزيد الشكر ... ففي سبيل الله ما يلاقى الباحث في تاريخ اليمن^(١) . وفي نفس الوقت ، فبالإضافة إلى ما ذكره عن واجبات المؤرخ بوجه عام - كما سبق أن أشرنا - فإنه هنا أكد ما التزم به هو من منهج تجاه تاريخ اليمن ، وخاصة لا نشغاله به منذ الطفولة ، فقال : « أحببت أن أقوم بذلك الواجب بعد أن بذلت الوسع واستغرقت الجهد في جمع الشوارد ، وفيد الأوابد ، واستقراء النصوص ، وتبعية الأدلة حسب الإمكان . وقد راعيت أمانة النقل وواجب العلم فيما احتجيت به من كلام الغير ، وأبحث للقراء من عقلي ونفسي ما أبحثهم من عقول ونفوس من اقلعت عنهم ، فلم أكتف بنقل ما قالوه وجادت به عقولهم من دون أن أبدى رأيي ولا سيما فيما تضاربت عنده الأفكار ، واختلست فيه الروايات ، فلأني لم أقف هناك وقوف المشدود الخيران ، بل نقدت ومحصت بقدر ما أستطيع (ومن قدر عليه رزقه فلينفق بما آتاه الله) ومن الله استمدد التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل »^(٢) .

بهذا العزم والتصميم ، وعلى ضوء ما رسمه لنفسه من منهج يلتزم به ، بدأ المطالع دراسته التاريخية ، واتضح بها منذ البداية أمران هامان : فن ناحية ظهر تحمسه لليمن وتاريخها كما سبق أن أشرنا ، حتى نخال أنه أصبح منهجاً لتاريخ بلاده خارجاً عن الموضوعية التي وعد بالتمسك بها ، لكن أنقذه من هذا وضوح المنهج العلمي أمام عينيه كما نلمس من حين إلى آخر ، فانتصر الحماس على الجانب الأدبي الإنشائي ، ولم يتأثر الجانب العلمي الموضوعي .

(١) أحمد الطالع : في التاريخ اليمني ، الحكمة ، العدد ١٠ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، شبان ١٣٥٩ هـ (سبتمبر / أكتوبر ١٩٤٠ م) ص ٢٩٦ ، ج ٢ .

(٢) أحمد الطالع : في التاريخ اليمني ، الحكمة ، العدد ١٠ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، شبان ١٣٥٩ هـ ، ص ٢٩٧ .

حقيقة كان يحاول أن يرفع من شأن الحضارة البنيوية القديمة وأثرها على باقي الحضارات المعاصرة ، ولكن كان هذا يتناسب مع الغرض الذي يرمى إليه رجال الحكمة ، وهو دفع معاصريهم للإهتمام بالتاريخ البنى وإعادة كتابته كتابة جيدة ، كما أن طريقة عرض المطاع لموضوعه ، واعتماده على المناقشة والتحليل جعلت دراسته مشوقة جذابة ، تجعل القارئ لا يشعر بالملل كما كان يحدث بالنسبة للكتابات الأخرى حينذاك .

ومن ناحية الأمر الآخر ، فإننا نلمس في دراسة المطاع العمق واتساع الأفق ، نتيجة اعتماده على المراجع الأصلية القديمة منها والحديثة ، مما كنا نستغرب معه وصولها إليه ، ومتى اطلع عليها ، وكيف وصل إلى هذا المستوى الممتاز في استخدامها من حيث الاقتباس ومناقشة ما جاء به من آراء ، ومن حيث الإحالة إلى المصادر وكتابة الهوامش . كذلك تأثر أسلوبه بأسلوب مؤلفات العلماء الذين جاء ذكرهم في دراسته ، أو بمعنى آخر استعمل الأسلوب المناسب للدراسات التاريخية القديمة ، الذي يعتمد على الاستنتاج واستقراء النقوش والنصوص ، أكثر مما يعتمد على الاقتباس والاستيراد ، لذلك فهو لم يقف عند النصوص يعرضها ويناقشها ، بل رجع إلى الظروف الطبيعية والبشرية العامة لليمن ليستخرج منها ما يشاء من نتائج تؤيد اتجاهه ، وقدم لذلك بقوله : « وقد علل بعض الباحثين وجود المدينيات بعلى شتى منها طيب المناخ وكثرة المياه أو المعادن ، ومنهم من يعزوها إلى غرائز اختصت بها بعض الأجناس البشرية ، وصفات جادت بها الطبيعة على بعض الشعوب دون بعض ، وكل ذلك متوفر في هذه البلاد وأهلها ، (١) » .

وفي ختام التحدث عن دراسة المطاع التاريخية - التي لم تكتمل كما

(١) أحمد المطاع : في التاريخ اليمنى ، الحكمة ، العدد ١١ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، رمضان ١٣٥٩ هـ (أكتوبر ١٩٤٠ م) ص ٣٣٢ .

أشرنا لتوقف الحكمة عن الصدور - يجدر الإشارة إلى النداء الذي أطلقه مبكراً في تلك الفترة للإهتمام بالآثار اليمنية والكشف عنها لتوضيح جوانب التاريخ القديم . وخلق هنا نشر نص النراء لعله يجد من يستجيب ، وانرى كيف كان يفكر المطاع حينذاك ، ولندرك مدى أهمية المجلة في تلك الفترة ، فقد قال : « وبالرغم على مادونه اطمعاني وغيره وما عثر عليه المستشرقون من النقوش وكشفوه من الآثار ووجدوه من المسكوكات ، فان تاريخ أوائك الأقوام لا يزال في رحلته الأولى . وطريق الدراسة مهما أبعث فيها المتوغل ، وتقلب الصفحات وإن استغرقت أيام الحياة لاتسد الحاجة ، ولا تروى الغلة ، لما هنالك من مجاهل لانهتدى الأفكار إلى مبيها . والحل الوحيد لهذه المشكلة إنما هو درس الآثار والتفهم لأسرارها ، وأظن الوقت قد حان للفرز بهذا الفخر العظيم ، فن الخالق بتاج ذلك المجد الباهر ياترى ؟ الأمل وطيد في همم رجال الجد ذوى الغايات البعيدة والمراتب السكيرة والنفوس العالية والضماير الحية وما ذلك عليهم بعزير . وبعد أن ذكر أهمية دراسة الماضي لفهم الحاضر عاد ليقول : « وهنا يقول القلم وهو يكاد يتمثر خجلاً ، ليس أمامك أيها الباحث غير ما كتبه المستشرقون عن هذه البلاد ، وذلك المجد الضارب أظنا به بالنجوم ، وبقية مادونه أوائك الآباء الأجداد ، ولا أقول أنه من العار نقل ما كتبه المستشرقون (فالحكمة ضالة المؤمن) ولكن من العار الجود عليه والوقوف عندما رسموه ، وأن نبقي عالة عليهم حتى في معرفة بلادنا ، ومهد آبائنا ، ومدافن أجدادنا » (١) .

حقاً لقد آن الأوان أن تستجيب حكومة الجمهورية العربية اليمنية لنداء أحد أبناء الوطن الذي أطلق مبكراً منذ حوالى أربعين عاماً .

العلم والمفهوم الجديد :

وان نقف طويلا عند مقالات أحمد المطاع عن التاريخ اليمني ، إذ أن جهوده بالمجلة لا تقف عند هذا الحد ، بل نشط هو والوريث والعرب في مجالات عدة في الحكمة كما سنرى ، ولكن مقالاته في التاريخ هذه تؤكد أن الحكمة قد حملت لواء التجديد ، ، وأنه قد نجح في أن يبسط أمام معاصريه المنهج العلمي الحديث لكتابة التاريخ — على قدر استطاعته — كما قال ، غير أن ما يهمنا هنا هو تتبع الجديد ، ودلائل المعاصرة ، التي ظهرت على صفحات المجلة ، مما كان يختلف عن «التقليدي» السائد سواء كان في جريدة «الإيمان» أو في الكتب والكتيبات المدرسية التي كانت وزارة المعارف تقوم بطبعها حينذاك .

ويظهر هذا وذاك — أي الجديد والمعاصرة — إذا تتبعنا أمرين هامين : الأمر الأول هو ما طرح من موضوعات جديدة لم يكن من المعتاد طرحها حينذاك في مجالات النشر المختلفة في اليمن ، والأمر الثاني هو ما برز على صفحات المجلة من اتجاهات وتيارات حديثة .

فن ناحية الأمر الأول فقد ظهر بشكل واضح في مجالات عديدة في أنحاء المجلة ، وظهر هذا بصورة كبيرة بأقسام أعضاء البعثات اليمنية إلى العراق ، أو من درسوا في الخارج ، أو حتى ممن تأثروا بما كان يصل إلى اليمن من كتب ومجلات عربية . وأول ما يلفت النظر في هذا الأمر هو طرح معنى «العلم» بالتفسير الحديث ، وأنه — أي العلم — لا يقتصر على العلوم الدينية والفقهية . وقد ظهر هذا في كتابات شقي سواء عند التحدث عن التعليم وفتح المدارس وواجبات المعلم ، أو في مقالات خاصة بالعلم والحث عليه . فقد

نشر القاضى^(١) عبد الولي بن علي السماوى مقالة بعنوان : « العلم ، تحدث فيها عن أهمية العلم والتعليم بوجه عام دون أن يحدد نوعه ، مع الإشادة باهتمام الحكومة بفتح المدارس^(٢) . غير أن محمد بن حسن العماد الذارى كان أكثر جرأة ووضوحاً في تفسير العلم بالمعنى الحديث ، واختار عنواناً كأنه يرد به على المقال الأول وهو : « العلم النافع » ، فقد بنى مقالاته على الحث على الأخذ بالعلوم العلمية الحديثة ، وأسهب في الحديث عن نهضة اليابان الحديثة ، وأنها أصبحت دولة كبرى بعد أن كانت مطعماً للاستعمار الغربى منذ فترة وجيزة ، وذلك بفضل اهتمامها بالتقدم العلمى . ويشد العماد انتباه القارىء منذ البداية ، فقد أوضح الفرق بين ما هو سائد وبين ما يجب الإقبال عليه ، فقال : « وإنه ليروقنا أن نرى المعارف قد أخذت تتألق بدورها في سماء بلادنا فرأينا فيها المنشئين البلاء ، ومصانيع الخطباء ، والعلماء والمحققين ، والشعراء المخلفين ، وأرباب الصحافة النابغين ، والمؤلفين المدققين ، غير أننا مع ما عرفنا به من الذكاء الفطرى لم نقو حتى اليوم على مجازاة الأمم الراقية التى حلقت في سماء الاختراعات ، فأحدثت فيها كل غريبة مدهشة ، بل كل معجزة تقف الأذهان عندها حيارى .. »^(٣) ، ثم أخذ يعدد هذه الاختراعات وأهميتها ، وينادى قادة الشعب بالأخذ بالعلم الحديث ونشره ، وبالاعتماد على النفس في ترقية الوطن ، ثم بدأ في التحدث على نهضة اليابان العلمية بعد أن ذكر قول القائل :

ولمّا رجل الدنيا وواحدّها من لا يعول في الدنيا على رجل

(١) لفظ القاضى في اليمن ذات مفهوم خاص ، وهو لقب أكثر منه وظيفة كما هو شائع في مصر وهو بمعنى الفقيه أو العالم أو الأستاذ .

(٢) عبد الولي بن علي السماوى : العلم ، الحكمة ، العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٨ هـ (فبراير / مارس ١٩٣٩ م) ، ص ٨٦ - ٨٨ .

(٣) محمد بن حسن العماد الذارى : العلم النافع ، الحكمة العدد ٩ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، رجب ١٣٥٨ هـ (أغسطس / سبتمبر ١٩٣٩ م) ، ص ٢٧٢ .

وأكمل أحمد البراق هذا المعنى الحديث « للعلم ، في مقالة تالية ، فأطرد
في أهميته نهضة الأمم والشعوب ، وجعله مقياساً لحيويتها وتقدمها حتى قال :
« بالعلم تحافظ الأمم على كياناتها واستقلالها وعظمتها وسوددها ، بالعلم توصل
الإنسان إلى التغلب على الطبيعة ، فاخترع اللاسلكي وأوصل الشرق بالغرب
والشمال بالجنوب ، واخترع ما نراه من العجائب والغرائب الخارقة للعادة
والتي هي فوق ما تتصوره عقول البسطاء »^(١) . واستطرد البراق بعد ذلك
- لإثارة الهمم - في الإشادة بالتقدم العلمي عند العرب في الأزمنة السابقة ،
وأنهم كانوا قادة العالم في هذا المجال ، واستشهد على ذلك بأقوال كثيرة من
العلماء وعلى رأسهم الكتاب الإنجليزي المعروف « ولز » .

وواصلت المجلة رسالتها في هذا المجال ، فنشرت قصيدة للقاضي محمد بن
أحمد السياضي يحث فيها أبناء الوطن على الإقبال على المدارس مهما كانت
مناهجها للثروة من العلم ، وقد جاء فيها :

| | |
|-------------------------------|--|
| من المدارس نور العلم ينفجر | وبالمعارف يغنى البدو والخصر |
| الله أكبر كم بالعلم قد نهضت | من نوهها أمم قد خانها الخور |
| فأصبحت في مصاف الطير رابكة | متن الهواء وبموج اليم تستقر |
| هي المدارس تهدي الناشئين بها | لثروة العقل ثم النور ينشر |
| وثروة المال في الأوطان يبعثها | حفظ العلوم كما بالجهل تذر |
| بنى البيان هلبوا من مرافدكم | إلى المدارس قد جاء تكم النذر |
| بنى البيان هلبوا لا يغركم | عجز ولا كسل حتى م تنتظر |
| إلى المدارس مهما كان منهاجها | فأول الغيث قطر ثم ينهمر ^(٢) |

(١) أحمد البراق: العلم ، الحكمة ، العدد ١١ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، رمضان
١٣٥٨ (أكتوبر / نوفمبر ١٩٣٩م) ص ٣٣٧ .

(٢) محمد بن أحمد السياضي : قصيدة ، الحكمة ، نفس العدد ، ص ٣٥٢ .

وكما عرفت «المجلة» ، بالعلم الحديث ، وأحدثت على الإقبال على المدارس ، فقد نشرت أيضاً مقالة بقلم أحمد البراق بعنوان «المعلم» ، يشرح فيها واجباته ، وأنه أساس كيان الأمم وباني مجدها ، ويختتمها بمناشدته بالإخلاص في عمله : « وإلا فاعلم أنك الجاني على الأمة إذا انتشر في أبنائها أى خلق ذميم ، وأنت المسئول أمام الله إذا ظهر الفساد في البلاد ، وأنت المخاطب من كل إنسان إذا أهملت العناية التامة والرعاية الفائقة في وظيفتك التي هي أس السعادة والعمران » (١) .

المجلة والموضوع المحمي :

ولا شك أن اهتمام المجلة بالعلم والتعليم كان يدل على اهتمامها بنشر ما يصلها من موضوعات علمية حديثة لتنهض برسالتها ، ولتقوم بدورها باعتبارها « جريدة ومجلة وكتاب في وقت واحد » كما سبق أن أشرنا ، فقد تناولت الموضوعات الزراعية إلى جانب التربوية ، وطوقت الجوانب الاقتصادية إلى جانب الصحية والرياضية وهكذا .

وإذا أخذنا الحديث عن « الزراعة » في المجلة نموذجا لما تناولته من موضوعات حديثة نجد أن محمد بن حسن العماد الذاري هو أول من طرقت هذا الموضوع بأسلوبه الجاد الجريء ، ثم تبعه الأستاذ زيد عنان بمحلقاته المتتالية — بعد عودته من بعثته إلى العراق — فتحدث عنها وعن مشاكلها وآفاقها وطرق تطويرها حديثاً مفصلاً عميقاً . وكانت مقالة العماد بعنوان « الزراعة حياة الوطن » ، وهي تدور حول أهمية الزراعة وضرورة الاهتمام بها من جانب الشعب والحكومة معا ، وهاجم فيها كل من يحقر من شأن

(١) أحمد البراق : المعلم ، الحكمة ، العدد ٨ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، جمادى الآخرة ١٣٥٩ (يولييه / أغسطس ١٩٤٠ م) ص ٢٤٩ .

هذه المهنة الشريفة أو يزدري الفاس والمخراث ، وهذا جميعه لا يبرز الأهمية الاقتصادية للزراعة ، بالنسبة للأمم المختلفة . وقد استهل مقالته برفع شأن الزراعة فقال : « ما من نكير أن الزراعة هي من أرفع المهن وأجدرها إذ عليها يتوقف نجاح الأمم وبدونها لا يكون لأمة حياة ، فهما اتسع نطاق التجارة ومهما بلغت الصناعة من التقدم والإحكام ، فإذا لم يكن للزراعة شأن ولا نصيب من العناية بأمورها أفضت الحال إلى التأخر عاجلاً أو آجلاً .. » . وبعد استطراد حول هذا المعنى ناشد الزراع بعدم هجرة أراضيهم ، وهي مشكلة مازالت اليمين تعاني منها إلى الآن ، فقال : « وبأيها الشباب الأحباء إن الصحف تنددنا وتعيرونا بخروجكم من أراضيكم التي لاتزال حتى اليوم بيوتها خربة وحقوقها جرداء .. فاقبلوا عن مهاجرة أراضيكم وأحرثوا بقاعكم فكفيكم مؤنة الهجرة المرة ، فأين الصبر الذي عرف به الشعب اليميني وأين الهمة التي رافقت آباءنا وأجدادنا حتى نقروا الصخور وحفروا الجبال وجعلوا من تلك الأراضي الصلدة حقولاً خصيبة .. » ، ثم وجه حديثه بعد ذلك إلى الحكومة والأغنياء لمساعدة الزراع بمدهم بالأموال لتزداد ثروة البلاد الزراعية^(١) . والجدير بالذكر أنه من المعروف أن « العماد » لم يغادر اليمن قط إلى الخارج ، وأنه لم يتلق إلا العلوم التقليدية الأولية في الكتائب والمساجد ، وأنه كان يشغل وظيفة بسيطة إذ كان وكيلاً أو مشرفاً على أملاك الإمام يحيى في المناطق الجنوبية^(٢) . وقد علقته « الحكمة » على هذا المقال بضرورة الاهتمام بالزراعة لأهميتها في بناء لإقتصاد الأمم ، ثم اقترحت

(١) محمد حسن العماد الذاري : الزراعة حياة الوطن ، الحكمة ، العدد ٦ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ربيع الثاني ١٣٥٨ هـ (مايو / يونيو ١٩٣٩ م) ، ص ١٨٠ - ١٨٢ .

(٢) من إجابات القاضي محمد بن محمد الخالدي .

وسيلة للنهوض بالزراعة ما زالت تراود كثيراً من مفكرى اليمن واقتصاديينها إلى الآن وهى : د هذا وإن بما يأخذ بيد الزراعة إلى الرقى والتقدم تأسيس شركات زراعية غايتها مساعدة الفلاحين على احياء الأرض باعانتهم بالآلات والأدوات والإرشادات اللازمة بمقابل قسط من حاصلات الأرض...^(١) . وتلقب زيد عنان موضوع الزراعة ليعمقه ويفصله كما أشرنا فى حلقات متعددة تحت عنوان : الزراعة ثروة اقتصادية مهمة فى بناء حياة الشعوب . وكان الغرض من هذه الحلقات واضحاً أمام د عنان ، منذ البداية فى الحلقة الأولى منها .. وبالرغم مما ذكر كله أصبح من المحتم علينا الأخذ بفن الزراعة الحديث لنجنى الثمرة المطلوبة . وبهذه المناسبة وقياماً بالواجب سنواصل السعى فى إرشاد الزارع اليمنى وتقديم أسهل الطرق وأحدثها...^(٢) وبدأ بعد ذلك فى عرض تفاصيله الفنية المفيدة بالتحدث عن د مرض العنب ، لأهمية هذه الزراعة فى اليمن . وقد أكمل هذه الحلقات العلمية المستفيضة بحلقات أخرى لاتقل عنها أهمية خصصها عن الثروة الحيوانية ، وهى بعنوان د أمراض الحيوانات وعلاقتها بالإنسان من الناحية الاقتصادية والصحية . وهنا أيضاً كان الهدف من هذه المقالات واضحاً أمام د عنان ، الا وهو نشر ثقافة عامة علمية فى هذا الصدد ، لذلك قال : د وسنقصر كلامنا هنا على الجهود التى صرفت فى هذا العصر لتحسين منتوجات هذه الحيوانات وتربيتها تربية حديثة درت على أهلها أموالاً كثيرة جعلتهم يتسابقون سباق الجياد إلى أن فتحت المعامل الكثيرة لصناعة الألبان ، وحفظ اللحوم ، ونسج الصوف ، وغير ذلك ...^(٣) .

(١) محمد حسن العماد الذارى : الحكمة ، العدد ٦٠ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ربيع الثانى ١٩٥٨ هـ (مايو / يونيه ١٩٣٩ م) من ١٨٣ — ١٨٤ .
(٢) زيد بن على عنان : الزراعة ثروة اقتصادية ، الحكمة ، العدد ٣٠ ، السنة الأولى المجلد الأول ، شبان ١٣٥٨ هـ (سبتمبر / أكتوبر ١٩٣٩ م) من ٣٤٣ .
(٣) زيد بن على عنان : أمراض الحيوانات ، الحكمة ، العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، رجب ١٣٥٩ هـ (أغسطس / سبتمبر ١٩٤٠ م) من ٢٨٢ .

ولم تقتصر جهود الحكمة ، في المجال الاقتصادي على الجانب الزراعي فقط بل تعدته إلى الجوانب الأخرى مما يصعب حصره أو متابعته ، ورغم ذلك يجدر الوقوف عند تجربتين هامتين عن « الاقتصاد » ، باعتباره تعبيراً ومفهوماً حديثاً ، بدأت « المجلة » تعمل على نشره وتعميق معناه بين المعاصرين حينذاك . فقد اهتمت « الحكمة » بنشر قرار الإمام بإنشاء وزارة الاقتصاد نقلاً عن جريدة الإيمان ، حتى تفتح الفرصة للبحث على الاهتمام بالجانب الاقتصادي في البلاد ، ولعرض إحدى القضايا الاقتصادية الهامة . وقد نمت المقدمة التي سبقت نص القرار على فهم عميق لدور الاقتصاد في كيان الأمم ، إذ جاء في مستهلها : « التفات الحكومات إلى اقتصاديات بلادها هو الذي أحلته في الرتبة الأولى من عنايتها واهتمامها ، ولا غرابة في ذلك فلم تزل اقتصاديات الشعوب على مرور الزمن منذ أن عرف مسمى الحضارة والتقدم دعامة الرخاء والقوة في الشعوب وبالتالي في حكوماتها ، وإذا كان الاستقلال السيامي هو الذي تتوجه نحوه القلوب بكليتها ، ولا ترى للحياة طيباً بدونه ، فالاستقلال الاقتصادي هو الركن والأساس لبناء الاستقلال السيامي وهو سابق عليه طبعاً في الوجود ولا يتحقق معناه الكامل بدونه »^(١) . وهذه العبارة توضح أن « هؤلاء » قد فهموا العلاقة الجدلية بين الاقتصاد والسياسة ، وأن الأولى أسبق من الثانية ، وأن هذا الفهم دون شك يعتبر جديداً بالنسبة لتلك الفترة وفي نفس الوقت — أي بعد نشر نص قرار الإمام بتشكيل وزارة الاقتصاد مباشرة — أثار الحكمة قضية اقتصادية وطنية هامة هي خلط البن اليمني بغيره على يد بعض التجار الأجانب مما يقلل من قيمته وسعره ، وناشدت المسؤولين المحافظة على هذه الثروة فقيل : « والذي نرجوه من سمو الوزير الجليل (سيف الإسلام علي)

(١) بدون توقيع : تشكيل وزارة الاقتصاد ، العدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ،

صفر ١٣٥٨ هـ (مارس / أبريل ١٩٣٩ م) ص ١٠٦ .

بذل العناية في هذا السبيل بإيجاد طريقة لتصدير البن اليمنى تكفل بصونه عن الخلط وعن تمسك المتأجرين به في الخارج من عرضه في الأسواق العالمية مخلوطاً بغيره ، مع الغش على المشتري بأنه من البن اليمنى المحض الخالص ، للمحافظة على أبقاء ماله من المميزات التي بها فاق على غيره من أنواع البن الأخرى^(١) .

أما التجربة الثانية في مجال الحديث عن « الاقتصاد » فهي حقائق القاضي عبد الواسع بن يحيى الواسعي - المؤرخ اليمني المعروف - التي بلغت التسع دون أن تكتمل لتوقف المجلة عن الظهور ، فقد بدأها بعنوان « موسع هو : » حسن الإدارة والتدبير والاقتصاد ، ولكنه اختصره فيما بعد فأصبح « في الاقتصاد » . وهذه الحلقات تدل على « الاجتهاد » أكثر مما تدل على « التخصص » ، فصاحبها من أصحاب التعاليم التقليدية الذي لم يغادر البن قط ، ورغم ذلك فهي تشير إلى الإطار العلمي الحديث الذي فرضته « الحكمة » على كتابها وقرائها على السواء . فقد خلط « الواسعي » بين الاقتصاد وبين الأخلاق والدين والاقتصاد بالمعنى الدارج وهو عدم التبذير ، وهاجم إقبال اليمنيين على « القات والتتن » (أي الدخان) وأنها مضیعة للمال والوقت والصحة ، ورغم هذا كله فقد جاء في ثنايا الحلقات ما يشير إلى « الاجتهاد » والاطلاع الخاص كما ذكرنا دون « التخصص » ، فقد ورد : « ولما ذكرنا الاقتصاد والحث على العمل به نذكر دحده ، (أي معناه) فنقول : هو علم يبحث فيه عن الثروة للأموال ونموها طلباً للسعادة والرفاهية ، و « فائدته » ، غناء الفقراء والمساكين ... وموضوع الاقتصاد رأس المال سواء كان نقداً أو غيره ، « رأس المال » هو جزء من الثروة وهو المنتج

(١) بدون توقيع : تشكيل وزارة الاقتصاد ، الحكمة ، العدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، صفر ١٣٥٨ هـ (مارس / أبريل ١٩٣٩ م) ، ص ١٠٨ .

للإيراد أو أسبابه : زراعة أو صناعة أو تجارة ، وستمر بك عن هذه الثلاثة أبحاث قيمة ، ورأس المال هو نتيجة العمل . . .^(١) وأهمية هذه العبارات هنا أنها - رغم اهتزازها وخلوها من المصطلحات والتعبيرات العلمية الحديثة - سطرت بقلم أحد أصحاب الثقافة التقليدية في اليمن .

ويكمل هذه الحلقة « الاقتصادية » ، مذكراً على محمد الزرقعة في مقالاته - التي لم تكتمل لتوقف المجلة عن الصدور - والتي كانت بعنوان « التعاون » . ولم تكن هذه الحلقات - الثلاث - إلا تعبيراً عن الأساس الديني الذي يدور حول « التعاون » ، ويرجع هذا بطبيعة الحال إلى ثقافة الكتاب التقليدية - وكان يشغل أيضاً رئيساً لأحد أقسام المطبعة الإمامية حينذاك - وإلى الثقافة الدينية الإسلامية السائدة في تلك الفترة ، لذلك كان من الصعب أن ننظر منه أن يتعرض « للتعاون » ، بالمعنى العلمي الحديث الذي أصبح شائعاً متداولاً في وقتنا الحالي ، ولكن يكفي أنه قدّم هذا التعبير إلى القارئ اليمني في هذا الوقت المبكر لأول مرة .

وإذا انتقلنا من مجال « الاقتصاد » إلى مجالات أخرى مما نشر في « الحكمة » ، دل على ما أتته من « جديد » ، نجد أن أحمد حسن الحورش يشد التفاتنا إليه ، بمقالاته التي نشرها بعنوان : « علم التربية والتعليم » ، والتي بلغت حلقاتها ثمان ، وقد بدأت هذه الحلقات - وظلت - متخصصة عميقة ، ولكنها بدأت بطرف خفي في حلقاتها الأخيرة تلمس الأوضاع السائدة من تعليمية وتربوية وإدارية بصفة خاصة ، وإن كانت - أي الحلقات - لم تكتمل لتوقف المجلة عن الصدور ، أو لأسباب أخرى كما سنرى ، فمن المعروف أن الحورش بمن

(١) عبد الواسع بن يحيى الواسعي : في الاقتصاد ، الحكمة ، العدد ٢ السنة الثامنة ، الجلد الثاني ، ذي الحجة ١٣٥٨ هـ (يناير / فبراير ١٩٤٠ م)

لقوا حتفهم بعد فشل ثورة عام ١٩٤٨م لنشاطه الوطني الكبير ، وذلك بعد رحلة كفاح طويلة بدأها بعد أن تخرج من مدرسة الأيتام بصنعاء ، كما كان أحد أعضاء البعثة اليمنية الثانية إلى العراق ، حيث حصل على شهادة « دار المعلمين » ببغداد عام ١٩٣٨م .^(١) وكان من هناك قد بدأ بإرسال مقالاته هذه ، ثم واصلها بعد عودته إلى اليمن ، ولذلك كان يضع في البداية إلى جانب توقيعها عبارة : « من طلبة البعثة اليمنية بالعراق » . وإن ننساق طويلا وراء « الحورش » في أبحاثه عن التربية والعناية بالطفل — كما بدأ مقالاته — لاذ كان أسلوبه مشرقا وعرضه غمما يتسم بالعمق والحدادة في نفس الوقت ، ولـكننا نريد أن ننتقل معه — بقفزات سريعة — لننتحس هرفه الأخير من هذه الحلقات التي لم تكتمل ، بالإضافة إلى أنه إبراز لموضوع جديد كما سبق أن ذكرنا .

وقد أطنب الحورش في تشريح نفسية الطفل ، وفي تناول ما يجب اتباعه لتربيته حتى أنهى إلى قوله : « فالتربية الصحيحة إذا هي ما كانت غايتها ترقية كل القوى العقلية والطبيعية والأدبية معاً ، والغرض الذي يرمى إليه المربي هو إتمام بدن الولد ، وتنشيط شعوره ، وتنبيه وجدانه ، وتهذيب إرادته ، وتقوية عقله ، وتربية ذوقه ، لكي يصير بعد سنوات قليلة سيد نفسه ، والمدير الحكيم لشيئون حياته كلها » .^(٢) وأخذ يعدد في حلقاته المختلفة العوامل التي تؤثر في نفسية الطفل مثل الأم والمدرسة والظروف الطبيعية والظروف الاجتماعية ، وهكذا حتى وصل الحديث عن « المسجد » و « الحكومة » باعتبارهما عاملين هامين في حياة الإنسان فقال : « ومن المؤسسات الاجتماعية التي تؤثر في حياة المجتمع المعاهد الدينية والحكومية ، فالمسجد الذي يجتمع

(١) من إجابات الأستاذ أحمد المروني .

(٢) أحمد الحورش : علم التربية والتعليم : الحكمة ، العدد ٥ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، ربيع الثاني ١٣٥٩ هـ (مايو / يونيو ١٩٤٠ م) ص ١٦٠ .

فيه الصغير والكبير ورجال العلم يؤثر في تكوين أخلاق الإنسان إذ يسيطر عليه حب الخير والفضيلة ، وهذا ناشئ من الخشوع والرهبة للذين يكتسبهما المرء من عبادة الله تعالى . أ.أ. الفكرة الجوهرية التي تركز عليها الحكومة فهي العدل ويراد بها مساوات المواطنين على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم أمام العدالة ، تلك القوة الحاكمة المتصفة بعدم المحاباة التي تنصف المظلوم وتعاقب الظالم ، فهي ذلك القاضي النزيه الذي ينظر بدين الحق في شئون الناس فيكافئ من يحترم الشرائع العامة وينزل العقاب بمن يحترىء على العبث بالأنظمة وحقوق الأفراد والجماعات ، (١) ، ثم يقارن بين هذه الجماعات التي تعيش تحت أنظمة حكومية ، وبين تلك الجماعات التي تعيش تحت أنظمة قبلية ، تتخلفه ، وبهذا انتقل الحورش - في سلاسة ويسر - من تشريح نفسية الطفل إلى تشريح المجتمع جاثا على الاهتمام بالمؤسسات الاجتماعية المختلفة حتى يتم بناء المجتمع على أساس سليم .

وقد طرقت الحكمة ، غير ذلك الكثير من الموضوعات الصحية والرياضية والتعليمية وغيرها مما يؤكد أنها حاولت أن تكون مدرسة ، للجديد ، والمعاصرة ، في تلك الفترة ، ولا تقف جامدة حائرة أمام الحياة الفكرية والثقافة الشائنة السائدة حينذاك ، ولكن يكفي ما عرضناه من الموضوعات الأخرى للدلالة على مذهبنا إليه .

الجانب الوطني :

أما الأمر الثاني الذي نريد أن نلمسه بين صفحات المجلة كما سبق أن ذكرنا ، فهو تتبع الاتجاهات والتيارات التي برزت فيها ، أو بالأحرى تحديد الدوائر المختلفة التي أهتمت بها ، وهي الدوائر : الوطنية ، والعربية ، والاسلامية ، والدولية ، لنوضح أطرها الرئيسية ، ولنعرف موقف المجلة منها .

(١) أحمد الحورش : علم التربية والتعليم ، الحكمة ، العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رجب ١٣٥٦ هـ (أغسطس / سبتمبر ١٩٤٠ م) ص ٢٨٨ .

ففى المجال الوطنى ، أى الاهتمام بالوطن والوطنية ، فإننا لا نغالى إذا قلنا أن هذا المجال كان غالباً مسيطرأ على مواد المجلة بشكل عام ، إلى الحد الذى يمكن معه أن نقول أن المجلة - بكليتها - كانت لسان حال الشعور الوطنى النامى فى اليمن حينذاك ، والمعبرة عن الروح الوطنية - المحلية - التى بدأت تبتثق على يد جماعات المتعلمين والمثقفين - أى الانتلجنسيا - والتى بدأت تتضح على يد أبناء الطبقة المتوسطة ، إذا جاز استعمال هذا التعبير هنا كما سيوضح فيما بعد . وقد ظهر هذا جيداً فى مجال الأدب والتاريخ كما أثرنا ، كذلك ظهر فى الموضوعات المختلفة المتعددة التى كانت المجلة تحرص على الإشارة فى ثناياها إلى الوطن وضرورة البذل والتضحية من أجله ، والإشادة بترائه وأعماله وأعمال رجاله العظام .

غير أننا هنا ، سنعمل على تتبع ذلك الشعور الوطنى ، الذى عبر عنه بشكل مباشر ، أو ذلك الذى ظهر فى مجالات شتى كما سنرى . وقد بدأت الحكمة ، تتحدث عن الوطن والوطنية صراحة منذ عدها الأول ، فقد نشرت مقالا بعنوان : « الوطن وواجبات المرء نحوه » ، وهو بدون توقيع ، أى أنه من قبل هيئة التحرير ، وإن كنا نرجح أنه بقلم أحمد عبد الوهاب الوريث لأنه يتسم بأسلوبه وروحه . وتضمن المقال التعريف بالوطن وحقوقه على أبنائه وواجبات المواطنين نحوه ، وجاءت عباراته تحمل الروح المثالية الخطائية ، التى تذكرنا بأقوال الزعيم المصرى الشاب مصطفى كامل الذى ألهب الروح الوطنية فى مصر فى مستهل هذا القرن . وبما جاء فيها : « الوطن وبها من كلمة تبعث فى الروح الحياة ، وتوحى بحزنها إلى النفس السرور ، وتلمب بشجى ألحانها أوتار القلوب ، ويستهنون المرء فى سبيلها الغالى والرخيص ، والغث والثمين ، ويستهوى الموت حرمة لها ، ودفاعاً عنها ، وإعلاء لشأنها ، ورفعاً لكلمتها ، وصوناً لها . الوطن كلمة ضمت جميع معانى الحياة ، وحوث عموم أنواع الميسرات ، وحلق فوقها طائر البشر ، ورفرفت

عليها رايات السعادة والها (والنهي) ، الوطن منشأ العزة ، ومبث الرفعة ، ومصدر الشرف ، ومحط الأمل ، وموطن الرغد والرفاهية ، ومكان الفخر والمباهاة...^(١) . وهكذا تسير المقالة ، ثم تنتقل إلى فضل الوطن على أبنائه وواجباتهم نحوه ، وفي نفس الوقت كانت المجلة - من حين إلى آخر - تضع بعض المأثورات - في نهايات المقالات أو الصفحات - الخاصة بالوطن والوطنية ، وذلك على اختلاف أعداد المجلة . ففي أحد الأعداد ذكرت في نهاية الصفحة عبارة لعلوبة باشا أحد الساسة المصريين في النصف الأول من القرن العشرين هي : الوطنية : إحساس في النفس يدفع الإنسان إلى التضحية براحته وبماله لمصلحة المجموع وكل إنسان فقد إحساس التضحية بشخصه لمصلحة المجموع هو إنسان فاقد الوطنية ،^(٢) : كذلك تحت عنوان حب الوطن ، ذكرت في نهاية إحدى الصفحات بيتاً من الشعر لأحمد شوقي وآخر لابن الرومي ، والأول هو :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

أما الثاني فهو :

ولي وطن آليت ألا أبيعـه وألا أرى غيري له الدهر مـالكاً^(٣)

أما الموضوعات الأخرى التي كانت المجلة تستغل الفرصة لتتحدث فيها عن الوطن والوطنية فهي كثيرة كما سبق أن أشرنا ، ولكن يجدر إعطاء بعض الأمثلة . فقد نقلت « الحكمة » عن جريدة « ألف باء » الدمشقية فقرة

(١) بدون توقيع : الوطن وواجبات المرء نحوه ، الحكمة ، العدد ١ ، السنة الأولى المجلد الأول ، ذي القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ٢٢ .

(٢) لعلوبة باشا : الحكمة ، العدد ١١ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رمضان ١٣٥٩ هـ (أكتوبر / نوفمبر ١٩٤٠ م) ص ٣٣٦ .

(٣) الحكمة : العدد ١١ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رمضان ١٣٥٩ هـ ص ٣٤٢ .

من مقال بعنوان «ابن العروبة البكر» تشيد فيها باستقلال اليمن وأنها موطن العرب الحقيقي، ثم علقت على هذه الفقرة بقولها: «فيجب على كل وطني مخلص السعي فيما يرفع كيان أمته ويزيدها مكانة ونفراً، وأن يبذل نفسه ونفيسه في سبيل الدفاع عن وحدتها واستقلالها، وفي خدمتها كل على مرتبته وحرافته ووظيفته بالتعاون والتناصح والاتحاد والسعي في كل صالح، والجد في التقدم والاستعداد بكل ممكن بصورة حثيثة لتتم النعمة وتنمو الثروات وتعيش الأمة سعيدة موفورة الكرامة مهابة الجانب، ويتم استقلالها الاقتصادي كاستقلالها السياسي...»^(١).

وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت المجلة ترحب بنشر بعض القصائد التي تدور حول الموضوع نفسه مثل القصيدة المعروفة لشاعر اليمن الشهير إبراهيم ابن أحمد الحضرمي، التي نشرتها ضمن أحد أبوابها الثابتة وهو مختارات الحكمة من الشعر القديم والحديث، وقد جاء فيها:

فاز من شب على ما ينفع الشعب وشابا
أيها القسائم بالأمور الذي يرضى الكتابا
دم لليل الجهل في الأمة بدار لن يغابا
لا تظن السعي والإخلاص لا يفتح بابا
سوف تجني من ثماره سجد - ما لذ وطاب
وتربي من عقول القوم ما أضحى يبابا
إنما الماجد من لم يأل للجد طلابا
ويرى ما خالف الحـ ق وإن جـل سـرابا

(١) الحكمة : العدد ٥ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ربيع الأول ١٣٥٨ هـ (أبـريل/

مايو ١٩٣٩ م) ص ١٥٧ .

فـو لا يخشى إذا ما قال بالحـق عقابا
لأنه لا يمتطى المجـد فتى ذل وها با
قل ولا تخشى فما فا زلمـه دارى وحابا^(١)

وكان البعض يلجأ إلى التاريخ لحث الطمم وإثارة الروح الوطنية بالتذكير بأجداد الماضى ، وذلك كما فعل الملازم أول - حينذاك - أحمد حسين المرونى - بعد عودته من بعثته بالعراق - فكتب مقالة بعنوان : « صفحة من تاريخنا المجيد ، أيها العربى المسلم : هل تعلم ... ؟ » ، استمرت أغلب فقراتها تبدأ بعبارة « هل تعلم ، لبشير إلى ماضى العرب المجيد ، وليدفعه إلى الجهد والاجتهاد لبناء وطنه ، وليحذره من أساليب الاستعمار فقال : « ... لما كان يحسّر الغربى أن يمد يده الملوثة الدنسة للبحث بكرامة فلسطين العربية الدامية ، أو يطمع فى طرابلس الشهيدة ، أو تسول له نفسه شراً بالجزيرة العربية ، أو يزين له شيطانه غزو البلاد الإسلامية ... » ، ثم أخذ يعدد نقاط الضعف فى الأمة العربية ، ويطالب الضمائر بالعمل على رفع شأن الوطن ، والاستهانة بالموت من أجله ، حتى ختمها بقوله : « أيها العربى المسلم أناديك بقلب عامر بالإيمان ونفس مملوءة بالأمل ، فاعمل لوطنك وقومك ما يرتاح له ضميرك ويرضى به قلبك ... »^(٢) ، ويبدو أنه كان يريد بعد ذلك أن يرسم خطوات النهوض بالوطن والمواطنين ، فكتب مقالا آخر بعنوان : « الجهد سلم الارتقاء ، توطنه » ، وأبرز فى هذا التهديد حالة مواضعيه وما استكانوا له من كسل وخمول واستسلامهم للجهل ، ثم ناشد أهل القلم بقوله : « فيجب على حملة الأقلام أن يكونوا فى المقدمة أقدام السير ، رافعين فى أيديهم مشاعل

(١) إبراهيم الحضران : قصيدة ، الحكمة ، العدد ١ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى
ذى القعدة ١٣٥٨ هـ (ديسمبر ١٩٣٩ م / يناير ١٩٤٠ م) ص ١٨ .

(٢) أحمد حسين المرونى : الحكمة ، العدد ٢ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، ذى الحجة
١٣٥٩ هـ (ديسمبر ١٩٣٩ م / يناير ١٩٤٠ م) ص ١٨ .

الهداية ومصايب الرشاد يرسلون بين الفينة والفينة كتابهم المؤثرة التي تشرق
الأذان، وتصل إلى أعماق القلوب وقرارة النفوس، فتوقظ الهمم والعزائم، وتنبه
الأرواح ... (١)، واسكن لم يسعدنا الحظ بمعرفة تفكير رجالات هذه
الفترة في كيفية بناء الوطن، وفي وضع خطوات المسيرة، إذ نشيرت هذه
«النوطة»، في آخر أعداد المجلة التي توقفت بعده مباشرة، رغم أنه جاء في
نهايتها لفظ «يتبع»، الذي كان يشير إلى استمرار الحلقات.

وإلى جانب هذا وذاك، فكما كانت «الحكمة»، تشيد بأجداد البن وحاضره،
فقد نشرت في نهاية إحدى الصفحات ثلاث أبيات للشاعر العراقي المعروف
عبد الهادي الجواهري يمدح فيها صنعا - بعد زيارتها - تحت توقيع
«السائح العراقي»، بجوار اسمه قال:

صنعا يا دار الحضارة والعلى ومقام كل خليفة ومليك
باريس دونك في الجمال ولندن وعواصم الرومان والأمريك
فجمال تلك مزخرف متكلف وجمالك المطبوع من باريك (٢)

وبالإضافة إلى تلك الكتابات السابقة التي تتحدث مباشرة عن الوطن
والوطنية وحقوق وواجبات المواطنين، فقد تشعبت الكتابات وتعددت
حول طرق الموضوعات التي تؤدي إلى الإصلاح، والنهوض بمرافق الحياة
في البلاد، أو بالأحرى حول البناء الوطني في كافة المجالات، مثل بناء جيش
وطني قوى، وإصلاح الإدارة، والاهتمام بالتعليم، وغير ذلك مما يعني
ترجمة الشعور الوطني إلى عمل للنهوض بالوطن وأبنائه.

(١) أحمد حسين المروني: الجدل سلم الارتقاء، نوطة، الحكمة، العدد ٤، السنة
الثالثة، المجلد الثالث، صفر ١٣٦٠هـ (فبراير / مارس ١٩٤١م) ص ١٢١.
(٢) عبد الهادي الجواهري: الحكمة، العدد ٢، السنة الثالثة، المجلد الثالث،
ذي الحجة ١٣٥٩هـ (ديسمبر ١٩٤٠ / يناير ١٩٤١م) ص ٦١.

وكان الجيش والاعتناء به من أبرز النواحي التي اهتم بها أبناء الحكمة ، فمن ناحية كان الجيش وتقويته موضع اهتمام الإمام يحيى ولو بطريقة التقليدية التدريجية ، منذ خرج الأتراك من اليمن ، ومحاولته بناء دولته . ومن ناحية أخرى كانت « الحكمة » تلتزم الفرصة من حين إلى آخر للتعبير عن رغبتها الأكيدة في بناء جيش قوى حديث يصد عن البلاد ماحق بها من هزائم على حدودها الشمالية والجنوبية في عام ١٩٣٤م ، وكأنها بذلك تحت الحكومة على بذل المزيد من أجل الاهتمام بالجيش .

وقد برز هذا الاهتمام سراً عند نشر الأخبار المتعلقة بالجيش ، أو في مقالات خاصة كما سنرى ، كذلك ظهر الاهتمام منذ ظهور المجلة ، أى في عددها الأول . فقد انتهر أحمد عبد الوهاب الوريث الفرصة عند مشاهدته إحدى مناورات الجيش الدفاعى الذى كان قد تكون قبل ذلك بقليل ، ليتحدث عن الجندى اليمنى وشجاعته وذكائه ووطنيته ، وليبث آماله في إيجاد جيش قوى موحد ، أى يعبر عن وحدة البلاد ، ولا يمثل انقسامها إلى جهات وقبائل . فبعد أن عبر عن إعجابه بالتدريبات العسكرية ، وعن استيعاب الجندى اليمنى لما هو حديث ، أبدى طيب خاطر له لما رآه - وكأنه يعبر بطرف خفى عن آماله - فقال : « ترى هذا الجندى المؤلف من مختلف القبائل ومتعدد المناطق قد صار كتلة واحدة ، يشعر بشعور واحد ، ويرمى إلى غرض واحد ، ويسير تحت لواء واحد ، وهو صورة مصغرة لكل الشعب اليمنى المتضامن » (١) . وفي نفس العدد نشرت الحكمة خبراً آخرًا عن مناورة بالمدافع الحديثة التي عملت اليمن ، وحسن استيعاب الجندى اليمنى لها ، ثم خبراً باقامة احتفال كبير لترقية بعض الضباط ، ويخفف الخبران الإشادة بخطوات الإمام يحيى وأبنائه سيوف الإسلام وفي نفس الوقت إبداء السرور بالاهتمام بتقديم الجيش .

(١) أحمد الوريث : ساعة في ميدان الجيش الدفاعى ، الحكمة ، العدد ١ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ١٤ .

أما النوع الثاني من مظاهر الاهتمام بالجيش ، فقد اتضح في المقالات الخاصة التي نشرها بعض الضباط الصغار وخاصة من أبناء البعثات اليمنية إلى العراق مثل مقالتي ملازم محمد صالح العلفي ، وملازم حمود الجائفي . فقد نشر الأول مقالا بعنوان : « الجيش سور الوطن » ، تكلم فيه عن أهمية الجيش بالنسبة للمحافظة على استقلال البلاد وشرافها ، ثم يناشد الشباب بالانخراط في هذه المهنة الشريفة ألا وهي الجندية : « فكيف تتأخر أيها الجندى الباني وأنت عسكري من الفطرة ، مخلص ومطيع وغيور ، لحافظ على فطرتك ، وتمم ما أنت به من نقص ، وتمرن على الأعمال العسكرية لتصبح مثلاً أعلى » . (١) أما مقالة حمود الجائفي فلم تقتصر على العبارات العامة أو مناشدة الضباط ، بل اتسمت بالعمق والدقة ، فقد تناولت جانباً معيناً من جوانب خلق الجيوش ، وهي الجانب المعنوي وضرورة الاهتمام به في قلوب الجنود والضباط على السواء ، وأخذ يوضح كيفية نشر هذه الروح بين أفراد الجيش حتى نشعر وكأننا أمام أسناذ متخصص يرسم الخطوات والمنهج . ومن ناحية أخرى ، فأهمية هذه المقالة تتضح فيما طرحه من شعار حديث للجيش وهو الاخلاص لله والإمام والوطن ، (٢) وليس للإمام وحده . وقد صرح بذلك في دبلوماسيته ومهارة نظراً للظروف السائدة حينذاك ، إذ كان النداء الذي كان يردده الجند في طوايرهم خاص بالإمام فقط ، وهو - كما قيل - « الله يحفظ الإمام » .

وواصلت « الحكمة » اهتمامها بالجيش وأخباره حتى أواخر أعدادها ، وخاصة بعد وصول البعثة العسكرية العراقية إلى اليمن وقيامها بتحديث

(١) محمد صالح العلفي : الحكمة ، العدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، صفر

١٣٥٨ هـ (مارس / أبريل ١٩٣٩ م) ص ١١٣ ، ع ٢٤ .

(٢) حمود الجائفي : القوة الأدبية (المعنوية) وتأثيرها في الجيش ، الحكمة ،

العدد ٢ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، ذي الحجة ١٣٥٨ هـ (يناير / فبراير ١٩٤٠ م)

الجيش النينى ، فقد نشرت خبراً عن مناورة — بالقرب من صنعاء — بالمدايع الحديثة ويبدو أنها كانت مدافع الهاون ، المعروفة كما يفهم من الخبر نفسه . ولكن ما يهمنا هو ما جاء بها من الإشادة بمهارة الجندى النينى والشكر المقدم للمدرب العراقى الذى أصبح له شأن كبير فى تاريخ النين فيما بعد وهو الرئيس جمال جميل الذى أصبح القائد العسكرى لثورة عام ١٩٤٨ ، والذى لقي حتفه — فى النين — بعد فشل هذه الثورة ، فقد قيل : « وأنه قد دل (أى هذا التدريب) فيما دل عليه على أن الجندى النينى وهو المشهود بذكائه وقابليته الحربية لا يقل مهارة عن أى جندى فى أرق جيوش العالم اليوم ، كما أنه مهمل للمدفعية النيمانية الرئيس (جمال جميل) عضو البعثة العسكرية يداً بيضاء محمود ، فرحى مرحى لمدفعيتنا المشيطة ، وشكراً لشكرها لمعلمها القدير المحترم ، (١) .

وعلى هذا المنوال ، ومن هذه الزاوية ، كانت « الحكمة » ، تنخير الأخبار التى تنشرها وتعلق عليها ، إذ كانت تختار من أخبار « الدولة » ما تعتبره من الأعمال النافعة للبلاد ، فتشره مع تعاقب يطول أو يقصر ، تبارك فيه خطوة الحكومة ، وتدعوها إلى المزيد من مثل هذه الأعمال ، وتطالب ببعض التطوير لعمل منها ، أو تقترح إضافة لما قامت به الحكومة ، وهكذا بما أسميناه من قبل — عند الإشارة إلى تنوع محتويات المجلة — باسم « الأخبار ذات التعليق » . وكان غرض « الحكمة » من وراء الاهتمام بنشر خطوات الحكومة المفيدة هو خدمة هدفها الأساسى الذى يدور حول بناء الوطن والهوض به فى شتى المجالات والنواحي ، وذلك بالإضافة إلى أنها مجلة حكومية ، أى أنها لا تستطيع أن تغفل الجانب « الإعلامى » من رسالتها .

(١) الحكمة : مدفعية الجيش ورميها الفنى ، العدد ٣ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، محرم ١٣٦٠ هـ (يناير / فبراير ١٩٤١ م) ص ٧٧ .

وكان هذا الغرض واضحاً أمام الحكمة ، منذ البداية ، وظهر هذا في أول أعدادها ، فتحت عنوان « قدوم » نشرت المجلة خبر عودة أمير الجيش الشريف عبد الله الضمين إلى العاصمة بعد عدة أشهر قضاه في تعبيد الطريق إلى « الجوف » مرور السيارات إليها : « وقد أكمل ذلك على أحسن حال ، فحى الله اللهم المبدولة في مثل هذه الأعمال الجليلة النافعة ... »^(١) . وفي نفس العدد طورت « الخبر » إلى ما يعرف عند أهل الصحافة باسم « الريورتاج » ، فقد نشرت مقالا مطولا يحلّى بالصورة عن تأسيس «مدرسة الصناعة» بصنعاء ، واستقدام أحد الخبراء المصريين للعمل بها ، وشراء الآلات اليدوية والميكانيكية لها . وقد استهلّت هذا الريورتاج بالحديث عن ازدهار الصناعة في اليمن قديماً ، ثم عن أهمية الصناعة في ازدهار الأمم ورفقها ، وذلك قبل الحديث عن المدرسة وتأسيسها وأقسامها ، وشكر الإمام ونجده السيف عبد الله لتأسيس هذه المدرسة . وكان حديث المجلة عن أهمية الصناعة هو بيت القصيد ، إذ تعمدت الإيحاء بأهميتها ودورها حتى تلفت الأنظار إليها فقالت : « وما لا يقبل الشك والارتياب أهمية الصناعة واحتياج المجتمع إلى ترقيتها ، وكونها من أمهات المسائل الاقتصادية ، وأكبر وسائل الثروة وأولاهها بالعناية ، وإنك لترى أعظم الأمم ثراءً وأوسعها في العالم نفوذاً هي أرقاها صناعة وأشدها اهتماماً بها . وقد قرر الباحثون تأثير الصناعة في الأخلاق وتربية الروح القومية وإصلاح الشئون الاجتماعية كتأثيرها في الماديات ، كما سنشرحه لقراء الحكمة اليمنية في عدد مستقل إن شاء الله »^(٢) . كذلك اهتمت بنشر خبر قدوم الأستاذ المصري لهذه المدرسة فور وصوله فقالت : « وفي يوم الثلاثاء الموافق ٢٤ في الشهر الجارى (صفر ١٣٥٩ هـ)

(١) الحكمة : العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ

ص ٢٦ — ٢٧ .

(٢) نفس العدد : ص ٢٠ — ٢١ .

وصل العاصمة حضرة الأستاذ المحترم عبد القادر علام المصري المنتدب للتعليم في المدرسة الصناعية العلمية والنظرية ، لكفاءته الثابتة ورسومه قدمه في الصناعات ، فترحب بقدمه وتنمى له الفوز^(١) ، وذلك ضمن أخبار أخرى عن « قدوم » بعض الشخصيات اليمنية والعربية الكبيرة إلى صنعاء . وإلى جانب هذا وذلك ، فكان بعض المحررين يدرس متعمداً بعض الأخبار الخاصة بخطوات « الدولة » وأعمالها خلال مقالات ، ليربط بين ما كان قائماً في اليمن في الماضي وبين ما تتخذه الحكومة حينذاك ، وليبحثها بطرف خفي — إلى اتخاذ المزيد من الخطوات ، رغم أنه كان يعبر عن هذا الحث في إطار المدح لهذه الخطوات والإشادة بها . وقد فعل هذا بحسب الدين العلمي في حلقاته التي بدأت فقط دون أن تستمر أو تكتمل — لظروف خاصة ولتوقف المجلة عن الصدور — فبعد أن تحدث عن ماضى اليمن واهتمامها بالزراعة ، وعن ازدهار الحضارة بها قديماً وتأثيرها على جيرانها وخاصة مصر وبلاد الرافدين ، مع الاستشهاد بأقوال بعض المراجع الأجنبية ، ندرج الهويثا إلى الإجراءات الحكوميةية حينذاك فقال : « وقد اهتمت حكومتنا الجليلة في الأيام الأخيرة بإدخال الأساليب الحديثة لتحسين الزراعة في اليمن فاستقدمت الخبراء الفنيين من مصر وسوريا والعراق لدرس زراعة اليمن وطرق إنعاشها ، وأدخلت أنواع البذور الجديدة ، وغرست آلاف الفصائل الزراعية التي استقدمتها من الخارج ، ودلت التجارب على نجاح أكثرها نجاحاً باهرأ . وأنشأت أخيراً مديرية (أى إدارة) للزراعة والحلقة بوزارة الاقتصاد التي أنشأت (انشئت) معها في العام الماضي . وتحمل الآن وزارة الاقتصاد على توسيع أعمال مديرية الزراعة هذه وتزويدها

(١) الحكمة : العدد ٤ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، صفر ١٣٥٩ هـ (مارس/

أبريل ١٩٤٠ م) ص ١٢٣ .

بالخبراء الفنيين من أبناء الأقطار العربية الشقيقة^(١) .

وهكذا تعددت صور الأخبار التي نشرتها المجلة ، والتي كانت تنفقيها لخدمة أغراضها الوطنية ، كما كانت ما تنفقيه لا يقف عند جانب معين ، بل اهتمت بنشر الأخبار عن كافة مرافق البلاد وشق مجالات الحياة ، طالما كانت هذه الأخبار تعنى التطور وتتناول نهضة الوطن ، مما يصعب حصره في هذا المجال . غير أن « المجلة » تجاوزت هذا النوع من النشر والكتابة الذي ترمى من ورائه الإشادة بأعمال الحكومة الإصلاحية وحثها على القيام بالمزيد منها ، أو لفت نظرها إلى العناية بجانب معين ، تجاوزت هذا إلى أن أفردت المقالات المطولة التي تدعو إلى الإصلاح وتطوير البلاد بوجه عام في مختلف الفواحي والمجالات .

وتعتبر حلقات أحمد عبد الوهاب الوريث الشهيرة بعنوان « الإصلاح » هي أبرز كتابات هذا النوع من المقالات التي دعت إلى الإصلاح والتطوير . وقد سبق أن ذكرنا أن هذه الحلقات قد بدأت مع العدد الأول من أعداد المجلة ، وأن الوريث قد نشر تسع منها في حياته ، ونشرت العاشرة بعد وفاته ، وأبى أحمد المطاع وأصل الكتابة تحت نفس العنوان حتى بلغ عددها ثمان عشرة ، ولكنها لم تكتمل لتوقف المجلة عن الصدور . ورغم أن الوريث قد أدار مقالاته حول محور معين هو : « ماضى المسلمين وحاضرهم ، كيف يستعيد المسلمون سيرتهم الأولى » - كما جاء في عناوينها بعد لفظ الإصلاح - ولأنه قد تحدث فيها عن العالم الإسلامى - « ماضيه وحاضره » - مستعيناً في ذلك بالتاريخ الإسلامى ... وعاملاً على تشریح

(١) محبى الدين المنسى : اليمن السعيدة بين الماضى والحاضر ، الحكمة ، العدد ١٠ ، السنة الثمانية ، المجلد الثانى ، شعبان ١٣٥٩ هـ ، (سبتمبر / أكتوبر ١٩٤٠ م) ص ٣١١ .

أوضاع المسلمين ليقف على د عوامل انحطاطهم بعد العلو ، ، رغم هذا كله يجدر الإشارة إليها هنا ، أى أثناء الحديث عن الاتجاه الوطنى بالمجلة ، لما جاء فيها من إشارات وتلميحات خفية غير مباشرة تمس الأوضاع السائدة فى اليمن حينذاك كما سبق أن ذكرنا . وقد استغرقت الحلقات الثلاث الأولى الحديث عن أثر الإسلام فى إنفاض العرب وتأديبهم امبراطورية مترامية الأطراف ، ثم انحدرهم إلى الضعف تدريجياً حتى وقعوا تحت براثن الاستعمار . وقد غلب السرد التاريخى على هذه الحلقات ، ولكنه انتهى هذا الجزء بحسباً أبناء وطنه على النهوض به وتطويره للوقوف فى وجه الأطماع الاستعمارية ، فقال : « تلك أحوال العالم الإسلامى سردها فى هذا المقام وإن كانت إلى التاريخ أميل وبه الصق ، ليعرف القراء الكرام وبالأخص لإخواننا البنايون ، ما انتهت إليه حال المسلمين من الذل والهوان والتشتت والتفرق ، وما أصيروا به من فظائع الاستعمار وأهواله ، وليرجع انقراضه الطرف إلى أحوال المسلمين فى صدر الإسلام ، وما كان لهم من عز باذخ وكلمة نافذة وسطوة مرهوبة ، ويقارن بينها وبين الأحوال الحاضرة ، وليحافظ الذين من الله عليهم ببقاء استقلالهم على بلادهم وأمتهم ، ويحذروا من نشوب محالب المستعمر الظالم فى البلاد بأساليبه المعروفة ، ويعملوا على جمع كلمة الأمة والتآلف بين طوائفها ، وقطع دابر الاختلاف ، وتنمية أروة البلاد بشتى مصادرها ، ومحاربة موجبات الفقر وأسباب التعماسة والشقاء ، ومطاردة الجحالة الضاربة أطنابها كى تسكون الأمة كلمة واحدة عارفة بواجبها مشعرة بمنافعها ومضارها ، قوية تقدر على القيام فى وجه المستعمر الجشع وتمكن من دحره وطرده إذا ساءت له نفسه الأماراة بالسوء مهاجمة وطنها المستقل ، وتمثيل الرواية الاستعمارية فيه كما مثلتها فى تلك الأقطار المستعمرة المظلومة ، وليقوهوا بواجبهم نحو إخوانهم الواتعين فى شرك الاستعمار

ونقطة ، ويمدوا إليهم يد المساعدة والتعاون،^(١) .

وانتقل الوريث بعد ذلك إلى الجزء الثاني من حلقاته ، وهو الذي يدور حول تشريح المجتمع الإسلامي للكشف عن أسباب انحطاطه حتى يستطيع في النهاية أن يرسم طريق الإصلاح والنهوض . وقد أوجع في البداية أسباب انحطاط شأن المسلمين في انصرافهم عن الدين الصحيح وروحه ، وتمسكهم بالمظاهر والقشور، مما يؤكد أن تفكيره كان امتداد للدعوة الإصلاحية السلفية التي برزت في بداية هذا القرن على يد جمال الدين الأفغاني ثم الشيخ محمد عبده وتلميذه الشيخ رشيد رضا . واستطرد الوريث عندئذ في الحديث عن دور العلماء على مر التاريخ وإنهم ورثة الأنبياء في المحافظة على الدين ، ثم صب عليهم جام غضبه لانصرافهم عن واجبهم طمعاً في المال والجاه ، فكانوا سبباً في ضعف المسلمين وانهيار بلادهم . وقد حدد أمراض للعلماء في نقط أربع ، وضع كل منها تحت عنوان خاص هي : « العلماء وتهافتهم على المال والجاه » ، و « العلماء والمداجاة » ، و « العلماء والجلود » ، و « العلماء وتفريق الكلمة » . ورغم أنه ليس هنا مجال الحديث عن هذه النقاط بالتفصيل ، فإننا نلمس فيها بوضوح ما يمس بعض العلماء في اليوم ، وكأنه يوجه إليهم الحديث مباشرة رغم أن حديثه كان عاماً يتناول أوضاع المسلمين كافة .

وتابع الوريث نقده للمجتمع الإسلامي عامة — بعد أن خصصه من قبل عن العلماء — فلتخص نقده في عدة نقاط استغرقت عدة حلقات أكد فيها اتجاهه وتفكيره ، وهي تحت العناوين الآتية :

١ — الإعراض عن الكتاب والسنة وإدخال ما ليس من الدين فيه .

(١) أحمد الوريث : الحكمة ، العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، عرم

١٣٥٧ هـ (فبراير / مارس ١٩٣٩ م) ص ٦٩ .

٢ - جهل روح الدين .

٣ - تصدع وحدة العقائد وظهور الاختلاف المذهبي .

٤ - إعمال مبدأ التضحية بالنفس والمال .

٥ - التخاذل وموت الشعور الأخرى .

٦ - ضعف الأخلاق وفسادها .

٧ - نزاع سلطة الإدارية والعسكرية من أيدي العرب وقبض العناصر الغربية على زمامها أيضاً .

ولقد عرض الوريث حقاً هذه الموضوعات في سهولة وعمق في آن واحد، وجمع فيها بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وبين الثقافة الدينية والدراسات التاريخية ، وبين الثقافة الحديثة والأفكار العصرية ، وربط بين العرض التقليدي والإقناع المنطقي ، وبين الأسلوب الخطابي أحياناً وبين السرد القصصي أحياناً أخرى ، وذلك كله دون أن يشعر القارئ بممل أو تفكك في الموضوع ، إلا إذا استثنينا ميله إلى بعض المحسنات اللفظية . وسنتعرض فيما بعد لما جاء في هذه النقاط من آراء وأفكار هامة ، إذ استطاع بنجاح أن ينقد كثيراً من الأوضاع القائمة حوله في خلال إطار تاريخي فضفاض يتناول عصور تأخر المسلمين في القرون الوسطى .

وكان الوريث قد استكمل عرض هذه النقاط في حلقاته التاسعة التي توفى بعدها بقليل ، وكأنها كانت نهاية لدوره النقدي للأوضاع السائدة ، فقد بدأ في الحلقة العاشرة الجزء الثالث - أو بالأحرى الموضوع الثالث - من مقالاته ، وهو حاضر العالم الإسلامي وبوادر النهضة في أنحائه . ولم يمهله القدر ليعرض آرائه النقدية ووجهات نظره في أوضاع الحاضر ، كما فعل بالنسبة لأوضاع الماضي ، ولكنه وضع في هذه المقالة - التي نشرت بعد

وفاته - والى نعتبرها تمهيداً لهذا الجزء - وضع منهجه وبعض أفكاره واتجاهاته كما يتضح من العنوان الخاص بها - الذى وضعه بعد العنوان التقليدى لمقالاته - وهو : نهضة الإسلام الحاضرة ، مناشئها وعواملها وأقوال علماء الغرب فيها ورأينا فى ذلك ، وقد لخص فى مستهل هذه الحلقة الصور القائمة المتخلفة التى كان عليها العالم الإسلامى فى عصور التأخر ، والتى سبق أن عرضها بالتفصيل فى الحلقات السابقة ، ثم انتقل إلى تلبس مظاهر النهضة فى هذا العالم ، فنرى وكأنه يبتك آماله عن الحاضر والمستقبل جنباً إلى جنب مع حديثه عن مظاهر النهضة التى بدأت تنبعث هنا وهناك فى أنحاء العالم الإسلامى ، فقال : نعم ، كان المجتمع الإسلامى آتئذ كما ذكرنا ولكنه أصبح اليوم بحال غيرها ، أصبح يحس بالآلام وآماله ، ويتلبس موضع الداء من جسمه ويرتاد الدواء الآمى فى منتجعاته . أصبح يعمل على تحرير العقل وتحطيم القيود التى أوثقته تلك العصور المتطاولة ، وينفض عنه غبار الجلود ، ويكسح منه أدران التخريف والجهل . أصبح يقدر العلم النافع قدره ، ويعتقد الفوز والنجاح معقودين على الأخذ بأوفر نصيب منه . أصبح يشعر بحقوقه المسلوبة ، ومقدماته المغصوبة ، وحرمانه المنتهكة ، وبلاذه المستعمرة ، ويؤنب نفسه على تقصيرها فى واجباتها ، وتهاونها بحقوقها ، وتأخرها عن الجرى فى مضمار الحياة ، وتقاوسها عن مزاحة الأمم الراقية فى ميادين العز والفلاح . أصبح ينظر إلى كل ناحية من نواحي حياته ويفكر فى إصلاحها والعمل لما يرفعها إلى المستوى اللائق بها ، فهو بهذا وما شاكله قد انتقل من طور إلى آخر انتقل من طور الجود والغفلة ، والكسل والبطالة ، والجهل والتخريف ، والاستسلام والتبذل ، والتقليد والتخوع ، والذلة والمهانة ، والاستعباد والتقديس - إلى طور - لا أقول أنه يغيره تماماً ولكنه يخالفه شيئاً ما ، ففيه شئ من التحرر العقلى والإصلاح الدينى ، والنهوض العلى ، والرقى الأدبى ، والنشاط العلى ، والتقدم الاقتصادى ، والنظام

السياسي ، والشعور القومي ، والاعتزاز الوطني، (١) .

ويلاحظ أن من يدقق النظر في أعداد المجلة ، يجد أن هذا النوع من المقالات التي نحن بصدددها — أى ذات الاتجاه الوطني — إنما كانت تعالج النقاط هذه التي أشار إليها الوريث في عبارته السابقة ، وكأنه يلفت نظر معاصريه من قراء وكتاب ومسؤولين إلى أهمية هذه النواحي ، ويطالبهم بضرورة الاهتمام بها لمواجهة العصر ، أو على الأقل للحاق بمظاهر النهضة الحديثة التي بدأ ظهورها في أنحاء العالم الإسلامي حينذاك .

وقد اكمل مقالته بوضع تساؤل هام حول : ما هي أسباب هذه النهضة؟ وقبل أن يجيب أخذ يناقش الآراء التي أطلتها الغربيون مثل تفسير النهضة بأنها ترجع إلى تصريح ولسون عقب الحرب العالمية الأولى الذي ينص على حق تقرير المصير ، أو مثل القسوة والغلظة التي اتبعها الاستعمار مع الشعوب المقهورة ، وأن هذا أدى إلى يقظة تلك الشعوب . وقد رفض الوريث هذه التفسيرات واعتبرها جزءاً من ادعاءات الغرب التي يريد بها تضليل الشعوب وتمييع قضاياهم ، حتى انتهى إلى قوله : « ولو أنهم أنصفوا التاريخ وعدلوا في الحكم لعلوا أن النهضة الإسلامية — وبالأحرى كل ناحية من نواحيها — أسباباً طبيعية أدت إليها واتصلت بها اتصال الوسيطة بالغاية ، وارتبطت بها ارتباط المقدمة بالنتيجة كما هو شأن النهضة العالمية » (٢) ، غير أن القدر لم يمهل الوريث كما ذكرنا ليقدم لنا تفسيراته هو حول النهضة الإسلامية الحديثة .

وإذا كنا قد وقفنا هنا عند آخر كلمات الوريث ، فإن لنا عوداً إليها في مناسبات أخرى ، فقد طرق شتى المجالات والموضوعات نظراً لحيويته ونشاطه وثقافته

(١) أحمد الوريث : الإصلاح ، الحكمة ، العدد ٥ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ربيع الأول ١٣٥٩ هـ (أبريل / مايو ١٩٤٠ م) ص ١٣٧ - ١٣٨ .

(٢) أحمد الوريث : الإصلاح ، نفس المرجع ، ص ١٤١ .

يستحق التسجيل والمتابعة . غير أننا هنا نريد أن ننقل إلى صورة أخرى من الصور التي مسّت الجانب الوطنى وخاصة الناحية السياسية منه ، فقد نقلت الحكمة ، مقال الأمير شكيب أرسلان بعنوان : دالين سعيد بحوله تعالى وباتحاد أهله ، التي نشرتها جريدة (العلم المصرية القاهرية) ، والتي دافع فيها عن حكام اليمن حينذاك ضد ما تنشره الجريدة من شكاوى بعض اليمنيين ، مشيدا فيها بمقالة الإمام وبمحافظةه على استقلال البلاد . ومن المعروف أن الإمام يحيى والملك عبد العزيز آل سعود كانا لهما مكانة خاصة في أهدن العرب لأن بلديهما كانا البلدين الوحيدين اللذين لم يقعا تحت النفوذ الأجنبى فى تلك الفترة من بين البلاد العربية جميعها . وقد نقلت الحكمة أيضا مقتطفات من تعليق جريدة العلم المصرى ، على مقالة شكيب أرسلان ، ثم علقت هى فى النهاية على المقالتين ورغم أن الكلمات الثلاث تقسم بالتعاطف مع حكومة اليمن والإمام يحيى كما نتوقع ، فإن حرص الحكمة على نشرها كان بخرص الإيحاء إلى الحكومة بما تنشر إاليه ، كذلك الإيحاء إلى القراء داخل اليمن بما يدور حول بلادهم فى الخارج . فقد جاء فى مقال - شكيب أرسلان - ضمن نقاط أخرى - حص للحكومة اليمنية على الدخول مع البلاد العربية فى علاقات وطيدة ترفع شأن الجميع ، ومن المعروف أنه كان قد اشتهر عن الإمام يحيى أنه يميل إلى سياسة العزلة والانكماش حتى بالنسبة للبلاد العربية ، كما أن التفكير فى إنشاء اتحاد أو تحالف بين تلك البلاد كان قد بدأ يلوح فى الأفق ولو همسا بين المفكرين والزعماء العرب ، لذلك فن الضرورى تهيئة نفسية الإمام لهذه الخطوة ، لهذا قال . د إن الطريق الوحيد لنجاة اليمن ولإصلاح اليمن ولسعادة اليمن هى الوحدة العربية ، وهى التى تجعل من اليمن عضوا عاملا من أعضاء هذا الجسم العربى الذى يقوى بالاتحاد ويضعف ويتفكك بالانفصال ، فاعتمدوا فى توطيد كياناتكم السياسى والاجتماعى ، وانبعاثكم الثقافى والأدبى ، ونشاطكم العسكرى والاقتصادى ، وإصلاحكم الإدارى والمدنى على مصر والبلاد العربية المستقلة ، فهى وحدها التى يمكنها

أن تنففعكم، وهى وحدها التى تقدر أن تتركنا إليها وتعولوا عليها، وهى جديرة بأن تقوى بكم وبأن تقويكم والمرء كثير بأخيه ..» (١). أما ما جاء فى تعليق الجريدة المصرية فكان يمس الأوضاع اليمنية الداخية بشكل أكثر وضوحاً وعمقاً مما لا تستطيع الحكمة أن تقوله هى مباشرة، فلجأت إلى هذه المقتطفات نذكر منها ما يروق لها ويخدم قضيتها. وقد بدأ تعليق الجريدة بالإشادة بالإمام يحيى وأنه: «بالاستقلال اليمن»، ثم جاء به بعد قليل — للدفاع عن نفسها وعما تنشره من شكايات اليمنيين التى تصلها — قولها: «وأما الذى ننشره فهو أنباء مظالم الشعب من بعض الحكام، فهل نشر المظالم يمس جلالته الإمام المعظم؟ ... فلماذا إذن يغضب حكام اليمن من نشر مظالم الشعب فى الجرائد ويوهمون الناس أن جلالته الإمام يغضب من النشر ...». ومن المقتطفات أيضاً: «ولنا نشكر لعافوفة الأمير توصيته اليمن بالتمسك بالوحدة العربية، ولكن هذه التوصية وحدها لا تكفى بل إن اليمن يكون عبئاً على الأمم العربية أن تظل كما هو دون الأمم العربية الأخرى مدنية وحضارة ...»، ومنها كذلك: «إن ما ينشر عن اليمن يدخل فى شقين أولهما التشكي بالحكام والآخر لإدخال ما تحتاجه اليمن فى حياتها، وأن إرسال البعثات إلى العراق لا يكفى، فلا يزال العراق عالة على أوروبا، فكيف يظل اليمن عالة على الغير». «وانتهت هذه المقتطفات بمهاجمة سياسة العزلة التى يتخذها الإمام فجاء بها: «ولن قيل أن جلالته الإمام لا يثق بالغرباء نقول أن عدم الثقة بالغرباء الأجانب أمر معقول أما عدم الثقة بالمسلم العربى فهذا غير جائز بل لا يبق اليمن حيث هو فى آخريات الأمم وفى ذلك ما يعرضه للضياع بأقل هجمة كما ضاعت الحبشة من أهلها» (٢). ويلاحظ أن الشعور

(١) شكيب أرسلان: اليمن سعيد بحوله تعالى وباتحاد أهله، الحكمة، العدد ٨ السنة الأولى، المجلد الأول، جهادى الآخرة ١٣٥٨ هـ (يوليه / أغسطس ١٩٣٩ م) ص ٢٤٥.

(٢) من جريدة العلم المصرى: الحكمة، نفس العدد، ص ٢٤٦ — ٢٤٧.

العام الذي كان يرادو اليمنيين والعرب على السواء حينذاك هو الخوف من أن يكون الاستيلاء على اليمن هو الخطوة التالية لإيطاليا بعد استيلائها على الحبشة . أما تعليق د الحكمة ، ذاتها فقد غلب عليه الطابع الإعلامي باعتبارها مجلة حكومية ، نتيجة للظروف السائدة التي تعيشها ، فقد بدأت بتعجيد الإمام والإشادة بخطواته من أجل تقديم البلاد ، كما أنهت بمهاجمة الذين يهتمون الإمام بالتقصير والتخلف ، وانهاهم بخدمة الأجانب وتفريق كلمة الأمة ، غير أن المجلة استطاعت أن تعبر عن رأيها الاصلاحى فى خلال هذا كله ، فقد جاء فى أواسط التعليق : « وإذا قلنا هكذا فلسنا نريد أن تبقى اليمن على حالتها بل نحن من دعاة التقدم فى كل شئ يلزم لليمن : على ودفاعى واقتصادى وعمرانى بخطى ثابتة لا سبيل للفشل إليها ، وعلى ستة للتدرج وتقديم الأهم فالأهم على حسب مساعدة الثروة بلا استقراض من أجنبي أو تمسكين شركات أجنبية أو امتيازات لها وقيد اليمن بسلسلة من ذهب ، مع أنها لا تنكر (أى المجلة) مساعى الحكومة الجلييلة وأعمالها فى الاصلاح والتقدم المستعمرين ،^(١) .

ومن البديهي أن نتوقع أنه كان محظوراً على د الحكمة ، التطرق إلى الناحية السياسية من الجانب الوطنى الذى نحن بصدده ، أو تناول نظام الحكم القائمة بالنقد والتعديل ، لا لإعتبارها مجلة حكومية فحسب ، بل أيضا لطبيعة حكم الإمام يحيى الفردى وسيطرته على مقدرات الأمور فى البلاد . لذلك كانت تلجأ أحيانا إلى مثل هذه الصورة السابقة التى تعرضنا لها ، وأحيانا أخرى تنهز المناسبات والموضوعات المختلفة لتبث فيها آراءها وأفكارها السياسية . وغالبا كان يظهر هذا فى حذر شديد ، وفى ثوب مغلف ليزداد التستر ، إما بين أبيات قصيدة مليئة بالثناء والمدح للإمام يحيى وأبنائه سيوف الاسلام ، وإما فى إطار تاريخى فضفاض يتناول أوضاع المسلمين الأول .

(١) الحكمة : العدد ٨ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جمادى الآخرة ١٣٥٨ هـ ،

(يوليو / أغسطس ١٩٣٩ م) ، ص ٢٤٨ .

وقد ظهر مثل هذا في قصيدة زيد الموشكي الذي رحب فيها بعودة الإمام يحيى إلى صنعاء بعد قضاء عدة أيام للراحة في د الروضة ، و د وادي السرة ، فبعد أن رحب بالإمام ومدح خطراته للتقدم بالبلاد ، حرضه على اتباع أعمال السلف الصالح ، والتبسك بالقرآن والسنة ، وطالبه باتخاذهما دستوراً له ، فكان هذا أول استخدام لهذا اللفظ ، وكان يعنى وضع قواعد ونظم محددة تلتزم بها الأمة حكومة وشعباً . ومن المعروف أن زيد الموشكي كان شديد التدين ، جريئاً على الإمام وابنه سيف الإسلام أحمد ، شجاعاً في الحق ، كما أن أول اثنين أمر الإمام أحمد بأعدامهما — هو وعبد الله الوزير — بعد فشل ثورة ١٩٤٨^(١) ، أما البيت المشار إليه فهو :

ضلت ملوك ترى الدستور غيرهما رأى تقدمه في السر والعلان^(٢)

وفي مجال آخر نشرت الحكمة قصيدة بعنوان « تحية العصر الجديد » بتوقيع مجهول هو د الشاعر الخاص^(٣) ، يبحث فيها الشاعر الشاب على الخروج من الجمود والتحول والعمل على الأخذ بالعلم والتقدم بالبلاد ، وفي نفس الوقت بث ما في صدره من ناحية نظم الحكم الفردية المستقبلية ، فقد جاء فيها :

معشر النشء إننا قد دخلنا عصر جدد وذلك العصر بادا
فانبذوا عنكم الجمود وذودوا عن حمانا وقوموا المنشاد^(٤)

(١) علي بن علي صبره : الملحمة الشعبية ، الدم وأغصان الزيتون ، ص ١٣٧ .

(٢) الحكمة : العدد ١٠ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، شعبان ١٣٥٨ هـ (سبتمبر/أكتوبر ١٩٣٩ م) ، ص ٣١٩ .

(٣) ذكر الأستاذ أحمد المروني أن « الشاعر الخاص » هو أحمد عبد الوهاب الوريث .

(٤) المنشاد تعنى الموج .

لا رعى الله من تعامى عن الحق ويبغى لشعبه الاضطهاداً^(١)

أما في مجال استخدام التاريخ للتعبير عما في الصدور ، فقد نجح أحمد الوريث في ذلك نجاحاً كبيراً ، فعند حديثه عن النقطة السادسة من نقاط أسباب تأخر المسلمين - وهي بعنوان « ضعف الأخلاق وفسادها » - أشار إلى متانة أخلاق السلف الصالح احتجاجاً على تحلل المسلمين في عصور التأخر عن هذه الأخلاق الحميدة ، وأن ذلك كان سبباً في ضعف بلادهم ، فجاء بها : « فالأمراء والقادة كانوا مثلاً علياً في (١) الشورية ومبادلة أهل الحل والعقد للآراء ، (٢) وفي الإخلاص للبصاحة المشتركة واعتقاد إنما ألقى على عاتقه من الولاية هو لإقامة شريعة الله وإعلاء كلمته وتنفيذ أوامره وإصلاح شئون عبادته ، (٣) وفي الشعور بالمسؤولية السكبرى حتى يقول أحدهم : لو ذهبت المسامين شاة على شاطئ الفرات لسكنت المسئول عنها ، (٤) وفي التواضع وسماحة الأخلاق ودمائتها والتحلل بالديمقراطية الخالصة والبعد عن مظاهر الكبرياء والانقياد للنصيحة الغالية والرجوع إلى الحق ... (٥) العدل والإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه فيستوى في نظر الأمير الشريف والوضيع والقوى والضعيف ... (٦) اليقظة الشديدة والعناية بأمر الرعية ... (٧) وضع الأدوال العامة في موضعها وترجيح الصالح العام على غيره (٨) تشجيع العلماء على تحصيل العلم ونفع الناس به ونشره بينهم واقتناء كتبه وتشجيع كل صناعة نافعة ... (٩) إقامة الأحكام الشرعية والسير على السنن الآقوم ... » (٢) . وهكذا ترفع - وتنشر - الحكمة شعارات الشورى والديمقراطية والعدل والمحافظة على الأموال العامة وحسن تصرفها وغير ذلك مما كان يتناقله أحرار

(١) الحكمة : العدد ٢ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، ذى الحجة ١٣٤٨ هـ (يناير /

فبراير ١٩٤٠ م) ، ص ٥٦ .

(٢) الحكمة ، العدد ١٢ ، السنة الأولى ، المجلد الأول شوال ١٣٥٨ هـ ، (نوفبر /

ديسمبر ١٩٣٩ م) ، ص ٣٥٦ - ٣٥٨ .

تلك الفترة فيما بينهم ، والتي أعلن عنها فيما بعد خلال ثورة ١٩٤٨م في الميثاق الوطني المقدس .

كذلك لجأت الحكمة إلى نشر كلمات قصيرة - في باب د من رسائل القراء ، - تدور حول الحث على بعض النواحي الأخلاقية والتربوية ، أي لا تدعو إلى آراء وأفكار سياسية محدودة ، بل تدفع إلى كسر الجمود ، والتحلي بالعلم ، والتمسك بالدين والخلق الحميدة ، وغير ذلك مما امتلأت به المجلة ، والذي أشرنا إليه من قبل بأنه يمثل الجانب الأخلاقي أو مجموعة الأخلاقيات . وقد نشر محمد بن قاسم أبو طالب كلمة من هذا النوع تحت عنوان « الشجاعة » ، أوضح فيها معنى الشجاعة وإنها مرتبطة بالإيمان وأن الجبن من صفات المنافق كما جاء في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وأن على المسلم أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأن يجاهر بذلك دون أن يخاف لومة لائم ، حتى قال : « من هذا تعلم أنه لا يتم عمل ولا ينجح مشروع إلا بالشجاعة الحققة المستقيمة ، حتى التكلم لا يستغنى عن الشجاعة ، فمن فقدناها فآثنا له أن يدعو إلى النهي عن المنكر أو يزجر التائه أو ينبه الغافل أو يزجر الظالم أو يبحث على التشويق لمخاصمة الخداع ، ثم يهاجم بعد ذلك من يدعو إلى الاستكانة والسكوت عن الحق فقال : « وإلّا لعجب أن كثيراً من ذوى التمييز والتبريز إذا بلغهم جزء من المفاخر الدينية والطباع الكريمة كالبسالة والمفاداة يعدونه نقصاً وعاراً وحماقة وجنوناً لأنهم لا يجدون ذلك في مزاجهم ، ولا يعرفون خدمات دينهم والإخلاص لأمهم ، فيجاهرون بكرهه الجهاد والإرشاد ، يعدون الإقدام والشجاعة مرصاً من الأمراض » (١) . ومن الملاحظ أن « الشجاعة » هذه كانت أهم سمات الداعي لها ، أي محمد

(١) محمد قاسم أبو طالب : الشجاعة ، الحكمة ، العدد ٧ ، المجلد الثاني ، السنة الثانية ، جمادى الأولى ١٣٥٩ هـ (يولييه / يولييه ١٩٤٠ م) ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

قامم أبو طالب الذي اشتهر « بالخطيب » لما كان يلقيه من خطب رفانة في المساجد ، أو « الواعظ » كما ذكرت الحكمة إلى جانب توقيعه . ومن المعروف أيضاً أن هذه « الشجاعة » - وهذه « الخطابة » - قد أودت بصاحبها إلى السجن بعد قليل من كتابة هذه « الرسالة » التي أشرنا إليها ، فقد : « كان السيد محمد أبو طالب « الخطيب » يلهب المشاعر بخطبه في الجوامع فأزهر الزبيرى ، وعندما منع الإمام يحيى السيد الخطيب من الكلام والكف عن الخطابة قام بالنيابة عنه بعد صلاة الجمعة في الجامع الكبير الأستاذ الزبيرى ، وألقى خطبته المشهورة « يا رسول الله » في شهر ذى الحجة سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) وهي التي سببت اعتقاله مع الخطيب ونفيهما إلى « الأهنوم » واعتقال الكثير من الأحرار والعلماء مثل محمد الخالدي وأحمد محبوب وأحمد المروني وعبد الله السلال ويحيى الدين العيسى وأحمد الخورش ... » (٢) .

وفي نهاية الحديث عن الجانب الوطنى يجدر الإشارة إلى موقف الحكمة من قضية الوحدة اليمنية ، سواء كانت وحدة عناصر الشعب المختلفة ، أو وحدة البلاد الإقليمية . فن الناحية الأولى تعددت الكلمات والمقالات - في أعداد المجلة المختلفة - التي تعالج جوانبها العديدة ، فكانت تنشر من حين إلى آخر ما يدعو إلى نبذ الطائفية والمذهبية والقبلية وغير ذلك مما يؤدي إلى التناحر والبغضاء بين أبناء الشعب ، ونحث على الاتحاد والتآخي باسم الوحدة الوطنية ، وتلمية لنداء المبادئ الإسلامية . وتنوعت هذه الصور من كلمات قصيرة إلى مقالات مطولة ، ومن قصائد إلى أبيات مختارة أو مأثورات معروفة ، وكانت أغلبها تنضوى تحت مجموعة « الأخلاقيات » التي كانت موضع اهتمام المجلة كما أشرنا . ومن هذا النوع مقالة قصيرة بعنوان « مساوىء التنافس في الأديان » ، بتوقيع « نزار » (١)

(١) كان الأستاذ عبد النافع الجندى هو صاحب هذا التوقيع ، وكان يوقع أحياناً « أبو وائل » ، وقد أقام مدة طويلة في اليمن يعمل مدرساً بتدريسها ، وهو سورى الجنسية وقد نشر مقالات كثيرة يغلب عليها الجانب الأخلاقى ذات الطابع العام .

دعت صراحة إلى الوحدة ونبذ الفرقة — وإن كانت قد لجأت إلى التعميم والتحدث عن المسلمين عموماً — فقد جاء بها ته ليس من مصلحة الاسلام والمسلمين لإيجاد النفور والبغضاء فيما بينهم ، والتفريق بين بعضهم باسم سني وشيعي وشافعي وحنفي وحنبلي ومالكي وزيدى وغير ذلك من أسماء لم تخرج بشئ عن حقيقة الاسلام ، ولا تعدت ما جاء به كتاب الله وعمله ورسوله . ليس من مصلحة الاسلام « المسلمين اتخاذ المذاهب وسيلة للطعن وأداة للتباعد وعاملاً للتناحر والتراشق بقوارص الحكم والاعتقاد بأسوأ الظنون مادام الجميع بوحدانية الله يؤمنون وبرسالة نبيه يدينون » (١)

أما الناحية الأخرى من قضية الوحدة اليمنية وهى وحدة للبلاد الانليمية فقد اهتمت بها المجلة منذ عددها الأول ، فقد سطرت هيئة التحرير — أى بدون ترفيع — مقالة طويلة بعنوان : « انكلترا لاتعترف بحقوق العرب » ، أشارت فيها إلى خديعة انكلترا للحرب وعدم التزامها بوعودها التى قطعنها لهم خلال الحرب العالمية الأولى ، كما حدث بالنسبة لثورة الشريف حسين ، ومثل ما حدث فى فلسطين عندما فتحت باب الهجرة أمام اليهود . وقد نشرت « المجلة » هذه المقالة بمناسبة دعوة بريطانيا لعقد مؤتمر الدائرة المستديرة بلندن لحل المشكلة الفلسطينية ، وعرضت رأيها فى هذه الدعوة مما ساند عرض له فيما بعد ، ولكن ما يهمنا هنا هو الإشارة إلى أن المجلة ربطت فى مهارة بين سياسة بريطانيا فى كل من شمال الوطن العربى أى فلسطين وجنوبه أى اليمن ، للتدليل على أطماع انكلترا فى المنطقة ، وسعيها إلى تفتيتها إلى أجزاء : « لتحويل بين العرب وآمالهم ، وتشغل كل جماعة بما يلهمها عن الاهتمام بشئون الأخرى ، وصدها عن التفكير فى توحيد المساعى ، وتوطيد العلاقات ،

والسير في طرق التقدم،^(١) . وقد تعرضت المفالة بعد ذلك إلى العلاقات
اليمنية الانجليزية منذ عقد معاهدة ١٩٣٤ المعروفة بين الامام يحيى والحكومة
البريطانية^(٢) ، وأوضحت أن إنجلترا لم تكن حسنة النية تجاه المعاهدة التي
تنص على إبقاء الأوضاع في جنوب اليمن كما هي دون تدخل الطرفين
المتعاقدين - مدة سريان المعاهدة وهي أربعين عاماً - حتى يتم التفاوض
بشأنها خلال هذه المدة . غير أن إنجلترا أخلت بالتزاماتها ، فأخذت تقيم
المنشآت والمطارات الحربية ، وتعمل على التفريق بين الأهالي بعضهم
ال بعض ، وبينهم وبين باقى الشعب اليمنى فى الشمال . واستطردت المجلة فى
مهاجمة خطوات إنجلترا التوسعية على الحدود حتى أنها تحاول أن تتعدى
الحدود التى كانت قد وضعتها مع الحكومة العثمانية عام (١٩١٤ م) والى
تحتج بها لدى الامام وتجاه العالم الخارجى ، حتى قال : « ثم ما زالت
الحكومة البريطانية تتحدى فى سبيل عدم احترام المواعيد والمواثيق إلى
أن مدت يدها إلى قبيلتى « بالعبيد » و « الكرب » التى من قراها « شوبة » ،
وقبيلة « الصيعر » التى من قراها « الدبر » ، تحاول السيطرة عليها دون أن
تحتسب للحق أى حساب وتتخذ التفرقة وصلة لها ليمسك بنوذها على تلك
الربوع ، وتجبر بدخ الرؤساء على إمضاء بعض أوراق لا صحة لها ، وهى
تعلم حق العلم أنه لا حق لها فى ذلك . وعلاوة على ما ذكرناه فى خارجة
عن الخط المعروف « بالنقشة » فى أطراف تلك الاراضى الذى كانت تجعله
الحكومة البريطانية المؤيد لدعواها ، وهو ما اتفقت عليه مع بعض
ضباط العثمانية .. »^(٣) .

(١) الحكمة : العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ،
ص ١٨ .
(٢) راجع نص المعاهدة بين ملاحق كتابنا « تكوين اليمن الحديث » اليمن والإمام
يحيى ، ١٩٠٤ - ١٩٤٨ .
(٣) الحكمة : العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ،
ص ١٩ .

وواصلت المحكمة ، اهتمامها بهذه القضية الوطنية ، فنشرت في صدر أحد أعدادها — وتحت عنوان ضخم هو : « شبوة والعبر عضوان من بدن اليمن ، ولا بد من إرجاعهما مطلقاً ، — نشرت نص الاحتجاج الرسمي الذي أرسله الامام يحيى إلى ملك إنجلترا الامبراطور جورج السادس بخصوص اعتداء القوات الانجليزية على هاتين المنطقتين وضمهما للجنوب ، (١) . ولم يقف الأمر عند نشر هذا الاحتجاج ، فقد نشر أحد عبد الوهاب الوريث رداً عنيفاً على المزاعم التي يدعيها وينشرها الانجليز وعملواهم بأن « شبوة » من حضرموت وليست من اليمن . وقد اتسم هذا الرد بالهجوم اللاذع والتهكم على مروجي هذه الأقاويل ، وبالحماس الوطني الملتب المتدفق ، ذلك إلى جانب العرض التاريخي العميق لأوضاع المنطقة منذ أقدم العصور حتى ذلك الحين ، فقد جاء فيها : « إن من الحق البين والسفاهة الواضح أن يسأل كاتب غيره أو يتساءل : أشبوة من اليمن أم من حضرموت ، وأن يظن أن اليمن شيء وحضرموت شيء آخر ، فأنه جعل لليمن حدوداً طبيعية لا يدخلها لبس ولا يعتريها غموض ، إذ أحاطه بالبحر من غربه وجنوبه وشرقه ، وكل ما شملته هذه الحدود إلى أطراف الحجاز الجنوبية فهو اليمن ، فهل رأى حضرموت جزيرة منقطعة في أوساط بحر الهند حتى يسوغ له أن يقول : شبوة من حضرموت لا من اليمن أو من اليمن وليست من حضرموت ، (١) .

(١) المحكمة : العدد ٧ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جادى الأول ، ١٣٥٨ هـ (يونيه / يوليه ١٩٣٩ م) ص ١٩٣ — ١٩٦ . ويلاحظ أن تاريخ إرسال هذا الاحتجاج هو ١١ جمادى الأولى ١٣٥٨ الموافق ٢٩ يونيه ١٩٣٩ م .

(٢) أحمد الوريث : شبوة وحضرموت اليمينتان ، مهازل بعض الكتاب ، اليمن يستميت في الدفاع عن كل قطعة منه ، المحكمة ، العدد ٨ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جمادى الآخرة ١٣٥٨ ، (يوليه / أغسطس ١٩٤٠ م) ص ٣٣٩ .

وهكذا عبرت الحكمة عن الجانب الوطنى خير تعبير ، فطارت نواحيه المختلفة ، وشاركت فى قضاياها المتعددة . فقد تحدثت عن الوطن والوطنية بصورة مثالية مجردة ، واعتبرت بتقوية الجيش باعتباره دعامة وطنية ، وتنبعت خطوات الحكومة فى تطوير مرافق الحياة فى البلاد لتشيدها ولتحدث على المزيد منها ، ودعت إلى الإصلاح فى شتى المجالات وفى مختلف المناسبات وخاصة كما جاء فى مقالات الوريث ، وتعرضت للناحية السياسية بقدر استطاعتها — وبحذر — لتنادى بالدستور والشورى والديمقراطية والعدل وحسن التصرف بأموال العامة أى بإعلان ميزانية للبلاد ودافعت عن الوحدة الوطنية — بجانبها — بكل ما تملكه من حماس واندفاع .

الجانب العربى والإسلامى :

ولا يعنى اهتمام « الحكمة » بالجانب الوطنى هذا الاهتمام الزائد أنها أهملت الجوانب الخارجية التى سبق أن أشرنا إليها وهى : العربية والإسلامية والدولية . فمن ناحية الجانب العربى ، فقد اتضح اهتمام المجلة به بشكل كبير ، ومن ناحية تتبع القضايا العربية والاهتمام بها والتحمس لها ، ومن ناحية فكرة القومية — والوحدة — العربية التى كانت قد بزغت فى أنحاء العالم العربى — وخاصة فى الأجزاء الشمالية منه — وبدأت تتسرب إلى داخل اليمن ، وإن كانت قد بدت فى تلك الفترة — كما سنرى — مزوزة مختلطة بالفكرة الإسلامية .

ويلاحظ أنه من ناحية تتبع القضايا العربية ، فقد كان ذلك لا يتم عن طريق تتبع الأخبار ونشرها أولاً بأول ، إذ كان ينقصها الإمكانيات اللازمة من ناحية ، فقد كانت تقف على تلك الأخبار عند وصول بعض الجرائد والمجلات العربية إليها أو إلى ديوان الإمام ، ومن ناحية أخرى فقد كانت — نظراً لطبيعتها — مجلة « رأى » وليست مجلة « أخبار » كما يقال فى عالم

الصحافة ، لهذا فقد كانت تنشر ما يصلها من الأخبار مغلفة بالتعليق عليها ، وأحيانا في داخل مقالات قصيرة تتضمن الخبر والتعليق والرأى معا .

وظهر الاهتمام بالقضايا العربية وتبع أخبارها من العدد الأول من المجلة ، وكانت قضية الساعة هي « الاستعمار » ووقوع البلدان العربية تحت النفوذ الغربى عقب الحرب العالمية الأولى ، بما فى ذلك المشكلة الفلسطينية ، فأدات بدلوها فى هذا كله إلى جانب تتبعها للعلاقات الثنائية بين بعض البلدان العربية . وقد تعرضنا للمقالة التى نشرتها فى عددها الأول بعنوان : « انجلترا لا تعترف بحقوق العرب » ، التى ربطت فيها بين سياسة انجلترا فى فلسطين وبين تصرفاتها فى جنوب اليمن ، وذلك بمناسبة دعوة انجلترا للعرب واليهود إلى مؤتمر لندن الذى عقد فى عام ١٩٣٩ م . وإلى جانب هذا فقد نشرت خبر الافراج عن الزعماء الفلسطينيين الذين كانت بريطانيا قد نفتهم إلى جزيرة سيدبل بعض الوقت ، ثم وضعت مظاهر الخفاوة التى استقبلتهم بها المنظمات الوطنية فى عدن والقاهرة أثناء توجههم إلى لبنان لمقابلة مفتى فلسطين هناك . وفى نفس العدد نشرت خبرين عن سوريا ، الأول بعنوان : « دسائس الاستعمار وأعماله الغريبة فى سوريا » ، والآخر بعنوان : « أحوال الشام » ، عبرت فيهما عما نثيره فرنسا من دسائس وعراقيل أمام الحكم الوطنى هناك ، وقيام المظاهرات الوطنية فى المدن السورية المخنفة احتجاجا على مراوغة فرنسا وعدم تصديقها على المعاهدة السورية الفرنسية . وواصلت الحكمة اهتمامها بأخبار سوريا نظرا لظروفها السبئية وعلاقتها المديدة مع فرنسا وخاصة عند بداية الحرب العالمية الثانية ، فقد ذكرت أن الحكومة السورية قد استقالت وأن فرنسا قد تسلمت زمام الأمور مباشرة ، وأعلنت بعض الأحكام الجائرة التى أدت إلى ثورة الأهالى فى بعض مناطق سوريا^(١) ، ومن

(١) الحكمة : العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٨ هـ (فبراير /

مارس ١٩٣٩ م) ص ٩٢ .

المعروف أن فرنسا لجأت إلى هذه الخطوة لقرب اشتعال الحرب . وفي نفس العدد نشرت خبراً عن قيام لانقلاب فاشل في العراق بزعمه حكمت سليمان أحد رؤساء الوزارة العراقية ، وأنه تم القبض عليه هو وأربعة آخرين وحكمت عليهم محكمة عسكرية بالإعدام ، ولكن تخفف الحكم إلى السجن لمدة خمس سنوات . وكذلك اهتمت المجلة بمتابع أخبار العلاقات الثنائية بين بعض البلاد العربية كما ذكرنا ، فقد أشارت تحت عنوان : « عقد اتفاقية » إلى تلك التي عقدت بين « الحكومة المصرية والحكومة السعودية العربية لإنشاء مشروعات في الحجاز من طرف الحكومة المصرية وذلك في إصلاح طرق السيارات ما بين جدة والمدينة وما بين جدة ومكة المكرمة وما بينها ومنى وما بين منى وعرفات ، وإيجاد وسائل للمياه في مكة المكرمة وإنارتها بالكهرباء ، ولما نرجو أن تنجح هذه الاتفاقية بأسرع ما يمكن لما فيها من الفوائد للمسلمين عمومًا وللبلاد الشقيقة خصوصاً^(١) .

وقد أولت المجلة « القضية الفلسطينية » كل اهتمام كما فعلت زميلتها « الإيمان » في واقع الأمر ، فنذ عددًا الأول - كما أشرنا - شجنت صفحاتها القليلة بأخبار فلسطين ، من ناحية الدعوة إلى عقد مؤتمر لندن ، ومن ناحية الإفراج عن المسجونين السياسيين في « سيشل » وقد تابعت أخبار مؤتمر لندن هذا باهتمام زائد لموقفها العربي وحماستها من أجل فلسطين ، ولاشتراك سيف الإسلام الحسين نجل الإمام في هذا المؤتمر ضمن مندوبي البلاد العربية . ولم تنفاهل المحكمة في حقيقة الأمر كثيرًا بالنسبة لهذا المؤتمر لما ارتكبهته إنجلترا من قبل من خيااع للعرب ، ومن عدم التزامها بالعهود معهم ، ومالت مقالاتها بفظائع الانجليز في فلسطين من أجل فتح باب الهجرة أمام اليهود . ورغم تفاؤلها فقد كانت ترى في عقد هذا المؤتمر فرصة أمام إنجلترا لتثبت حسن نيتها تجاه العرب فقالت :

« . . . هذه النعمة هي دعوة العرب لعقد مؤتمر يقام في لندن للمفاوضة .

(١) الحكمة : العدد الأول ، السنة الأولى . المجلد الأول ، ذي القعدة ١٣٥٧ هـ

(ديسمبر ٣٨ / يناير ١٩٣٩ م) ص ٣٠ - ٣١ .

لحل مسألة فلسطين التي تفاءلنا بها ، واعتقدنا حسن نية الحكومة البريطانية بعد أن أطلقت مراح المنفيين في سيشل من أبناء فلسطين ، وظن السكل أن فلسطين ستهدأ فيها الأحوال وتعود فيها المياه إلى مجاريها ، على أنه لا مانع من الاعتراف بحسن صنيع بريطانيا إذا رأيناها تنصف العرب في فلسطين ، وتجعل هذا المؤتمر الذي تدعو إليه سبباً يضمن تحقيق رغباتهم المعقولة وإعطائهم حقوقهم المقدسة التي يقضى بها كل عاقل عل وجه البسيطة ، وسننظر ما يكون^(١) . . . وفي نفس العهد نشرت خبر مفير السيف الحسين إلى القاهرة لحضور المؤتمر التمهيدى بها ، الذي سيعقده المندوبون العرب فيما بينهم قبل سفرهم إلى لندن . وفي العدد التالى مباشرة ساقى خبراً صافياً عن انعقاد المؤتمر ، وما دار فى جلساته الافتتاحية من كلمات ، مع عرض واف لكلمة مندوب اليمن ، كذلك مندوب فلسطين جمال الحسينى رئيس الوفد . وقد استمر الاهتمام بتغطية تطورات المؤتمر إلى عددها الثالث ، وعبرت عن أسفها لفشل بقوطها : . . . وقد انتهى بذلك مؤتمر فلسطين الذى دام ستة أسابيع بفشل مؤسف خلافاً لما كان يؤمل من وصول المفاوضات إلى نتيجة حسنة تكفل حقوق العرب وتعطى اليهود نتيجة معقولة ، فخابت الآمال . وقد سافر بعض مندوبى العرب إلى بلادهم وقد عم الاستياء كل الأوساط الإسلامية ، ولا ندرى ما ستأتى به الأيام . وقد أفادت الأخبار أخيراً أن الحكومة البريطانية قررت نشر كتاب يبين فيه سياستها التي ستجريها فى فلسطين وتنفذها بالقوة وانها ستقمع الثورة بكل شدة^(٢) .

ولم يقف اهتمام الحكمة ، بالقضية الفلسطينية عند حد نشر أخبارها

(١) الحكمة : العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ،
(ديسمبر ١٩٣٨م / يناير ١٩٣٩م) ص ١٦ .
(٢) الحكمة : العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٨ هـ (فبراير /
مارس ١٩٣٨م) ص ٩٢ .

والتعليق عليها والحماس لها ، بل انضح الاهتمام بالقضية في الجانب الأدبي « بالمجلة » . وقد سبق أن أشرنا إلى ما قدمه يحيى النهارى عن تضحية أم فلسطينية يعجز بابنها الوحيد من أجل الثورة أثناء الحديث عن محاولات كتابة القصة القصيرة في المجلة . كذلك نشر عبدالله بن أحمد الأرياني كلمة تتلوها قصيدة حماسية تحت عنوان : « نداء » وجهه إلى الأمة الإسلامية عامة ، يدعوها إلى اليقظة والإقباء والتقدم والنسك بالدين والترابط فيما بينها ، حتى تصد أطماع الاستعمار عنها ، وحتى لا تقع فريسة في مخالفه ، مستشهدا بما يجري في فلسطين ، وقد جاء في القصيدة ما يلي :

| | |
|------------------------------|---------------------------------------|
| فأيقوا واسلكوا سبل الهدى | وانيبوا يا ذوى الدين الأغبر |
| واستعيدوا مجدكم واستدركوا | ما تبقى قبل أن يمحي الأثر |
| وانظروا ما في فلسطين جرى | فهو لا ريب لكم إحدى العبر |
| وعد بلغور الذى ينكره | كل ذى سمع ولب وبصر |
| انكثرى حاولت إيفاء | وهى لم توف مواعيد أجر |
| بل رأت سلب الأعداء عزهم | للأذلاء جرية أهل الصخر |
| فاحفظوا الأوطان والإسلام بها | أمة الضاد وأرباب الغير ^(١) |

أما من ناحية ظهور فكرة القومية - والوحدة - العربية في « الحكمة » ، فيمكن القول بوجه عام أنها ظهرت مهزوزة مختلطة بفكرة الوحدة الإسلامية . وقد سبق أن ذكرنا أن الفكر الإسلامى كان هو الفكر السائد في المجلة ، فكان الكثير من المقالات والكلمات والقصائد تتناول الحديث عن الإسلام والمسلمين كافة ، ويدعو المسلمين إلى التمسك بالإسلام والزود عنه ، ويحثهم على الترابط والاتحاد . غير أننا لو تعمقنا قليلا فيما ظهر في « الحكمة » ، من

(١) عبدالله بن أحمد الأرياني : نداء ، الحكمة ، العدد ٦ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ربيع الثانى ١٣٥٨ هـ ، (أيو / يونيو ١٩٣٩ م) ص ١٢٩ - ١٨٠ .

كتابات ، فاننا نلحس وضوح الشعور - والاتجاه - العربي ولو بدرجات متباينة ، أى أن هذه الكتابات تتفاوت فيما بينها فى الالتفات إلى الفكرة العربية . ويمكن القول مسبقاً أنه ليس هناك مقالات متخصصة تتحدث عن الفكر القومى بشكل مستقل باستثناء مقالة لأحمد عبد الوهاب الوريث التى مست هذه الناحية مسأً مباشراً ، وأدلى فيها برأيه صراحة ، والتى سنشير إليها بعد قليل .

وكيفما كان الأمر ، فقد كان البعض يركز حديثه عن الإسلام والمسلمين بوجه عام ، ويرى أن العالم الإسلامى هو الأحق بالاهتمام والمعالجة ، لاشئ إلا لأنه يرى أن القومية ، تعنى - من وجهة نظره - التعصب والعنصرية ، ويخشى الانزلاق إليهما لأنهما عما نهى الإسلام عنه . وفى نفس الوقت ، نجد البعض يشيد بالعرب وأجدادهم ، لاشئ أيضاً إلا لأنهم أساس الإسلام ، فبلغتهم نزل القرآن ، وعلى أكتافهم انتشرت الدعوة الإسلامية . كذلك نرى أن الحديث عن العرب والعروبة جاء متستراً فى الكتابات الأدبية والتاريخية دون أن يجاهر أحد بالدعوة إلى الفكر القومى أو يعمل على نشره ، لإتجاه الإمام يحيى الإسلامى ، ولاعتاده - فى بناء دولته - على الفكر الإسلامى ، وللأوضاع الاقتصادية والاجتماعية السائدة فى البلاد التى لا تساعد على انتشار الفكر القومى بوجه عام .

وفى ضوء هذا كله ، يجدر الإشارة أن نتتبع ما جاء فى الحكمة عن فكرة القومية العربية لنحدد موقفها فى النهاية . وقد سبق أن أشرنا أن أحمد الوريث قد أشار فى إحدى مقالات « الإصلاح » المعروفة - التى دارت حول الإسلام والعالم الإسلامى - إلى أن العامل السابع والأخير من لمخطاط المسلمين هو : « نزع السلطة الادارية والعسكرية من أيدي العرب وقبض العناصر الغريبة على زمامها أيضاً » ، وتتبع فيه انتزاع العنصر الفارسمى ثم العنصر التركى للسلطة من أيدي العنصر العربى منذ قيام الدولة العباسية ، مما أدى

إلى ضعف الروح المعنوية لدى العرب وأدى بالتالى إلى ضعف أخلاقياتهم ولغتهم وأدبهم ، ثم أنهى شرح هذا العامل بمسايين وجهة نظره فى العرب والإسلام معا ، فقال : د ان العرب حماة الإسلام وادته القوية ، إذا عزت العرب عز الإسلام وإذا ذلت العرب ذل الإسلام ، فلا ضعف الإسلام ولا انكمش ظله من اليوم الذى أذلت فيه العرب ، ولا نهوض المسلمين بل ولا للشرق الأدنى والمتوسط فى الحال الحاضر إلا إذا رأينا الأمم العربية تتضامن وتنهض كتلة واحدة للدفاع عن كيانها ومجدها ، وتعمل جادة على الأخذ بوسائل الرقى السريع وبجارية الأمم الناهضة ، وتكافح فى مبدل لإحياء الجامعة الإسلامية كما كانت أولا ، تنصرف إلى تطبيق تعاليم الإسلام فى جميع مناحى حياتها وبذلك تضمن مصلحتها ومصلحة المسلمين بل وبني الإنسانية أجمعين^(١) . وأكد ما ذهب إليه مرة أخرى - فى المقالة المتخصصة التى سبق الإشارة إليها ، والتى نشرها تحت عنوان طويل هو : الجامعة الإسلامية أقوى رابطة بين الأمم ، انبثاؤها على الوحدة العربية ، . ويحق لنا أن نقف طويلا أمام هذه المقالة ، حتى نغوص فى جنباتها لنتمسك ما جاء بها ، لأنها لأحمد الوريث فحسب الذى نعتبره من أهم من كتب بالحكمة من المفكرين والكتاب ، والذى نعدّه مؤسس المجلة وصاحب فكرتها ورئيس تحريرها رغم أنه لم يحمل هذا اللقب طوال عمره القصير كما سبق أن أشرنا ، بل أيضا لأنها المقالة الوحيدة بالمجلة التى تعرضت لهذا الموضوع بشكل مباشر صريح . وقد بدأ الوريث مقالته بمقدمات طويلة كعادته ، فرأى أن الأمم المختلفة الجنس المتباعدة الأوطان لا يمكن أن تتوحد أو تلف حول لوا واحد : إلا إذا كان هناك عامل قوى مؤثر يعمل على نبذ الفوارق ويقضى على أسباب التباعد ، ولا يوجد بين تلك الأمم جامعة

(١) أحمد الوريث : الحكمة ، العدد ٧ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جمادى الأولى

١٣٥٨هـ (يونيه / يوليه ١٩٣٩م) ص ١٩٨ - ١٩٩ .

كبرى ورابطة عظيمة تصل بعضها ببعض . . . ، ثم وصل إلى أن هذا المؤثر هو الإسلام، وذلك بعد أن استطرد في عرض ما جاء به من نظام وقواعد مدلا على ذلك بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة التي تمحض على اتحاد المسلمين ووحدتهم بل والى ترسم لهم الطريق إلى ذلك . وقد انتهى من هذا العرض الطويل إلى قوله : . . . كل هذا يدلنا على مقدار الرابطة التي شرعها الإسلام لأبنائه وجعلها جامعة بين شتيت الأمم ، تقوم مقام الرابطة الوطنية ، وتحل محل العصبة القومية ، لا بل تفوقها في توثيق الصلات ، وقوة الربط والدفع بأبنائها إلى التضحية في سبيل حفظ مصالحهم المشتركة ، وحياطة أوطانهم المفداء ، والذود عن كياناتهم ومجدهم^(١) . . . ويواصل الوريث فسكرته في هذه المقالة الطويلة ، ويكرر أن جامعة الإسلام : « فوق الفوارق الجنسية والتحننات الوطنية والتقسيمات الجغرافية ، ولا جرم كانت تلك الفواصل ملغاة في نظره فلا جنسية في الإسلام ولا قومية في نظر الدين الحنيف ، وإنما أبناؤه المنضوون تحت رايته كالأمة الواحدة من أى جنس كانوا ، وفي أى بلدة قطنوا ، فد جعلوا لهم محيطاً جامعاً توحدت فيه العقائد والأخلاق والمبادئ والغايات وجميع الأنظمة السياسية والمالية والإدارية ، وتساوت فيه الحقوق والواجبات ، وأقام لهم من هذا المحيط وطننا خاصاً يجب عليهم القيام بشئونه وحماية ثغوره ، ومنع المعتدى على أى حده من حدوده ، وبذلك كانت حدود الإسلام هي حدود الوطن . . . وزيادة على ذلك ذهب إلى أن مجد المسلمين لن يعود إليهم إلا باحياء الجامعة الإسلامية ، هذه الجامعة التي لا يرجى لمسلمي القرن الرابع عشر (أى العشرين الميلادي) خير ، ولا يتفاد لهم بمستقبل منير ولا يعلق بهم أمل في سيادة إلا إذا أحيوها بينهم ، وربوا عليها نشأهم وأجلوها المحل الأعلى في قلوبهم . . . ورغم أن

(١) أحمد الوريث : الحكمة ؛ العدد ٧ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جمادى الأولى

الورث قد أكل هذه النقطة بالدعوة إلى الرجوع إلى ما كان عليه الصحابة والتابعون، إلا أنه كان يعنى تماماً روح الدين الإسلامى وروح العصر الحاضر معاً، فدعى إلى: «فهم الدين الإسلامى على الوجه الذى جاء به رسول الله (ص) وتطبيقه على أحوال العصر الحاضر»^(١).

إن المنتبج لأفكار الورث فى الجزء السابق من مقالته الذى تعرضنا له، يرى أنه كان مفكراً إسلامياً، يدعو إلى الجامعة الإسلامية، ويدافع عنها، غير أنه فى الجزء الباقى من المقالة نراه يخلط بين الجامعة الإسلامية والوحدة العربية. فمن ناحية فقد رأى أنه لا يمكن إقامة الجامعة الإسلامية بلا تدرج ودون أن يوضع الحجر الأساسى، وأن هذا الأساس هو: «تحقق الوحدة العربية الصادقة»، ومن ناحية أخرى فإنه يعود إلى رأيه السابق وهو: «إذا ذل العرب ذل الإسلام وإذا عز العرب عز الإسلام»، وأن هذه القضية: «قضية ثابتة يشهد لها التاريخ ويصدقها الوقوع (أى الواقع) والتجربة المتواليه...»، وبعد أن يعمل على إثباتها يتحول إلى مهاجمة الاستعمار والمستعمرين، ويتهمهم بأنهم هم الذين عملوا على تفتيت العالم العربى، فيقول: «تلك الفوارق الوهمية والتجزئات للوطن العربى الأكبر قام بها الاستعمار، وصوت لها بيوقة، وسعى جهده لنشرها بين العرب، وطبعها فى نفوسهم ليتمكن من تنفيذ خططه، وليفرق بين العرب كى يسود... وهذا يعود إلى دعوة المسلمين إلى القضاء على: «الفوارق بين أجزاء الوطن العربى، إذا أرادوا أحياء جامعتهم».

وأخيراً فقد أنهى الورث مقالته بما يؤكد ما ذهبنا إليه، وهو أنه كان هناك خلط بين الفكر الإسلامى والفكر القومى، وأن هذا الخلط

(١) أحمد الورث: الحكمة، المبد ٧، السنة الأولى، المجلد الأول، جمادى الأولى،

١٣٥٨ هـ، (يونيه / يوليه ١٩٣٩ م) ص ٢٠١.

(٢) نفس المرجع: ص ٢٠٢.

وهذا الاهتزاز قد انضح - على الأقل - عند الوريث الذي قال : ونحن من دعاة الوحدة العربية ونهصرائها، ولكن لا باعتبارها نزعة قومية وعصبية جنسية تستقل بنفسها ضمن أموارها، ونقصر جهودها على العرب وبلاد العرب، رافضة لغير العرب من المسلمين، فهذا أمر يحارب به الاسلام وينكره القرآن وتآباه الجامعة الاسلامية التي ليس لها وطن محدود، ولا عصبية قومية كما أسلفناه. بل ندعو إليها من حيث أنها الأساس الوحيد لبناء صرح مجد المسلمين، وباعتبار أن عز الإسلام مرهون بعز العرب، بصفتها الوسيلة الطبيعية الفذة إلى تحقيق الجامعة الاسلامية، وبذلك نتمكن من الجمع بين تطبيق المبدأ الاسلامي العام وإعادة وحدة العرب دعاة الاسلام وأبطاله، ومؤسسى مجده الأثيل، لنا عودة إلى الكلام على مقومات الوحدة العربية في المستقبل إن شاء الله تعالى،^(١) غير أن القدر لم يمهله ليحدد لنا مقومات هذه الوحدة - من وجهة نظره - فقد توفي بعد نشر هذه المقالة بقليل.

وهكذا يتضح أن الوريث كان مفكراً إسلامياً وداعياً إلى الجامعة الإسلامية، أكثر من أن يكون ذا فكر قومي يحث أو مؤدنا بالقومية العربية في حد ذاتها، فقد رأى في هذه القومية وسيلة وأداة لتوحيد العالم العربي، الذي سيعمل بدوره على إحياء الجامعة الإسلامية. ولقد كان الوريث بذلك أقرب إلى تفكير جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده من تفكير رجالات القومية العربية التي مثلها أعضاء جمعية «العهد» وجمعية «العربية الفتاة» في أوائل قرننا هذا.

ويأتى هنا دور أحمد المطاع الذى خلف الوريث فى الاشراف على الحكمة دون أن يحمل لقب رئيس التحرير أيضاً، فقد رأى كذلك : « أن العروبة والإسلام صنوان لا يفترقان، حياة أحدهما مرتبة بحياة الآخر،

(١) احمد الوزيت : الحكمة ، العدد ٧ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جنادى الأول،

١٣٥٨ هـ (يونيه/يوليه ١٩٣٩ م) ، ص ٢٠٤ .

لا بقاء للإسلام إلا بالعروبة ، ولا بقاء للعروبة إلا بالإسلام ، فهما كجناحي الطائر إذا هيمض أحدهما انخفض الآخر ... ، ثم أكل عبارته بالإشادة بدور العرب في خدمة الإسلام ، فقال : د ... فكانوا مبعث النور ، وحملوا الرسالة ، وناشروا أعلام الحضارة في العالم بأسره ، وكل مسلم مدين لهم ومحسوب عليهم ، (١) . ورغم هذا الاتفاق في الرأي بينه وبين الوريث ، فقد كان الفكر القومي العلماني لدى المطاع أكثر وضوحاً ، كذلك ميله إلى العروبة ، وإن كان هذا لا يقلل من قوة عاطفته الدينية واتجاهه الإسلامي .

وقد سبق أن ذكرنا أن المطاع قد أكمل مقالات الوريث التي بعنوان « الإصلاح » ، وأنه رغم حرصه على إبقاء العنوان — لغرض في نفسه كما قال — فقد نحى بالمقالات منعاً خاصاً ، إذ استطرد في الحديث عن اللغة العربية وتطورها ليفسر ما مر بها من ضعف نتيجة لإبعاد العرب عن السلطة منذ العصر العباسي كما ذكرنا ، وهي النقطة التي توفقت عندها مقالات الوريث قبيل وفاته . ودلّ حديث « المطاع » عن اللغة — الذي استغرق عدة مقالات — على ميله — بل وعلى تعصبه — للعرب والعروبة ، بالإضافة إلى عمق ثقافته ، واتساع أفقه ، ووضوح رؤيته . وقد بدأ موضوعه بتساؤل وجهه إلى نفسه وأجاب عليه يؤكد ما ذهبنا إليه عن شخصيته ، فقد قال : « وهل يصح أن نقول أن تلك الأمراض الفتاكة انتشرت أوبنتها من تمكن العجم واستيلائهم على مناصب الحكم وقيادة الجيوش أيام الحكومة العباسية فما بعدها كما أشرنا إليه أول هذا المقال ؟ أم نقول أن اللغة مثل الحياة ، ومن لازم الحياة الحركة والتغيير ، وأن اختلاف الأحوال وتقلبات الزمان وعوامل الالسنه والأقلام كان لها أثرها في التصحيف والتغيير

(١) أحمد المطاع : في سبيل الإصلاح ، المسكّة ، العدد ٤ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، صفر ١٣٥٩ هـ (مارس / أبريل ١٩٤٠ م) ص ٩٨ .

والتبديل والتجريف والعجمة والسكنة، وأن هذه العوامل والمؤثرات لم تكن وليدة العهد العباسي أو ما بعده بل يرجع تاريخ ظهورها إلى زمن الجاهلية ثم أيام الفتح والاستيلاء على ممالك العجم في صدر الاسلام . وهنا لابد لنا من إلقاء نظرة إلى الحركة الفكرية المتصلة بتاريخ لغتنا العربية من قبل الاسلام إلى أن طغت عناصر الفساد عليها وأحدثت فيها ما تقدم آفاء (١) . وهنا يشرع في الغوص في بحث لغوي أدبي تاريخي طويل لا قبل لنا به، لعمركه وحاجته إلى متخصصين في دراسات اللغة وتاريخها ، ولبعده عما نحن بصدد من ناحية القومية . غير أن ما يهمنا هنا هو الإشارة إلى وضوح الاتجاه العربي لدى المطالع كما ذكرنا دون أن يتطرق إلى الجانب القومي حتى نهاية مقالاته التي لم تكن لتوقف المجلة عن الصدور ، والتي وصلت في عرضها لمراحل اللغة إلى العصر الأموي فقط .

من العرض السابق يتضح أنه نظرا لاتجاه الإمام الإسلامي ، وللثقافة الاسلامية السائدة حينذاك ، وللأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلاد ، فقد كان الاتجاه الغالب في المجلة هو الاتجاه الاسلامي والوحدة الاسلامية ، ويأتي الاتجاه القومي العربي في المرتبة الثانية ، كما كان ينظر إلى الوحدة العربية باعتبارها وسيلة لغاية أكبر منها هي الجامعة الاسلامية ، غير أن هذا لا يقلل من عمق إيمان جماعة «الحكمة» وغيرهم من معاصريهم بالوحدة العربية ، فقد كان لهؤلاء جميعا دور كبير في دفع الإمام يحيى إلى الانضمام إلى جامعة الدول العربية فيما بعد . وما ذهبنا إليه يجعلنا لا نتفق مع الرأي القائل : « وطرحت الحكمة أيضا قضايا العصر في العالم العربي ... حين كان المد السائد يدعو إلى جامعة إسلامية لجميع المسلمين ، دحضت الحكمة هذه الدعوة في إفتتاحية صريحة للعدد السابع يدعو فيها أولا إلى وحدة العرب

(١) أحمد المطاع : الحكمة ، العدد ٤ ، السنة الثامنة ، المجلد الثاني ، صفر ١٣٥٩ هـ (مارس / أبريل ١٩٤٠ م) ص ١٠٠ .

باعتبارهم أمة واحدة تربطها وشائج أكثر من الدين (١)، فن ناحية لم تكن المقالة المشار إليها دافئة ناحية صريحة، للعدد، بل هي المقالة الثانية به من ناحية الترتيب وهي للوريث التي سبق أن تعرضنا لها بالعرض والتحليل من قبل، ومن ناحية ثانية، كان المد السائد حقا حينذاك هو الاتجاه الوطني القومي لإنشغال الأقطار العربية في مدافعة الاستعمار بشقي صورته، ومحاولاتها للحصول على الاستقلال، ومن ناحية ثالثة، لم يميل القدر الوريث كما ذكرنا ليوضح لنا وجهة نظره في: «مقومات القومية العربية»، كما وعد في نهاية هذه المقالة، وفي نفس الوقت ربط بقوة بين الوحدة العربية والجامعة الإسلامية، واشترط أن تكون الأولى وسيلة لتحقيق الثانية، وأنه يدعو للأولى لا باعتبارها نزعة قومية وعصبية جذسية إلى آخر ما سبق أن عرضناه.

أما من ناحية الجانب الإسلامي في المجلة، نقد سبق أن ذكرنا أنه كان الطابع الغالب فيها. ويرجع هذا لا إلى ما أشرنا إليه فحسب من أن هذا الجانب كان موضع اهتمام السلطة الحاكمة، وأنه كان دعامة نظامها، وأن المجلة كانت في نهاية الأمر مجلة حكومية لا تستطيع أن تحيد كثيرا عن الخط العام الذي رسمته الحكومة لنفسها، بل أيضا لأن الثقافة السائدة بين المحررين ومن عاصروهم من متعلمي ومثقي تلك الفترة - كما هو معروف ولموس - كانت هي الثقافة التقليدية ذات الطابع الديني. وقد سبق أيضا أن اتضح أمامنا في أكثر من موضع - وفي مناسبات عدة - كيف تغلب هذا الطابع بين مواد المجلة، من ناحية ما نشر بها من مقالات وموضوعات، ومن ناحية أيضا الاتجاهات التي رسمتها لنفسها والتزمت بها مثل الاتجاه الإصلاحى والعصرى والوطنى والعربى.

(١) عمر الجاوى: تطور الصحافة اليمنية، الحكمة (الجديدة)، العدد ٢٦، ذو الحجة

١٣٩٣هـ، يناير ١٩٧٤م، ص ٦٥ - ٦٦.

غير أن هذا لا يعنى أن هذه الاتجاهات لم تبرز في المجلة ، وأنها لم تكن تعتبر قضايا قائمة بذاتها تتحمس لها « الحكمة » وتدافع عنها بكل ما استطاعته من قوة وجراءة ، وبقدر ما سمحت لها ظروف النشر في تلك الفترة ، بل كان الأمر عكس ذلك ، إذ تعالت أصوات الحكمة تعبر عن الاتجاهات جميعا في سيمفونية جميلة النغم ، دون أن يتضح بين هذه الأصوات تعارض أو نشوز. ويرجع هذا التألف والتداخل بين اتجاهات المجلة إلى أنها تعرضت للإسلام من زاوية سلفية اصلاحية ، فقد أشادت بأعمال السلف الصالح ودعت إلى الرجوع إليها والتثل بها ، وفي نفس الوقت هاجمت بعنف رجال الدين المتأخرين الذين تمسكوا بالمظاهر والقشور وأهملوا فهم روح الدين ، فأدت مواقفهم منه إلى جموده وتأخره ، حتى تصوره البعض - من المعاصرين - أنه مصدر التخلف وملجأ الرجعية في البلدان الإسلامية. وبتمهيد آخر أبرزت الحكمة الجوانب المشرقة المضيئة في الفروض والعبادات والمعاملات والعلاقات وغير ذلك من جوانب الحياة ، أى غاصت وراء جوهر هذه النواحي وتناولتها بروح عصرية حديثة ، وعملت على تحطيم ما تراكم في التراث الديني من خرافات وخزعبلات ، بما شوه وجه الدين وأبعده ، عن متطلبات الحياة . لهذا كله لم يكن هناك تعارض بين الجانبي الإسلامى وبين باقى الجوانب التى تحدثنا عنها من قبل ، ذلك التعارض الذى قد يبدو للوهلة الأولى لمن ألقى نظرة عابرة على محتويات المجلة ، دون أن يتعمق وراء ما نبضت به هذه المحتويات من معاني وأهداف .

ويلاحظ أنه عندما قلنا أن الطابع الإسلامى هو الطابع الغالب على أعداد المجلة ، فإن هذا لا يعنى تغلبه من ناحية المساحة التى احتلها خلال تلك الأعداد ، بل كان العكس هو الصحيح ، فإن ما لمس الإسلام بالمجلة مسا مباشرا - أى بالآخرى ما يمكن تسميته « بالاسلاميات » - كان لا يتعدى الشكليات والمقالات القصيرة باستثناء مقالات الوريث التى بعنوان « الإصلاح » ،

فقد كانت هذه الكلمات من ناحية الكم لا تزيد عما جاء بالمجلة خاصا بالنواحي والجوانب الأخرى ، ولكن التغلب هنا يرجع إلى طبيعة روح المحررين والكتاب وثقافتهم مما كان يعكس نفسه على مواد المجلة المختلفة .

ويمكن أن نقسم هذه الاسلاميات ، الخاصة المباشرة إلى :

— الفرائض والعبادات والحث عليها ، وعرض فوائدها النفسية والصحية عرضاً مشوقاً للتمسك بها والإقبال عليها .

— الاخلاقيات العامة - مثل الصدق والأمانة - التي حرص عليها الاسلام ، مع ذكر النصوص الدينية الدالة على ذلك .

— المبادئ العامة التي حرص عليها الإسلام ونادى بها مثل الاتحاد والاخاء والتضامن ووحدة العالم الإسلامى وغير ذلك .

وتأكيداً لما ذهبنا إليه من ناحية الكم ومن ناحية طبيعة هذه الإسلاميات ، نجد أنه لم يظهر في العدد الأول من المجلة إلا مقالين قصيرتين إحداهما ليحيى النهارى - أحد أعضاء هيئة السكرتارية الأربعة - بعنوان « الأخلاق أساس كل فضيلة » ، أظهر فيها أهمية الأخلاق وتفضيلها عن العلم والمال ، ثم حرص في نهايتها على التمسك بها اتباعاً لما جاء به الإسلام . والثانية بعنوان « تعصب الإنكليز ضد الدين الإسلامى » بقلم آنسة انجليزية اعتنقت الإسلام ، ونشرت ماعانته من مواطنها ، ونقلت المجلة هذه المقالة عن إحدى الجرائد العربية ونشرتها في حلقتين متتاليتين . وفي العدد الثانى حافظت المجلة على النسبة ذاتها بين مرادها ، فلم تنشر الا تكملة مقال يحيى النهارى عن الأخلاق وكذلك تكملة مقالة الانجليزية التي أسلمت ، بالإضافة إلى كلمة قصيرة عن « مساوىء التنافس فى الأديان » باسم مستعار هو نزار ، الذى كان يوقع به الأستاذ السورى عبد النافع الجندى الذى سبق أن أشرنا إليه . وقد نشر نزار ، أيضاً مقالة فى العدد الثالث بعنوان « الاخلاص » ، كانت هى الوحيدة التى ظهرت

في هذا العدد بما يعد من الإسلاميات . وكانت المجلة تلجأ أحيانا إلى نقل بعض المقالات عن المجلات العربية ذات الاتجاه الاسلامي مما كان يخدم اتجاهها ، فنقلت في عددها الرابع مقالة عن مجلة « الهداية الإسلامية » ، التونسية عنوانها « من يحدد لهذه الأمة أمر دينها » بقلم سماحة العلامة السيد محمد الطاهر ابن عاشور ، شيخ الإسلام المالكي بتونس ، ونشرت إلى جانبها تعليق قصير لمحمد علي ربحان حول موضوع الانجليزية التي أسلمت يدور حول إبراز وضع المرأة في الإسلام ، ومدى احترامه لانسانيته على عكس ما يشيعه الغرب عن أمتهانها في الدين الإسلامي . أما في العدد الخامس فلم تظهر إلا مقالة واحدة ليحيى النهارى بعنوان « الواجبات الدينية وحكمة شرعيتها » ، ثم أعقبها في العدد السابع بمقالة عنوانها : « أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » . وفي نفس العدد نقلت المجلة عن جريدة الشباب جزء من بحث الأمير شكيب أرسلان الذي نشره تحت عنوان « لماذا تأخر المسلمون » ، وهذا الجزء خاص بضرورة ثقة المسلمين في أنفسهم ، ودعوة إلى الدفاع عن أوطانهم . واستمرت المجلة كما لاحظنا في اتباع سياسة التوازن بين الجوانب المختلفة عند نشر موادها ، فلم تدع جانبها يطغى على جانب آخر ، إذ لم تنشر في كل عدد إلا مقالا أو اثنين فقط من « الإسلاميات » ، وظلت هكذا حتى عددها الأخير ، فلم يظهر به إلا مقالة قصيرة واحدة لمحمد بن محمد الخالدي بعنوان « مهمة الدين الإسلامي : الاتحاد ، الأخاء ، التضامن » .

وهكذا نلاحظ أن تغلب الطابع الإسلامي على محتويات المجلة لم يكن من ناحية الكم ، بل كان من ناحية تغلب هذا الطابع على روح وثقافة من حرروا بها ، مما كان ينعكس على الجوانب المختلفة في المجلة ، فكانت الموضوعات الاصلاحية والوطنية والعربية وغيرها تطعم بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالإضافة إلى التراث الديني الطويل ، وهذا يؤكد طبيعة الثقافة السائدة حينذاك كما سبق أن ذكرنا .

الجانب الدولي :

وقد أدلت المجلة كذلك بدلوها في الشؤون الدولية ولو متأخرا ، فلم تظهر بها مقال يعالج هذا الجانب إلا عقب نشوب الحرب العالمية الثانية بقليل ، أو بالتحديد بعد مرور عام كامل من صدورها ، إذ لم تنشر هذه المعالجة إلا في العدد الثاني من سنتها الثانية . ويرجع تأخر اهتمام الحكمة بالشؤون العالمية إلى عدة أمور : منها ما كانت تعانيه من نقص في الإمكانيات التي تساعد على تتبع الأخبار الخارجية ، ومنها لانشغال محرريها بالمشاكل الداخلية العديدة ، هذا بالإضافة إلى سياسة العزلة التي فرضها الامام على البلاد مما كان يعكس آثاره على ثقافة المحررين واهتماماتهم . غير أن اشتعال الحرب وفضاعة أحداثها شد انتباه الجميع داخل اليمن وخارجها ، فبدأ أبناء الحكمة يتناولون جرائدها بقدر ما تسمح به إمكانياتهم في متابعة أخبار الحرب ، وبقدر ما تسمح به ظروف النشر حينذاك ، ويلاحظ أن تناول الحكمة لأخبار الحرب والتعليق عليها كان من بين أسباب توقف المجلة عن الصدور كما سنوضح فيما بعد .

وأول ما نشرته المجلة في هذا الصدد هي مقالة طويلة وضعتها في باب « من الأخبار » وعنوانها « روسيا ودول البلطيق » ، أشارت في بدايتها إلى ضم روسيا للدويلات الصغيرة على شاطئ البلطيق إليها ، وهي لتفيا ولتوانيا واستونيا ، ثم هجرها على فنلندا ، أما باقي المقالة فهو خاص بتتبع تاريخ الاتحاد السوفيتي منذ قيام الثورة عام ١٩١٧م إلى دخوله الحرب . أما المقالة الثانية فهي بعنوان : « فنلندا : تاريخها ، دفاعها وانتصارها » ، وقد تبعت فيها المجلة تاريخ فنلندا منذ عدة قرون إلى هجرم الاتحاد السوفيتي عليها ، حتى انتهت إلى الإشادة ببسالة فنلندا واستماتتها في الدفاع عن نفسها فقالت : « هذه هي فنلندا الأمة الصغيرة الباسلة التي تناضل اليوم وتسميت في سبيل

حفظ استقلالها وعزها وشرفها، وتقاوم دولة كبرى كثيرة العدد وافرة العدد شاكية السلاح^(١). ويلاحظ أن المقالة الأولى كانت بتوقيع «المحرر» والمقالة الثانية بتوقيع «قلم التحرير» - وهما متتاليتان في عدد واحد - ولكننا نرجح أن كاتبهما هو أحمد عبد الوهاب الوريث. ويلاحظ أن هاتين المقالتين قد لفتتا نظر أحد أبناء المحكمة (الجديدة) فاتخذهما دليلاً على تأثر المجلة بدعايات الغرب فقال: «على أن المحكمة قد تأثرت كثيراً من الصحف والمجلات الوطنية في العالم العربي آنذاك بالدعاية الاستعمارية والامبريالية، ونظرت إلى القضايا الدولية نظرة ليبرالية، وانحازت إلى مواقف عدائية للبلدان الاشتراكية في بداية الحرب العالمية الثانية خاصة إبان الحرب السوفياتية الفنلندية. وكان لها موقفاً طيباً ضد الفاشية أثناء احتلال إيطاليا للجيشة رغم العلاقات التي كانت تربط الامام بإيطاليا بعد توقيع اتفاقية التعاون في عام ١٩٣٦ م»^(٢). حقيقة كانت المحكمة تستقي معلوماتها عما يصلها من الجرائد والمجلات العربية التي تصل إليها وإلى «مقام» الامام نظراً لضعف إمكانياتها كما سبق أن ذكرنا، ولكننا نرى أن موقفها من الحرب الروسية الفنلندية يرجع أساساً إلى تعاطفها مع الدول الصغيرة وحقها في الدفاع عن استقلالها أكثر مما كان موقفاً عدائياً من الاتحاد السوفيتي، فهي لم تسب الاشتراكية أو البلدان الاشتراكية - بالسباب التقليدية المعروفة - كما فعلت - وما تزال - بعض الصحف العربية اليمينية أو غيرها ذات الاتجاه الإسلامي، وكل ما جاء في المقالتين من هجوم هو أنها أشارت في البداية الأولى إلى أن سبب نشوب الحرب العالمية الثانية هو المطامع الاستعمارية - وهذه حقيقة تاريخية - وأنها عبرت عن هجوم السوفيت على فنلندا بأنه اعتداء دولة كبرى

(١) المحكمة : العدد ٢ : السنة الثانية ، المجلد الثاني ، ذى الحجة ١٣٥٨ هـ (يناير /

فبراير ١٩٤٠ م) ص ٦٤ .

(٢) عمر الجاوي : المحكمة (الجديدة) ، العدد ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٩٢ هـ - يناير

١٩٧٤ م ، ص ٦٦ .

على سيادة دولة صغرى، وهو نفس الموقف الذى وقفته من احتلال إيطاليا للحبشة - كما أشار الكاتب نفسه - بغض النظر عن أنه كان هناك معاهدة مبرمة أيضا بين الإمام والاتحاد السوفيتى منذ عام ١٩٢٨م^(١).

ويؤكد ما ذهبنا إليه ما نعرفه عن انتشار الخوف والهلج بين مفكرى ومثقى اليمن - ممن عاصروا الحكمة - من تزايد نفوذ إيطاليا لدى الإمام يحيى، وأنهم كانوا يرتجفون ذعرا كلما لمسوا مظاهر النشاط الإيطالى فى اليمن وخاصة بعد استيلاء إيطاليا على الحبشة عام ١٩٣٤م، لأنهم كانوا يرون أن إيطاليا ستعمل حتما - باعتبارها دولة كبرى تطمع فى التوسع والاستعمار حينذاك - على أن تمد قدمها الثانية إلى بلادهم لغلق البحر أمام بريطانيا، وأنه لولا هزيمتها فى تلك الحرب لكان لها مصير آخر مع اليمن^(٢). وقد أورد لنا الأستاذ أحمد المعلى - فى مقدمته لكتاب «من الأدب اليمنى» - نموذجا من شعر أستاذ القاضى على بن يحيى الأريانى الذى قيل فى تلك الفترة، والذى يعد من «النصح المذهب» - على حسب تعبيره - الموجه إلى الإمام فقال :

« فعند أن احتلت إيطاليا أثيوبيا، الحبشة سنة ١٩٣٥. أوفد الدواش مسؤولين وفدا برئاسة غاسبرين حاكم اريتريا آنذاك لعقد معاهدة صداقة وتعاون^(٣)، ولمكن بين من ؟ بين دولة مستعمرة فاشية، قوية، ودولة ضميعة واهية متخلفة، فتقدم القاضى على الأريانى ناصحا بقصيدة بقى فى ذاكرتى منها :

بربك يا أمير المؤمنين أعينك من أذى المستعمرينا
فهم أصل اضطهاد المسلمين وهم أعداؤنا : دنيا وديننا

(١) يرجع إلى نص المعاهدتين الإيطالية والسوفيتية مع الإمام بين ملاحق كتابنا «تكوين اليمن الحديث» .

(٢) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٣) الأصح هو تجديد المعاهدة الإيطالية اليمنية سالفة الذكر .

والمعارض الذي يهاجمها ويقف ضد نشوبها ، ثم عرض وجهة نظر الشريعة الإسلامية في الحروب وأنها نظرت إليها باعتبارها ظاهرة طبيعية ، ولكن وضعت لها شروطاً معينة فقال : « فأصلحت هذه الظاهرة الطبيعية إصلاحاً كبيراً ، فوضعت نظاماً للحرب سيواجه العدل ، وسداه ولحمته النفع العام والإصلاح الشامل ، وحرمت الحروب التي تثيرها الشهوات والمطامع ، وحفزت العقول إلى السلم والجنوح إليه ما استطاعت ، كما أنها دعت إلى الصراع والصدام إذا صار الحق مهضوماً ، والعدل منبوزاً ، والكرامة مفقودة ، والفضيلة مهينة ، والأخلاق متسفلة ، والطباع مرتكسة ، والشرو متغلبة ، والظلمة متراكمة ، والروابط متفككة^(١) » . وأكمل العزب مقالته بالتحدث عن الحرب العالمية الثانية ذاتها واكتساح الزحف الألماني للحكومات والشعوب في أمد قصير ، ومحاولة فرنسا وانجلترا صد هذا الزحف ، حتى وصل إلى رأى وهو أن هذه الحرب نتيجة إفلاس القوى المادية وعجزها عن حل المشكلات العالمية حلاً سليماً ، ثم ناشد الشعوب الإسلامية إلى الرجوع إلى الله للخروج من نكباتهم .

وتابع العزب حديثه عن الحرب في العدد التالى مباشرة تحت عنوان : « في عظمة الفتح الإسلامى وسر الانتصار الألمانى » ، نظرة في الحرب الأوروبية ، ، تكلم فيها عن توالى أخبار الحرب وأحوالها وشراستها في أوروبا ، وأن هذه الحرب تهدد مدينة العالم ومظاهر حضارته بالدمار والفناء ، ثم عرج إلى الحديث عن طبيعة الفتوحات الإسلامية ، أو الثورة الإسلامية على حد تعبيره ، التي هبت من أجل نشر النور والعلم والحق ، والتي استطاعت بفضل مبادئها أن تؤسس امبراطورية مترامية الأطراف

(١) عبد الله العزب : الحكمة ، العدد ٦ ، السنة الثامنة : المجلد الثانى ، ربيع الثانى

١٣٥٩هـ (مايو / يونيو ١٩٤٠م) ص ١٧٢ .

والمعارض الذى يهاجمها ويقف ضد نشوبها ، ثم عرض وجهة نظر الشريعة الإسلامية فى الحروب وأنها نظرت إليها باعتبارها ظاهرة طبيعية ، ولكن وضعت لها شروطا معينة فقال : « فأصلحت هذه الظاهرة الطبيعية لإصلاحا كبيرا ، فوضعت نظاما للحرب سيواجه العدل ، وسداه ولحمته النفع العام والإصلاح الشامل ، وحرمت الحروب التى تثيرها الشهوات والمطامع ، وحفزت العقول إلى السلم والجنوح إليه ما استطاعت ، كما أنها دعت إلى الصراع والصدام إذا صار الحق مهضوما ، والعدل منبوزا ، والكرامة مفقودة ، والفضيلة مهينة ، والأخلاق متسفلة ، والطباع مرتكسة ، والشروط متغلبة ، والظلمة متراكمة ، والروابط متفككة^(١) ، . وأكل العزب مقالته بالتحدث عن الحرب العالمية الثانية ذاتها واكتساح الزحف الألماني للحكومات والشعوب فى أمد قصير ، ومحاولة فرنسا وإنجلترا صد هذا الزحف ، حتى وصل إلى رأى وهو أن هذه الحرب نتيجة لإفلاس القوى المادية وعجزها عن حل المشكلات العالمية حلا سليما ، ثم ناشد الشعوب الإسلامية إلى الرجوع إلى الله للخروج من تكباتهم .

وتابع العزب حديثه عن الحرب فى العدد التالى مباشرة تحت عنوان : « فى عظمة الفتح الإسلامى وسر الانتصار الألمانى ، نظرة فى الحرب الأوروبية ، ، تكلم فيها عن توالى أخبار الحرب وأهوالها وشراستها فى أوروبا ، وأن هذه الحرب تهدد مدنية العالم ومظاهر حضارته بالدمار والفناء ، ثم عرج إلى الحديث عن طبيعة الفشحات الإسلامية ، أو الثورة الإسلامية على حد تعبيره ، التى هبت من أجل نشر النور والعلم والحق ، والتى استطاعت بفضل مبادئها أن تؤسس امبراطورية مترامية الأطراف

(١) عبد الله العزب : الحكمة ، العدد ٦ : السنة الثانية : المجلد الثانى ، ربيع الثانى

١٣٥٩هـ (مايو / يونيه ١٩٤٠م) ص ١٧٢ .

في مدة وجيزة، مما يعد لغزاً غامضاً أمام المفكرين حتى الآن، نظراً لعدم توفر العدد والسلاح في أيدي العرب الفاتحين حينذاك . وقد رأى العرب أن سر انتصار ألمانيا - عند بداية الحرب - هو موقف دول الحلفاء منها عقب هزيمتها في الحرب العالمية الأولى ، فرغم أنها أمة ذات حضارة قديمة فقد ظلت « متوترة موعودة الصدر تضطرم حقدا وضغينة على خصومها الذين أعنتوها وأرهبوها بتحكمهم في نظامها وحقوقها ، وفرضهم الرقابة على حكوماتها ، واستلابهم ممتلكاتها ، واقتطاعهم جزءا من وطنها ومحاولتهم السيطرة على مستقبلها ، والحيلولة بينها وبين حيويتها ... » (١) ، ولنا عود إلى هذه المقالة عند الحديث عن أسباب توقف المجلة لما بدأ فيها من تعاطف مع ألمانيا كما سنرى .

وكيفما كان الأمر في تغييب المجلة عن الظهور ، فقد كانت مقالة العرب هي آخر المقالات التي نشرت بالحكمة تعالج الحرب - أو للشئون الدولية - معالجة صريحة مباشرة . غير أن أحمد المطاع تناول هذا الموضوع في افتتاحية أحد الأعداد التي كتبها بمناسبة بداية العام الهجري الجديد (١٣٦٠) ، وقد استهل مقالته بالدعاء إلى الله أن يرحم العالم من ويلات الحرب ويوقف هذه المحنة القاسية ، ثم قال ان العالم ودع العام السابق وهو مليء بالآوهام والاحزان ، ووصف في عبارة أدبية ما قاسته البشرية فيه ، كذلك رأيه في الحرب وأسبابها فقال : « ودعناه ولا هم للعالم غير مراقبة الأحداث ، وتسقط الأخبار ، والاصاخة للذياع ، وأمم الغرب تسبح في بحار من الدماء فلا تسمع إلا حشرجة النفوس ، وزلولة العروش ، وتساقط التيجان ، وقعقة السيوف ، ودوى القنابل ، وأصوات المدافع ، وانفجار المدمرات ،

(٢) عبد الله العزب: الحكمة ، العدد ٧ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، جنادى الأولى

١٣٥٩ (يونيه / يوليه ١٩٤٠م) ، ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

وحفيف الطائرات ، وأزيز القذائف ، وهمس الكتائب ، ومهمة الجحافل ، قد حشرتهم الاطماع ، وحفزتهم الاحقاد ، وأحاطت بهم الخطايا ، وسافتهم لك معالم حضارتهم التي بلغت منتهى العمران دكاً ...^(١) ، وهو بذلك يقيم الحرب العالمية الثانية بأنها حرب استعمارية تسيطر عليها الاطماع والاحقاد ، وهو ما يتضح بجلاء في باقي نقاط المقالة . وقد أنهى المطاع كلمته بما يتفق مع آراء رجال الحكمة الآخرين الذين يرون أن سبب هذه الصراعات الالنية ترجع إلى ابتعاد البشرية عن الديانات السماوية وعدم اللجوء إلى شرائعها ، ثم يدعو زعماء المسلمين إلى المحافظة على شعوبهم من الولايات الدائرة فقال : « والمرجو من بيده الحول والقوة أن يرحم أمة محمد وأن يحفظها بهذا المعتك الرهيب من سباع الاطماع ، وكوامر الشعوب ، وجوارح الأمم ، وبأخذ بناصيتها إلى الاعتصام بحبله المتين ، وهدى سيد المرسلين ... »^(٢) ، ويلاحظ أنه قد لمح هنا بصورة خفية إلى خوف الصينيين من وقوع بلادهم في أيدي الايطاليين ، ويدعو إلى ضرورة المحافظة على استقلال الصين .

وهكذا يتضح أن الحكمة ، قد :

- شاركت في الاهتمام بالشئون العالمية بقدر ما تسمح به ظروف البشر في إطار العزلة المفروضة على البلاد .
- فزعت لولايات الحرب العالمية الثانية وأحوالها ، مما شدها إلى الإنفغات إليها ومتابعة أخبارها بقدر ما سمحت بها إمكانياتها المحدودة للغاية .

(١) أحمد المطاع : الافتتاحية : الحكمة ، العدد ٣ ، السنة الثالثة : المجلد الثالث ، محرم ١٣٦٠ هـ (يناير / فبراير ١٩٤١ م) ص ٦٦ .

(٢) نفس المرجع : ص ٦٩

- وقفت من الحرب موقفاً مبدئياً غير منحاز بقدر ما نستطيع ، فهاجت البلدان المتحاربة بغض النظر عن اختلاف عقائدها ومبادئها .
- تبنت قضية الدول الصغرى وحقها في المحافظة على استقلالها وسيادتها مهما تباينت جنسياتها ودياناتها .
- آمنت بأن الحرب الدائرة حرباً استعمارية ، ألهمت الاطماع والاحقاد ، ورأت أنه من الضروري الرجوع إلى الديانات السماوية وثمراتها .
- ولقد كان هذا كله تعبيراً عن موقفها من الجانب الدولى .

وهكذا يتضح مما سبق مدى النوع الذى اشغلت به « الحكمة » ، فظهر أنها كانت مجلة شاملة وليست متخصصة كما ذكرنا ، إذ رأينا كيف أنها تحدث بمختلف الأخبار والموضوعات والاتجاهات والاهتمامات ، مما عكس بصورة جليلة صور الحياة والأفكار فى الين فى تلك الفترة . كذلك اسسنا بوضوح أن المجلة غلقت محتوياتها المختلفة - من أدب وتاريخ وعلوم حديثة وغيرها ، ومن جرائد وطنية وعربية وإسلامية ودولية - بغلاف إصلاحى تجديدى عصرى ، مما رفع شأنها ، وشدها اهتمام معاصريها من ناحية ، ومن ناحية أخرى أدى فى نفس الوقت إلى توقفها كما سنرى .

مدى نجاح الحكمة :

إن من يتعرض بالدراسة لموضوع الصحافة البينية وتطورها يلمس بوضوح فى كتابات البعاث الحاليين وفى أقوال من عاصروا « الحكمة » ، أنها قد أحرزت نجاحاً ملموساً خلال عمرها القصير . فقد قيل أنها : « استطاعت أن تؤثر على الرأى العام البينى » ، وأنها بتوقفها : « انتهت الصحافة

الوطنية في اليمن،^(١) . كذلك قيل : ان الرأي العام اليمني كان يتابع مواد الحكمة باهتمام كبير ، وأنها بتوقفها تركت فراغاً يصعب مآؤه ، كما أنه - أي التوقف - حدد نهاية الصحافة الوطنية في اليمن،^(٢) . ورغم صحة هذين الرأيين ، فإن الاعتراض هنا ينصب على تعبير الرأي العام اليمني ، إذ سبق أن أشرنا إلى أن تأثيرها كان محدوداً بين فئات اجتماعية معينة مثل بعض الشباب من المتعلمين^(٣) . فن البديهي - لطبيعة التكوين الاجتماعي وقلة انتشار التعليم حينذاك - أن كان انتشارها : «محصوراً بين الأدباء والمثقفين ، وكان الاشتراك فيها محدوداً ، لذلك كان تأثيرها محدوداً أيضاً»^(٤) ولا يقلل هذا كله من أن المجلة قد حققت نجاحاً تاماً ، ولكن كان هذا النجاح في إطار اجتماعي محدود ، وذلك كما يفهم من حديث أحد معاصريها الذي قال : «كتب لهذه المجلة النجاح داخل اليمن ، النجاح الذي لم يسبق له نظير ، وتلقاه الأدباء والمفكرون بكل ترحاب ولطفة»^(٥) .

ولا يتعارض ما ذكرناه عن نجاح الحكمة مع ما تحدثنا عنه في بداية البحث من أنه كان لا يطبع من العدد الواحد منها إلا ألف نسخة فقط ، وأن الإمام يحيى كان يجبر موظفيه - كما كان يفعل بالنسبة للإيمان - على الاشتراك فيها ، إذ أن حجم المطبوع منها لا يدل عن حجم قارئها ، فقد كان من

(١) عمر الجاوي : الحكمة (الجديدة) ، العدد ٢٦ ، ذو الحجة ١٣٩٣ هـ ، يناير

١٩٧٤م : ص ٦٦ .

(٢) Abdalla El-Zine : Le Yemen, et see Moyen D'information, Tome I, P.O.I.

(٣) سبق أن ذكرنا أن الوريث قد اعترف بضيق مجال نجاحها وتأثيرها في افتتاحية عامها الثاني أثناء حديثه عن ضرور المثابرة في إصدارها ، كما ذكرنا أيضاً أن القاضي عبادة الشماحي ذكر في كتابه أن تأثيرها كان واضحاً بين الشباب المتعلم .

(٤) من إجابات الأستاذ أحمد المروني .

(٥) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

المتعارف عليه في المجتمع اليمني - وخاصة في تلك الفترة - تداول ما يصل إلى أيدى البعض من كتب ومطبوعات بين أكبر عدد ممكن من القراء ، نظراً لضعف القدرة الشرائية ، ولخلو السوق اليمنية منها أيضاً ، كذلك كانت عادة القراءة الجماعية منشرة بين اليمنيين في مجالسهم الخاصة^(١) ، فكان هذا كله يعاضف من عدد المطالعين على أعداد الحكمة ، المنقبين لموادها .

ورغم هذا فإن تلك الأيدى والجلسات كانت لا تعنى إلا أعداد محدودة من مثقفي تلك الفترة وخاصة من أبناء المدن اليمنية الكبيرة مثل صنعاء وصعدة وذمار واب وتعر ، ولا نقول الحديثة لأنها لم تكن لها شأن كبير - في المجال الثقافي على الأقل - حتى ذلك الحين . وفي نفس الوقت كانت هذه الأعداد المحدودة توجد في أماكن متفرقة خارج هذه المدن في أنحاء اليمن طولا وعرضاً ، ويلاحظ ذلك كل من يتتبع أسماء من حرروا بها - خاصة بعد الأعداد الأولى منها أي بعد اشتراكها ووضع اتجاهاتها واهتماماتها - وكل من يحصر أسماء من أرسلوا لها بكتابتهم وقصائدهم من الأدباء والشعراء ، التي عبروا فيها عن ترحيبهم بظهور المجلة وتشجيعهم لها ، والتي نشرتها الحكمة ، في عدديها الثاني والثالث بصفة خاصة ثم في أعداد متفرقة بعد ذلك ، أن كل من يفعل ذلك يلاحظ أن التوزيع الجغرافي لهذه الأسماء يشمل

(١) تشتهر هذه الجلسات في اليمن باسم « المناكبي » (أو المداكبي حسب التعبير الدارج) ومفردتها متكى ، نسبة إلى الوسائد التي « يتكى » عليها المرء أثناء جلوسه على الأرض ، وينسب المتكى بالتالي إلى المكان نفسه أي إلى تلك القاعات المروشة بالطريقة العربية والمخصصة لاستقبال الضيوف ولتخزين القات . وكانت هذه الجلسات تشبه الصالونات الأدبية ، إذ كان يتبارى فيها الأدباء والشعراء في إلقاء الطرائف والقصائد وتبادل المناقشات حول المسائل الهامة ، وبعد مرور بعض الوقت يقرأون فصلاً أو فصلاً من إحدى الكتب ثم يتناقشون حول ما جاء بها . وكانت مثل هذه الجلسات تمثل غذاء روحياً لأبناء تلك الفترة ، ومن أشهرها متكى السيد حسين عبد القادر عامل صنعاء حينذاك وحتى ثورة ١٩٤٨ . وما زال اليمنيون يتبعون هذه التقاليد - ولكن بنسبة أقل - وخاصة في أمسيات شهر رمضان .

جميع أنحاء اليمن ، بل قد يتعجب المرء - عند متابعة أماكن هذه الأسماء على إحدى الخرائط اليمنية - من وصول المجلة إلى تلك الأماكن النائية داخل البلاد ، رغم صعوبة المواصلات ووعورة المسالك في تلك الفترة ، ومن نجاحها في إثارة الاهتمام هنا وهناك حتى انتهت عليها الكتابات من المحررين والمحررين على السواء .

ولا حاجة هنا إلى متابعة كلمات الترحيب التي نشرتها الحكمة والإيمان ، فربما كانت من الأمور التقليدية التي تصاحب مثل هذه المشروعات في بدايتها ، وإن دلت دون شك على مدى نجاح المجلة ، وإلى مدى تعطش الحياة الفكرية النامية في اليمن إلى ما يماثلها ، ولكن ما يهمنا هنا هو الإشارة إلى أن هذه الكلمات من ناحية كانت تأتيها من خارج البلاد بأقلام يمنية وغير يمنية ، ومن ناحية أخرى كان بعض أصحاب هذه الكلمات يثنون فيها ما يأملون أن تحققه « الحكمة » من تطوير في مجالات الحياة المختلفة .

فن ناحية ما وصل إلى « الحكمة » من الخارج ، نشرت المجلة قصيدة لمحمد صالح المسمري عضو البعثة اليمنية بكلية اللغة العربية بالقاهرة ، حينذاك ، كما ذكر بجوار اسمه بالمجلة ، نورد بعض أبياتها :

منها : جنحتم إلى الحكمة الناطقة لحسانات موفقة صادقة
روت للمعارف آدابها وأرضى محررها خالقها
ومنها : فشعبكم اليوم يزهي بكم ويحمد رب الورى رازقه
لحكمكم وجهود الشباب أهدي تحيى العابقة^(١)

(١) الحكمة : العدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، صفر ١٩٥٨ م (مارس /

أبريل ١٩٣٩ م) ، ص ١١٤ - ١١٥ .

ويلاحظ أن هذه هي المرة الأولى التي ظهر فيها اسم «المسمرى» بالمجلة ،
إذ أصبح فيما بعد من أهم كتابها ، كما كان من ضمن من اقروا حتفهم بعد فشل
ثورة ١٩٤٨ .

كذلك وصلت إلى المجلة قصيدة من يحيى الدين الجندى^(١) بمحضر
بسوريا ، جاء فيها :

يا مرحبا بمجلة صدرت بصنعاء اليمن
برزت بشيرا للثقافة في ربى ذاك الوطن
ومنها : أنعم بها من دوحته بثمارها تنمو الفطن
لله موجدتها الذي أحى المعالم والسنن^(٢)

وقد انتهت أيضاً الكلمات الترحيبية من داخل البلاد على الحكمة ،
فنشرت في عددها الثاني بعض مقتطفات ما وصلها ، وأغلبها يعبر عن فرحة
الجميع بظهور المجلة لأنها ستكون — كما نحنا — متنفساً للأفكار النامية
حينذاك . وعبر عن ذلك أحد هؤلاء وهو زيد الموشكي فقال بأنه كان
يسطر أفكاره : « في أوراق معدودة لكنها لا تبلغ حد النشر والإذاعة إلا
على خاصة الإنسان . أما الآن وقد أنشأت مجلة الحكمة اليمنية فإن الكاتب
منا يتمكن من إذاعة رأيه ونشر أفكاره »^(٣) . وقد شاركت جريدة «الإيمان»

(١) يبدو من تشابه هذا الاسم مع اسم الأستاذ عبد النافع الجندى ، المدرس السورى
باليمن سالف الذكر . أنهما أخان ، ولأن عبد النافع هو الذى أرسل لأخيه نسخة من المجلة
— لأنه كان يحرر بها — فرد أخوه بهذه القصيدة .

(٢) الحكمة : العدد ٤ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، صفر ١٣٥٨ هـ (مارس / أبريل
١٩٣٩ م) ص ١١٥ .

(٣) الحكمة : العدد ٢ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى الحجة ١٣٥٧ هـ (يناير /
فبراير ١٩٣٩ م) ص ٥٨ .

في نشر كلمات الترحيب بالحكمة ، وأعجبنا منها كلمة للقاضي عبد الرحمن
ابن محمد بن الحداد : كاتب محكمة دمار ، لأنها نموذجاً لما أشرنا إليه ، وهو
أن بعض هؤلاء المرحبين كانوا يبشرون آمالهم في تقديم البلاد وتطورها خلال
كلمات الترحيب هذه ، فبعد أن قدمت مقتطفات من كلماته ، نشرت القصيدة
التي ألحقها بها ، وقد جاء فيها :

سابقوا يا قوم رقوا الوطناً وانمضوا واستمضوا أهل الدنى
توروا الأفكار بالعالم ولا تطمعوا في النجاح إلا من هنا
كانت الرقيا لنا من قبلهم ليس نرضى بترك ما كان لنا
هذه آثار قحطان عفت وهي ما زالت تروها هنا
نقبوا عنها تروها أفصحت عن رخاء كان بمدوح الثنا (١)

نخلص عما سبق أن المجلة قد نجحت نجاحاً تاماً من حيث الإقبال عليها
والتلف على متابعة موادها ، كذلك يتضح أنها كما سدت فراغاً في الحياة
الفكرية ، إذ كان الينى في حاجة إلى مثيلاتها ، فقد كانت في حد ذاتها استجابة
للحياة الفكرية النامية في تلك الفترة ومعبرة عنها . ويلاحظ أن نجاح المجلة
والإقبال عليها والتأثر بها كان في أوساط ودوائر معينة — وهي المتعلقة
بالمثقفين — وليس على المستوى الجماهيري الواسع العريض ، أو كما قيل : الرأي
العام الينى . ولا يرجع ما ذهبنا إليه إلى ضعف مستوى المجلة العلمي والثقافي ،
بل يرجع إلى قلة انتشار التعليم وضعف الوعي حينذاك بين الجماهير اليمنية .
وتؤكد الأحداث التاريخية هذا الرأي ، فمن المعروف أن جهل هذه الجماهير
 وضعف وعيها ونقص توعيتها ، كان هذا كله من بين الأسباب الرئيسية لفشل

(١) الإيمان : العدد ١٥٠ ، السنة الثالثة عشرة ، ذي الحجة ١٣٥٧ هـ / يناير / فبراير

ثورة ١٩٤٨^(١) ، تلك التي نشبت بعد اختفاء الحكمة بسبع سنوات ، والتي كانت المجلة نفسها من العوامل التي مهدت لها وبشرت بمبادتها .

أسباب توقف المجلة :

وهنا يتبادر إلى الذهن تساؤل هام ، وهو لماذا توقفت « الحكمة » ، عن الظهور ؟ ذلك رغم مستواها الثقافي الرفيع كما شاهدنا ، ورغم نجاحها وإقبال المتعلمين عليها ، ورغم اتخاذها الخط الإصلاحي وليس الثوري ، إذ لم تحاول أن تصطدم بالسلطة والأنظمة القائمة بل كانت حذرة متيقظة في نداءاتها الإصلاحية كما لاحظنا .

وربما يتفرع من هذا السؤال أسئلة عديدة أخرى ، مثل : ما هو الموقف الحقيقي للسلطة القائمة من المجلة ومن محرريها ؟ وإذا كانت هذه السلطة لا ترغب في وجود المجلة ، فما هي الظروف الواقعية التاريخية التي أجبرتها على الموافقة على صدورها ؟ ثم ما هي الظروف أيضا التي دعت إلى أن تسكت عن توقفها ؟ أو بالأحرى ما هو دورها في توقف المجلة عن الظهور ؟

ومن هذه التساؤلات أيضا التي تتبادر إلى الذهن : من هم هؤلاء المحررين ؟ أى ما هي حقيقةهم الاجتماعية والثقافية ؟ وما هي انتماءاتهم ؟ وماذا يمثلون ؟ وما هي الأهداف التي جمعتهم والأغراض التي رموها إليها ؟ وما هي الأوضاع التاريخية والاجتماعية التي أدت إلى ظهورهم وإلى تحديد موقفهم ؟ وهل كانوا يعبرون عن أفكار واتجاهات سياسية معينة ؟ أو هل كانوا على اتصال بتنظيمات سياسية قائمة ؟ وما هي طبيعة هذه التنظيمات أو التجمعات السياسية ؟ .

وهكذا هناك العديد من التساؤلات التي تطرح نفسها بقوة في هذا المجال ،

(١) عبد الله البردوني : رحلة في الشرع النجى ، ص ١٧٢ .

والتي ربما لا نستطيع أن نوفي بعضها حقها في الإجابة والتوضيح نظراً لنقص المادة التاريخية العلمية اللازمة . ورغم هذا سنحاول - قدر الاستطاعة وقدر توفر المادة اللازمة - الإجابة على هذه التساؤلات ، وتوضيح هذه النقاط .

وربما يكون الموضوع القائم أمامنا الآن هو : كيف توقفت الحكمة عن الظهور ، ولماذا ؟ إذ تعتبر الإجابة على هذا التساؤل هي المفتاح الطبيعي للإجابة على باقي التساؤلات كلها أمكن ذلك . وقد تعددت الإجابات حول هذا السؤال الذي طرحته أمام عدد من المعاصرين « للحكمة » ومن المهتمين بها ، فكانت إجاباتهم تكاد أن تكون متشابهة ، وتكاد أن تدور حول محور رئيسي وهو أن السلطة حينذاك لم تصدر المجلة ، ولم تعتمد أن تأخذ موقفاً عنيفاً منها ، بل استغلت وهيأت الظروف الطبيعية لتوقفها ، ثم سكنت عن هذا التوقف ، حتى يتناسى المجتمع البني في هدوء اختفاء الحكمة عن الصدور . ذلك لأن تلك السلطة لم تكن راضية عنها في حقيقة الأمر ، وكانت تمنح الفرصة لإيقافها ، ولكنها لم ترغب في الاصطدام بها ، بل أخضعتها للأسلوب السياسي المعروف الذي اشتهر به الإمام يحيى ، والذي كان يعتمد على تحيين الفرص ، والاعتماد على الزمن ، وعدم الاعتماد على العنف المكشوف ، وذلك للتخلص من معارضييه السياسيين والقضاء على خصومه .

ويكاد أن يكون هناك إجماع بين الإجابات التي تلقيتها حول هذا السؤال على أن السبب الرسمي الظاهري لتوقف الحكمة عن الصدور هو قلة الورق باليمن خلال فترة الحرب نظراً لتوقف الاستيراد - أو انقطاعه تقريباً - نتيجة ظروف الحرب نفسها ، فأصدر الإمام أمره بإيقاف « الإيمان » ، ود الحكمة ، معاً لهذه الظروف الاستثنائية^(١) . ولا شك أن هذا

(١) من إجابات الصفي أحمد محبوب ، والسيد أحمد بن محمد الشامي وغيرها .

السبب كان كافياً ومنطقياً للغاية من جانب الإمام وأمام المعاصرين ، غير أن ما يدل على أنه كان للإمام موقفاً معيناً من « الحكمة » هو موافقته على إعادة « الإيمان » إلى الظهور بعد قليل ، والسكوت عن عدم عودة الحكمة ، مما يعني أن الحكمة لاقت حتفها في صمت وسكون دون صدام أو ضجة ، وبما أدى إلى أن ابتلع « المحررون » الغصة في هدوء وصمت أيضاً لأنهم لم يستطيعوا مواصلة رسالتهم وجنى ثمار جهودهم ، كما ألمح مشرفها أحمد المطاع - كما ذكرنا - في افتتاحية السنة الثالثة للمجلة ، وهي السنة التي لم تكتمل لتوقف المجلة فيها .

وهناك سبب آخر ظاهري أيضاً رددته البعض ، واحتج به الإمام أمام معاصريه ، وهو خوفه - أى الأخير - من أن يظهر انحياز الحكمة إلى أحد الأطراف المتحاربة في الحرب الثانية^(١) ، وخاصة لأن الإمام كان قد أعان حينا بلادته عند نشوب الحرب . ويبدو أن الإمام قد اعتمد في ذلك على ما ظهر في مقال « العرب » الأخير الذي أشرنا إليه أثناء الحديث عن موقف الحكمة من الجانب الدولي ، إذ ألحنا إلى أن العرب قد تعاطف بعض الشيء مع ألمانيا النازية في هذا المقال ، فدافع عن إثارتها الحرب بأنها كانت تشعر بأنها « موتورة مهضومة الحقوق منذ هزيمتها في الحرب العالمية الأولى » .

غير أنه كانت هناك أسباب أخرى وراء توقف الحكمة ، أو بتعبير أدق وراء سكوت الإمام عن عودتها إلى الظهور ، فقد قيل : « إن الإمام لم يكن راضياً عما يكتب بها تماماً » ، بل كان يشعر من خلاله بأن هناك ما يخالف رأيه ، أو هناك تلميح إلى بعض الأوضاع السائدة في اليمن ، وإلى سياسة الإمام نفسه ، وليست كلها مديح وإشادة بأعماله ، أو مجرد وعظ وإرشاد يتفق مع آرائه ، ولذلك كانت الحكمة تعتبر المدرسة الوطنية الأولى التي ظهرت في اليمن^(٢) . ويؤكد هذا الرأي ما قيل حول تفسير الصدام بين

(١) من إجابات الصفي أحمد محبوب .

(٢) نفس المصدر .

الإمام وهيئة التحرير: « بأن الإمام كان يريد أن يكون الاهتمام حول المسائل الدينية مع ملء المجلة بالآيات والحديث مع شرحها والحث عليها ، ولبس حول الأمور العصرية مثل الديمقراطية والحياة الاجتماعية وغيرها . وكانت هيئة التحرير تحاول بقدر ما يمكنها أن تصبغ كتاباتها بالصبغة العلمية العصرية ، مع تناول الموضوعات الدينية تناولا حديثا ، والإشارة إلى أعمال السلف الصالح والتأكيد عليها ،^(١) .

لذلك يصدق القول بأن : « توقفها كان فرصة للإمام لإلغائها ، وذلك بالسكوت عن عودتها ،^(٢) . ومن البديهي أن نقول أنه كان هناك إختلاف في موقف الإمام من كل من « الجريدة » و « المجلة » ، تبعاً لطبيعة ودور كل منهما كما سبق أن لمسنا ، لذلك قيل أن : « عودة الإيمان إلى الظهور بعد احتجابها هي كونها الجريدة الرسمية الصادرة من الديوان الملكي ، أما الحكمة فإن عودتها سيكلف الامام جهوداً لمراقبتها وتمويلها وهو غير راض عنها ، ولأن السيف عبد الله كان بعيداً عن أبيه الامام — حينذاك — فهو في الحديدة أو في الخارج ،^(٣) . والحقيقة أن وجود السيف عبد الله في صنعاء وزيراً للمعارف قد أفاد كثيراً في صدور المجلة كما رأينا ، كذلك أفاد كثيراً في استمرارها لتبنيها لها ولأنه لعب : « دوراً كبيراً في حماية المحررين من التآمر والوقية بهم عند الامام ،^(٤) . وكان السيف عبد الله قد عين أميراً للواء الحديدة إلى جانب عمله وزيراً للمعارف ، وكانت مشاغله هناك تشده كثيراً بعيداً عن صنعاء . وبالإضافة إلى ذلك ، فقد كان عدد من المحررين البارزين بالمجلة قد غادروا البلاد بعد توقف الحكمة عن الظهور بعدة أشهر

(١) من إجابات السيد أحمد بن محمد الشامي .

(٢) من إجابات الأستاذ عبد الله حمران .

(٣) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير .

(٤) من إجابات الأستاذ أحمد الروني .

فقط ، إذ فر العنسى والحورش والبراق من اليمن بعد خروجهم من السجن بقليل ، و طرد الأستاذ عبد النافع الجندى من البلاد (١) ، لذلك لم يكن من المتوقع أن يتمكن أحد المطاع من تحرير المجلة بمفرده وخاصة لأن عبد الله العزب كان قد أبعد من صنعاء عند بداية ظهور الحكمة — نظر أ لشك الامام فيه وخوفه من نشاطه السياسى — فعين « قاضيا لناحية وصاب السافل » (٢) ، وهى من النواحي (٣) المعروفة بوعورتها وقسوة الحياة فيها ، وقد مرض عبد الله العزب بها فنقل إلى تعز حيث توفى هنا بعد قليل ، وذلك بعد توقف الحكمة بحوالى عام .

وهكذا يتضح أن توقف الحكمة يرجع إلى أسباب بعضها ظاهرة والبعض الآخر خفية ، وأن بعضها يرجع إلى الامام نفسه ، والبعض الآخر يرجع إلى ظروف المحررين ، غير أنه يمكن أن نلخص هذا كله فى أمرين هامين :

فن ناحية ، فقد كان الامام يكره مظاهر الحياة الجديدة ، كما كان لا يقبل التطوير إلا بالخطوات البطيئة الحذرة حتى اتصفت أعماله فى النهاية بالجمود . ومن ناحية أخرى فقد رأى الحكمة — ولو بأشكال ضئيلة خفية — صورة من صور المعارضة ، التى كان قد بدأ يلجسها فى نواحي أخرى متعددة ، والننى كان قد بدأ يتخذ الخطوات الايجابية للقضاء عليها ، ولذلك جميعه تحيين الفرصة ليوقف الحكمة عن الظهور .

(١) من اجابات الأستاذ أحمد حسين المرونى .

(٢) الإيمان : العدد ١٤٩ ، السنة الثالثة عشرة ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ ، ص ٤ ،

ع ١ .

(٣) النواحي جمع ناحية وهى إحدى التقسيمات الإدارية فى اليمن . وهذه التقسيمات هى : المحافظة أو اللواء وينقسم إلى عدة أقضية أو قضاوات (مفردا قضاء) والقضاء ينقسم إلى عدة نواحي ، والناحية تنقسم إلى عدة عزل (ومفردها عزلة) والعزلة تنقسم إلى عدة قرى .

وقد كان من المعروف سلفاً موقف الامام يحيى من الصحافة وعدائه لها وعدم إيمانه برسالتها ، فهو لم يوافق على صدور « الايمان » ، وعلى استمرارها إلا باعتبارها وسيلة الإعلام الوحيدة لديه ، ولأنها كانت لا تخرج إلى القراء إلا بعد أن يراجع برؤفاتها بنفسه كما ذكرنا . وبناءً كد موقف الإمام صراحة من الصحافة من الحديث الذى أجراه معه الكاتب الرحالة نزيه مؤيد العظم أثناء زيارته لليمن ، وذلك قبل صدور الحسكة بأكثر من عامين ، فقد عبر الإمام فى هذا الحديث الطويل عن استخفافه بدور الصحافة وأثرها فى التوعية والإعلام ، وفى دفاعها عن القضايا الوطنية ، حتى أنه رد على العظم عند إشارته بالصحف المصرية ودورها فى التوعية بقوله : « وهل حققت هـ هذه الجرائد الكثيرة المتقنة لمصر استقلالها ، ثم أنهى حديثه بالنهوض — تعبيراً عن التبرم — عندما رأى العظم يواصل الحديث عن دور الصحافة المصرية فى الدعاية للقضية الوطنية ونجاحها فى إثارة الرأى العام المصرى والعالمى ضد الانجليز^(١) .

أما الناحية الثانية ، وهى أن الحسكة قد ظهرت — رغم كل ما اتخذته من حيلة وحذر — بأنها تحمل مضموناً جديداً عصرياً ، وأنها ترمى إلى أهداف إصلاحية متطورة ، لذلك بدت أمام الإمام بأنها لون من ألوان المعارضة كما سبق أن أشرنا ، فهذا أمر لا خلاف حوله . فما لاشك فيه أن كل من يطالع صفحات المجلة يلبس بوضوح مذهبنا إليه ، ولا يجد حرجاً أو غصاصة فى أن يضمها فى صف المعارضة ، رغم تقلقها بالطابع الإسلامى وبالذعوة الإصلاحية وغير ذلك كما سبق أن أوضحنا . وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت تمثل جزءاً مرحلياً من حركة المعارضة هذه ، فهى منطقياً لم تنبع من فراغ بل سبقتها وعاصرتها صور أخرى مريبة تعبر — كما نفصل فيما بعد — عن سخطها وتذمرها من الحكم القائم ، ولحققتها صور أخرى —

(١) نزيه ، مؤيد العظم : رحلة فى بلاد العربية السعيدة ، ص ٦٤٣ .

أكثر عمقاً وعنفاً ، وهي التي انتهت بثورة عام ١٩٤٨ م . ورغم أنها كانت شكلاً عالياً للمعارضة تحكمها ظروف النشر المسموح بها حينذاك ، فقد عبرت رغم هذا عن الاتجاه الذي اتخذته المعارضة — آنذاك — لنفسها ، وذلك كما عبرت الباحثة الروسية المعاصرة بقولها : « ويمكن معرفة الاتجاه الذي اتخذته حركة المعارضة في اليمن بصفة عامة في هذه الفترة بالبحث في مواضيع المقالات المنشورة على صفحات مجلة الحكمة اليمنية » (١) .

مسألة وفاة الوريث :

وكما أن الحكمة ، مثلت شكلاً من المعارضة وعبرت عن اتجاهها ، فقد اتخذت بعض عناصر المعارضة القائمة حينذاك من وفاة أحمد عبد الوهاب الوريث وسيلة لمزيد من نشر روح السخط والتذمر ضد الإمام . فقد قيل - وما زال يقال - أن الإمام يحيى قد تخلص من الوريث كرهاً له ، وليضعف من شأن الحكمة ودورها ، إذ طالما سمعت من كثير من الشخصيات المعاصرة والحالية أن الإمام مسئول مسؤولية كاملة عن التخلص من الوريث ، كما أن هذا الاتهام يتردد من حين إلى آخر في بعض الأبحاث المنشورة .

ونظراً لارتباط هذا الموضوع بوضع الحكمة ودورها حينذاك ، ولكثرة تردده حتى الآن ، فيجدر أن نقف عنده لتوضيح أبعاده ، لنستطيع في النهاية تحديد موقف المجلة من المعارضة أو اتصالها بها على الأقل ، بما سنعرض له فيما بعد . فقد جاء في مقال قريب - وهو يعكس ما زال يتردد هنا وهناك - أن الحكمة « تعرضت لإرهاب السلطة ورقابتها الشديدة ، وتخلص الجلاد يحيى من أحمد عبد الوهاب الوريث الذي كان رأس الحركة العسكرية في نهاية الثلاثينات بعد أن استطاع أن يوجه خطأ وطنياً عن طريق المجلة التي اتسمت في سنواتها الثانية وتولى رئاسة التحرير أحمد المطاع

(١) جلويو فسكيا : حول مسألة قيام بعض التنظيمات السياسية والاجتماعية في اليمن (ترجمة أبو نشوان) ، الحكمة (الجديدة) ، العدد ١٦ ، السنة الثانية ، شوال ١٣٩٢ هـ .
نوفمبر ١٩٧٢ م ، ص ٢٠ .

الذى مضى على نفس الخط حتى أفلقت^(١) . وجاء فى رواية أخرى فشرث قريباً أيضاً أن الوريث كان قوى الشخصية معتزاً بنفسه : ولا يعرف المجاملة حتى مع الإمام يحيى ، فهو لا ينحنى له ولا يسمح لشفتيه أن تقبل يد الإمام أو يخاطبه ويطارحه الحديث إلا فى صورة الند للند ، مما جعل ظله ثقيلاً على نفس الإمام ، ولكنه كان يتحمّله ويحمله ظاهرياً ، ويسعى للتخاض منه . وكان مرتب الوريث الشهري من أعلى المرتبات فى عهد الإمام يحيى ، إلا أنه لا يسد مطالب الوريث الكثير النفقات فانقلبه الديون ، وكان الإمام يطعمه بأنه سينظر فى شأنها فيستزيد من الديون حتى بلغت حد الآلافين (وهو مبلغ كبير فى ذلك العصر) واشتد طلب أربابها للوريث ، فإلح الوريث على الإمام بقضاءها فيطالب منه تقديم بيانها فينصرف والأمل يراوده ، ثم يعود ببطاقة فيها بيان الديون فيطالبها الإمام ويضعها بين يديه ثم ينصرف عنها إلى أعماله ، وبعد ساعة منح الوريث ثمانية ريات قائلاً له استعن بهذا حتى ننظر فى الأمر ، فيرفض الوريث الثمانية ريات ويخرج غاضباً متألماً فيصاب بحمى حادة لم تمهله إلا ثلاثة أيام حتى سلبته الحياة ولحق بربه وهو فى التاسعة والعشرين من عمره تاركاً المجلة وموجة من الأسى^(٢) .

حقيقة تركت وفاة الوريث وهو فى ميعة الشباب موجة من الأسى كما سنذكر فيما بعد ، ولكن يلاحظ أن هذين النصين لم يؤكدوا إتهام الإمام بأنه قتل الوريث ، فالأولى تكفى بالقاء الإتهام دون تقديم الدليل ، والثانية - رغم تفاصيلها وأسلوبها الروائى - لا توحي إلا بأن الإمام تسبب فى وفاة الوريث ولكنه لم يقتله .

أما روايات بعض معاصرى الحكمة فهى تلقى مزيداً من الضوء رغم

(١) عمر الجاوى: الحكمة (الجديدة) ، العدد ٢٦٦ ، ذى الحجة ١٣٩٣هـ ، يناير ١٩٧٤م ،

ص ٦٦ .

(٢) عبد الله الشهاوى : اليمن ، الإنسان والحضارة ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

منها الوريث ، فلما توفى رحمة الله أطلق الأحرار إشاعة بأن الإمام تسبب في وفاة الوريث ، (١)

وهكذا يتضح تعدد الروايات واختلافها فيما بينها حول التفاصيل على الأقل ، وإن كانت تتفق حول محور واحد تقريباً ، وهو أنه كان هناك خلاف بين الإمام والوريث ، وهذا أمر بديهي بطبيعة الحال لفارق السن ، ولاختلاف الطبائع والآراء والاتجاهات بين الشخصيتين كما هو معروف . ولاشك أن اختلاف الروايات هكذا يضعف بعضها بعضاً ويؤدي إلى التشكيك في أن الإمام تعدد قتل الوريث ، وإن كان هذا لا ينفي أنه كان يجب أن يتخلص منه لقوة شخصيته ولنشأته الجمة في تحرير المجتة ، ولما أبداه من جرأة في موافقه وكتاباته على السواء . ولكننا نرى أيضاً - من خلال ما يروى إلى الآن عن حكمة الإمام وحذره وعدم تسرعه في اتخاذ المواقف وخاصة مع خصومه - أنه كان لا يلجأ إلى التخلص من الوريث بهذه السرعة وهو في تلك المنزلة ، أى بعد أن ارتفع شأنه وذاع صيته من خلال إشرافه على الحكمة وتحريره الغزير بها ، إذ كان يمكنه أن يوقف الوريث عن الكتابة والنشاط العلمى بوجه عام ، ويبعده إلى وظيفة إدارية أو قضائية في إحدى القرى النائية حتى ينساه - أو يناساه - الأهالى ، وذلك حتى لا يشير تلك الضجة التى أحدثتها وفاة الوريث ، وهذا جميعه أيضاً لا يقلل من أهمية القول بأن موقف الإمام من الوريث هو الذى تسبب في وفاة الأخير ، لاتفاق بعض الروايات حول ذلك ، وللصلة بين مرض الوريث وزيارته للإمام ، إذعاد بعد المقابلة حزينا موهوما لموقف الإمام منه ، مما أدى إلى مرضه الأخير الذى توفى بعده بعدة أيام فقط . وقد نشرت الحكمة في ثنايا الكلمات الناعية للوريث ما يدل على مرضه واهتمام الإمام

(١) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

منها الوريث ، فلما توفي رحمة الله أطلق الأحرار إشاعة بأن الإمام تسبب في وفاة الوريث ، (١)

وهكذا يتضح تعدد الروايات واختلافها فيما بينها حول التفاصيل على الأقل ، وإن كانت تتفق حول محور واحد تقريباً ، وهو أنه كان هناك خلاف بين الإمام والوريث ، وهذا أمر بديهي بطبيعة الحال لفارق السن ، ولاختلاف الطبائع والآراء والاتجاهات بين الشخصيتين كما هو معروف . ولاشك أن اختلاف الروايات هكذا يضعف بعضها بعضاً ويؤدي إلى التشكيك في أن الإمام تعمد قتل الوريث ، وإن كان هذا لا ينفى أنه كان يجب أن يتخلص منه لقوة شخصيته ولنشأته الجلم في تحرير المجيلة ، ولما أبداه من جرأة في مواقفه وكتاباته على السواء . ولكننا نرى أيضاً - من خلال ما يروى إلى الآن عن حكمة الإمام وحذره وعدم تسرعه في اتخاذ المواقف وخاصة مع خصومه - أنه كان لا يلجأ إلى التخلص من الوريث بهذه السرعة وهو في تلك المنزلة ، أى بعد أن ارتفع شأنه وذاع صيته من خلال إشرافه على الحكمة وتحريره الغزير بها ، إذ كان يمكنه أن يوقف الوريث عن الكتابة والنشاط العلمى بوجه عام ، ويعيده إلى وظيفة إدارية أو قضائية في إحدى القرى النائية حتى ينسأه - أو ينسأه - الأهل ، وذلك حتى لا يشير تلك الضجة التي أحدثتها وفاة الوريث . وهذا جميعه أيضاً لا يقلل من أهمية القول بأن موقف الإمام من الوريث هو الذى تسبب في وفاة الأخير ، لاتفاق بعض الروايات حول ذلك ، وللصلة بين مرض الوريث وزيارته للإمام ، إذ عاد بعد المقابلة حزينا مبهوما لموقف الإمام منه ، مما أدى إلى مرضه الأخير الذى توفي بعده بعدة أيام فقط . وقد نشرت الحكمة في ثنايا الكلمات الناعية للوريث ما يدل على مرضه واهتمام الإمام

(١) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

وسيف الإسلام عبد الله بملاجه ، ثم اشتراك الأخير في تشييع جثمانه ، بل وحضور الاجتماعات التقليدية التي تعقب الوفاة ، فقد قيل : ... ولما اعتل اهتم صاحب الجلالة أيده الله بمرضه وبذل جهودا كبرى في معالجته وأصدر أمره الشريف إلى مهرة الأطباء بمراقبة سير المرض ومكافئته بكل وسيلة ، وكان سمو المولى سيف الإسلام وزير المعارف يتردد لزيارة الفقيد كل يوم ، ويواصل البحث عن صحته حتى فاضت روحه الطاهرة إلى عالمها ، فسار سموه لتشيع جنازته ورافقه شقيقه المولى سيف الإسلام اسماعيل بن أمير المؤمنين ، كما أن سموه حفظه الله لم يتخلف عن الحضور لتلاوة القرآن الكريم إلى روح الفقيد ثلاث ليال بمسجد الفليحي ، وليلة رابع الوفاة بمسجد المدرسة العلمية وهي مسك الختام ... (١) ، وقد كرر أحمد المطاع هذا المعنى في كتابه الخاصة أيضا ، غير أن هذا كله ليس له دلالة هامة فيما نناقشه إذ نعتبره بمثابة النشرة الرسمية لوفاة الوريث .

نخلص مما سبق أنه لا يمكن تأكيد أن الإمام هو الذي قتل الوريث ، ولكن يمكن القول بأن الإمام هو الذي تسبب في مرضه الذي أدى إلى وفاته نتيجة موقفه منه وسواء صح هذا الرأي أو أنه جانب الصواب ، فلمهم هنا أن تؤكد ما سبق الإشارة إليه ، وهو أن الوريث كما استطاع أن يمثل شكلا من أشكال المعارضة في حياته ، فقد استغلت عناصر المعارضة وفاته لتزيد من حدة السخط والتذمر ضد الإمام ، فأطلقت الكثير من الإشاعات ، كما يقال .

ويمكن أن ندرك حدة هذه « الشائعات » وحجم « موجة الأسى » المشار إليها في إحدى الروايات السابقة ، إذا رجعنا إلى عدد الحكمة الصادر

(١) قلم التحرير : الحكمة ، العدد ٣ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، محرم ١٣٥٩ هـ (فبراير / مارس ١٩٤٠ م) ص ٧٢ .

عقب وفاة الوريث مباشرة ، إذ كان هذا العدد عبارة عن مظاهرة سياسية صاحبة شيعة الوريث إلى مثواه الأخير . فقد ظهر هذا العدد إلى القراء وهو مشحون بأكمله بكلمات وقصائد حزينة دامية - وهي قليل من كثير مما وصل المجلة كما جاء في كلمة قلم التحرير - تتحدث عن شخصيته ونشأته وعلبه وأدبه ونشاطه في لجنة التاريخ وفي مجلة الحكمة . وعن آرائه الجريئة ودوره الإصلاحى وفقدان الأمة له في هذه المرحلة الهامة من حياتها ، مما يجعلنا نقف مشدوهين أمام ذلك الدور الذى خلقه الوريث لنفسه لدى معاصريه في خلال حياته القصيرة ، وأمام ذلك الأثر الذى حفره الوريث لنفسه « وللحكمة » في نفوس معاصرة ، بل وفي تاريخ الفكر البنى المعاصر .

فباستثناء المقالة الافتتاحية - وتتناول بداية العام الهجرى الجديد - والمقالة الأخيرة - وهي حلقة قصيرة من صفحتين فقط من حلقات زيد عنان عن الزراعة - فقد كان باقى محتويات عدد الحكمة عبارة عن مقالات صافية وقصائد طوال ترثى الوريث ، بدأها « قلم التحرير » بمقالة بعنوان « الوداع » ، ثم مقالة للسيد أحمد المطاع بعنوان « دمة محزون وآية وفاء للراحل الكريم » ، ومقالة لزار (الأستاذ عبد النافع الجندى) بعنوان « دمة وفاء » ، ثم تلى ذلك مجموعة من القصائد لكل من رئيس الاستئناف حينذاك يحيى بن محمد الاريانى ، وعبد الله العزب ، وعبد الله بن عبد الوهاب الشماحي ، وزيد الموشكى ، ومحمد بن أحمد مطهر ، وعلى بن محمد الزرقه .

وقد أفاض الجميع في التحدث عن حياة الوريث الخاصة - فقدوا لنا بذلك ترجمة شاملة لحياته - ولكن لم ينس الجميع أيضا أن يبرزوا دوره في الحياة العامة ، وكأنهم يعمقون بذلك أبعاد هذا الدور في أذهان معاصريهم ، ويطالبونهم بالسبيل على هديه من أجل مصالحة البلاد وتعايرها ، وهذا ما دفعنا إلى القول بأن هذا العدد من الحكمة كان عبارة عن مظاهرة سياسية

لتثبيت الدور الاصلاحى البناء الذى قامت به الحكمة ، ولتأكيد العزم على مواصلة المناذاة به ، أمام معاصريهم من الشباب أو غيرهم من الاجيال القادمة . وقد عبر أحمد المطايع عن هذا بقوله : لقد خسرناه وخسر الوطن ونحن أحوج ما نكون إلى مصلح مثله ، طليقا من أغلال الجود وكبول الأوهام ، دائم النشاط ، قوى الإرادة ، يمثل الصراحة والاخلاص ، والشجاعة وقوة الإيمان ، والاستمسك بالحق ، والثبات على المبدأ ، ليكون من تلامذته وجنوده أفذاذ العلم والأدب ، وأبطال السيف والقلم ، وشاهير التاريخ ، وقادة الشعوب^(١) . وجاء نفس المعنى فى كلمة نزار فقال : وأنت أيها الفقيد العزيز سلام عليك من أخ عرف بك طيب الثمائل فمشقها ، وأنس منك الخير للأمة والبلاد فمز عليه نعيمك ... سلام عليك من دين حنيف جرى قلبك الفزار فى نشر محامده ومحاسنه ... سلام عليك من عالم اسلامى اتخذته هدف نصائحك ، ومرمى ارشاداتك ... سلام عليك من عالم عربى نهى بالنكبات وأنت أحدها ... سلام عليك من شباب حى رسمت لهم الطريق المعبد لكسب الفخار بسيرتك ، وأبنت لهم سبيل الرشاد بخطك ، وأعلنتهم عن قواهم الكامنة وكفاءتهم للحياة بمجدك ونشاطك^(٢) ... ، وكرر عبد الله الشياحى هذه المعنى فقال فى قصيدته :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| نوابغ الشعب لا يأس يؤخركم | كل المصيبة يأس يوجب الكسلا |
| فما المصائب إذ تأتي بعاقبة | سير المبدئكم فاستأنفوا العمل |
| واستمضوا عنكم وأحيوا معارفكم | فالعزم والعلم بالعلما قد كفلا |
| ولا تؤخركم فى الشعب هجمته | ما فاز ذو بنية يستصحب العجلا |
| فالمسر يذهب والآثار باقية | فما الفقيد بآثار له انتفلا |

(١) الحكمة : العدد ٣ ، السنة الثانية إ ، المجلد الثانى ، محرم ١٣٥٩ هـ (فبراير/

مارس ١٩٤٠م) ص ٧٦

(٢) نفس المرجع : ص ٨٣ - ٨٤ .

فتلك وحكمته، في العرب سائرة في ظل من الرقي والدين ما بذلا^(١)

ورغم أنه يصعب ذكر كل ما جاء في هذه المراثي، فيجدر الإشارة إلى بعض ما جاء في قصيدة زيد الموشكي :

صاحب الحكمة، أودى فاسهرى يا عين وجدا
ومنها: أين ذاك النظر الجا عل (الحكمة) سدا
ما الذي أخذ نار الفكر منك اليوم حسدا
ما هو المقصود من سكنك في الرحلة لحدا
كان أولى لك أن تنجز للأوطان وعدا
كان أولى لك أن تبقى لنا ذخرا معدا
تكشف الظلمة عنا وتصد الجهل صدا
وتعيد الروح فينا غضة تنفخ ندا

وبعد أن هاجم « الدهر » و « الموت » وتحدث عن شمائل الوريث وصفاته الحميدة قال :

إنما أبكى على أنفسنا والعين ردا
رب أنا في بلاء فارحم الأمة تهدا
واعصم القلب ولاطف أمة تطلب رشدا
وأثلنا منك خيرا وأهدنا عبدا فعبدا
واجز عنا راحلا لم يأل في « الإصلاح » جهدا
الوريث الطيب الطاهر أعلا الناس مجددا^(٢)

(١) الحكمة : العدد ٣ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، محرم ١٣٥٩ هـ (فبراير / مارس ١٩٤٠ م) ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) نفس المرجع : ص ٨٩ - ٩١ .

عرف طريقه إلى الوجود عقب توقف الحكمة عن الظهور بقليل . فن المعروف أن أول تجمع حزبي علني ظهر إلى الوجود هو حزب الأحرار اليمني الذي كان بزعامة محمد محمود الزبيري وأحمد محمد نعمان، والذي أعان عن نفسه عام ١٩٤٤م - أي بعد توقف الحكمة بحوالي ثلاث سنوات - واتخذ عدن مقراً له ليكون بعيداً عن متناول الإمام يحيى ، إذ أن عدن حتى ذلك الوقت كانت تحت السيطرة الإنجليزية كما هو المعروف ، وإن كان هذا لا يعني أن مولد هذا الحزب هو مبدأ التفكير السيامي في اليمن ، ولكنه كان أول تجمع شعبي منظم^(١) ، أو بالأحرى أول تعبير علني عن الارهاصات السابقة عليه .

أما النشاط السري فإنه يصعب أن نتعرف على بدايته - وخاصة في مجال هذا البحث كما أشرنا - لطبيعة هذا النشاط من ناحية ، واختلاف الآراء حول بدايته من ناحية أخرى . فقد ذكر القاضي عبد الله الشماحي - صاحب أول محاولة منشورة عن النشاط السيامي في اليمن حتى ثورة ١٩٦٢م - أن أحمد المطاع قد استطاع أن يشكل جماعة سريه أسماها « هيئة النضال » في عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥م) ضم إليها بعض الشخصيات مثل : عبد السلام صبره ومحمد المحلوي والعزى صالح السنيدار وعلي محمد السنيدار وعبد الله العزب وعبد الله الشماحي (أي الكاتب) وعلي الشماحي ومحمد بن أحمد المطاع وعبي الدين العاسي وأحمد قاسم العنسي ومحمد عكارس ومحمد بن حسين عبد القادر ، وأن هذه الجماعة بعد عدة اجتماعات وضعت لها مخططات محددة سارت عليه^(٢) ، وأنه نتيجة نشاط هذه الهيئة قبض الإمام في العام التالي مباشرة (١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦م) على بعض عناصرها مثل أحمد المطاع وعبد الله العزب والعزى

(١) محمد أحمد نعمان : الحركة الوطنية في اليمن ، ص ٤ .

(٢) عبد الله الشماحي : اليمن الإنسان والمستقبل ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

عرف طريقه إلى الوجود عقب توقف الحكمة عن الظهور بقليل . فن المعروف أن أول تجمع حزبي علني ظهر إلى الوجود هو حزب الأحرار اليمنى الذى كان بزعامة محمد محمود الزبيرى وأحمد محمد نعمان، والذى أعان عن نفسه عام ١٩٤٤م - أى بعد توقف الحكمة نحو إلى ثلاث سنوات - واتخذ عدن مقراً له ليكون بعيداً عن متناول الإمام يحيى ، إذ أن عدن حتى ذلك الوقت كانت تحت السيطرة الإنجليزية كما هو المعروف ، وإن كان هذا لا يعنى أن مولد هذا الحزب هو مبدأ التفكير السياسى فى اليمن ، ولكنه كان أول تجمع شعبى منظم^(١) ، أو بالأحرى أول تعبير علني عن الارهاصات السابقة عليه .

أما النشاط السرى فإنه يصعب أن نتعرف على بدايته - وخاصة فى مجال هذا البحث كما أشرنا - لطبيعة هذا النشاط من ناحية ، ولاختلاف الآراء حول بدايته من ناحية أخرى . فقد ذكر القاضى عبد الله الشماحى - صاحب أول محاولة منشورة عن النشاط السياسى فى اليمن حتى ثورة ١٩٦٢م - أن أحمد المطاع قد استطاع أن يشكل جماعة سرية أسمها « هيئة النضال » فى عام ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥م) ضم إليها بعض الشخصيات مثل: عبد السلام صبره ومحمد المحلوى والعزى صالح السليدار وعلى محمد السليدار وعبد الله العزب وعبد الله الشماحى (أى الكاتب) وعلى الشماحى ومحمد بن أحمد المطاع ومحمى الدين العاسى وأحمد قاسم العنسى ومحمد عكارم ومحمد بن حسين عبد القادر ، وأن هذه الجماعة بعد عدة اجتماعات وضعت لها مخططاً محدداً سارت عليه^(٢) ، وأنه نتيجة نشاط هذه الهيئة قبض الإمام فى العام التالى مباشرة (١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦م) على بعض عناصرها مثل أحمد المطاع وعبد الله العزب والعزى

(١) محمد أحمد نعمان : الحركة الوطنية فى اليمن ، ص ٤ .

(٢) عبد الله الشماحى : اليمن الإنسان والمستقبل ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

صالح السنيدار ومحمد المحلوي وعلى الشماحي وأودعهم بسجن غمدان بصنعاء (١). غير أن هذا الرأي - عند نشره - لم يجد ارتياحاً تاماً بين عدد من المعاصرين لتلك الأحداث، لأن هؤلاء ينفون وجود نشاط سرى حينذاك، بل لأنهم يعارضون وجود تنظيم يجمع وينظم أفراداً تنظيمياً دقيقاً، فقد قيل: «لم تكن يومئذ قد وجدت جمعيات سرية أو تنظيمات بالمفهوم المعاصر للجمعيات السياسية والتنظيمات الثورية»، ولكن بحائس القات والمناسبات في الأقراح والأحزان كانت أسباباً للتجمع والتفاهم واللقاء (٢). والخلاف هنا حول طبيعة النشاط السياسي السرى فقط، وأنه كان بين جماعات صغيرة من الأصدقاء «والشمل» التي يجمعها السخط والتذمر، وتبادل فيما بينها الآراء والأفكار، بل أبضا الكتب القيمة التي تصل إلى بعضهم من الخارج، أي كان هؤلاء يلتقون بدافع وحدة الفكر أكثر منه بدافع وحدة التنظيم. وربما كان هذا صحيحاً إلى حد كبير عندما يشتد السخط على السلطة القائمة وينتشر، إذ تبدأ هذه العناصر في أن تكتشف بعضها بعضاً، ثم تنظم نفسها لتكون ذات فعالية أقوى، وهنا تتكون النواة الأولى للتنظيمات الحزبية، لهذا يصدق الرأي القائل بأن الإمام هو الذي ساعد على تكوين هذه النواة لإقدامه على اعتقال بعض العناصر التي لمس معارضتها له، إذ تعرف هؤلاء على بعضهم البعض في السجون، بعد أن كانت جهودهم يغلب عليها الطابع الفردي حتى ذلك الوقت، حتى أن القاضي محمد واغب - الذي كان بمثابة وزير خارجية الإمام وكان من بقايا الأتراك الذين استقروا في اليمن عند إعلان الاستقلال - حذر الإمام مغبة سياسة الاضطهاد والاعتقال لأنها ستؤدي إلى زيادة السخط والتذمر (٣).

(١) عبد الله الشماحي: اليمن الإنسان والحضارة، ص ١٨٤.

(٢) من إجابات الأستاذ أحمد المروني.

(٣) من إجابات القاضي محمد بن محمد الحادي.

ودون التوسع في متابعة النشاط السيامي حينذاك وأسبابه - إذ سيبتضع هذا فيما بعد - والتعرف على المعتقلين والاعتقالات ونواريخها ، فإنه يمكن ربط هذا كله بتاريخ ظهور الحكمة واختفائها - القول بأنها كانت جزءا من هذا النشاط ، وأن بعض محرريها كان لهم نشاط سيامي إلى جانب تحريرهم في الحكمة ، مثل أحمد المطاع وعبد الله العزب وبجي الدين العنسى وزيد الموشكى ، وأنهم جميعا - أي هم والمجلة - كانوا حينذاك عند الخطوات الأولى يتلمسون الطريق لرسم خطوات النشاط السيامي الذي وصل إلى قمته عند قيام ثورة ١٩٤٨ م .

وربما يزداد الأمر وضوحا وسهولة إذا تتبعنا التيارات العامة المعارضة للإمام يحيى - وأسبابها - منذ توليه الإمامة حتى ظهور مجلة الحكمة ، عوضا عن الوقوف طويلا عند بداية التنظيمات السرية ، إذ من خلال هذه التيارات تظهر أمامنا : أسباب السخط وعناصره ، وما ترتب على هذا من أثر على الحكمة ، ودورها ، وموقفها - أوبالأحرى - صلتها بالمعارضة . ونظرا لصعوبة دراسة حركة المعارضة في هذا المجال ، فإنه يمكن القول - دون الدخول في التفاصيل - بأن معارضة الإمام يحيى قد بدأت مع توليه الإمامة (١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م) ، إذ كان هناك بعض السادة والعلماء من الملتفين حول الإمام المنصور لا يرون في ابنه يحيى أنه أهلا لتولي هذا المنصب الكبير - لما له من صفات شخصية منافية مثل البخل - ويرون أن بعضهم أولى به ، وخاصة لأنه كان صغير السن بالنسبة لكثير منهم . غير أن الإمام يحيى حسم البيعة لنفسه بمساعدة شيخ مشايخ قبيلة حاشد الشيخ ناصر بن مبخوت الأحمر الذي جمع أصحاب العقدة والحل ، في مكان واحد وحصل منهم على مبايعة الإمام يحيى تحت التهديد والوعيد^(١) . وتزايد الهمس عند عقدة انفاقية دوغان ، مع القائد التركي أحمد عزت باشا عام ١٩١١ م ،

(١) انزيد من التفاصيل يرجع إلى كتابنا « تكوين اليمن الحديث » ، الفصل الأول

لألم يعد حينذاك القائد المجاهد، أمام الترك، بل أصبح حليفهم الذي يتقاضى المرتبات منهم. غير أن هذا الهمس كان ينتظر الإمام في صنعاء نفسها عندما دخلها عقب انسحاب الأتراك من اليمن في نهاية الحرب العالمية الأولى. ففي صنعاء يلعب اسم محمد المحلوي، الذي بادرن بمهاجمة الإمام وجمع حوله - كما يقال - بعض التلاميذ والمريدين ليتحدث إليهم عن سوءات الإمام وليطلبهم على ما يدور في العالم الخارجي من تطورات، حتى أن البعض اعتبره بداية «حركة الرفض» للإمام يحيى (١).

وقد أدت محاولات الإمام لكسر شوكة القبائل، ولفرض سيطرته على مناطق اليمن المختلفة، إلى زيادة العناصر الجاهلية المتبرمة. غير أن هذا كله لم يكن يتجاوز بعض الأفراد، وبعض الأسر، وبعض المشايخ - مثل بعض مشايخ الجنوب وعلى رأسهم الشيخ عبد الوهاب نعمان - وبعض القبائل مثل قبيلة الزرانيق، ولم يكن هذا كله يمس كثيراً الكتل الجماهيرية، إذ حرص الإمام على أن يغلف شخصيته بهالة من القداسة الدينية، تلك التي ظلت حائلاً بين «الافسكار العصرية» وبين العمل الجماهيري حتى قيام ثورة ١٩٤٨م، إذ من المعروف المتداول أن «القردي» - أحد أبناء قبيلة مراد وأحد المشتركين في قتل الإمام يحيى ايذاناً بقيام ثورة ١٩٤٨م - قد حصل - بناء على إصراره - على فتوى من السيد حسين السكبي بشرعية قتل الإمام: مما يدل على مدى القداسة والهبة التي تملك قلوب الأهالي حينذاك نحو الإمام يحيى (٢).

ولإذا حاولنا أن نرى كيف تحول الهمس والتبرم إلى سخط وتذمر، أو بالأحرى كيف اتسع نطاق المعارضة وتحول الهمس إلى جرعة، ومن الشكل الفردي المتناثر إلى الشكل الجماعي المنظم نسبياً، فيجدد الوقوف عند عام ١٩٣٤م

(١) من إجابات الأستاذ محمد عبد الله الفسيل.

(٢) من إجابات القاضي محمد بن محمد الخالدي، والأستاذ أحمد المروني.

(١٣٥٣ هـ) وأحداثه وآثاره ، وهو العام الذي اعتبرناه في دراستنا لهذا الإمام يحيى الحد الفاصل بين فترتين متميزتين من حكمه^(١) . ففي هذا العام ألحق بالإمام يحيى وبسياسته هزيمتين على حدوده الشمالية والجنوبية ، وانهمزت جيوشه بسرعة في تهامة أمام الجيوش السعودية ، وتبخرت أحلامه في توحيد أجزاء اليمن المختلفة تحت سيطرته ، إذ خرجت عقب هاتين الهزيمتين أجزاء واسعة من الأقاليم كان يأمل في ضمها إلى ممتلكاته . وقد أثارت هزيمته أمام السعوديين الشباب المثقف ، وزاد الشعور بالسخط ضد القادة الحكام ، فاستغل أحمد المطاع هذا كله وكون في عام ١٩٣٦ م تنظيم هيئة النضال^(٢) ، التي سبق أن ناقشنا أمرها . وكان الإمام قد شعر بقوة بريطانيا في الجنوب نتيجة غاراتها الجوية على أقاليمه الجنوبية ، وكان حينذاك في موقف لا يحسد عليه ، فبينما كان قد أوقف زحفه إلى المناطق الحممية ، كان مشغولا بإقامة حدود منظمة نهائية لليمن على الحدود الشمالية . وقد أبدى الإمام نشاطا على هذه الحدود عام ١٩٣٣ م ، مما اعتبره السعوديون اعتداء على الحدود وانتهى الأمر إلى تفجير الحرب في فبراير ١٩٣٤ . وكان الإمام تحت هذا الضغط من جانب الإنجليز والسعوديين قد فتح باب المفاوضات مع إنجلترا ، بعد أن رحب باقتراح أن يقوم الكولونيل رايلي بزيارة صنعاء لبحث موضوع عقد معاهدة بينه وبين إنجلترا . وقد طلبت هذه أن يخلى الإمام إمارة الضالع وسلطنة العوذلى التي كانت قوائمه تحتلها إلى ذلك الحين — قبل إبرام المعاهدة ، فوافق الإمام وتم الانسحاب في يناير ١٩٣٤ م . وكانت إنجلترا ترمي من وراء هذا الشرط — مستفيدة من ظروف الإمام — أن لا يشار إلى مطالب الإمام بالنسبة للمحميات في المعاهدة المقترحة ، ثم نصت في المعاهدة ذاتها على بقاء الأوضاع

(١) وهى الدراسة التى نشرت تحت عنوان « تكوين اليمن الحديث » اليمن تحت

حكم الإمام يحيى ، ١٩٠٤-١٩٤٨ .

(٢) Abdallah El Zine : Le Yemen, et ses Moyens D'information, Tome.p 108

كما هي عند تاريخ إبرامها ، طوال مدة سريان هذه المعاهدة وهي أربعين عاماً .
أما على الحدود الشمالية فلم تستمر الحرب إلا شهرين فقط ، ثم طلب الإمام
الصلح ، وهو الذى تضمنته معاهدة الطائف التى عقدت فى مايو من
نفس العام^(١) .

وقد أدت هذه الأحداث إلى أن : دأبت لسانة من عقابها لنقد الوضع
والجهاز المعتمد عليه الإمام وحكمه^(٢) ، إذ دون شك ، اهتزت صورة الإمام
فى أعين الأهالى ، ولم يعد : ذلك الرجل الذى تحفّق فوق جبينه ألوية
انتصارات سابقة (ضد الأتراك) ، فى الحرب السعودية — اليمنية انهزم
بمجرد الصدمة الأولى ، وضحى بالشئ الكثير فى مقابل لا شئ ، مع أنه
أساساً لم يكن قد دخل المعركة الحقيقية بعد^(٣) ، ومن المعروف أن سيف
الإسلام أحمد كان حينذاك قد حقق انتصاراً فى الجبهة الشمالية أمام الأمير
سعود بن عبد العزيز ، وكان يريد أن يواصل الحرب بعد أن استولى على
نجران ليقطع خطة الرجعة على الأمير فيصل بن عبد العزيز الذى كان قد
وصل بمحيوشه فى تهامه إلى الحديدة ، على أن الإمام يحجى أصر على أن يتوقف
ابنه عن الحرب ، مما أدى إلى غضب السيف أحمد غضباً شديداً أدى بالتالى
— كما يقال — إلى أنه أصيب بالحصى بضعة أيام^(٤) .

ولقد أدت أحداث عام ١٩٣٤ م إلى نتيجتين متباينتين لدى طرفين
مختلفين :

فن ناحية الإمام ، حاول أن يقوى قبضته على زمام الأمور ، فعمل على
وحدة الأسر الكبيرة من المناصب العالية ليولى أبناءه بدلاً منهم ، ورغم أنه

(١) Harold Ingrams : The Yemen, Imams, Rulers and Revolutione, pp, 67—68.

(٢) عبد الله الشماخى : اليمن ، الإنسان والحضارة ، ص ١٧٦ .

(٣) زيد بن على الوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، ص ٥٦ .

(٤) عبد الله الشماخى : نفس المرجع ، ص ١٧٥ — ١٧٦ .

قد بدأ يتخذ بعض الخطوات الإصلاحية القليلة ، إلا أنها كانت لا تتناسب مع حجم الهزيمة حينذاك حتى اتصفت سياسته بأنها سارت على نفس الوتيرة السابقة ، فقد قيل : « وعلى أى فالنظام بسبب من طبيعته الأصلية لم يستطع أن يدرك الأسباب المسئولة عن إخفاقه وظل متمسكا بنفس السياسة »^(١) .

أما من ناحية الساخطين ، فقد دأبت العناصر المستنيرة وهي قلة تعمل في سبيل الإصلاح سيماي^(٢) ، كما كانت العناصر الساخطة خليطاً من عناصر متفرقة — فردية وأسرية وقبلية — كما سيتضح فيما بعد ، جمعت بينهم الرغبة في الإصلاح وتطوير البلاد واتباع قواعد الإسلام الصحيح ، حتى يمكن تلافى أسباب تلك الهزيمة . ولا شك أن اختلاف هذه العناصر فيما بينها ، وانطلاق كل منها — في معارضة الإمام — منطلقاً خاصاً من وحي مصالحها الذاتية ، هو الذي دفع البعض إلى القول بأنه كان هناك أكثر من اتجاه ظهر على السطح عقب أحداث عام ١٩٣٤^(٣) ، ولكننا نرى أنه كان هناك تيار واحد هو المعارضة للأوضاع السائدة التي أدت إلى تلك الهزيمة ، وأن هذه المعارضة كانت ترمي إلى التطوير والإصلاح والعصرية مع إطار إسلامي صحيح ، أما التفاوت في الاتجاهات الذي يشير إليه البعض ، فهو يرجع إلى اختلاف عناصر التيار أكثر مما يرجع إلى اختلاف اتجاهاته وأهدافه .

لذلك يمكن أن ننتهي إلى القول بأن حركة المعارضة ، التي كانت حينذاك عند نقطة البداية ، والتي كانت تعمل على تلمس الطريق وتحديد الأهداف ، وتضم عناصر شتى ذات مواقف متفاوتة ، كانت حركة المعارضة هذه أشبه ما تكون « بالجملة الوطنية » ، أكثر من أن تكون اتجاهات خاصة ذات مصالح

(١) ، (٢) محمد أنعم غالب : نظام الحكم والتخلف الاقتصادي في اليمن ،

ص ٦٢ .

(٣) عبد الله الصالح : اليمن ، الإيمان والمضارة ، ص ١٢٦ .

عقائدية وسياسية واقتصادية معينة . وقد ظل هذا القشبه ينطبق على حركة المعارضة حتى قيام ثورة ١٩٤٨ م ، مما دفع البعض إلى اعتبار التشكيل الجمهوري هذا سبباً من أسباب فشل هذه الثورة^(١) . ولكن ما يهم هنا هو أن الحكمة - التي صاحبت البداية والتي تأثرت بطبيعة الأوضاع حولها - قد عكست ما صاحبها خلال عمرها القصير وعبرت عنه خير تعبير . فقد أظهرت محتوياتها أبعاد هذه « الجبهة » ، فرغم ما أبرزناه من الصور الدالة على الاتجاه الإصلاحى العصرى الجديد ، فقد كان هناك اتجاه إسلامى سلفى يدعو إلى الرجوع إلى الإسلام الصحيح ويشيد بأعمال السلف الصالح ، إلى جانب اتجاه ثالث تقليدى متهاون يرى فى مجرد ظهور « المجلة » ، خطوة إصلاحية كبيرة من قبل الإمام . وبالإضافة إلى ذلك ، فكما كان ظهور « الحكمة » فى حد ذاتها عملاً توفيقياً بين رغبات بعض « العصريين » - كما كان يطلق على الشباب المتعفف حينذاك - وبين رغبات الإمام يحيى وسيف الإسلام عبد الله ، كما أوضحنا ، فقد كان تشكيل هيئة إشرافها الرباعية - التى سبق الإشارة إليها - تمثل هذه الرغبات المتعارضة . ولم يكن من بين أعضائها سوى أحمد الوريث الذى يمثل هؤلاء الشباب . أما باقى هؤلاء العصريين ، فقد كان نشاطهم السياسى قد افترض لدى الإمام الذى كان قد اعتقل بعضهم وشك فى البعض الآخر ، لذلك أبعادهم عن الإشراف على المجلة ، ولأنهم كانوا قد تمكنوا فيما بعد من التسلل إليها ، فحروا بها بعد أن خرجوا من المعتقلات ، وبعد أن زاولوا نشاطهم العادى . وإذا أخذنا بالمقياس الذى وضعه أحد المعاصرين ، وهو أنه لم يكن يعلم : « إنه كان لبعض المحررين بالحكمة نشاط سياسى سرى إلا عند إعدام أحمد المطاع بعد فشل ثورة ١٩٤٨ م^(٢) » ، فإنه يمكن القول بأن الحكمة كانت جزءاً من المعارضة ، وأنها عبرت عن كل

(١) عبد الله البردوني : رحلة فى الشعر البنى ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) من إجابات الصفى أحمد الجرافى .

متناقضات هذه المعارضة - وإن غلب عليها الجانب الإصلاحى - وذلك بدليل أنه عند فشل الثورة - تم اعتقال بعض محرريها ، وإعدام البعض الآخر مثل أحمد المطاع ، وأحمد الحورش ، وأحمد البراق ، ومحمد صالح المسمرى ، ومحيى الدين العيسى ، وزيد الموشكى ، أما عبد الله العرب فكان قد توفى قبل قيام الثورة .

عناصر حركة المعارضة :

وعلى أساس العرض السابق ، ينبغي أن نتعرف بصورة سريعة على عناصر المعارضة هذه ، التى انبثقت منها الحكمة ، والتى عبرت عنها ، وعلى تعدد عناصر هذه المعارضة وتباينها ، ذلك التباين الذى أدى بنا إلى وصف المعارضة بأنها جبهة وطنية ، والذى لمسنا ملامحه تنعكس على محتويات المجلة . وهنا يجب أن نضع فى الاعتبار أن بعض هذه العناصر كانت قد ظهرت قبل وقوع أحداث عام ١٩٣٤ م وجاءت هذه الأحداث لتوضح ملامحها وتزيد نضجها ، أما البعض الآخر ، فقد كانت الأحداث هى العامل الاساسى فى إبرازها واتخاذها جانب المعارضة . ويلاحظ أيضا أنه بالرغم من أن العناصر المثقفة هى التى تمسكت من الظهور على سطح الحكمة ، فإن هذا لا يعنى انفرادها فى الميدان ، فقد كان هؤلاء اتصال بباقي العناصر . نتيجة وحدة الهدف ، ونتيجة وحدة المصالح المادية ، ونتيجة العلاقات الاجتماعية الوثيقة التى تقسم بها المجتمعات الشرقية بوجه عام . أما هذا الانفراد فهو يرجع فقط إلى طبيعة المجال - أى إلى حاجة التحرير فى المجلة - كما يرجع إلى طبيعة دور الفئات المثقفة - أى الانتلجنسيا - فى مختلف المجتمعات ، هذه للفئات التى تقوم عادة بالتعبير عن التيارات الفكرية الحديثة المتولدة داخل مجتمعاتها ، والتى تستخدم كل وسائل التعبير والنشر المتاحة لتتناول قضايا عصرها وتؤثر بالتالى فى مجتمعاتها ، لذلك فلا نغالى إذا قلنا أن الحكمة

- بقدر ما سمحت لها الظروف - لعبت دور الطليعة المعلنه حينذاك ، فعبثت عن أوجاع مجتمعتها ، كما حاولت أن تؤثر فيه ، وترسم له طريق التقدم والتطور . وفي نفس الوقت ، فإن هذا كله يعبر - كما سبق أن أشرنا - عن أنه كان وراء الحكمة من الجهود والرجال ، أكثر مما ظهر فيها من آراء وأفكار بل وأسما .

وأولى هذه العناصر هي فئة المتقنين ، فهي أقرب العناصر إلى « الحكمة » موضوع البحث ، وعليها أن نتعرف على شخصيتها ونشأتها وتطورها حتى ظهور المجلة . وإزاء صعوبة التعريف بهذه « الفئة » بصورة محدودة دقيقة في المجتمعات المختلفة ، بالإضافة إلى ندرة المادة التاريخية بالنسبة للمجتمع اليمني ، فإنه يمكن القول بوجه عام أن أبناء هذه الفئة هم تلاميذ « المعلامات » (أى الكتاتيب في مصر ومفرداتها كتّاب) وصحون المساجد في القرى والمدن « والمدرسة العلمية » ومدرسة « الأيتام » في صنعاء ، الذين تأثروا بمؤثرات ثقافية متعددة ستشير إليها فيما بعد ، أدت إلى اتساع آفاقهم وزيادة نضجهم . وقد كان يغلب على هذه المؤسسات العلمية الطابع الديني البحث ، وكانت أهمها هي « المدرسة العلمية » ، إذ كانت بمثابة التعليم العالي في ذلك الوقت ، وكان خريجوها مؤهلين لتولى المناصب العليا في البلاد مثل « عمال » و « حكام » (أى قضاة) الفواحي والقضوات ، كما كان يغلب على دراستها تعاليم المذهب الزيدى الذى يعتنقه الإمام يحيى - أى السلطة القائمة - كما هو معروف ، لذلك كان طلابها يختارون من بين « أولاد الناس » - كما كان يقال - أى من أبناء العائلات الكبيرة ومن بعض أبناء مشايخ القبائل الذين كان الإمام يحتجزهم لديه « رهائن » لاستتباب الأمور في البلاد^(١) . أما مدرسة « الأيتام » - التى أسسها الإمام عام ١٩٢٧ م (١٣٤٦ هـ) - فكانت أقل مستوى من المدرسة العلمية من الناحيتين الاجتماعية والعلمية ، إذ كان

(١) نزيه مؤيد العظم : رحلة في بلاد العرب السعيدة ، ص ١٢٦ - ١٢٧ .

التعليم فيها يقتصر على القراءة والكتابة والاملاء والصرف والنحو والقرآن، وكان أغلبية الطلاب بالقسم الداخلي بها، كان هؤلاء يؤهلون للوظائف الأقل الأهمية، كما يختار بعضهم للمدرسة الحربية أو المدرسة العلمية^(١). بالإضافة إلى ذلك فكان جامع «زبيد» الكبير يضاهى بالنسبة لأهل المذهب السني «المدرسة العلمية»، وقد اشتهرت مدينة زبيد في تاريخ الفكر الإسلامي منذ تأسيسها، كما يحلو لأهلها أن يطلقوا على جامعتهم اسم «جامعة الأشاعر» أو «جامعة زبيد»^(٢). وأخيراً فأنشاء هذه المدارس الثلاث - الأيتام والعلمية وزبيد - هم نواة الفئة المثقفة في اليمن بالإضافة إلى أنشاء مدارس وهجر^(٣) المدن الكبيرة مثل صنعاء وشهارة وذمار وإب وتعز.

وإذا صح هذا التعريف بالنواة، فعلينا - في حيز أقله المادة التاريخية - أن نتبع هذه النواة، ومصادر تغذيتها، حتى نقف على ملامحها عند ظهور الحكمة، بقدر المستطاع. ويمكن في البداية الإشارة إلى عبارة تكشف لنا عن وضع هذه الفئة في المجتمع المحيط بها، وكيف كان ينظر إليها حينذاك، فقد قيل: ... وعن سبيل الحج أولاً، تسربت إلى صنعاء كتب غير صفراء، من دواوين شعر، أو كتب تاريخ، أو أبحاث اجتماعية، فما أن وقعت في أيدي أولئك الشباب، الذين يعانون من قسوة الاعتبارات الاجتماعية المتباينة، وضغط المعيشة المنخفضة المقترية، وسقم المناهج التعليمية التقليدية في الجوامع، وتزمت المجتمع في تقييمه لقواعد السلوك المذهب، حتى كانت منفذا لهذا السخط المختلط في نفوسهم، إذ جعلوا التجديد الأدبي هو ميدان المعركة الذي يجتمعون فيه أولاً، وكأنهم لا يعدون أن يكونوا متطلعين للإجادة والتفوق على من عداهم من الأدباء في الشعر والخطابة، والكتابة في التاريخ

(١) نزيه مؤيد العظم: رحلة في البلاد العربية السعيدة، ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٢) عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي: جامعة الأشاعر، زبيد، ص ٦٦.

(٣) ومفردتها «هجرة»، وهي المكان الذي يهاجر إليه أحد العلماء للتفرغ للعلم والتعليم، فيلتف حوله الطلبة والمريدين، وكانت هذه الهجرة بمثابة جاعات محلية طوال التاريخ اليمني.

والمقتطف، و«أبولو»، وأنا أحب القراءة كثيراً^(١)، ومن المعروف أن السيد عبد الكريم الأمير كان قد تولى رئاسة تحرير جريدة «الإيمان» في تلك الفترة خلفاً للقاضي عبد الكريم طهر، وكانت داره حينذاك تعتبر: «منتدى الأدباء والعلماء». تضح بهم سياسة وأدباً وفناً، حتى قيل عنه أنه: «ربما كان الأوحى بين معاصريه الذي يستحق بمجداً لقب أستاذ الجيل، فله فضل لا يحجد على معظم الشعراء والأدباء المعاصرين»^(٢).

وبالإضافة إلى هذا فقد تعددت طرق دخول الكتب إلى اليمن ووصولها إلى أيدي هؤلاء الشباب، إما مع المسافرين لمسدد قصيرة، أو مع المغتربين العائدين، أو مع بعض الأفراد والوفود العربية الواسلة إلى اليمن للأغراض المختلفة، وكان هؤلاء الشباب يتلقون هذه الكتب والمجلات بلهفة شديدة، ويقبلون على قراءتها برغبة عميقة، ثم يتبادلونها فيما بينهم في سرية وحذر، وكأنهم يتبادلون منشورات خطيرة، وذلك حتى لا يتهمون «بالعصرية»، وهي التهمة التي كان يقذف بها حينذاك كل مثقف مستنير^(٣).

ونتيجة لهذا فيمكن القول بأن تكوينات هذه النواة - أي فئة المثقفين - ترجع إلى مؤثرات داخلية، هي الدراسات التقليدية المتوفرة في المؤسسات العلمية المشار إليها، وإلى مؤثرات خارجية كانت تصل إلى داخل اليمن بطرق شتى. ويتضح هذا كذلك من حديث اثنين ممن ينتمون إلى هذه النواة، أحدهما كان أحد أعضاء البعثة اليمنية الأولى إلى العراق (١٣٥٦/٥٤ هـ = ١٩٣٧/٣٥ م) بعد أن تلقى قدراً من التعليم التقليدي داخل البلاد، والثاني لم يكن قد غادر اليمن حتى تلك الفترة ولكنه تأثر بالمؤثرات الخارجية وتعاقد

(١) أحمد بن محمد الشامي: من الأدب اليمني، ص ٧٤.

(٢) نفس المرجع: ص ٦٧.

(٣) من إجابات القاضي محمد بن أحمد السباعي.

والمقتطف، و«أبولو»، وأنا أحب القراءة كثيراً^(١)، ومن المعروف أن السيد عبد الكريم الأمير كان قد تولى رئاسة تحرير جريدة «الإيمان» في تلك الفترة خلفاً للقاضي عبد الكريم مطهر، وكانت داره حينذاك تعتبر «مكتباً للأدباء والعلماء». تصبج بهم سياسة وأدباً وغناً، حتى قيل عنه أنه «ربما كان الأوحاد بين معاصريه الذي يستحق بمجدارة لقب أستاذ الجيل، فله فضل لا يحمد على معظم الشعراء والأدباء المعاصرين»^(٢).

وبالإضافة إلى هذا فقد تعددت طرق دخول الكتب إلى اليمن ووصولها إلى أيدي هؤلاء الشباب، إما مع المسافرين لمسدد قصيرة، أو مع المغتربين العائدين، أو مع بعض الأفراد والوفود العربية الواسلة إلى اليمن للأغراض المختلفة، وكان هؤلاء الشباب يتلقون هذه الكتب والمجلات بلهفة شديدة، ويقبلون على قراءتها برغبة عميقة، ثم يتبادلونها فيما بينهم في سرية وحذر، وكانهم يتبادلون منشورات خطيرة، وذلك حتى لا يتهمون «بالعصرية»، وهي التهمة التي كان يقذف بها حينذاك كل مثقف مستنير^(٣).

ونتيجة لهذا فيمكن القول بأن تكوينات هذه النواة - أي فئة المثقفين - ترجع إلى مؤثرات داخلية، هي الدراسات التقليدية المتوفرة في المؤسسات العلمية المشار إليها، وإلى مؤثرات خارجية كانت تصل إلى داخل اليمن بطرق شتى. ويتضح هذا كذلك من حديث اثنين ممن ينتمون إلى هذه النواة، أحدهما كان أحد أعضاء البعثة اليمنية الأولى إلى العراق (١٣٥٦/٥٤ هـ = ١٩٣٧/٣٥ م) بعد أن تلقى قدراً من التعليم التقليدي داخل البلاد، والثاني لم يكن قد غادر اليمن حتى تلك الفترة ولكنه تأثر بالمؤثرات الخارجية وتعاقد

(١) أحمد بن محمد الشامي: من الأدب اليمني، ص ٧٤.

(٢) نفس المرجع: ص ٦٧.

(٣) من إجابات القاضي محمد بن أحمد السباعي.

بها . فقد ذكر الأول : « كانت الصحف والمجلات والكتب التي تسرب إلى اليمن بواسطة بعض الوفود أو الحجاج أو العائدين من الاغتراب ، وما يصل إلى الإمام وأولاده وحاشيتهم من مبادلة جريدة الإيمان والحكمة ، وعودة البعثة التعليمية اليمنية من العراق ، كل ذلك كانت مصادر تثقيفية أثرت في نفوس المحررين ووجهت أساليبهم في الكتابة » (١) . وقد أشار القاضي عبد الرحمن الارياي - رئيس المجلس الجمهوري السابق (٦٧ - ١٩٧٤) - أيضاً إلى المصادر الثقافية في تصريح له إلى مجلة الحكمة (الجديدة) بمناسبة مرور خمس وعشرين عاماً على ذكرى ثورة ١٩٤٨ م ، فقال : « على الرغم من فقر المؤثرات الأدبية والفكرية التي أثرت في بلورة الحركة الوطنية إلا أن تلك المؤثرات وبرغم محدوديتها قد لعبت دوراً عميقاً في صياغة الهوية الفكرية للحركة الوطنية ، وبصورة أساسية يمكن الإشارة إلى مصدرين : أولاً : كتابة بعض العلماء المنحدرين (اليمنيين) أمثال الأمير والوزير والجلال والشوكاني والمقبلي ، وكذلك كتابات الأفغانى والسكواكي والإمام محمد عبده وتليذه السيد رشيد رضا . ثانياً : الكتابات الفكرية والأدبية المعاصرة - حينها - والتي كانت تنتشر في بعض الصحف التي تصل إلى اليمن لما ما » (٢) .

وإذا كنا قد أشرنا إلى المؤثرات الثقافية العامة ، الداخلية والخارجية كما رأينا ، فهناك مجهودات فردية يجدر ذكرها هنا لما لها من أثر واضح على أبناء ذلك الجيل . فقد أنشأ سيف الإسلام محمد ابن الثاني للإمام يحيى - مدرسة حديثة في « الجديدة » عندما كان أميراً لها ، وذلك بعد أن عاد من زيارته الطويلة إلى إيطاليا - بناء على دعوتها بعد أن عقدت معاهدتها المعروفة مع الإمام يحيى عام ١٩٢٦ م - وتأثره بما شاهده هناك من مظاهر التقدم والحضارة .

(١) من إجابات الأستاذ أحمد المروني .

(٢) « الحكمة » الجديدة : العدد الثامن عشر ، السنة الثانية ، محرم ١٣٩٣ هـ ،

فبراير ١٩٧٢ م ، ص ٣٩ .

وقد شجع السيف محمد بعض الأساتذة المصريين والسوريين الإقامة لديه للتدريس بهذه المدرسة ، وكان يُدرس بها اللغتين الانجليزية والفرنسية وبعض العلوم الحديثة . وكان السيف محمد قد اشتهر بين مواطنيه حينذاك بحبه للتقدم والإصلاح وبرغبته في التغيير ، إلا أن الأجل أمرع باختطافه فأت غريقاً أمام شاطئ الحديدة مما أثر على مصير هذه المدرسة (١) . وقد كان لهذه المدرسة أثر كبير على طلابها ، ولعل من بينهم بعض الشخصيات - الذين درسوا ودرّسوا بها - مثل أحمد البراق وأحمد الخورش ، إذ ارتفع شأن كل منهما - كما رأينا - بعد انتقالها إلى صنعاء عند قيام الحرب السعودية - اليمنية ، ودخول الجيش السعودي إلى الحديدة (٢) .

أما الجهد الفردي الثاني فقد كان أهلياً وليس من قبل أحد المسؤولين ، إذ قام به الأستاذ أحمد محمد نعمان والأستاذ محمد أحمد حيدره ، فأنشأ مدرسة بالتعاون معاً « بالحجرية » ، واقتبساً لبرامجها : « العلوم الجديدة مثل مبادئ الحساب والهندسة والجغرافية والرسم والرباطة البدنية ، وأنشئت بها فرقة كشفية ، وصارت تشجع الطلاب على إقامة الندوات والمحاضرات والمناظرات والخطابة والتشيليات ، غير أنها لم تعمر طويلاً لتلفات الحكومة إليها ، وخوفها من ازدياد نشاطها (٣) . ويلاحظ أن الأستاذ نعمان عن أكلوا دراستهم في جامع زيد ، ثم ذهب إلى الأزهر ، للدراسة به ، كذلك يلاحظ أن إقليم الحجرية كان أقرب مناطق الإمام يحيى قرباً إلى عدن والمحميات حينذاك ، لذلك كان تأثير القاهرة وعدن واضحاً في برامج هذه المدرسة ونشاطها . وقد لعبت المدرسة دورها على خير وجه خلال عمرها القصير ، إذ كانت من بين العوامل

(١) من إجابات الأستاذ محمد عبد الولي .

(٢) من إجابات الأستاذ أحمد المروني .

(٣) من إجابات الأستاذ محمد عبد الولي .

التي أدت إلى إلهاب الحواس لدى شباب المنطقة نحو تحصيل العلم والتقدم ، حتى أنها أنجبت الكثير من الشباب الواعى المتعلم في الثلاثينيات من هذا القرن (١) . كذلك كان من نجاح هذه المدرسة ذهاب اثنين من أبنائها إلى العراق ضمن البعثة العسكرية اليمنية الثانية إلى هناك وهما سلام الرازحي ومحمد عبد الولي ، وكان من حظ الأخير أنه هو الذي ألقى كلمة البعثة في الاحتفال الذي أعد بصنعاء بمناسبة عودتها من العراق ، ونشرتها له الحكمة في أحد أعدادها (٢) .

وهكذا فإنه إذا كان قد انضح - بقدر المستطاع - بعض أبعاد المؤثرات الثقافية الداخلية والخارجية ، فإنه يجب هنا - لإكمال هذه الأبعاد - التحدث عن البعثات اليمنية إلى العراق ، التي ترددت الإشارة إليها في أنحاء البحث المختلفة ، والتي كان لها أثرها في نمو هذه النواة - أي فئة المثقفين - التي نتكلم عنها ، إذ لا شك أن عودة أعضاء هذه البعثات إلى اليمن قد زاد من حجم هذه النواة ، وزاد من نشاطها سواء في الحياة العامة أو صفحات الحكمة . ولسنا هنا بصدد تناول هذا الموضوع بالتفصيل ، فنتحدث عن دوافع الإمام يحيى لإرسال هذه البعثات إلى العراق ، وعن العوامل التي جعلته يختار العراق بصفة خاصة ، ثم نتناول المقاييس التي وضعها لاختيار أعضاء هذه البعثات ، أو نتحدث عن دراسة هؤلاء العسكرية أو المدنية ، ونتتبع الوظائف التي تولوها كل منهم عند عودته إلى اليمن ، وموقف الإمام منهم ، وتتبعه أنشطاتهم واعتقال بعضهم بعد عودتهم بقليل ، وفي النهاية نقف إزاء نشاطهم لنحدد سلاحه ، ولنستعرف على مدى تأثيرهم في المجتمع اليمني حينذاك . فبرغم توفر المادة التاريخية الخاصة بهذه النقاط وغيرها نسبياً ، فإن معالجة هذا الموضوع

(١) من إجابات الأستاذ محمد عبد الولي .

(٢) الحكمة : العدد ٩ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، رجب ١٣٥٨ هـ (أغسطس /

سبتمبر ١٩٣٩ م) ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

بالتفصيل - ولهذا مجال آخر - يبعدنا عن موضوع « الحكمة » بشكل ما ،
لذلك سنحاول أن يبلور الموضوع حول محورين هامين :

الأول : الإضافة التي أضافها أعضاء هذه البعثات إلى محتويات المجلة ،
أو بالأحرى الأثر الذي ظهر على صفحات « الحكمة » عندما بدأ هؤلاء
يحررون بها .

الثاني : النشاط العام الذي قام به هؤلاء عقب عودتهم من البعثة ،
وموقف الإمام من هذا النشاط ، بما في ذلك ذهابه إلى اعتقال بعضهم
بأسباب شتى .

فمن ناحية المحور الأول ، فقد رأينا في أما كن متعددة خلال البحث ،
بروز عدة أسماء على صفحات الحكمة من بين أعضاء هذه البعثات (١) ،
وعلى رأسهم محيي الدين العنسى وزيد عنان وأحمد الخورش وأحمد المروني
وحمود الجائفي . كذلك لمسنا أن هؤلاء قد طرّقوا موضوعات جديدة
ومفاهيم حديثة ، وعالجوا هذا كله بأسلوب عصري بعيداً عن المحسنات
اللفظية التي كانت طاغية على أسلوب الكتابة حتى ذلك الوقت ، وقد تعمّدنا

(١) يلاحظ أن أعضاء البعثة الأولى هم محيي الدين العنسى (رئيساً) ومحمد عبد الحالقي
حجر ومحمد عامر وأحمد علي الآنسي ومحمد صالح الملقى وأحمد اسحق وعبد الله السلال
وأحمد حسين المروني وأحمد طاهر وحسن العمري ومحمد مصلح الريدي ، وكانت مدة
الدراسة بالعراق عامين (٥٤ / ١٣٥٦ هـ - ٣٥ / ١٩٣٧ م) وكانت دراسة هؤلاء
جميعاً دراسة عسكرية . وقد لحقت البعثة الثانية بعد قليل (١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م)
وكانت برئاسة الأستاذ زيد بن علي عنان ، وقد التحق بعضهم بالدراسات العسكرية وهم :
حمود الجائفي وأحمد محيي التلايا وسلام الرازي ومحمد عبد الولي وأحمد الحيمي ، أما
البعض الآخر فدرس علوماً مدنية وهم : زيد عنان وعلي الآنسي وعلي محمد رجاء وأحمد
الخورش ، ثم ألحق بهم أولاد حسين الحيشي ووضعوا تحت إشراف رئيس البعثة بعد حوالي
نصف عام من وصول البعثة الثانية إلى العراق . (من إجابات محمد حجر عضو البعثة
الأولى) .

عند الحديث عن محتويات المجلة ، أن نقف إزاء كتاباتهم بالعرض والتحليل لإبراز مظاهر الجديد والعصرية التي ساهموا بها في المجلة ، والتي أدت إلى إزدياد أهميتها . ولقد رأينا أن الإسهام الرئيسي لهؤلاء هو تزويد المجلة بالموضوعات الجديدة العصرية فعارضوا موضوعات زراعية وصحية وتربوية ونفسية وحربية ووطنية ، وتعرضوا للصور الأدبية الحديثة مثل القصة القصيرة والنقد الأدبي ، ذلك كله بعد أن كان الأدب والتاريخ يغلب على محتويات أعداد الحكمة في عامها الأول ، لذا فلا نغالي إذا قلنا أن هؤلاء قد أضافوا الكثير إلى المجلة ، لا من حيث المفهوم والأسلوب فحسب ، بل ومن حيث الموضوعات التي طرعوها أيضاً ، وهذا يرجع دون شك إلى ما تلقوه من معلومات أثناء بعثاتهم ، وإلى تأثيرهم بما شاهدوه حولهم هناك (١) .

أما من ناحية المحور الثاني ، أي نشاط أعضاء البعثات في الحياة العامة ، فقد نشط بعض هؤلاء بشكل ملحوظ لفت إليهم أنظار الإمام يحيى حتى أنه اعتقل بعض الأفراد منهم بعد وصولهم إلى الين بقليل ضمن مجموعة مدنية أخرى ، وهؤلاء الأفراد هم أحمد المروني وعبد الله السلال ويحيى الدين العيسى وأحمد الحورش (٢) . ويقول أحد هؤلاء -- وهو عبد الله السلال --

(١) روى لنا الأستاذ أحمد المروني (عضو البعثة الأولى) بعض المواقف الطريفة المضحكة التي واجهها أعضاء البعثة أثناء سفرهم إلى العراق وبعد استقرارهم به ، ومنها مشاهدتهم لأول مرة عرضاً سينمائياً في عدن أثناء مرورهم بها وهم في الطريق بحراً إلى العراق ، ووصف مشاعرهم بأنها كانت مزيجاً من الخوف والرعدة والدهشة والإعجاب في آن واحد ، وهي قصة تشبه تماماً قصة القروي الذي زار مدينة كبيرة لأول مرة وأخذته مظاهر الحضارة بها . ولا شك أن هذه الرواية وغيرها تصور لنا مدى التغيرات النفسية والفكرية التي حدثت داخل هؤلاء الأعضاء وجعلتهم يقارنون بين مشاهداتهم وبين أوضاع بلادهم .

(٢) أحمد بن محمد الشامي : من الأدب اليمني ، ص ٧١ .

أنه فوجيء بالقبض عليه والرج به في السجن ، وهناك علم أنه منهم - مع أصدقائه - بالتحدث مع الضباط والجنود والأصدقاء عن المدينة والحضارة ، وأنهم يخرجون الأفكار (١) ، ولا شك أن 'الصدمة الحضارية' - إن صح هذا التعبير - التي تفاقها هؤلاء خارج البلاد ، كانت ذات تأثير كبير على نفوسهم وأفكارهم ، فبدؤوا يطالبون بالأخذ بالتقدم العلمى وبالمخترعات الحديثة لتطوير البلاد ، وبأن تقوم الحكومة بتقديم الخدمات العامة اللازمة للأهالى أسوة بما تقوم به الحكومات فى المجتمعات الأكثر تقدماً (٢) . وكان من المستحيل منع تسرب الأفكار العصرية ، إلى أذهان هؤلاء الشباب مهما حوصروا ، ومهما بانغ الإمام فى التدقيق فى اختيار عناصر البعثات وفى تحديد نوعيتهم . وكان الإمام بوجه عام لا يختار ضباط الجيش إلا من أبناء الطبقة المتوسطة ، ومن أبناء المشايخ الصغار ، ولا يقبل أن يكونوا من بين أبناء المشايخ الكبار أو من أسر السادة ، ذوى النفوذ الكبير ، ذلك حتى لا يتخذ هؤلاء الجيش وسيلة للبطالة بالإمامة (٣) . واشتد حذر الإمام عند اختيار المبعوثين إلى العراق ، فقد جاء فى ترجمة حياة الرئيس الأسبق عبد الله السلال (١٩٦٧/٦٢ م) - عند قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ م - أن سبب اختياره ضمن البعثة الأولى - كذلك باقى الأعضاء - هو عدم انتمائه إلى الطبقة المتميزة من السادة ، ولم يكن ابناً لقبيلة ، أو منتسباً لإحدى الأسر من التجار أو المعلمين (٤) ، ويتأكد هذا إذا نظرنا إلى أوضاع جميع المبعوثين إلى العراق ، فنجد أنهم من أبناء الأسر المتوسطة أو الفقيرة سواء من السادة أو من غيرهم ، ورغم هذا

(١) محمد على لقمان ، فاروق محمد لقمان : قصة الثورة اليمنية ، ص ٣٢ .

(٢) Manfred W Wenner : Modern Yemen, 1966, p. 84

(٣) Edgar O'Ballance : The War in the Yemen, p. 41

(٤) Dana Adams Schmidt : Yemen, the Unknown War, p. p. (٤)

التدقيق - كما رأينا - فلا شك أن هؤلاء الأعضاء قد عادوا من بعثاتهم وهم يحملون شيئاً ما في نفوسهم - وإن اختلف حجم هذا الشيء ونوعه من شخص إلى آخر - وكان لابد أن يظهر هذا الشيء في صور مختلفة : أما همس بين الأصدقاء والمعارف ، أو نشاط مرى بين مجموعات معينة معادية للإمام ، أو تحرير مقالات على صفحات « الحكمة » ، و « الإيمان » ، قدر ما تسمح به ظروف النشر . ومن صور هذا النشاط أيضاً التنقل بين « المناكبي » والجلسات الخاصة ، وقص المشاهدات والذكريات التي توحى من طرف خفي إلى نقد الأوضاع القائمة . وكان الكثير في شوق إلى الاستماع والتعرف على أوضاع العالم الخارجى نظراً للعزلة المفروضة على البلاد حينذاك ، فكانت بعض الشخصيات المعروفة والأمر الكبيرة ترحب في مجالسها بالعائدين من البعثات ، لالاشخاصهم ، بل لمعرفة ما وراءهم من روايات^(١) .

ويبدو أن الإمام كان يشك في اتجاهات بعضهم منذ أن كانوا في العراق ، أو أنه لمس الحساس والآمال التي عادوا بها فأراد أن يقلل منها ، لذلك عمل على تشتيتهم وتفريقهم - عند عودتهم - على الوظائف المختلفة منذ البداية . فقد عمل بعضهم في ديوان الإمام حتى يكونوا تحت رقابته - أو رقابة السيف أحمد في تعز - ورغم ذلك ، ولأنه لا يثق بهم كثيراً ، فلم يوكل إليهم وظائف أو أعمال ذات أهمية ، أو تتصل بتخصصاتهم ، لذلك قضى البعض أوقانهم في خمول تام ، وبدأ البعض الآخر انضمامهم إلى التنظيمات السرية التي ترمى إلى إصلاح نظام الحكم^(٢) ، أما القليل منهم فهو الذي عمل بالجيش . ويلاحظ أن نشاط بعض أعضاء البعثات - السرى والعلمى - بعد عودتهم إلى اليمن ، قد دفع الإمام إلى تغيير رأيه ، فأوقف

(١) من إجابات الأستاذ أحمد المرونى .

(٢) Manfred W. Wenner : Modern Yemen, 1918 - 1966 ,

إرسال البعثات إلى العراق بعد البعثة الثانية مباشرة ، وبدلاً من ذلك استقدم بعثة عسكرية عراقية^(١) إلى اليمن لتدريب الجيش . لأنه رأى - من وجهة نظره - أن مرافقة أفراد هذه البعثة والتحكم في نشاطها أسهل من متابعة نشاط أعضاء البعثات اليمنية العائدين^(٢) . ورغم أن هناك من يرى أن البعثة العراقية لم تنجح كثيراً في رفع كفاءة وتدريب الجيش اليمني^(٣) ، فلا شك أن هذه البعثة قد هزت مفاهيم وأفكار الضباط والجنود اليمنيين الذين تدربوا على أيديهم واحتكوا بهم ، كما أن أحد أعضاء هذه البعثة وهو الرئيس جمال جميل - الذي فضل البقاء في اليمن بعد عودة البعثة إلى العراق - قد ارتبط بعناصر المعارضة اليمنية ارتباطاً وثيقاً حتى أنه أصبح فيما بعد القائد العسكري - في واقع الأمر - لثورة ١٩٤٨ م .

وهكذا اتضح أن أماننا الخطوط العامة - لموضوع البعثات اليمنية إلى العراق - التي تهمنا في دراستنا عن مجلة « الحكمة » ، والتي يظهر منها مدى إسهام بعض أعضاء هذه البعثات في تحرير المجلة وتطوير موضوعاتها ، ومدى حجم نشاطهم العام الذي أدى إلى اعتقال البعض . ومن ناحية أخرى ، اتضح مدى ارتباط « الحكمة » بهؤلاء ، وكيف أنها كانت المتنفس الشرعي ، - أي المسموح به - لنشاطهم ، مما يؤكد بالتالي أنها كانت جزءاً من المعارضة ، أو أنها كانتا - في الواقع - جزءان من جسد واحد .

غير أنه يجدر هنا الإشارة إلى صورة أخرى من نشاط فئة المثقفين ،

(١) أعضاء هذه البعثة هم : العقيد الركن إسماعيل صفوت (رئيساً) والرئيس محمد حسن (الذي أُلّف كتاباً عن اليمن بعنوان « قلب اليمن ») والرئيس عبد الغادر القاطمي والرئيس جمال جميل « الذي اشترك في ثورة ١٩٤٨ م » والرئيس سيف الدين سعيد .
« من إجابات الأستاذ محمد حيدر » .

(٢) Manfred W. Wenner : Modern Yemen , 1918 - 1966 ,

p, 84,

Edgar O'Balance : The War in the Yemen, p, 39, . (٣)

لإكمال الحديث عن هذه الفئة باعتبارها إحدى عناصر الممارسة ، ولمزيد من تحديد موقف الحكمة ، بما يدور حولها ، وخاصة لأننا نكرر القول بأن الحكمة كانت تقوم بواجبها وبدعوتها إلى الإصلاح بقدر ما تسمح به ظروف النشر والتعبير العلني حينذاك ، باعتبار أنها مجلة حكومية ، وتحت إشراف سيف الإسلام عبد الله ومن ورائه الإمام يحيى . والنشاط الذى نريد الإشارة إليه كان خارج مجلة الحكمة ولكنه معاصر لها ، وكان بدوره علنياً والبعض الآخر سرياً . وتمثل النوع الأول فى برنامج جمعية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الذى قدمه الأستاذ الزبيرى إلى الإمام يحيى إثر عودته من القاهرة عام ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م)^(١) ، ولكن الإمام رفضه وأحاله إلى لجنة من العلماء برئاسة السيد زيد الديلى . وكان الإمام يحيى قد قبض على محمد الخطيب والزبيرى كما سبق أن ذكرنا وأودعهما سجن «الاهنوم» لذلك قال الديلى بعد أن تدارست اللجنة برنامج الزبيرى : « ماذا يريد الإمام يحيى منا أن نفعل ؟ ليس فى هذا البرنامج شئ يخالف شريعة الله ، وإذا كان قد استنكره سياسياً فما تدأمر بحبس صاحبه بل ونفاه (أى إلى الاهنوم) فهل يريد أن نقرر ذلك ؟ أم يريد أن نحكم عليه وعلى رفيقه الخطيب بالإعدام »^(٢) .

أما النوع الثانى من هذا النشاط فقد كان أصحابه يمارسونه بصورة سرية ، وكان يتمثل فى كتابة المنشورات والقصائد الشعرية التى تهاجم الإمام

(١) يقع البرنامج فى ٣٢ صفحة من القطع الصغير ، ويحتوى على مقدمة للأستاذ الزبيرى ، ٣٧ مادة تحت عنوان « ماذا نريد أن نفعل » ، وهى جميعها تدور حول ضرورة التمسك بمبادئ الإسلام الصحيح وتدعو إلى تطوير جميع مرافق البلاد من إدارية ومالية وتعليمية وصحية وتجارية وصناعية وزراعية وغير ذلك . وقد وضعه وطبعه فى القاهرة أثناء زيارته لها لأول مرة « ١٣٣٨ هـ - ١٩٣٩ م » هو وبعض الشباب اليمنى الموجودين بالقاهرة مثل محمد صالح المسرى وعبد الله بن على الوزير .

(٢) أحمد بن محمد الشامى : من الأدب اليمنى ، ص ٨٣ .

وسياسته ، وكان الاعتماد على الشعر في الأغاب السهولة حفظه وتداوله كما هو معروف . ومن هذا النوع ما قدمه لنا الأستاذ أحمد المولى في مقدمته لكتاب « من الأدب اليمني ، أثناء حديثه عن أستاذ القاضى على بن يحيى الإريانى ، فقد قال : « اشتهر بنصحه شعراً للامام بطريقة مبهمة ، كما أنه كان يقول شعراً نقدياً وثورياً يتناقضه تلاميذه ، وينزل بصفة منشورات ، وهو غاية في التفهم والسخرية ، والجودة ، انه رائد من رواد الفكر ، مكث في شعره ، على الرغم من عمره القصير ... وأذكر له أبياتاً من قصيدة طويلة نزلت بصفة منشور قبل الحرب العالمية الثانية . » ثم أورد جزءاً مما ظل طالقاً في ذاكرته وقد جاء فيها :

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| العدل للرحمن من أسمائه | وبه القيام لأرضه وسمايه |
| فاجعل عليه أساس ملكك ثابتاً | فهو الكفيل له بطول نقائه |

ومنها :

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| قد كانت الأتراك أهون ياترى | من سيد فد غرنا بدعائه |
| كم قام فينا خاطباً مستنفراً | متضرعاً متوسلاً ببيكائه |
| ويعد للأتراك بعض مثالب | قد أصبحت من بعد من سمائه |
| فيقول : قد خانوا الإله بظلمهم | ومحرام الإنصاف شمس سمائه |
| وبأنهم جاروا على اليمن الذى | لم يصرفوا الزكوات في فقرائه |
| وبأنهم قد أخروه ، ولم يزل | في جهله ، وعنايه وشقائه |
| حتى إذا تمت ولايته على القـ | طر التمس بمكره ودهائه |
| حلت له أفسالهم ، وكأثمسا | حل الحرام معاق برضائه |
| أوجاهه الوحى الشريف بحلها | والله ما حابه بكل ولائه (١) |

(١) أحمد المولى : مقدمة كتاب « من الأدب اليمنى » ، ص ٢٠ - ٢١ .

لمسوا في بعض تصرفات الإمام خروجاً على قواعد المذهب الزيدى . وقد بدأ تذرهم — ومهمهم — منذ وقت مبكر ، أى منذ أن عهد الإمام يحيى بمعاهدته المعروفة مع إيطاليا عام ١٩٣٦ م (١٣٤٥ هـ) ، وكانت هذه هى المعاهدة الأولى التى يبرمها الإمام مع العالم الخارجى ، فقد حول «الإمامة» إلى «ملك» ، وذلك عندما حرص على أن ينص فيها على لقب «جلالة الملك» إلى جانب لقب الإمامة^(١) . وازداد التذرر والهمس عندما بدأت تروج لفكرة ولاية العهد لابنه سيف الإسلام أحمد ، وسكوت الإمام يحيى — على الأقل — عما يروج حوله ، «وهى الحركة التى أثارت ثائرة الأمراء والسادة الذين كان لهم أمل فى الخلافة ، والفقهاء المحافظين»^(٢) . وموقف الإمام يحيى — سلباً وإيجاباً — من مبايعة ابنه ولياً للعهد كان — ومازال — موضوع مناقشات طويلة ولكن ليس هنا موضع الخوض فيها إذ يحتاج هذا الموضوع بحثاً آخر ، فقد ذكر البعض — ضمن تفاصيل طويلة — قصة النزاع حول ولاية العهد ، وأن الإمام يحيى كلف بعض الشخصيات بالدعوة إلى ولاية العهد لابنه أحمد ، وجمع البيعة له^(٣) ، وأنه كان مقتنعاً بوراثة العرش حتى يؤدى ذلك إلى الاستقرار ، فبدأ يهين سرّاً المنافخ الفكرى والمذهبى لذلك عن طريق بعض الشخصيات الكبيرة المقربة إليه ، حتى يتمكن من إعلان هذه الخطوة الجريئة المخالفة لقواعد المذهب الزيدى^(٤) . ويردد البعض الآخر أن الإمام يحيى كان أكثر حيطة وحذراً ، فلم يتدخل فى أمر البيعة وترك الأمور تجري فى أعنتها ، فلم يعرف عنه طوال حياته

(١) يرجع إلى نص المعاهدة ضمن ملاحق كتابنا «تكوين اليمن الحديث ،

١٩٠٤ — ١٩٤٨» .

(٢) محمد أنعم غالب : نظام الحكم والتخلف الاقتصادى فى اليمن ، ص ٦٢ .

Harold Ingaams : The Yemen, Imams, Rulers and
(٣) Revolutions, p,p, 71 - 72

Manfred W. Wenner : Modern Yemen, 1918 - 1966, (٤)
p, 89,

لمسوا في بعض تصرفات الإمام خروجاً على قواعد المذهب الزيدى . وبدأ تذرهم — ومهمهم — منذ وقت مبكر ، أى منذ أن عهد الإمام يحيى معاهدته المعروفة مع إيطاليا عام ١٩٢٦ م (١٣٤٥ هـ) ، وكانت هذه هي المعاهدة الأولى التي يبرمها الإمام مع العالم الخارجى ، فقد حول « الإمامة » إلى « ملك » ، وذلك عندما حرص على أن ينص فيها على لقب « جلالة الملك » ، إلى جانب لقب الإمامة^(١) . وازداد التذمر والهمس عندما بدأت تروج لفكرة ولاية العهد لابنه سيف الإسلام أحمد ، وسكوت الإمام يحيى — على الأقل — عما يروج حوله ، « وهى الحركة التى أثارت ثائرة الأمراء والسادة الذين كان لهم أمل فى الخلافة ، والفقهاء المحافظين »^(٢) . وموقف الإمام يحيى — سلباً وإيجاباً — من مبايعة ابنه ولياً للعهد كان — وما زال — موضوع مناقشات طويلة ولكن ليس هنا موضع الخوض فيها إذ يحتاج هذا الموضوع بحثاً آخر ، فقد ذكر البعض — ضمن تفاصيل طويلة — قصة النزاع حول ولاية العهد ، وأن الإمام يحيى كلف بعض الشخصيات بالدعوة إلى ولاية العهد لابنه أحمد ، وجمع البيعة له^(٣) ، وأنه كان مقتنعاً بوراثته العرش حتى يؤدى ذلك إلى الاستقرار ، فبدأ يهين سراً المنافخ الفكرى والمذهبى لذلك عن طريق بعض الشخصيات الكبيرة المقربة إليه ، حتى يتمكن من إعلان هذه الخطوة الجريئة المخالفة لقواعد المذهب الزيدى^(٤) . ويردد البعض الآخر أن الإمام يحيى كان أكثر حيلة وحذراً ، فلم يتدخل فى أمر البيعة وترك الأمور تجري فى أعنتها ، فلم يعرف عنه طوال حياته

(١) يرجع إلى نص المعاهدة ضمن ملاحق كتابنا « تكوين اليمن الحديث ،

١٩٠٤ - ١٩٤٨ » .

(٢) محمد أنعم غالب : نظام الحكم والتخلف الاقتصادى فى اليمن ، ص ٦٢ .

(٣) Harold Ingaams : The Yemen, Imams, Rulers and
Revolutions, p.p, 71 - 72

(٤) Manfred W. Wenner : Modern Yemen, 1918 - 1966, (٤)
p, 89,

أنه استعمل لقب « ولي العهد » في مخاطباته ومكاتباته إلى ابنه السياف أحمد .
وبغض النظر عن اختلاف هذه الروايات ومناقشتها ، فيكفي أن نقول أن
التنافس بين الأطراف المختلفة حول ولاية العهد قد زاد من حجم المعارضة
وحدتها ، وأدى إلى تزعزع الحكم القائم .

وقد ظهر هذا التنافس — وبالتالي هذا التزعزع — بوضوح عقب
أحداث عام ١٩٣٤م (١٣٥٣هـ) المشار إليها ، وبمعنى أدق عندما أراد أن
يدعم سيطرته على مقدرات الأمور إثر هذه الأحداث ، وانجازه إلى تعيين
أبنائه في المناصب الكبيرة بدلا من أفراد بعض الأسر التي يخشى قوتها .
وقد بدأ هذه الخطوة بأن أرسل ابنه السياف أحمد إلى تعز لينتزع السلطة
تدريجياً من أيدي أميرها السيد علي بن عبد الله الوزير ، بعد أن كان قد حكم
لواء تعز من قبل الإمام يحيى حوالي عشرين عاماً (١) . وأعقب هذا عزل
السيد عبد الله الوزير عن لواء الحديدة وإسناد إمارته إلى ابنه السياف عبد الله
إلى جانب وظائفه الأخرى — وهي وزارة المعارف ووزارة الدفاع —
كذلك إسناد إمارة لواء اب إلى ابنه السياف حسن (٢) ، هذا بالإضافة إلى
تعيين بعض أبنائه الآخرين على رأس الوزارات التي أنشأها حينذاك مثل
السياف علي الذي عين وزيراً للاقتصاد كما رأينا خلال البحث .

ويلاحظ أن بداية خطوة الإمام هذه — أي ذهاب السياف أحمد إلى
تعز — صاحبت ظهور مجلة الحكمة إلى الوجود ، وبالتحديد سبقت ظهورها
بعدة أشهر فقط ، فقد بدأ السياف أحمد جولته التفقدية ، — كما أطلق عليها
حينذاك — والتي انتهت به إلى تعز — بدأها في خلال عام ١٣٥٧/٥٦ هـ
(١٩٣٨م) ، وهو العام الذي صدر في آخره أول أعداد الحكمة . ويلاحظ

(١) أحمد بن محمد الشامي : من الأدب اليمني ، ص ٧٠ .

(٢) عبد الله الشامي : اليمن ، الإنسان والمضارة ، ص ١٨٢ .

أيضاً أن خروج الإمام على بعض قواعد المذهب الزيدى — من وجهة نظر بعض السادة والعلماء كما ذكرنا — قد قربت بين هذه العناصر المحافظة السلفية وبين «العصريين»، أى فئة المثقفين، «فتمكنت حينذاك علاقات قوية متينة بين هؤلاء الشباب وبين على الوزير وعبد الله الوزير وزيد الدبلى وغيرهم» (١).

وبالإضافة إلى هذا فيلاحظ أيضاً أنه قد تكرر الحديث عن مخالفة الإمام بحسبى لقواعد المذهب الزيدى مما يدفعنا إلى الإشارة إلى طبيعة هذا المذهب فى إيجاز، وخاصة أن هذه المخالفات — كما ذكرنا — كانت سبباً فى زيادة حجم المعارضة، وانضمام عناصر جديدة إليها ضاعفت من شأنها، نظراً لقوة هذه العناصر المادية والاجتماعية، ولأنها كانت جزءاً من السلطة الحاكمة إلى أن انسلخت منها. وأهمية الإشارة إلى المذهب هنا، ليس لأنه مذهب ثلث سكان اليمن، ولأنه مذهب السلطة الحاكمة حينذاك، ولكن باعتباره مصدراً هاماً من مصادر الفكر فى البلاد، ولأنه ذات طبيعة متحررة متفتحة. فهذه الطبيعة «تتميز بسماحة خاصة من التفكير السيامى والفكرى، فهى قد أوجبت الخروج على الظلمة وجوباً دينياً، فى الوقت الذى أوجبت فيه الاجتهاد وحرمت التقليد، ودعت إلى تحرير العقل، واعتبرت الظلم أقصى درجات المنكر، ووضعت بالمقابل الجهاد أول واجبات المجتمع. ولم تفرق إطلاقاً بين زيدين وغير زيدين، فالظلم فى نظرهم لا يتجزأ، وجوب محاربه لا يتجزأ أيضاً. وأصبح من ثم مبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حجر الزاوية فى النظرية الزيدية التى بلغ من شأنها وحيويتها أن أصبح العمل وحده هو محك الإيمان» (٢). وإلى جانب هذا

(١) من إجابات السيد أحمد بن محمد عبد الله الوزير.

(٢) زيد بن على الوزير: محاولة لفهم المشكلة اليمنية، ص ٦٩.

فقد أفاض أحد أبناء المذهب — من المعاصرين — في الحديث عنه ليبرز الجوانب الإيجابية المشرقة فيه ، حتى وصل إلى قاعدة نظام رئاسة الدولة ، وكيف أنها لا تحتوى على فكرة وراثية العرش ، وهي الفكرة التي نريد إبرازها هنا باعتبارها إحدى النقاط التي خرج فيها الإمام على قواعده المذهب ، فقال : د . ولا يتناولها (أى الرئاسة) الأبناء من الآباء والأقارب ميراثاً هيئاً ليناً ، ولا بوصاية من سلف الخلف ، ولا بولاية عهد ، وإنما هي رئاسة يتناولها السكف القوي العادل الشجاع المقدم السنخى العالم المجتهد السياسى المفكر . . . (١) ، وان كان قد أعاب في نفس الوقت على الإمام الهادى يحيى بن الحسين ، الذى أدخل المذهب الزيدى إلى اليمن ، بأنه حصر الإمامة ، فى أبناء د فاطمة ، ، مخالفأ بذلك القواعد الأصلية التي وضعها الإمام زيد بن علي صاحب المذهب .

وهكذا ، فإذا كنا نكتفى بهذا القدر من الحديث عن المذهب الزيدى ، وموقف الزيديين والإمام من قواعده ، وما ترتب على ذلك من نتائج سياسية ، فقد بقى أمامنا الحديث عن عنصر آخر من عناصر المعارضة ، مثل حجماً كبيراً منها ، وزاد من قوة نشاطها .

وهذا العنصر هم أبناء المناطق الساحلية والجنوبية من اليمن ، أتباع المذهب الشافعى ، لذلك يطلق عليهم الشوافع . وقد سبق أن ذكرنا أن بعض هؤلاء قد أنشأوا لأنفسهم مدرسة حديثة فى منطقة د الحجرية ، بجهودهم الشخصية ، كما كان لهم جامعتهم — أو جامعهم — الشهيرة فى زيد ، وأنه قد برز من بينهم بعض الشخصيات التي احتلت مكانها فى الحياة الثقافية فى الثلاثينات من هذا القرن ، كذلك فى الحياة الاقتصادية والسياسية كما سنرى فيما بعد رغم قلة المادة التاريخية اللازمة . ولا شك أن سياسة الإمام يحيى كانت عاملاً

هأماً من العوامل التي أدت إلى انضمام هذه الكتلة البشرية إلى صفوف المعارضة ، وهي السياسة التي اتصفت بأنها كانت جامدة ومحدودة الأفق .

فن ناحية ، فهو لم يتخذ من الخطوات ما يقرب « الشوافع » إليه ، أو بالأحرى لم يتخذ من الخطوات ما يساعد على احتواء هؤلاء وبجملهم يشعرون بالانضمام إلى دولته الجديدة ، بل على العكس من ذلك اصطدم ببعض كتلتهم في السنوات الأولى من حكمه ، وقبض على بعض رؤسائهم المشهورين ومصادر أموالهم وممتلكاتهم . وقد سبق الإشارة إلى محاربه لقبيلة الزرائق في « تهامة » ، وإلى القبض على عدد من المشايخ في المناطق الجنوبية من اليمن وعلى رأسهم الشيخ عبد الوهاب نعمان . وربما كان للإمام حججه المختلفة في هذا الصدام — مما لا يتيح المجال هنا إلى ذكرها ومناقشتها — ولكن يلاحظ أن هذا كله قد أدى إلى تدمير هؤلاء وسخطهم على حكم الإمام . وبالإضافة إلى هذا — ونتيجة له — فقد كان الامام — من وجهة نظره — لا يثق في موقف الشوافع منه ، لأنه كان يعتقد أنهم كانوا — وبجدة وحدة المذهب بينهم وبين الأتراك — على علاقة طيبة بالحكم التركي . وقد ترتب على هذا أن عين الامام يحى حكماً وقادة من أبناء المناطق الشمالية الزيدية في كثير من المناطق الشافعية ، لذلك لم تخلق هذه الخطوات كلها حينذاك — من الناحية السياسية — شعوراً بالوحدة بين الجماعتين الدينتين الكبيرتين (١) ، في اليمن ، أي الشوافع والزيد .

ومن ناحية أخرى ، فقد كان من المعروف أن الامام يحى يكره وجود أي نفوذ أجنبي في بلاده ، وهذا ما دفعه إلى العزلة والانكماش ، لذلك عمل على التدخل في العلاقات التجارية بين مواطنيه وبين بعض البلاد الأجنبية . ولقد كان من المعروف أيضاً أن « الشوافع » يحكم موقعهم على السواحل ، وفي المناطق الجنوبية القريبة من عدن — مركز النشاط الاقتصادي

Manfred W. Wenner : Modern Yemen, 1918 - 1966, (١)
p. 86.

حينذاك - كما والمدة طويلة شـبهه محتكرين للتجارة الخارجية اليمنية .
لذلك فقد اتخذ الإمام خطوات عدة حتى لا تبقى التجارة الخارجية حكرأ في
أيدي الشوافع ، وعين عدداً من الوكلاء من قبله حتى يحد من سيطرة الشوافع ،
وعلى مستواهم الاقتصادي ، مما زاد من حدة مرارتهم إزاء الحكم الإمامي .
ورغم أنه كان من الصعب الحيلولة بين هؤلاء التجار - الشوافع - وبين
انصالحهم بالعالم الخارجي ، فقد ظلت خطوات الإمام مصدر ضيق وتذمر لهم
وقد ترتب على هذا العامل الاقتصادي أن قرر كثير منهم - بطبيعة الحال -
تغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية التي يعانون منها ، وانضم أغلبهم إلى
الحركات المعارضة في الخارج ، وساعدوا في تمويل نشاطها (١) . وكان بعض
هؤلاء التجار قد هاجر إلى عدن وشرق أفريقيا وغيرهما من البلاد ، للعثور
على مجالات خارجية لنشاطهم التجاري ، وعندما انتقل جزء من المعارضة
اليمنية إلى عدن - بعيداً عن الحكم الإمامي - وأسسوا هناك حزب الأحرار ،
عام ١٩٤٤ م ، وجدوا من هؤلاء التجار كل مساعدة معنوية ومادية ، لذلك
قيل : د ووجد العصريون عطفاً في أوساط المهاجرين خاصة التجار (السابقين)
الذين غادروا بلادهم كنتيجة للاحتكار ، والتجار الذين كونوا أنفسهم في
المهجر (٢) ، وإزاء هذا كله ، فلا غرابة أن نجد اسم أحد التجار الشوافع الكبار
- وهو الخادم غالب - يلمع أثناء أحداث ثورة ١٩٤٨ م ويلقى حتفه
عند فشلها (٣) ، تأكيداً لمساهمة قطاع التجار الشوافع في نشاط المعارضة
حينذاك .

وهكذا يتضح أن د الجبهة الوطنية ، التي أشرنا إليها ، والتي كانت تتلبس
طريقها عند ظهور الحكمة ، كانت تجمع بين جنباتها الشافعي إلى جانب

(١) Manfred W, Wenner : Modern Yemen 1918 - 1966

p, 86

(٢) محمد أنعم غالب : نظام الحكم والنخلف الاقتصادي في اليمن ، ص ٦٢ .

(٣) أحمد بن محمد الشامي : من الأدب اليمني ، ص ٤٠ .

الزبدى ، والسيد إلى جانب القحطاني ، والجنوبي إلى جانب الشبلي ، والتاجر والقبلي إلى جانب المتعلم ، وإن الحكمة كانت جزءاً من هذا الخضم ، كما عبرت عن آماله ورغباته ، وعكست أوضاعه ، ومثلت عناصره .

الحكمة والبربر الأدبي :

غير أنه كما تحدثنا عن وضع الحكمة وسط المعترك السياسي الذي أحاط بها والذي كانت جزءاً منه كما ذكرنا ، فعلينا أن نشير إلى وضع المجلة بين المحاولات الحديثة النامية حينذاك في المجال الثقافي ، تلك المحاولات التي اعتمدت على الاجتهادات الشخصية ، والتي لم تكن تجد لها متنفساً عاماً — قبل ظهور الحكمة أو بعد اختفائها — غير الاعتماد على النفس ، وعلى التثقيف الذاتي . وما نقصده هنا هو ما عرف في تاريخ الأدب اليمني المعاصر باسم البريد الأدبي ، أو بمعنى آخر هو تلك المجلات الخطية المحدودة الحجم التي يتبادلها الأصداق فيما بينهم ، للتعرف على آراء بعضهم البعض ، ولتنمية ثقافة كل منهم ، سواء كانوا داخل المدينة الواحدة ، أو كانوا في عدة مدن مختلفة . ولمزيد من التعرف على هذه الحركة الأدبية الخاصة ، يمكن أن نرجع إلى حديث أحد أبنائها الذين شاركوا فيها ، إذ يقول : « أستطيع أن أقول عن البريد الأدبي أنه كان جريدة أو شبه صحيفة تلتقى فيها الأفكار المستنيرة للتعرف على بعضها ، فكان فيها الخبر السياسي والتعليق عليه في أضيق الحدود ، كان فيها النقد الأدبي ، كان فيها القصيدة ، كان فيها المقالة ، كذلك المناظرة الأدبية ، فذكر أنه جرت مناظرة لطيفة حول المقارنة بين شوقي والمتنبي ، فتمصب أحد الكتاب لشوقي واعتبره شاعر العصر ، وأن المتنبي لو عاش في عصر شوقي لما استطاع أن ينافس شوقي ، وتمصب الرأي الآخر للمتنبى ، وأن مكانه لا يستطيع أحد شغله ، وتبادل الطرفان الحجج والبراهين والاستشهادات ، ثم تم بعد ذلك التوفيق والإصلاح على أن كل منهما شاعر عصره ، وأن كل

الأستاذ أحمد البراق ، وغيرهم كثيرون ، وتلاشت سنة ١٣٧٦ هـ .
(١٩٤٧) ، (١) .

ورغم ما يبدو من خلاف بين هذه الروايات ، فإننا لا نرى أنه خلافاً عميقاً ، بل على العكس ، فقد أدى إلى مزيد من توضيح الصورة التي كان عليها « البريد الأدبي » ، أما الخلاف في حد ذاته ، فهو يرجع إلى طبيعة ذلك النشاط ، فهو من ناحية شخصي ومحدود بين جماعات من الأصدقاء ، ومن ناحية أخرى فهو نوع من النشاط الذي لا يمكن بسهولة تحديد سلطته أو حجمه ، لما يحيط ظروف نموه وتطوره ، ولعدم وقوع بقايا من آثاره بين أيدينا . غير أن أهمية هذا الخلاف وأهمية الإشارة إليه ، تتركز في أنه يؤكد أمامنا أن الحكمة لم تظهر من فراغ ثقافي ، بل كانت - كما سبق أن ذكرنا - تعبيراً عن نشاط ثقافي سابق لها ، كما أدت بدورها إلى دوامات ثقافية نشيطة في المجتمع البني التقليدي حينذاك ، استمرت حتى بعد توقف الحكمة نفسها ، وبعبارة أخرى ، فكما كانت « الحكمة » جزء من الخضم السياسي البارز حينذاك ، كما أوضحنا ، فقد كانت أيضاً جزءاً من النشاط الثقافي المحيط بها ، وأنها تمسكت خلال عمرها القصير أن تعبر عنه بكل إيجابياته وسلبياته .

الخلاصة :

وأخيراً ، فإنه يمكن القول بأن الحكمة قد حملت على أكتافها كل طبيعة وظروف الفترة التي ظهرت فيها ، فهي كما كانت نتيجة ضغط بعض عناصر المتعلمين والمتقنين وإلحاحهم على إظهارها ، فقد كانت أيضاً استجابة لمياسة الامام يحيى وابنه السيف عبد الله ، ولواقفهما . ومن ناحية أخرى فهي كما كانت متنفساً لجماعة الشباب والعصرين ، ومعبرة عن آمالهم وآرائهم الجديدة ، فقد التزمت في نفس الوقت بظروف وطبيعة المرحلة التي ظهرت

(١) أحمد محمد الشامي : قصة الأدب في اليمن ، ص ٢٨٤ .

الأستاذ أحمد البراق ، وغيرهم كثيرون ، وتلاشت سنة ١٣٧٦ هـ .
(١٩٤٧) ، (١) .

ورغم ما يبدو من خلاف بين هذه الروايات ، فإننا لا نرى أنه خلافاً عميقاً ، بل على العكس ، فقد أدى إلى مزيد من توضيح الصورة التي كان عليها « البريد الأدبي » ، أما الخلاف في حد ذاته ، فهو يرجع إلى طبيعة ذلك النشاط ، فهو من ناحية شخصي ومحدود بين جماعات من الأصدقاء ، ومن ناحية أخرى فهو نوع من النشاط الذي لا يمكن بسهولة تحديد سلطته أو حجمه ، لما يحيط ظروف نموه وتطوره ، ولعدم وقوع بقايا من آثاره بين أيدينا . غير أن أهمية هذا الخلاف وأهمية الإشارة إليه ، تتركز في أنه يؤكد أمامنا أن الحكمة لم تظهر من فراغ ثقافي ، بل كانت - كما سبق أن ذكرنا - تعبيراً عن نشاط ثقافي سابق لها ، كما أدت بدورها إلى دوامات ثقافية نشيطة في المجتمع اليمني التقليدي حينذاك ، استمرت حتى بعد توقف الحكمة نفسها ، وبعبارة أخرى ، فكما كانت « الحكمة » جزء من الخضم السياسي البارز حينذاك ، كما أوضحنا ، فقد كانت أيضاً جزءاً من النشاط الثقافي المحيط بها ، وأنها تمسكت خلال عمرها القصير أن تعبر عنه بكل إيجابياته وسلبياته .

الخاتمة :

وأخيراً ، فإنه يمكن القول بأن الحكمة قد حملت على أكتافها كل طبيعة وظروف الفترة التي ظهرت فيها ، فهي كما كانت نتيجة ضغط بعض عناصر المتعلمين والمتقنين وإلحاحهم على إظهارها ، فقد كانت أيضاً استجابة لسياسة الامام يحيى وابنه السيف عبد الله ، ولواقفهما . ومن ناحية أخرى فهي كما كانت متنفساً لجماعة الشباب والعهريين ، ومعبرة عن آمالهم وآرائهم الجديدة ، فقد التزمت في نفس الوقت بظروف وطبيعة المرحلة التي ظهرت

(١) أحمد عبد الشامي : قصة الأدب في اليمن ، ص ٢٨٤ .

فيها . كذلك رأينا أنه رغم الظروف التي أحاطت بالحكمة عند ظهورها ، فقد نبضت محتوياتها بمظاهر «الجديد» و «الاصلاحية» في المجالات والموضوعات المختلفة ، إذ حاول بعض كتابها أن ينقلوا إلى داخل اليمن بعض مطالباتهم ومشاهداتهم ، بالإضافة إلى بعض انفعالاتهم وآمالهم في تطوير الأوضاع والنهوض بها ، كما حاولوا أن يحددوا في الأدب والتاريخ وغيرهما ، وأن يفسروا العلم تفسيراً حديثاً ، وأن يتعرضوا للنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية تعرضاً جديداً ، وأن ينادوا بتطوير البلاد وإصلاحها بقدر ما تسمح به ظروف البشر حينذاك ، وأن يلمحوا في حذر وحيطة إلى الأفكار الديمقراطية والحياة الدستورية والشوروية ، وأن يطوروا مفاهيم العروبة والاسلام والدولية بمفهوم متطور .

ولقد كان هذا الوجه المشرق الذي لمعت به الحكمة خلال عمرها القصير ، من أهم أسباب توقفها عن الصدور ، فقد انغمست المجلة في الحياثين السياسية والثقافية وعبرت عنها ، أو بتعبير آخر لقد كانت جزءاً منهما أو متصلة بهما على أقل تقدير . وقد رأينا أنه كانت هناك صلة واضحة بين بعض عناصر المعارضة — وبين المجلة ، بل ورأينا أنه كان لهذه العناصر اليد الطولى في تسيير دفة المجلة وسط الظروف والتيارات التي عاشتها ، ورغم أننا قد عددنا الأسماء ، التي ظهرت بالمجلة ، والتي شاركت في النشاط السياسي حينذاك حتى اعتقل بعضها وأعدم البعض الآخر عقب فشل ثورة ١٩٤٨ ، فقد ضمت الحكمة ، أسماء أخرى موالية للإمام ومؤيدة وجهة نظره في الحكم ، كما ضمت كذلك أسماء تبتغى السلامة في حد ذاتها ، مع بذل بعض الجهد المحدود في مجال التقدم والتطوير .

لذلك فانه يمكن أن ننهي إلى القول بأنه رغم أن الحكمة كانت مجلة حكومية ، وأنها ظهرت وعاشت واختفت في ظروف صعبة قاسية ، عكست وفرضت — كما رأينا — ملامحها على محتويات المجلة ، فقد استطاعت

— ١٩٧ —

و الحكمة أن نعبّر عن الانجاء الجديد النامي في المجتمع اليمني في تلك الفترة ،
وأن تمثل الدعوة الإصلاحية المتطورة حينذاك ، وأن تكون جزءاً من
الزائت اليمنى - الفكرى والثقافى - المشرق - وغم عمرها القصير - فى تاريخ
اليمن المعاصر .

ولما كان هذا البحث مجرد محاولة للتعريف بمجلة د الحكمة ، اليمانية ،
وبرسالتها ، وبدورها الإصلاحى ، فانها مازالت تنتظر التفات الباحثين إليها ،
للغوص فى سمياتها ، وللكشف المزيد عن طبيعتها .

وفى النهاية ، فسلام إلى د الحكمة ، ، و سلام عليها .

بمجموعة المقالات

بقلم

أحمد بن عبد الوهاب الوريث

أحمد بن أحمد المطاع

عبد الله العزب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإصلاح

حالة العرب قبل الإسلام وبعده ، ماضى المسلمين وحاضرهم

(كيف يستعيد المسلمون سيرتهم الأولى) (١)

- ١ -

(هـ) إن أمة من الأمم الضعيفة الصغيرة الجاهلة الفقيرة المنكشدة في صحارها المتربة ورمالها المحرقة ، قد أصبحت في مدة وجيزة من أعظم الأمم قوة ، وأكثرها عدداً ، وأرقاها علماً ، وأوفرها ثروة ، وأوسعها ملكاً ، وأبذلها مجداً ، وأقومها أخلاقاً (٦) ، من هذه الأمة التي تبدلت تبدلاً ظاهراً ، وتطورت تطوراً مدهشاً ، وقف العقلاء أمامه وقفة المشدود ، واختلفوا في تعليله وبيان أسبابه اختلافاً كبيراً ؟ من هذه الأمة الغريبة ، وما هي أسباب تطورها وعوامل نهوضها ؟

أجل إنها الأمة العربية التي كانت قبائل مختلفة وجماعات متباينة ، يقتل بعضها بعضاً ويسلبه أمواله ، تقتلهم وتطاحن تطاحناً شديداً لكلمة نافذة ، أو أمر لا يؤبه له ، تغزو القبيلة أختها وتنزل بها من ألوان القتل وأصناف الفتك ما تستطيعه وتقدر عليه تشغيلاً وانتقاماً أو عدواناً وانتقاماً ، والتي كانت من الغلظة والفظاظة والحمية الجاهلية بحيث تهدأ أفلادها وتندس بناتها بأيديها في التراب ، والتي كانت في الغاية القصوى من الفقر والاملاق بطبيعة أرضها المجردة الرملية وبعدها عن أسباب الغنى والثروة حتى بلغ بها الحال إلى أن (تشوى الجلد وتأكل القصد وتبلغ بالضرب واليربوع) ، ولا تعرف من مظاهر النعمة وملاذ العيش شيئاً ، والتي كانت تنخبط من الجهل في داجية غداية الأهاب ، ومن الأمية في مهمه قاتم الأجواء ،

(١) الحكمة : العدد الأول ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذي القعدة ١٣٥٧ هـ

(ديسمبر ١٩٣٨ / يناير ١٩٣٩ م) ص ١٠ - ١١

لا تخط حرفاً ولا تقرأ سطرأ ، قد انتشرت بينها الوثنية وملسكت عليها
 رشدها وصوابها ففسفت عقولها وأصبح الرجل منهم يصنع بيده صنما
 من الخلوى يعبد ما شاء له نفسه وشاء له الشيطان أن يعبد ، ثم لا يبرح
 أن يدوى في أحشائه صسوت الجوع فيمد يده إلى صنمه فيأكله ، والتي
 كانت قد بلغت من فساد الأخلاق وانحطاط الأفكار وتمسك روح
 الوحشية والإعراض عن كثير من الفضائل الاجتماعية إلى حد أن لاترضى
 النساء إلا أن يصبغن ثيابهن بدم القتل . ويأكلن أكبادهم وقلوبهم ، وأن
 يفسدوا فيهم كثير من العادات المنكرة ، وأن يسود فيهم القلق والخوف ،
 وتنتشر بينهم الفوضى ، وأن تستولى على عقولهم الخرافات والباطيل ،
 فيقتدوا بالهامة والصفر ، وينقادوا لحركات السانخ والبارح ، ويستقسموا
 بالأزلام . والتي كانت في حالها السياسية (٧) كما هي في غيرها من
 الأحوال ، فأطراف الجزيرة العربية واقفة تحت رحمة الاستعمار الأجنبي ،
 إذ يحكم اليمن الحبشة ثم فارس . ولذا تأسست في الشمال إمارتان صارتا تحت
 حماية الفرس والرومان . أما أوساط الجزيرة فهي قبائل متحاربة متنافسة
 تتحفر كل واحدة منها لشن الغارات على جاراتها كما سبق .

هذه هي أحوال الأمة العربية قبيل الإسلام ، فماذا وقع بعد ذلك
 وما الذي آل إليه أمرها ؟

قام محمد بن عبد الله رسوله ومصطواه صلى الله عليه وسلم فتأدى فيهم
 بأعلى صوته داعياً لهم بأسرربه إلى الإيمان بالله وحده ، وإخلاص العبادة له
 ورفض ما سواه من خلقه .

جاء بتعاليمه ليحجث جذور الوثنية ، ويطهر العقول من الأوهام الفاسدة ،
 ويوقف الأفكار من سبائنها ، ويوجهها إلى التأمل والتفكير والاعتبار ،
 ويطلقها من قيودها التي صدتها عن النظر الصحيح . أتى مرشداً إلى الأخلاق
 الفاضلة والشيم العالية والمزايا الطيبة . أنهى على الاختلافات الحزبية وهدم

- ٢٠٣ -

أركان العصبية الجنسية والفرقة الجاهلية ، وعلمهم أن المسلمين كلهم مكنة واحدة لا تفاضل بينهم إلا بطاعة الله ورسوله وتنفيذ أوامرها .

بين لهم أن الخير كل الخير في انتلاف القلوب وانفاق الأهواء واتحاد الآراء ، وأن الشر كل الشر في التباين والاختلاف والتشاحن والتباغض . أمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والتعارف والتراحم والتعاون على البر والتقوى وإعطاء الحقوق لأربابها .

أمر بالعدل والإحسان ومواساة الفقراء والمساكين واليتامى والبائسين ، حض على تحرير الرقاب وتخليص الأفراد والجماعات من الرق والاستعباد ، أمر بالمسارعة في كل خير وبجانبه كل شر فلا قتل ولا زنى ولا سرقة ولا خمر ولا ميسر ولا غل ولا خداع ولا ظلم ولا ربى ولا عدوان ولا رياه ولا نفاق ولا عداوة ولا شقاق ولا شح ولا بخل ولا تخففة ولا إسراف . (٨) أمر بأن يعدوا لعدوهم ما استطاعوا من قوة لا طمعاً في سلب الأمم استقلالها ولكن في نشر الحق بينهم ، والدفاع عن حماه لا امتصاص لدماء العالم وأمواله ولكن لبث العدل بين أفراد ورفعة مقامه .

قرر أن مناط السعادة في الدنيا والآخرة هو الأعمال الشخصية التي يجب أن يقوم بها كل فرد ، مشعراً بالعهد الملقاة على عاتقه ، مدركاً للحقيقة مركزه في المجتمع البشرى ، معتمداً في نجاحه على ربه ، آخذاً بالأسباب الموصلة إلى مطلبه ، معتقداً أن كل ذلك كاف لإيصاله إلى غاية ما يتوق إليه من السعادة المرجوة في الدنيا والآخرة ، طالباً بالعمل كل أدر عليه ، وقرر أن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، وأن كل شيء في الكون قدراً معيناً وناموساً ضابطاً له ، وأن الأمور كونية لا تفسر على الأهواء والانفعالات ولكن على سنن مدبرة وكيفيات سكمة ، علق المسببات بأسبابها ، وأمر بإتيان الأمور من أبوابها والأخذ بابها ونافعها ، ومنع البهرجة الظاهرة والتسك بالقشور ، وحض على خلاص القلبى والعمل الصالح .

لفت الناس إلى استخدام قوتهم المودعة فيهم إذا أرادوا تحسين شؤونهم وإصلاح أحوالهم، نهى عن التكاسل والتواكل والقعود عن العمل النافع فاستعاذ بالله من الهم والحزن والكسل، حث على طلب كل علم نافع وعظيم شأنه، وصرح بأن الحكمة ضالة المؤمن حينما وجدها التقطها، وندب إلى التعليم والإرشاد والدعوة إلى كل خير، قرر أن العقل منساق التكليف وبحك التمييز بين الحق والباطل وأنه قسطاس الحكم وميزان الأمور، ونهى على الآخذين بالظنون والأوهام، وأوضح خطر الاعتقاد بدون عقل ولا علم.

نادى في المسلمين أن المسلم أخو المسلم وأن مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وأن المؤمن للدؤمن كالبنيان يشد بعضه (٩) بعضاً، وأنه لا يتم إيمان أحدهم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

قرر أن السعادة الآخروية لا تنافي السعادة في الدنيا، وأن المدنية والحضارة إذا قصديهما خير البشر وتسهيل المنافع في الحياة وإظهار بدائع الوجود فهما مما يدعو إليه، كما قرر أن أكبر سبب في بقاء الأمم هو صلاحيتها للبقاء بالعلم والعمل، والآخذ بأسباب الحياة، لا يتمنى الأمانى الباطلة وإزجاء الآمال السرابية، وبالجملة أمر بكل خير يفيد الأفراد والجماعات، ويعود على الإنسانية العامة بالاصلاح، ونهى عن كل شر، وحمل على فاعليه، وتوعدهم بما يكبح جماح كل شرير.

بهذه التعاليم القويمة والمبادئ الرشيدة جاء محمد صلى الله عليه وسلم مبلغاً عن ربه، فأحدث في العرب انقلاباً عظيماً وتطوراً خطيراً، رقى مستوهم العقلي إلى درجة عظيمة، واستبدلوا بالكفر إيماناً، وبالشرك توحيداً، وبالجهل علماً، وبالفساد نظاماً، وبالهمجية مدنية، وبالتفرق اتِّحاداً، وبالتخاذل تضامناً، وبالضعف قوة، وبالفقر غنى.

أصبحت الأمة العربية بمجموعة الشمل بعد الشتات ، مذبذبة الأخلاق ،
بديعة النظام ، شديدة البنيان ، متحدة الأهواء ، عزيزة المنال ، رهوبة
الجاناب ، متجهة إلى كل ما يحفظها ويحوطها ويجمع كلمتها وينهض همم
أفرادها ، تفادى بأنفسها وأموالها في سبيل نصرة دينها وحماية وطنها ، أن
ينال بشر أو يقصد بضر .

أصبحت تحمل لواء العلم والعزة والمجد والمدنية الصحيحة والحرية
الصادقة ، أصبحت بتأثير التعاليم الإسلامية تفهم أن دينها خير الأديان ،
وأن العالم حولها في ضلال ، وأن نبيها صلى الله عليه وسلم هادى الناس جميعاً ،
وأنها وارثته في هداية الأمم ونشر دعوة الإسلام في العالم كله ، فهبت تدعو
إلى الله وتهدى للتي هي أقوم ، وتنشر مبادئ الإسلام لتنقذ المجتمع الانساني
من الفساد ، وجعلت تسرى في الأمم مرى البرء في السقم ، وفتتح بالعدل
قلوب من تغلبه على أمره ، وتنحاضى أهراق الدماء ، وترفق بالمستضعفين ،
وتبث كلمة التوحيد (١٠) بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتصيغ الأمم بصيغتها
في الدين واللغة والأخلاق ، ومؤثرة في كل أحوالها الآخرة على الدنيا ، تسير
والنصر قائدها ، والتوفيق حليفها وصاحبها .

عجبا أمة كانت بالأمس متفرقة الكلمة بعيدة عن النظام والنظام إلى
الملك تنهض فتجمع كلمتها ، وتوحد شتاتها ، وتستجمع قواها ، فتتألف
دولة متينة القواعد في داخليتها ، سليمة من عوامل التفريق في جثمانها ، ثم
تندفع إلى الخارج حاملة لواء الحق داعية إلى خير الانسانية وصلاحها ،
لا تدعو لتسكوين دولة تفتح البلاد ، وتدوخ الشعوب لتغنى بأنقارها ،
وتجبي بإهلاكها ، وتغنم بإنزال البؤس والشقاء عليها ، وايكن للقيام
بتأييد الحق ولإزهاق الباطل ، ورفع منار الأخلاق ، وإدلاء كلمة الله .

(ينبع)

أحمد بن عبد الوهاب

- ٢٠٦ -

الإصلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم

(كيف يستعيد المسلمون سيرتهم الأولى)^(١)

- ٢ -

(٢٢) ذكرنا في المقال الماضى حالة العرب قبل الإسلام ثم ما طرأ عليهم من التبدل والتطور الكبير بعده وهنا نقول :

إن العرب بعد أن انتشرت فيهم مبادئ الإسلام ، ونشرت قلوبهم تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم ، هبوا للنشر دعوة الحق بين الأمم ، وهداية الضالين عن طريق الخير وتعميم السلام في الأرض ، فلم تتجاوز حدود جزيرتها قاصدة البلاد التي تحكمها الفرس والرومان حتى اتسع أمامها مجال الفتح ، وأمرعت تلك الأفطار إلى الانضواء تحت الراية الإسلامية الرحيمة المنقذة لكل أرض تخفق فيها (٣٤) من ويلات شديدة ، ومصاعب عظيمة ، كانت قد سادت أجواءها وانتشرت في نواحيها ، إذ كانت تلك الأمم المفتوحة كما قال أمير المؤمنين على عليه السلام في وصف حال الناس عند البعثة المحمدية : « مللا متفرقة ، وأهواء منتشرة ، وطوائف مشتتة ، بين مشبه لله بخلقه ، أو ملحد في اسمه ، أو مشير إلى غيره ، ضللا في حيرة ، وخابطين في فتنة ، قد استهوتهم الأهواء واستنزلتهم الكبرياء ، واستخفتهم الجاهلية الجهلاء ، حيارى في زلزال من الأمر ، وبلاء من الجهل » ، وكما قال أيضا : « أرسل الرسول على حين فترة من الرسل ، وطول هجمة من الأمم ، واعتزام

(١) الحكمة . العدد ٢ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ذى الحجة ١٣٥٧ هـ (يناير /

فبراير ١٩٣٩ م) ص ٣٣ - ٤١ .

من الفتن ، وانتشار من الأمور ، وتلظ من الحروب ، والدنيا كاسفة النور ،
ظاهرة الغرور ، على حين لإصفرار من ورقها ، وأياس من ثمرها ، قد
درست منار الهدى ، وظهرت أعلام الردى ، فهي متهجمة لأهلها ، عابسة
في وجه طالبها ، ثمرها الفتنة ، وطعامها الجيفة ، وشمارها الخوف ، ودثارها
السيوف ، هذا بحمل أحوال الأمم المحيطة بالغرب عند نهوض الأمة العربية
لإيقادها وهاك التفصيل :

كان يكتنف جزيرة العرب إذ ذاك أمبراطوريتان عظيمتان :

(١) الأمبراطورية الفارسية التي يمتد سلطانها على أكثر ولايات آسيا .

(٢) الأمبراطورية الرومانية الشرقية التي كانت تملك القسطنطينية
وجنوب أوروبا وآسيا الصغرى وسوريا وأفريقيا الشمالية من مصر شرقاً
إلى المحيط الأطلنطي غرباً . وكانت الأمراض الأخلاقية والاجتماعية
والتعصبات الدينية والمجاعات الشديدة والأوبئة المنتشرة والحروب الطاحنة
قد فتكت بكل منهما ، إذ ترى قيصر الروم يعدو على البلاد الفارسية
ويزحف بجيوشه إليها ، فيقابه كسرى بالمثل ويزحف على الشام ومصر
ويسعى في تخريب أرض قيصر ويحاصر القسطنطينية ست سنوات حتى
يموت (٢٥) أكثر أهلها جوعاً ، فيجاوبه قيصر بقتل الرجال في فارس
والنساء والصبيان وسبي الكثير منهم (كان ذلك في السنة السابعة من الهجرة) .
وهكذا يضرب كل منهما الآخر ويتكبد الأهوال في سبيل الانتقام لنفسه
حتى ضج الناس في فارس من كسرى وبعثوا هرنل في الروم ، وأصبح كل
منهم من المملكتين منهوك القوى قد أهلك الحروب رجاله ونساءه ،
واستهزفت أمواله . هذا إلى الانقسامات الدينية والاختلافات الحزبية
والتعصبات الشديدة التي أفضت بهم إلى التناحر ، فالمجوسية الشائعة في فارس
كانت قد انقسمت على نفسها وتفرقت أحزابها وتساط مؤابذتها على الناس

وأرهم قوم إرهماقاً شديداً ، مع ما كان بفارس من اليهود والنصارى النسطورية الذين كثيراً ما كان يضحي بهم كسرى لإنتقاماً من قيصر الروم . أضف إلى هذا صيرورة الملك ألعبوة في فارس بيد الصبيان والنساء قبيل الاسلام . ولم تكن ملكة قيصر بأهدأ حالا من فارس ، فقد كان الخلاف قائماً على أشده بين النصارى في مسألة الارادتين والفعلين والطبيعتين من المسيح عليه السلام ، وكانت الكنائس يحارب بعضها بعضاً ويسعى لدى الولاة في القضاء عليه . كما كان الولاة النصارى يضطهدون اليهود وينكحون بهم ، وينحرون منهم مجازر كل آونة فيسكن اليهود إلى سنوح الفرصة ، ثم ينقضون على من يقدرون عليه من النصارى فينزلون بهم أشد العذاب .

ولقد قتل هرقل من اليهود مقتلة عظيمة في فلسطين لما سول له رهبان « إيليا ، ذلك بزعم الانتقام منهم لاعاتهم الفرس عند زحفهم على فلسطين بقتل النصارى وهدم الكنائس . وكان رؤساء الرومان يرهقون رعاياهم أشد إرهاق ، ويعملون على امتصاص أموالهم وتجريدهم عن كل ما تحتويه أيديهم ، كما كان الرهبان والقسس وسائر الرؤساء الروحانيين يتحكمون في عباد الله ، (٣٦) ويسلبونهم حقوقهم حتى الحقوق الشخصية ، فيحظرون عليهم كل حركة إلا بعد تصديق رجال الدين عليها ، ويفصلون بينهم وبين الله سبحانه ، فيزعمون لهم أنه لا يجوز لأحد أن يتوب أو يدعو ربه إلا بوساطتهم وتقديم الرشا لهم ليفتحوا له الباب الموصل له إلى ربه . وبأمثال ذلك ألبسوا الدين غير لباسه ، وصيروا أباطيل ، وأدخلوا فيه الخرافات والأوهام والآراء الفاسدة السخيفة ، فانتشرت فيه البدع والضلالات حتى مزقت ثوبه القشيب .

هكذا كانت أحوال أكبر الممالك في العالم عند نهوض العرب أشرفنا إليه لتعرف كيف أن الفتوحات الاسلامية جاءت رحمة من الله وإنقاذاً لعباده عما كانوا فيه ، فلا جرم وجد سكان البلاد المفتوحة في العرب أعظم منقذ

لهم من تلك المصاعب الشديدة التي أحاطت بهم . ولا عجب أن نراهم ينسلخون من دينهم ولغتهم ، يأخذون بدين العرب القويم ولغتهم . ولا عجب إذا ما رأينا العرب يفتحون البلاد ، ويطوون الممالك ، ويتدفقون في العالم تدفق السيل في منحدر ، ويبسطون نفوذهم على بلاد مترامية الأطراف بسرعة مدهشة لم ير التاريخ لها مثيلاً . لا غرابة إذ نرى رأيهم المصورة تتقدم في الغرب فتعبر بحر أزقاق وتمشي في أسبانيا (الأندلس) بخطى واسعة وتطويها على السجل للكتابة حتى تفترق جبال البيرينة (البرانس) الفاصلة بين أسبانيا وفرنسا ، وتتغلغل في فرنسا حتى نهر لوار شمالاً ومدينة بيزنسون شرقاً . ويستولى العرب الذين تخفق على رؤوسهم تلك الراهة الموفقة على جميع أسبانيا وما بين نهر لوار ونهر الرون من فرنسا . وهذا الخط يقسم فرنسا إلى قسمين شمالي وجنوبي ، فالجنوبي ملكه المسلمون وضبطوا مدنه وهي (تورس) الواقعة على نهر (لوار) ، وليون أول مدينة في فرنسا بعد باريس و(ماكون) و(شالون) الواقعة على نهر السون و(بون) وسمها (٣٧) العرب بونه و(أوتون) و(ديجون) التي تبعد عن باريس من الجنوب الشرقي بنحو (٣١٥) كيلو متراً و(ناربونه) وكانوا يسمونها أربونه ، كما أنهم تقدموا إلى جبال الألب وأطراف سويسرا وجنوب إيطاليا . ولو أنهم مشوا على خطتهم التي ساروا عليها منذ فارقوا جزيرتهم ، لتقدموا حتى وصلوا حدود بولونيا في شرق أوروبا ، ولاخترقوا جبال أيقوس من انكلترا ، ولسهل عليهم عبور نهر الراين المار بألمانيا ، كما سهل عليهم عبور النيل والفرات ، ولكان الأسطول العربي من جهة أخرى قطع نهر التيمس واحتل العرب جزائر بريطانيا ، ولرأينا علماء المسلمين يفسرون القرآن في مدارس أكسفورد ، ويفقهون أفراد أمة الانكليز (كما قال المؤرخ الانكليزي جيبون)^(١) . هذا في الغرب أما في الشرق فبعد أن عبر الجيش العربي دجلة ،

(١) تاريخ الأدب عند الأفرنج والعرب وفيكتور هوجو للخالدي .

وجاز هضبة إيران ، أخذ يسير شرقاً حتى تجاوز نهر جيحون وفتح ما وراءه ،
وتقدم حتى بلغ كاشغر وأخذ الجزية من ملك الصين ، فأصبحت راية الاسلام
خفاقة من سواحل البحر الأطلنطى حتى بلاد الصين ، ومن جبال القوقاز
وما وراءها إلى خط الاستواء وما وراءه . ودخل في الاسلام أنواع من
الأمم : العرب والكلدان والسراريات من الجنس (السامى) والمصريون
والنوبيون والبربر والسودان من (الجنس الحامى) والترك والتتار من
(الجنس الطوراني) والفرس واليونان والأسبان والهنود من (الجنس الآرى) ،
وأصبحت آيات القرآن الحكيم تتلى في قرطبة كما تتلى في سمرقند ، وتقام
العجلة في تنغيس كما تقام في دارفور ، ويجتمع الهندي والمراكشى والأندلسي
والسوداني في مكة للحج . وصارت راية الاسلام أرفع راية في عالم كله ،
قد أوجدت في كل بلد ترفرف في أفقه السعادة والهناء والثروة والنعمة (٣٨)
والاطمئنان والأمن والعدل والانصاف والحرية الصحيحة والمساواة
بين كل الأفراد في حقوقهم ، ونشرت العلم والحكمة ، وأنهضت العقول ،
ولفتت الأنظار إلى ما انطوى عليه السكون من أمرار ، وطمست معالم
البؤس والشقاء أينما حلت .

هنا أمسك القلم عن شرح ما وصلت إليه البلاد الاسلامية من حضارة ،
فهو موضوع طويل الذيل ، بعيد الشوط ، قد وضعت لشرحه المجلدات
الضخمة ، وأنشأت له الصحف العديدة ، ووفاه الباحثون حقه .

وهنا نقساهل ما الذى كون من أشتات تلك الأمة الضعيفة الفقيرة القليلة ،
أمة عظيمة قوية فتحت البلاد شرقاً وغرباً وأصبحت الكلمة العليا لها ،
والسمع والطاعة على غيرها ؟ ما الذى قواها وجراها على اقتحام تلك العقبات
الكأدى في سبيل نشر دينها وتعميم السلام في الأرض ؟ ما الذى ساعدها على
تلك الأعمال الكبيرة والفتوحات الجسيمة في مدة يسيرة بما لم يتأت للفئات

قط ؟ ما الذى جعل الناس يتلقون هذه بالصدور الرحبية ويهللون ويكبرون
لقدومها عليهم ويدخلون في دينها أفواجا ؟

ليس الجواب على هذا بعسير ، فقد عرفت مما مضى شطراً من التعاليم
الإسلامية ، وعرفت أن العرب تشربت قلوبهم هذه التعاليم القويمة الكافلة
لخير الدنيا والآخرة وسعادة الفرد والجماعة ، وأنهم قاموا بها قولا وعملا
سراً وجهراً فهموا مبادئ الدين كما أرادها الله ورسوله وطبقوها على جميع
أحوالهم ، ولم يسيئوا فهمها ولا عكسوها بتأويلها وإرجاعها إلى غير ما أراد
الشارع الحكيم ، ولا قصروا في أعمالها وتطبيقها .

لم يتخذوا الدين أداة يتوصلون بها إلى غيرها ، ولا وسيلة يؤخذ بها
عند الحاجة إليها ثم ترمى وراء الحائط . لم يأخذوا بالقشور والظواهر
ويدعوا للباب النافع الذى يراد ويقصد ، ولكن (٣٩) أخذوا الدين من
يؤبوه : كتاب الله وسنة رسوله الشارحة لأحكامه ، وعملوا بما أخذوا ،
فاتخذوا القرآن أستاذهم في العلم ، وإمامهم في العمل ، وتمسكوا بلبابه وأصله ،
ولم يشوبوه بغيره ، ولم يقلبوا حقائقه الناصغة ، ولم يحيدوا عنه قيد شبر .

بهذا مكن الله لهم في الأرض ، وبسط نفوذهم على الخلق ، وأتت لهم
الدنيا صاغرة طائعة ، وأصبحت لهم الكلمة النافذة لا كلمة الظلم والاستعمار
رأس كن كلمة الإنصاف والعدالة والعزة والهداية : (وعد الله الذين آمنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قباهم وليمكن
لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا) (ولينصرن الله
من ينصره ان الله لقوى عزيز الذين ان مكانهم في الأرض أقاموا الصلوة
وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور) .

لقد حدثناك عن مجمل كيفية نشوء الإسلام وارتقائه ، وأشرنا إلى

الأسباب المساعدة على ذلك ، ويجدر بنا الآن أن نحدثك عن انحطاط المسلمين وعوامله فاسمع ما نقول :

بلغ ملك المسلمين أوج المجد ، وبحبوحة السعادة ، ومنتهى نفوذ الكلمة وعظمة السلطان كما عرفت ، ثم أخذ التضعف والانحطاط. وتفاصيل الأجزاء حتى إذا صار جسمه ممزقاً يحكم كل عضو منه حاكم مستقل شرع ظله في التقلص والانكماش ، وأصبحت تطوى أطرافه كما يطوى السجل للكتاب . كانت تحف على رؤوس المسلمين راية واحدة من أطراف الشرق إلى أقصى الغرب ، فكان للإسلام بذلك قوة كبيرة لا تتجمل ، ثم طرأ الانحلال على الجامعة الإسلامية بانفصال بعض البلاد عن الانضواء تحت الراية الكبرى ، وظهرت دويلات وإمارات في أطراف المملكة ، فانفصلت الأندلس تحت إمارة عبد الرحمن الداخل ، وظهرت إمارة عمان الأباضية في القرن الثاني ، (٤٠) واستقل ابن الأغلب بأفريقية داخلاً ، كما فعل ابن زياد في تهامة اليمن ، وانفصلت طبرستان ، واستبد ابن طولون وخلفاؤه بمصر ، وقامت الدول السامية في بخارى ، والطاهرية في خراسان ، والبويهية في فارس ، والحدادية في الشام والجزيرة . وهكذا لم تزل أجزاء المملكة الإسلامية الكبرى تنفك والدويلات تظهر وتكثر ، فلم تغرب شمس الدولة العباسية حتى كانت مصر والشام بيد المماليك ، وآسيا الصغرى (بلاد الروم) بيد آل عثمان ، ومراكش لبني مرين ، والأندلس والجزائر لبني الأحمر ، وأفريقية لبني حفص ، والمملكة الإيرانية وبلاد الهياطلة لأسرة هولاء التتار ، وكثير من ديار بكر بيد إبراهيم شاه ، وملك أذربيجان بيد سليمان شاه ، وخراسان يملكها طغتمر المغولي ، إلى غير ذلك من الإمارات الصغيرة المختلفة في بلاد العرب وغيرها .

في بحر هذه المدة هبت على بلاد الإسلام عاصفتان عظيمتان ، إحداهما من الغرب وهي التي أثارها الحروب الصليبية المنبعثة عن تعصب أوروبا

وجعلها ، فتدفقت جيوش الصليب في آسيا الصغرى وسوريا وهو احل البحر الأبيض ، وأظهرت من الفظاظة والقسوة ، وارتكبت من الفظائع وأنواع التدمير ، ما شكاه منه المنصفون من مؤرخى الافرنج أنفسهم . ودام الجلاء والقتال بين المسلمين وبين بعوث الصليب في حوض البحر الأبيض قرابة قرنين من سنة ١٠٩٠ إلى سنة ١٢٧٠ تقريباً ، حين انقطع المدد عن الصليبيين من البحر لانصراف أوروبا نحو قتال المسلمين في أسبانيا .

أما العاصفة الثانية، فهي أفظع أمراً وأشد هولا وأكثر تدميراً وإهلاكاً، عاصفة هبت من الشرق فنسفت المدن الاسلامية نفساً وقوضت الحضارة العربية ، وأهلكت الحرث والنسل ، وأجرت الدماء سيولا ، وضحت بالملايين من المسلمين ، وأبادت كل ما مرت به من (١٤) أخضر وياابس . ألا وتلك الداهية الكبرى غارات التتر من جبال توران على بلاد الشرق الاسلامى ، بينما المسلمون يدافعون الصليبيين عن الشام ومصر ، ويتألفوا من كتلات صغيرة تصدر هجمات الصليب ، إذ بالطاغية المدمر جنكيز خان المغولى ، يزحف على رأس جيش جرار (سنة ١٢٢٨ هـ) فيسكتسح بلاد ما وراء النهر وخوارزم وخراسان وهرات وقندهار حتى البحر الأسود ، ويخرب العواصم الاسلامية التى كانت زاوية بالعلم ، زاهرة بالحضارة ، ويحرق خزائن السكتب المكدودة بالملايين ، ويقوض مدارس العلم ، ويذبح المسلمين صغاراً وكباراً . رجالاً ونساء ، ثم يأتي بعده هولاكو فيفعل كما فعل جنكيز خان ويزيد عليه ، فيتغلغل في البلاد الاسلامية حتى يصل بغداد ، فيضع السيف فيه ويقتل قريباً من مليون نفس ، ويحرق معظم تلك المدينة الساحرة ، ويستخرج الأموال والتحف بالتعذيب ، ويأبى مئات الألوف من السكتب فى دجلة ، ويقضى على الدولة العباسية القضاء الأخير (سنة ١٢٥٦ هـ) . وفى أوائل القرن التاسع يحجى تيمورلنك ، فينتجى خطة جنكيز وهولاكو ، ويصنئ حسابات التدمير والنسف فى العواصم الاسلامية ، ويحكم السيف

— ٢١٤ —

والنار في بغداد وساكنيها (سنة ٨٠٣ هـ) ، ويخرب كل ما مر به من مدن الشام ويدك معالمها ، ويدفك على ما بقي من أهلها .

هاتان عاصفتان زعران عصفتا على بلاد الاسلام ، فزلزلتا أركان الحضارة الاسلامية ، وطمستنا كثيراً من معالمها ، وضربتنا جسم المملكة العربية ضربات قاضية مدمرة . هنالك أخذ ظل الاسلام في التقلص والانكماش .

(يتبع)

أحمد عبد الوهاب الوريث

الإصلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم
(كيف يستعيد المسلمون سيرتهم الأولى) (١)

— ٣ —

(٦٥) لم تشرع المملكة الإسلامية في التفكك والتفصل حتى أخذ ملك المسلمين في التقلص والانكماش ، فرأينا بعض جزائر البحر الأبيض تخرج عن أيدي المسلمين إلى أيدي المسيحيين ، كجزيرة صقلية ، ونرى الألبانيول والبرتوكير بعد أن جمعوا صفوفهم ينقضون على نفوس المسلمين في شمال أسبانيا وينتزعونها منهم مدينة مدينة ، ويطاردونهم إلى الجنوب حتى كانت المأساة الشديدة والفاجمة العظمى وهي إخراج المسلمين نهائياً من شبه جزيرة الأندلس ، والقضاء على البقية الباقية من ملكهم وإجلاء آخر ملوك في الأحمر

(١) المحكة : العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم الحرام ١٣٥٨ هـ
(فبراير / مارس ١٩٣٩م) ص ٦٥ — ٦٩ .

(٦٦) بل آخر ملوك المسلمين في أسبانيا، الأمر الذي قام سنة ٨٩٧ (هـ) فرديند وايزابلا ملكا للأسبانيين ، اللذان نكلا بالمسلمين تنسكلا فظهما وقسرا على التنصر وتذرعا إليه بكل وسيلة قاسية تضج منها الإنسانية ، وأذاقنا حافظ على دينه العذاب ألوانا وأشكالا ، وكتب التاريخ طائفته بتفاصيل أخبار هذه الكارثة الكبرى التي فقد بها الإسلام وطننا كبيرا زاهيا بالعلم والحضارة من أعز أوطانه .

قامت للإسلام راية أخرى يحملها آل عثمان في آسيا الصغرى ويتقدمون بها في جنوب أوروبا حتى يبلغوا أسوار فيينا عاصمة النمسا في القرن الحادي عشر للهجرة ، وتنضوى تحت الراية الإسلامية شبه جزيرة البلقان أو ما يسميه الأتراك بالروم (لابل) . ولم تزل ترفرف على تلك الولايات الأوربية أعواما طويلة حتى هاج سكانها تدفعهم أوروبا إلى القيام على الدولة العثمانية ، وتحملهم وتمدهم بالرجال والأموال فلم تزل تنفصل تلك الولايات عن الراية العثمانية الواحدة تلو الأخرى إلى أن وقع ما سنذكره بعد .

في أثناء تلك المدة شرع الجشع الاستعماري يظهر في أوروبا ، وبدأ البرتكاليون والأسبان يوسعون ملكهم ويسيطون نفوذهم على كل ما قدروا على احتلاله من بلاد الشرق (والذي يهمننا بلاد الاسلام) ، فاحتل البرتغال سواحل المغرب الأقصى في أوائل القرن العاشر ، وجعلوا يعوثون في البحر الأحمر والخليج العربي وخليج البصرة ، فهاجموا عدن والمخا وبدؤوا سواحل حضرموت وعمان والبحرين وبلاد الكويت وجده وكثيرا من سواحل أفريقيا الشرقية ، واحتلوا جنوب الهند وضائقوا المسلمين هناك ، وتلام الإنكليز والفرنسيون فتنافسوا على استعمار الهند (بما فيها الممالك الإسلامية) واستعمل كل ما أوتي من حول وقوة ودهاء في الاستئثار بالهند حتى خاض أمرها للإنكليز (٦٧) .

ولم يكد ينصرم القرن الثالث عشر ويطلع فجر القرن الرابع عشر^(١) حتى أصيبت بلاد الاسلام بمصائب جمّة ، ونزلت بالعالم الاسلامي كوارث متسلسلة الحلقات قصمت منه الظهر وفككت الأوصال . وكادت أن تقضى على البقية الباقية من سلطانه ومجده ، تألبت دول وتآمرت على انتزاع كثير من بلاد الاسلام، فثارت البلقان في وجه الدولة العثمانية تطلب انفصالها عنها بمعاوضة بعض الدول الكبرى ، وأخيراً انسلخت الروم (إلى) عن جسم الدولة بعد أن حكمتها عدة قرون .

وساقت روسيا جيوشها على القوقاس وتركستان وأوساط آسيا المسلمة، وانقضت فرنسا على الجزائر (سنة ١٢٤٥) وضمتها إليها ثم بسطت نفوذها على القطر التونسي ، واحتلت بريطانيا مصر بعد أن احتلت عدن وقبرص وغيرهما من الموانئ والجزر الاسلامية ، فطلبت فرنسا في مؤتمر الجزيرة الخضراء أن تضم إليها مراکش أجزاً على عدم معارضة بريطانيا في مصر . وفعلت حفت الجيوش الفرنسية على عاصمة مراکش (سنة ١٣٢٩ هـ) وضمتها إلى أمبراطوريتها التي أنشأتها في شمال أفريقيا على حساب الاسلام ، فلم يرق في عين إيطاليا أن ترى بريطانيا وفرنسا يتسلمان بمالك أفريقيا الاسلامية ولا يكون لها منه نصيب ، فأرسلت جيوشها لاكتساح طرابلس — برقة (سنة ١٣٣٠ هـ) وهاجمت أمبانيا بلاد الريف بمعاوضة فرنسا ، وبذلك ذهب سلطان الاسلام السيامي عن المغرب الأقصى والأوسط والأدنى ، وأنزلت الدول بالمسلمين هنالك من التعذيب والتنكيل ما يندى لذكره الجبين .

نشبت الحرب العالمية وانتهت بفوز الحلفاء ، وتم إجلاء الأتراك عن سوريا والعراق والحجاز بفضل جهود العرب الذين قاوموا الأتراك في تلك الأقطار طلباً للاستقلال ، واغتراراً بالوعود والمواثيق التي قطعها لهم دول

(١) التاريخ الهجري هو المقصود هنا .

- ٢١٧ -

الحلفاء (٦٨) فلما وضعت الحرب أوزارها قلبت تلك الدول ظهر المجن ، ونكثت عهودها ، وقسمت الغنيمة بينها ، فجملت سوريا (ماعدا فلسطين وشرق الأردن) تحت الانتداب الفرنسي ، وعبر الأردن والعراق تحت الانتداب البريطاني ، وأرادت بريطانيا أن تجعل من فلسطين وطناً قومياً لليهود ، ولولا شهامة الشعب العراقي ونجدتهم ما تخلص من براثن الانتداب حتى اليوم .

هكذا انقضت دول أوروبا على البلاد الإسلامية ، وهكذا تبددت أجزاء المملكة العربية الكبرى . ولقد صبت الدول المستعمرة دلي المسلمين أسواط العذاب

ما نلس لا نلس ما أصاب إخواننا المسلمين هناك من الضغط وسلب الحرية الدينية وسائر الحقوق الإنسانية ومحاربة الاسلام بكل وسيلة ، وطمس معالم الشريعة والاستيلاء على الأوقاف الإسلامية ، وإجبار سلطان المغرب الأقصى (الصوري) على توقيع (الظهير البربري) للقاضي بإلغاء العمل بالشريعة الإسلامية بين البربر المسلمين من عدة قرون وإخراجهم من حظيرة الاسلام .

ولا نلس إزهاق الأرواح البريئة ، وصلب النساء مجردات ، ونزع الأطفال من أيدي آبائهم لينشؤوا في المدارس المسيحية نشأة خيالية . هذا ما كان عقب الحرب الكبرى أما اليوم فإذا نسمع في تلك الأقطار الشقيقة ، ماذا يصيب إخواننا هناك ؟

آه إن الجواب على هذا السؤال (لتأثيره وفضاعة مدلوله) يجعل اللسان يتلجلج ، والقلم ينبو عن القرطاس أسفا وحزنا ... آه إن الخطب شديد ، والفاجع أليم ، ففيها الإرهاق والتنكيل والفظائع السود ، وفيها نصف البيوت وتدمير القرى وتقتيل الأبرياء ، وفيها السجن والتعذيب بأساليب وحشية

تفتت لها الأكياد ، وفيها الدس والتدجيل ونكت اليهود وإثارة أعداء
أوطانهم للقيام في (٦٩) رجوه المخلصين ، وفيها التصريحات الغامضة ونقض
المعاهدات والفكوس على الأعقاب ، وفيها أمم مسلمة تساق إلى الفناء
بسلبها مقوماتها العربية الاملامية ونجيسها بجنسية غريبة عنها، إلى غير ذلك
عما تظالعلنا به وسائل النشر والأخبار في كل وقت ، وفيها سن القوانين
المضادة لأسس الدين الاسلامي .

تلك أحوال العالم الاسلامي سردها في هذا المقام ، وإن كانت إلى
التاريخ أميل وبه الصق ، ليعرف القراء الكرام وبالأخص لإخواننا
البنانيون ما انتهت إليه حال المسلمين من الذل والهوان والتشتت والتفرق ،
وما أصيبوا به من فظائع الاستعمار وأهواله وليرجع القارئ الطرف إلى
أحوال المسلمين في صدر الاسلام وما كان لهم من عز عظيم، وملك واسع ،
ومجد باذخ ، وكلية نافذة ، وسعولة مرهوبة ، ويقارن بينها وبين الأحوال
الحاضرة ، وليحافظ الذين من الله عليهم ببقاء استقلالهم على بلادهم وأمتهم ،
ويحذروا من نشوب غالب المستعمر الظالم في البلاد بأساليب المعروفة ،
ويعملوا على جمع كلمة الأمة والتآلف بين طوائفها وقطع دابر الاختلاف ،
وتنمية ثروة البلاد بشتى مصادرها ، ومحاربة موجبات الفقر وأسباب
التعاسة والشقاء ، ومطاردة الجهالة الضاربة أطنابها كي تكون الأمة كتلة
واحدة ، عارفة بواجبها ، مشعرة بمنافعها ومضارها ، قوية تقدر على القيام
في وجه المستعمر البشع ، وتتمكن من دحره وطرده إذا سولت له نفسه
الإمارة بالسوء مهاجمة وطنه المستقل، وتمثيل الرواية الاستعمارية فيه كما مثلها
في تلك الأنظار المستعمرة المظلومة ، وليقوموا بواجبهم نحو إخوانهم
الواقعين في شرك الاستعمار ونفخه ، ويدعوا إليهم يد المساعدة والتعاون .

يتبع

أحمد عبد الوهاب التويث

— ٢١٩ —

الإصلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم
عوامل انحطاطهم بعد العلو^(١)

— ٤ —

(٢٢٥) لقد عرفت مما سبق في الأعداد الفائرة ما بلغ إليه المسلمون من بسطه في النفوذ ، وسعة في السلطان ، وبذوخ في المجد ، ومكانة لدى الأمم ، وصوله على الأعداء ، وتقدم في العمران والحضارة ، وسعى في خير الإنسانية العامة ، وهداية للناس أجمعين . كما عرفت ما أصيبوا به أخيراً من تقلص في الملك ، وتقهقر أمام الأعداء ، وذلل وهوان ، وتضعيف وانحطاط ، وعذاب وتنكيل ... أمة وفيرة العدد ، واسعة الأنظار (٢٢٦) ، ترامية الأطراف ، كانت الدول الكبرى تخطب ودادها ، وتترلف إليها وتسوق نخرها الجزية صاغرة طائعة ، وتعد نفسها جد سعيدة إذا ظفرت منها بنظرة رضى ، أو كلمة طمأنينة ، تصبح هذه الأمة على وفرة عددها وسعة بلادها وغنى أراضيها ، ذليلة في ديارها ، غريبة في أوطانها ، قد سلبت أموالها ، ووضع عدوها يده على منافمها وخيراتها ، واعتلى عرشها بنلى عليها لإرادته ، ويحكم فيها بما تشاءه نفسه ، ويدعوه إليه هواه . تصبح ممزقة الأوصال ، قد اقتطع أعداؤها أوصالها . لا كما الواسعة ، وتقاسموا شعوبها الكبيرة ، واعتدوا عليها في أعز الأشياء لديهم : دينها القويم الذى به عزت ، وبإتباعها إياه أخضعت العالم كله .

أربعمئة مليون من المسلمين يشغلون الاقطار التى أقاموا بها يوم كانوا ملوك العالم ورسول الرحمة إلى الأمم ، يصبحون اليوم كما ذكرنا ، ولم تخذهم قلة

(١) الحكمة : العدد ٨ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، جادى الآخرة ١٣٥٨ هـ
(يوليه / أغسطس ١٩٣٩ م) ، ص ٢٢٥ — ٢٣٦ .

وشهوات نفسية ، ونزعات مختلفة ، وأهواء متباينة ، وعقول متفاوتة في الإدراك إذا خلوا وأنفسهم ، لا جرم يقيهمون في مجاهل الضلال ، ويحبطون في دياجير الجهل ، ويقعون في أحابيل الإثرة ومهاوى المصالح المتصادمة ، فيختل نظامهم ، ويفسد مجتمعهم ، فيظهر بصورة غير الصورة التي رأيناها ونراها عليها . لذلك أرسل الله أنبيائه ترى يدعون الناس إلى الهدى ويرشدونهم إلى الطريق المستقيم ، يعلمونهم ما به يصلح حالهم في الدنيا ويسعدون في الآخرة ، وأنزل عليهم كتباً تشرح واجبات الإنسان وتبين له القوانين الضامنة لحفظ مصالح البشر ، وتضع الدساتير المانعة عن أن يعتد بعضهم على بعض ، وجعل فيهم الحكماء والمفكرين العاملين على خير الإنسانية وسعادتها .

ختم الله الرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه كتاباً يمتاز على سائر كتب الله بأنه الخطاب الموجه إلى جميع الناس في كل العصور منذ بعثه محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن يأذن (٢٢٨) الله بفناء هذا العالم ، وأنه الشارع لدين عام خالد صالح لكل زمن من الأزمنة ، لا يضيق به زمان ولا ينزوا عن تعاليمه مكان . ثم لما لحق محمد صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بعد أن بلغ الرسالة عن ربه ، خلفه في نشر قواعد الإسلام والهداية إلى ما جاء به عن الله العلماء ، الذين عرفوا خطر المهمة الملقاة على عواتقهم فقاموا بها كما أراد الله ورسوله ، فصلحت أمة الإسلام ودرت عليهم الخيرات ، وأصبحت الأرض حكامها العادلين .

ختم الله الرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد أراد الله ألا يكون بعده أنبياء يتعهدون الناس في فترات مختلفة يسود فيها الضلال ، لأن الإسلام دين عام خالد يصلح لجميع عصور البشرية بعد البعثة . وقد عهد خاتم النبيين إلى أمته بتبليغ الشاهد الغائب ، وحض العلماء على أن يبينونه للناس ولا

وشبهوات نفسية ، ونزعات مختلفة ، وأهواء متباينة ، وعقول متفاوتة في الإدراك إذا خلوا وأنفسهم ، لا جرم يتيهون في مجاهل الضلال ، ويضطربون في دياجير الجهل ، ويقعون في أحابيل الإثرة ومهاوى المصالح المتصادمة ، فيختل نظامهم ، ويفسد مجتمعهم ، فيظهر بصورة غير الصورة التي رأيناها ونراه عليها . لذلك أرسل الله أنبياءه ترى يدعون الناس إلى الهدى ويرشدونهم إلى الطريق المستقيم ، يعلمونهم ما به يصلح حالهم في الدنيا ويسعدون في الآخرة ، وأنزل عليهم كتباً تشرح واجبات الإنسان وتبين له القوانين الضامنة لحفظ مصالح البشر ، وتضع الدساتير المانعة عن أن يعتد بهمهم على بعض ، وجعل فيهم الحكماء والمفكرين العاملين على خير الإنسانية وسعادتها .

ختم الله الرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه كتاباً يمتاز على سائر كتب الله بأنه الخطاب الموجه إلى جميع الناس في كل العصور منذ بعثه محمد صلى الله عليه وسلم إلى أن يأذن (٢٢٨) الله بفناء هذا العالم ، وأنه الشارع لدين عام خالد صالح لكل زمن من الأزمنة ، لا يضيق به زمان ولا يذوبوا عن تعاليه مكان . ثم لما لحق محمد صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بعد أن بلغ الرسالة عن ربه ، خلفه في نشر قواعد الاسلام والهداية إلى ما جاء به عن الله العلماء ، الذين عرفوا خطر المهمة الملقاة على عواتقهم فقاموا بها كما أراد الله ورسوله ، فصلحت أمة الاسلام ودرت عليهم الخيرات ، وأصبحوا في الأرض حكامها العادلين .

ختم الله الرسالة بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد أراد الله ألا يكون بعده أنبياء يتعهدون الناس في فترات مختلفة يسود فيها الضلال ، لأن الاسلام دين عام خالد يصلح لجميع عصور البشرية بعد البعثة . وقد عهد خاتم النبيين إلى أمته بتبليغ الشاهد الغائب ، وحض العلماء على أن يبينونه للناس ولا

يكنتموه ، وأوجب عليهم تجريد أنفسهم للهداية والارشاد ، وأخبر أن الله سيبعث في أمته رأس كل مائة سنة من يحدد لها دينها ، فكانت العلماء بهذا هم نور الأمة الرافع عنها سدف الظلام ، والمبين لها طرق السعادة والهناء ، وهم مربوها ومهذبوا أخلاقها ، ومطهرونها عن جرائم الفساد ، وهم قادتها السائرون بها إلى كل خير ، فلا محالة أن الأمة بهما كان علماءها العارفون بخطورة مراكزهم قائمين بواجبانهم على الصفة التي طلبها الله ورسوله منهم ، ولا محالة أنها سعيدة في دينها سعيدة في دنياها سائرة إلى الإمام حاملة للواء الحق والمجد ، لأن قادتها يعرفون كيف يقودونها إلى ميادين السعادة ، وكيف يحولون بينها وبين الوقوع في مجاهل الشقاء والسقوط في مهاوى الشر ، كما يعرفون خطر الاخلاء بالواجب وفداحة الخطب إذا تركوها وشأنها ، أو سايروها على ما يحبه وتهواه .

هذا هو حال علماء الاسلام في دور نهوضه ، ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الواجبات ، واتبعوا الشهوات ، فتقهقرت راية المسلمين وأصابهم من (٢٢٩) التأخر والانحطاط ما كاد يقضى عليهم قضاء مبرما ، لولا أنقاذ في عصور مختلفة كانت بهم تقوم الحجة ويهون الخطب ، وهانحن نشير إلى أهم خلائق الكثرة من العلماء في القرون الوسطى والآخرى .

(العلماء و تنافسهم على المال والجاه)

داه عضال ومرض وبيل أصاب كثيرا من العلماء ، فأفسد أخلاقهم كما أفسد علمهم ، وجعلهم جياعا انتشرت في الأمة ففتكت بها ، ألا وهو تسرب حب المال والجاه إلى قلوبهم فصيرهم يتنافسون على المناصب الدنيوية ، والدرجات المالية ، ويسعون في سبيل تحصيلها بكل طريقة ،

ويركبون إلى ذلك كل صعب وذلول، ويتلاعبون بالعلم والشريعة الإسلامية كيف شاءوا .

كان العلماء في صدر الإسلام ينفرون عن القضاء والوظائف الحكومية نفورا شديدا ، ويستترون أو يقرون من أوطانهم إذا طلبهم الولاة لتقليد القضاء خوفا على أنفسهم من التقصير في واجباته ، وبعدا عن تحمل أعبائه الثقيلة التي قد يسوقهم الضعف البشري إلى عـدم الاضطلاع بشئ منها ، واشفاقا من غائلة بعض أمراء السوء الذين ربما تحصل منهم مظلمة فلا يقدرّون على إلزاتها ، وقد يجمع الوالى لديه جماعة من العلماء ويطلب من أحدهم القضاء فيتدافعونه . ويزعم كل واحد منهم أن غيره أقدر منه عليه ، كما كانوا مثال الزهد في المال والجاه ، والبعد عن الكبرياء والتطاول ، ثم أصبحوا لا يدخلون مدرسة ، ولا يجثون أمام شيخ ، ولا يحملون كتابا إلا طمعا في الحصول على منصة قضاء ، أو كرمى رياسة ، وإذا ظفرت يد أحدهم بولاية جعلها ذريعة لجمع المال ، وتكديس أكياس السحت ، ووسيلة إلى الانتقام من أعدائه ومنافسيه أو مخالفة في المذهب ، حقا إنها اضربة قصمت ظهر (٢٣٠) الاسلام وزلزلت عرش الخلافة ، يقول القاضي التنوخي صاحب نشوار المحاضرة (١) : « كان أول ما انحل من نظام سياسة الملك أيام بني العباسي القضاء ، فان ابن الفرات وضع منه وادخل قوما بالاضماتات .

وقل مثل هذا في رؤساء الطوائف ومدرسي المساجد وخطباء المنابر ،

(١) نشوار المحاضرة كتاب أدبي تاريخي للقاضي المحسن بن علي التنوخي ، وكثير من الأدباء والمؤرخين يسمون الكتاب نشوان المحاضرة بالنون وهو غلط وإنما هو نشوار المحاضرة بالراء المهملة . والنشوار بالفارسية جرة الحيوانات المجترية وقد استعمله التنوخي بمعنى الحديث الطيب .

فانه لم يبق لا كثيرهم غير الحصول على المال والجاه ، والتقرب إلى الملوك والأمراء ، واستجلاب قلوبهم لينحوم رتبة أو لقيا ، أو ينفحوم ببدرة من الدراهم أو قبضة من الدنانير .

أنا لا أعيب على العلماء مجرد دخولهم في القضاء ، فاني أعلم أنه أحد الأراكين التي تقوم عليها عروش الممالك ، وبه يتم نظام المجتمع ، ومنه تنبثق أنوار العدل مهما ترسم القاضى طريقة الحق . ولكنني أنكر تهافتهم عليه وجعل أكثرهم إياه أحبولة لاصطياد أموال الناس ، وإفسادهم المملكة الإسلامية بفساد أخلاقهم ، وضربهم بأنفسهم للناس مثالا سيئا في الخروج من قانون الدين الإسلامي ، والرمي بتعاليمه القويمة وراء الحائط ، في حال أنهم هداية الأمة وإرشادها بجاء الضلال من محل الهدى .

ولقد بلغت الفحمة ببعضهم إلى أن يضع الأحاديث للأمراء ، ويبيح لهم مالا يبيحه الشرع ، ويفتيهم بغير ما يعلبه عن الله تزلفا إليهم ، وتوصلا إلى ما بأيديهم من المال ، وبذلك سقطت مرتبة العلم وزال ما كان للعلماء من العظمة والمكانة والكلمة المسموعة لدى الملوك والعامّة .

(٢٣١) ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا عحياء بالأطباع حتى تجهما

العلماء والمداجاة

تكالب العلماء على المال وحرصوا على الجاه ، فاضطروا إلى مداراة الأمراء ، ومداجاة العامة ومسايرتهم على ما تهوى أنفسهم ، فإذا اقترف الأمير مظلة ، أو ابتدع العاصي بدعة ، لم يحصروا أن يصمدعوا بالحق ، ويقوموا ذبغ الظالم ، ويزجروا المبتدع عن بدعته ، محافظة على كراسيهم ومناصبهم ، واستجلاباً لقلوب العامة كي يتهافتوا على أيديهم وأقدامهم لنمّا

وتقبيلاً ، ويسرعوا إليهم بالصدقات والندور ، فلم يبق أمام الظالم من يجره
ويشير الناس إذا مال عن الصواب ، ولم ير العاصي هادياً وموقظاً يهيب به
ويأخذ بيده إلى السنن الأقوم ، فتضال نور العدل ، ودجى ليل المظالم ،
وانتشرت البدع والخرافات ، وسادت على العقول الأوهام والأضاليل .

كان علماء الدين في عصور الإسلام الذهبية يقفون بالمرصاد ، ويتبعون
سير الأمراء والعامة ، ويمدونهم بالإرشادات النافعة ، ويشددون التفكير
على من حاد عن طريق الحق ، ويدققون في تطبيق الأحكام الشرعية حتى
على الخلفاء وأكابر الأمراء ، ويتقدمون إليهم بالنصائح غير هاتئين
ولا وجلين ، ثم صار علماء الرسوم بيده الملوك آلة يتناولون بها ما يشاؤون ،
ووقية يمسحون بها أدرانهم ، وبوقاً يسمع العامة أصواتهم ، فضلوا وأضلوا
وما كانوا مهتدين .

العلماء والجمود

هذا موضوع طويل الذيل ، واسع النطاق ، عظيم الأهمية ، فإن
جمود العلماء لابل المتسمين بالعلماء من أكبر المؤثرات في تأخر المسلمين ،
وانتشار الجهل (٢٢٢) بينهم ، وسقوط ملكتهم الكبرى ، لذلك أرى إرجاء
الكلام إلى مقالة أخرى خاصة به ، ولكن لا بد لي الآن من كلمة
موجزة فيه :

كان علماء الإسلام يأخذون الأحكام من كتاب الله تعالى وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم ، ويفهمونها على الوجه الذي أراده الله ويطبّقونها على
الحوادث حسبما هداهم إليه الاجتهاد ، ويعرفون سنن الله في خلقه ، ويأتون
الأمور من أبوابها المشروعة ، ويرحبون بكل نافع ، ويعملون لدينام كما
يعملون لدينهم ، فجمعوا بين خير الدنيا وسعادة الآخرة كما يطلب الدين

الإسلامي ، وكما تدعو إليه شريعة محمد بن عبد الله . ثم أتى من بعدهم جماعات تسموا بالعلماء وما هم بالعلماء ، فدعوا الناس إلى الإعراض عن تفهم القرآن والسنة ، والجأؤهم إلى الأخذ بقول بعض المجتهدين ، وتحزب كل فريق لمذهب المجتهد الذي يدعو إليه ، وحرّموا الاجتهاد ، وزعموا أن بابهم قد انسد ، وحجروا العقول عن النظر والتفكير والبحث الذي لم تخاق إلاه ، وأحدثوا بدعاً وضلالات ينفر عنها الإسلام ، وأصقوا بالدين ما ليس منه ، ونسبوا إلى الشريعة الإسلامية أقاويل ييصبق محمد صلى الله عليه وسلم في وجه قائلها .. بثوا في الناس روح البطالة والكسل تحت ستار اسم التوكل ، فتعاقست الهمم ، وقلت الأيدي العاملة ، وكثر المتسولون والاهوص .

علوم الجبن والخور ، والاستسلام للحوادث وإهمال الاستعداد ، والالقاء بالأنفس والأموال والبلاد إلى التهلكة بخديعة التسليم للقضاء والقدر ، وأفهمهم أن ما يظهر من تغير الأحوال وتقهقر أمور المسلمين أمر لا مرد له ولا يمكن تلافيه لأنه من ضروريات آخر الزمان ، سولوا لهم أن العلم ما حوته دفاترهم الضخمة ، ونطقوا به في دروسهم الجافة ، وما عداه فهو ضلال وكفر ، فعقمت العقول ، وخذت القرائح ، وصدنت الأفكار ، وانعكست المدارك ، وضعفت الأفهام . (٢٢٣) ، زعموا أن الدين لا يأمر إلا بالاستعداد الآخرة وترقب الموت ، وأنه ينهى عن السعى في إصلاح الحياة الدنيا ، وضعفت النفوس واستولى عليها الخنوع والذلة ، وأعرضت عن القيام بشئون الدنيا والسعى في خيراتها من وجوها المشروعة ، وأهمات الزراعة والتجارة والصناعة ، وانتشر الفقر بين المسلمين وحرّموا خير الدنيا ، لا يتمكنون من نشر دينهم وحفظ بلادهم ومداغة أعدائهم إلا به ، وحظروا على الناس مخالفة ما ورثوه عن أسلافهم وما تلقوه عن آبائهم في العبادات والفنون والعبادات والهيئات ولو كانت لا يوافق عاينها العقل ولا يرضاها الشرع ، فصار عندهم كل شيء يالفونه مقدساً ولو كان مضراً

(والمضر ~~شير~~) ، ونفروهم عن كل جديد نافع بدعوى أنه بدعة وكل بدعة ضلالة .

وهل أتاك حديث علماء بخارى الذين ذهب أحد تجار بلدهم إلى روسيا فرأى ما عندها من جيوش منظمة ومدافع ضخمة و ... الخ ، فلما عاد نصيح لأمير بخارى بالاستعداد بمثل هذه المعدات دفعاً للطواريء ، فاستصوب رأيه وشرع في تنفيذه فشار عليه العلماء قائلين : هذه المعدات بدعة لا نعرفها وإدخالها إلى البلاد تشبه بالنصارى ومن تشبه بقوم كان منهم وأجلأوا الأمير إلى ترك ما كان شرع فيه ، فلم تمض آونة حتى زحفى روسيا علم بخارى وأخذتها غنيمة باردة فكانت هذه هي النتيجة من علم أولئك العلماء (المباركين) رضى الله عنهم . وكم هناك من أمثلة يضيق عنها النطاق ... جهلوا سنن الله بخلقه وما بينه القرآن والسنة من نظام الكون العجيب ، وربط المسببات بأسبابها ، فأوحوا إلى الناس أنه يمكن الوصول إلى المقاصد طرفة بدون أخذ بالأسباب التي جعلها الله وصلة إليها ، فتراهم ينهون عن التداوى والمعالجة اعتماداً على مهمة شيخ ، أو نفثة صوفي ، وتراهم يقعدون بالفاس عن طلب الرزق والسعى في تحصيله استغناء بقولهم اللهم ارزقنى ، (٢٣٤) قصبوا الدين على أعمال جافة لا صلة لها بالقلوب ، وكلمات جوفاء خالية من الإخلاص ، واعتقدوا أنهم بعملهم قد أدوا كل واجب عليهم . وهكذا دخل اليهود في كل شيء بفضل أصحاب (الفضيلة) علماء الرسوم (أعاد الله علينا من بركاتهم) . لجئوا على الإسلام جنفاية كبرى ، وجعلوا أعدائهم رمونه بكل سوء ، ويلصقون به ما هو براء عنه احتجاجاً بالمسلمين على الإسلام ، وظناً إنا عليه المسلمون الآن مطابق لما جاء به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم حرفياً وما ذلك بصحيح .

من مخترعات العصر الحاضر

(علماء مسلمون إسماء متفرنجون فعلا)

من الواجب علينا بعد أن ذكرنا العلماء الجامدين أن نعرض على (العلماء) المتفرنجين الذين هم من عجائب هذا العصر (كالباحرة والطائرة والراديو والتليفون) ، فإن لهم حظاً كبيراً في الجناية على الإسلام كأولئك الجامدين ، فهناك جماعة تدعو إلى الثورة على تعاليم الإسلام ، وترشد إلى التجرد عن كل صبغة إسلامية ، وتعلم تقديم المسلمين على رفضهم لدينهم وانحلاصهم من جنسيتهم واندماجهم في جنسية أخرى ، وتشنر الحرب (واسكن في في رؤوسها طبعاً) على كل ما هو إسلامي وعربي وتعمده عنوان الجود والتأخر ... الخ . فخصرات أولئك الدكاترة وأنصاف الدكاترة لا تقل جنايتهم على الإسلام عن جناية الجامدين ، وسنشير في المستقبل إلى أفعالهم ونرد عليهم ذلك الهذيان .

العلماء وتفريق الكلمة

كان المسلمون جماعة واحدة غير مختلفة أهواؤها ، ولا متناقضة اتجاهاتها ، ولا متفرقة قلوبها بفضل علمائها العاملين . وكان ما يحصل بين العلماء من اختلاف في فروع الدين لا يقضى إلى التحزب والعصبية واختلاف الأهواء وتفرق القلوب ، فلما استعمر حب المال والجاء قلوب العلماء ، واحتل عقولهم ، ظهرت فيهم المتنافسات (٢٣٥) وسادت بينهم المنازعات والخصومات ، فتحزب كل لمذهبه ، ودعا إليه فرقة من الناس ، وتحمل بعض الأمراء على التمدب به في مقابلة بث الدعاية له بين العامة . ثم تفاقم الخطب فصار كل فريق بضلل الآخر ويرميه بالزيغ والابتداع ، وأصبح أهل المذهب الغالب

على بلد أو كورة يعدون على من سا كنهم من مخالفى مذهبهم ، وينتقمون منهم بالضرب والنهب والقتل أحياناً ، وبذلك أصبحت الأمة الإسلامية أحزاباً مختلفة ، وفقاً متباينة (على الضد مما يدعوم إليه كتابهم) ، يلعن بعضهم بعضاً ، ويضلل أحدهم الآخر ويتربص به الدوائر كما سيأتى شرحه ، والفضل فى ذلك كله لعلماء السوء الذين بذروا الاختلاف والنمصب بين المسلمين .

هذا أظهر أسباب تأخر المسلمين المتعلقة بالعلماء ، ولعمد الحق أن العامل الكبير فيما أصاب المساميين هم علماء السوء الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، واتخذوا العلم العوبة فى أيديهم ، ووصلت إلى الخطام والسحت . ولعمد الحق أن المسئولية العظمى ملقاة على عواتقهم ، فلولا تقصيرهم فى واجباتهم ما تدهور المسلمون ، ولولا زلفهم إلى الظلمة والآراء ما افتاتوا على رعاياهم ، ولا ركبوا رؤوسهم فى أعمالهم وإداراتهم ، ولولا مداجاة العامة ما ظهرت فى الدين بدعة ، ولا أصابت المسلمين فرقة ، ولولا جمودهم ما غاب الجهل على المسلمين ، ولا نزل الفقر ساحتهم ، ولا انتشر فيهم داء الجبن والهلع ، ولا نفشى فيهم مرض الكسل والخنوع ، ولا فتكت بهم ميكروبات القدر والحياة والغش وعدم الثقة .

ألا قاتل الله الطمع والتهالك على سفاسف الخطام ورذائل العيش ، فكم من فتك بكر أوقعها بالمسلمين ودينهم على أيدي جيوشه السود لابل البيض ، جيوشه الذى لا تحمل سيفاً ولا سناناً ولا مسدساً ولا بندقية ، لأنها تحمل أقلاماً وألسنه تخط وتقول ما يصب على ظهر الدين ضربات فاضية وطعنات نجلاء ، (٢٣٦) عجز عنها بيض الصفائح وطلقات السلاح القارى السريع ... جماعة كانت منبع النور ، ومصدر الهداية ، ومنشأ السعادة ، وملاذ المسلمين عند الشدائد ، ومآزر الدين ، وموئل الشريعة تصبح بأطباعها وجهلها وغرورها ، مبعث الشرور ومحور الشقاء ، ومنبت الفواحش والكوارث .

لأنها للمصيبة التي لم تعد لها مصيبة، وأنها للرزية التي لا تلحق بها الرزايا، وأفزع الشرور ما أتى من موضع الخير .

هذا وإنه لا يفوتني في هذا المقام أن أنبه القارئ الكريم إلى ما ذكرته آنفاً عن جنابة علماء الرسوم على الإسلام لإشارات إجمالية استدعاها ذكر عوامل انحطاط المسلمين ، وموعدها للتفصيل والشرح في الأعداد المقبلة إن شاء الله .

يتبع

أحمد عبد الوهاب الوريث

الإصلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم
عوامل انحطاطهم بعد العلو^(١)

- ٥ -

(٢٥٧) القسم الثاني : ما يتعلق بالآمة عامة بما أضعف كيانها وأزله من عليها سماتها وأبدلها من قوتها ضعفاً ومن غناها فقراً ، ومن عزها ومجدها استكانة وخضوعاً وذلاً ... ولا يغرب عن القارئ الكريم أن التدقيق في تشريح أمراض آمة كبيرة - كالآمة الإسلامية - وافتراء عوامل سقوطها ، واستقصاء المؤثرات (٢٥٨) في تدهورها وانحطاط درك مستواها ، وما يتعمد على الباحث ويعد عن متناول يده . تلك الآمة الوفيرة العدد ، المترامية الأنظار ، المختلفة الأجناس ، مرت عليها ظروف

(١) الحكمة : العدد ٩٩ السنة الأولى ، المجلد الأول ، رجب ١٣٥٨ هـ (أغسطس /

سبتمبر ١٩٣٩ م) ، ص ٢٥٧ - ٢٦٥ .

متباينة ، وأحوال متفاوتة ، وقرون عديدة ، وتعاورتها عوامل لا ينظمها سلك واحد ، وتسلطت عليها مؤثرات جمة اختلفت باختلاف البلدان ، وتلونت بألوان الزمن والأحوال والمجتمعات ، فمن الصعب إذن — إذالم يكن من المتعذر استقصاء هذه المؤثرات والإحاطة بكل عامل مهما بلغ من الدقة والعموض ، لذلك إنما نقصد عند الكلام على أسباب سقوط الأمة الإسلامية إلى العوامل العامة والمؤثرات الجلية ، ونشرح الأمراض الفتاكة التي أنهكت قوى المسلمين وحلت عزائمهم وأضعفت عقولهم وأجسامهم معاً .

على أن ما خفي من الأسباب وغمض من المؤثرات راجع إلى ما سنذكر ، ونأشئ عنه وتابع له في الوجود ، فنحن إذا اقتصرنا على تشريح المؤثرات الكلية لا نكون بعيدين عن توفية الموضوع حقه . والآن فاقعد إلى أحدثك عن تلك المؤثرات .

١ - الاعراض عن الكتاب والسنة

وإدخال ما ليس من الدين فيه

كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مصدر التشريع وما أخذ الأحكام الإسلامية ، وهما قانون المسلمين الإلهي الذي لا تغيير في مواده ولا تبديل ، وهما الدستور الضامن لحفظ مصالح البشر ، السكافل لما تطلبه أحوال الفرد والجماعة على اختلاف أزمنتها وأمكنها .

كان المسلمون الأولون يرجعون إليهما ويستمدون تشريعهم منها ، فالعالم يعمل في كل حادثة بما أرشده إليه ودلاه على حكمة نصاً أو إشارة . والعامي يسأل العالم عما يعمله منها في الحادثة التي تعرض له ، فيقرأ عليه العالم الآية (٢٥٩) القرآنية أو يروى له الأثر النبوي ، أو يعرفه بما استنبط

منهما أو من أحدهما ذاكراً له دلالتهما على الحكم استنبط ، مطبقاً للحكم على الأحوال الاجتماعية العامة بحسب ما ندعو إليه الظروف والأوساط المحيطة ، فكان العالم والعامى معاً لا مرجع لهما غير القرآن الكريم والسنة النبوية الغراء . ثم تبدلت الحال فأصبحت الأغلبية الساحقة في المسلمين يعتمدون على أقوال بعض العلماء ، ويقفون ضد ما رسمه لهم من يقلدونه ، ويعتقدون أن الحكم السماوى الذى جاء به الدين هو ما فاه به (المقلد) دون غيره . لا يرفعون رأساً لآية ، ولا يلتفتون لحديث صحيح ، مهما كانت دلالاته . وغلت كل طائفة في متبوعها ، فجعلت الحقيقة مقصورة على أقواله في التحليل والتجريم والإيجاب والنهى . وجذت على تلك الأقوال كيفما كانت مكانتها من الصحة أو الفساد ، ووضعته في مرتبة عليا على فراش القداسة الوثير ، وأحاطته بسياج العصمة الذى لا يقتحمه نقد ولا اعتراض ، ولا يشغره خطأ أو خطل ، ونزلت نصوصه منزلة نصوص القرآن والسنة ، بل جعلتها أبعد منالاً من التأويل والاحتمال ، فالآية القرآنية والحديث النبوى قد يدخلهما تأويل أو يعقبهما ناسخ أو يخصص ، أما كلام ذلك العالم فهو النص الجلى الواضح الذى لا ياول . ولا يجوز أن يحيد عنه أحد ولم يقف الأمر عند هذا ، فقد جاء بعض أدعياء العلم فزعم للناس أنه لم يعد أحد بعد القرن الرابع يستطيع أن يأخذ حكماً من القرآن أو الحديث وأن لا طريق لخلق أحكام الإسلام غير تقليد أولئك الأئمة لا غيرهم ، منادياً بملا فيه أن : (باب الاجتهاد قد انسد فلا وسيلة لكم أيها الناس إلى معرفة الأحكام الشرعية سوى قرع أبواب التقليد) . حينئذ جمدت الأفهام ، وخذت القرائح ، وانحطت المدارك ، وتسفلت العقول ، وصار القرآن لا يتلى إلا للاستشفاء أو للنفث على التعليم أو إلى (روح فلان) و (على نية فلان) . أما الأمر الذى لأجله أنزل (٢٦٠) وهو هداية الناس إلى الحق باتباع أحكامه وشفاء الصدر من داء الجهل والضلال فشئ لا يخطر على بال قارىء ولا يدور له على خلد . وصارت السنة لا تدرس ولا يرحل

إلى أسانذتها الطالبون إلا لتكثير المشايخ وتضخيم الدفانز وتحصيل الاسناد
العالي ... الخ .

ثم جاء أناس ادعوا لأنفسهم أو ادعى لها غيرهم القداسة ، وأسبلوا عليها
ثياب العظمة والجلالة ، وابتدعوا في الدين ما لا يجوز ، وأدخلوا فيه ما ليس
منه ، وفرضوا على العامة اتباعهم ، واعتناق بدعهم الضالة المنضلة ، وأحدثوا
بين المسلمين « الطرق الصوفية » التي تلقى على زعمائها ظلاماً من ظلال الألوهية ،
وتصبغهم صبغة ربانية ، وتقدمهم في منام الإله الخالق الرازق المعطى المانع
القادر المطلق على النفع والضرر ، وصيرت زواياهم ورباطاتهم أحياء ، وقبورهم
أمواتاً كهبات تمجج وتقصد ، ويصعد إليها في طلب الحوائج ، ويتمرغ
بترابها ، وتلعن أحجارها ، ويدعى أصحابها كما يدعى رب العالمين في جوف
الكعبة ، وعند حججها الأسود .

تلك الطرق المغرية بالبطالة والكسل، الداعية إلى إرواء الشهوة، والشهوة
وحدها ، المنطوية جوارحها على الإباحة المطلقة تحت ستار التصوف الكاذب ،
وهناك هدموا ركن التوحيد الذي أقامه القرآن ، وأعادوا روح الوثنية من
جديد ، فرموا الإسلام بسهم نافذ أصابه من فؤاده في الصميم .

سدوا على أنفسهم باب الاجتهاد أى أخذ بالأحكام الشرعية من الكتاب
والسنة ، ويطبق التشريعات المدنية ، أو ما يسمونه بالمعاملات على منهجها
بحسب ما تدعوا إليه الظروف والأحوال الاجتماعية التي من شأنها التطور
والتلون بألوان الزمان . وحجروا على كل فرد أن يميل عما ألفوه في حالاتهم
الدينية والخلقية والاجتماعية ، وقاوموا أشد المقاومة من يحدنه نفسه
بالخروج على ما اعتادوه ، (٢٦١) والنكير على ما ابتدعوا في الدين من بدع
سيئة . وحاربوا من سمت همته إلى تآلق أحكام الله عن كتابه وسنة رسوله
صلى الله عليه وسلم . ورموه تارة بالضلال والفسق ، وأخرى بالزندقة

— ٢٣٤ —

والمروق من الدين، وطار دؤوم والقوم في أعماق السجون المظلمة و(النازن) الضيقة . وما أخبار بن تيبه وابن القيم ومن يماثلهما بخافية على المطلع .

كل ذلك جعل السكثرة من المسلمين تعرض عن كتاب الله وسنة نبيه ، وتبعد عن أحكامهما ، وتعتقد في الدين ما ليس منه ، الأمر الذي انحطت معه أحوالهم الدينية والاجتماعية ، وتلوث عقولهم بخرافات وأباطيل حملت إليها جرائم قسالة سقطت بها إلى الحضيض الأقم ، وتركها بحالة :

تصم السميع وتعمى البصير ويسأل من مثلها العافية

٢ — جهل روح الدين

لم يشرع الله العبادات لمنفعة ترجع إليه فهو الغنى الذى ليس بمحتاج ، ولكن شرعها — كأحكام المعاملات لمصلحة الناس ومنفعتهم الروحية والمادية ، وجعلها مؤدية إلى فوائد دينية ودنيوية ، مهما روعيت تلك الوجهة المقصودة بالتشريع . فكان السلف الصالح من المسلمين يفهمون التشريعات على الوجه الذى أراده الله سبحانه ، ويرمون بأعمالهم إلى الأغراض التى نصبها الله موجهة إليها . ثم جاء على أحكام الدين زمن صارت تؤدي فيه ، كما تؤدي سائر العادات ، وأصبحت كالفشور الجوفاء لا لباب بها ، أو كالجنة الهامدة لا روح فيها .

ذلك أن السكثرة من المسلمين لا يفهمون الروح العالية والوجهة المقصودة بالتشريع ، ويأتون بالأعمال مجردة عنها ، فهم إذا صلوا، أو حجوا أو ذكروا الله أو قرأوا القرآن إنما يقصدون أداء الأفعال الظاهرة الجافة ، لا صلة لها بالقلوب ولا وشيجة تربط بينها وبين ما شرعت له ، وهم إذا فعلوها لم تصدر عنهم إلا كما تصدر (٢٦٢) سائر الأعمال الاعتيادية ، فقدت روحها السامية ،

وفُصرت عن تأدية هاتيك الفوائد العائدة على فاعليها بالصلاح والنجاح .
وانضرب لك مثالا تقريباً يدل على ما وراءه .

شرع الله الصلوة في خمسة أوقات لتكون صلة بين العبد وربّه ، يجدد به التوبة إليه ، وتجعله على اتصال متكرر ، وتبعث فيه قوة روحية دائمة ، وجعلها رياضة نفسية يظهر بها القلب من أرجاس المادية ، وتصلقه إذا أصدأته المعاصي ، مع ما فيها من رياضة بدنية يستفيد منه الجسم قوة ونشاط ، وعلمهم بأدائها في أوقاتها المحدودة النظام في العمل واحترام المواعيد . وشرع الجماعة لتكون رمزاً فصيحاً إلى إئتلاف القلوب واجتماعها وتوجهها نحو مقصد واحد ، كتلة الاجسام القائمة في صفوف الصلوة المجتمعة كأنها بنيان مرصوص . القاصدة إلى عمل واحد ، مستقبله جهة واحدة ، تعبد رباً واحداً ، كما أن الاجتماع في المسجد يكون سبباً للتعارف والتواصل واستطلاع الأحوال وتبادل الآراء ، فيؤدي مهمة مؤتمريه يومى دائم .

هذه نظرة الطائر إلى حكمة تشريع الصلوات الخمس في أوقات محدودة ، ومنها تعرف شيئاً من فوائد الصلوة الروحية والمادية العائدة على الفرد واجتماع بالثمرات الجزيلة . نخبرني يربك عن المدى الشاسع بين جماعتين : إحداهما تؤدي الصلوة فاهمة للوجه الذي أراده الله ، قاصدة إياه فصفت قلوبها ، وتمحض لإخلاصها لربها ، وسرت في أجسامها قوة كهربائية ترفع رؤوسها ، وتنفخ فيها أرواحاً متوثبة نحو المثل الأعلى ، وتقوى عزائمها فتقتحم الأخطار والمخاوف في سبيل العزة والسيادة ، مجتمعة قلوبها وأهواؤها كما اجتمعت أجسامها بالصلوة .. أما الأخرى فانها لا تدرى من ذلك شيئاً ولا يهمها إلا أن تؤدي ركعات وسجادات جافة لا روح فيها ولا رواء ، وتقول كلمات جوفاء ولا تفقه لها معنى ولا تقرأها على (٢٦٣) قرارة نفوسها ، ولا تبعثها من أعماق قلوبها ، ولا تفهم لغة ذلك الرمز الفصيح في أعمالها ، صبور ومظاهر وقشور لا تجدى نفعاً .

— ٢٣٦ —

حقاً أقول : ان نسبة هذه الجماعة إلى الأولى كنسبة الميت إلى الحي ،
ومنزلة أعمالها من تلك منزلة المادة الفاسدة من مادة حيوية قوية فعالة . .

وان شئت مثالا آخر فاسمع :

من الوجهات الشرعية الحج ، الذي فرضه الله على المستطيع من عبادة
ليكون له مؤتمراً عاماً تمثل فيه جميع الهيئات الإسلامية ، وترد إليه الأجناس
المختلفة في عروقتها النسبية وبلدانها ولغاتها وعاداتها .

فتتعارف وتتواصل وتتسامل عن أحوالها ، وتوثق عرى الصلات الدينية
وتأتمر في الأمور العامة التي تهم جمهرة المسلمين ، وليشخص لهم الوحدة
الإسلامية المرموز إليها بوحدة الكلمة ، والمشاعر الحرام التي يقصدونها
ويحججون إليها ، وإيكون إشارة ناطقة إلى أن الناس أمام ربهم مساوية
لافرقة بين العربي والعجمي ، والأمير والأمور ، والسيد والمسود ، والشريف
والوضيع ، ولا فضل لأحد إلا بالتقوى ، إلى غير ذلك من الحكم العالية
التي فهمها المسلمون الأولون ، فحنوا ثمراتها الشهيية ، وجعلها مسلماً القرون
الوسطى والأخيرة فحرموا من خيراتها .

ومن الظريف أن أحدثك بحديث يطلعك على مقدار الجهل بفوائد
العبادات . قصدت عام حججت ، ونحن بمنى بعض من جمعتنا وإياه تلك
البقاع المقدسة بمن يشار إليه بالبنان في العلم للزيارة والتعرف به . ولما
استقر بنا المجلس أخذت أتكلم في موضوع « الحكمة في شرعية الحج » ،
وعددت منها كونه مؤتمراً إسلامياً عاماً ، يخالفني حضرة العالم في ذلك ،
وذهب إلى أن الحج ليس بمؤتمر ، واعتمد في التذليل لنظريته على أنه لو كان
مؤتمراً لآتمر فيه حجاج (٢٦٤) المسلمين في هذا العصر ، فأجبتة قائلاً :
يا صاحب الـ ... ان التاريخ يحدثننا بأن العرب في الجاهلية كانت تجعل أيام
سوق عكاظ وأيام الحج التي تختلفها مواسم للتعارف بين قبائلها ، وعقد

المماهدات وإبرام الصلح بين المتحاربين ، وتحمل ديّات القتلى . كما نجعل من تلك الأماكن معرضاً أدبياً تعرض فيه القصائد الرنانة ، والمحطات المؤثرة ، وتأخذ كل قبيلة ما عند الأخرى من كلمات لطيفة مقبولة ، وتعاير حسنة ، عالية وأساليب جذابة .. الخ ، ثم جاء الإسلام فأكبر من شأن الحج ، وزاد فيه حكماً قويمه ، وكان من أولى فوائد ذلك المؤتمر أن تمكن فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبليغ جميع القبائل العربية سورة: برآة، المشتملة على كثير من القرآنين الدينية والحربية بواسطة ممثلي هيئاتها المختلفة القادمين للحج ، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون فانهم كانوا يأمرّون ولائهم وأهل الحل والعقد من رجال الأمة بأن يوافوهم إلى الموسم إذا دعت الظروف إلى الإتيار وتبادل الآراء . وبعد ، فإذا نقول يا حضرة الفاضل في قوله تعالى (ليشهدوا منافع لهم) أنك إذا ألقيت نظرة سطحية على هذه الآية الكريمة وجدتها نصاً في نظريتي ، أما ترك الحجاج الإتيار، وتقصيرهم في الواجب فليس من المنطق السليم أن تدل به على نفي كون الحج مؤتمراً ، وبعبارة أصح على نفي كون الإتيار من فوائد الحج المقصود . وغير مفهوم أن يكون التقصير في الشيء دليلاً لعدم قصده ، وبرهاناً على نفي شرعيته . وهنا أطرق حضرة وعاد إلى السؤال عن الحال والمآل كما يقولون .

هذان المثالان يا أخى القارىء يظهر أنك على صورة مصغرة لجهل متأخرى المسلمين لروح الدين ، وفوائد التشريعات ، ويجلوان لك ، مظهرًا من مظاهر الأضرار التي حلت بالمسلمين من جراء ذلك . وهنا أستأذنك في إنهاء الحديث ترفيهاً (٢٦٥) عليك ، وإلى اللقاء في العدد القادم .

أحمد عبد الوهاب البريث

الاصباح

ماضى المسلمين وحاضرهم
عوامل انحطاطهم بعد العلو^(١)

(٢٨٩) السلام عليك يا أخى القارىء . لقد آن لى أن أحدثك حديث
اليوم ... تفضل فاقعد هنا واسمع :

٣ - تصدع وحدة العقائد وظهور الاختلاف المذهبي

انقل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مرقده الأخير والامة الإسلامية
متفقة في عقائدها الدينية ، غير مختلفة أهواؤها ، ولا متباينة اتجاهاتها ، قد
ساد بينها الاتحاد (٢٩٠) والاتلاف فى كل ما يتعلق بالتعالم الاعتقادية .
كما أنها فى التشريعات الفرعية ترجع إلى مصدرها الوحيد ولم يكن الاختلاف
الضئيل الذى يحصل بين الصحابة والتابعين وتابعيهم فى بعض المسائل الفقهية
يورث شقاقا ، أو يبعث أعداء ، أو يوغر صدرا ، أو يفرق كلمة ، فكانت
كثرة المسلمين كتلة واحدة سائرة فى طريق العزة والمجد والسعادة ، حاملة
لواء الهداية التى كلفها بحمله منقذ الإنسانية الأعظم صلى الله عليه وسلم .

ثم ماذا أصاب المسلمين ؟ ..

أصابهم ما صدع وحدتهم ، وبدد نظامهم ، وفرق كلمتهم ، وأضرهم نار
المدادة بينهم .

ماذا أصابهم ١٤ ..

(١) المحكمة: العدد ١٠ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، شعبان ١٣٥٨ هـ «سبتمبر/
أكتوبر ١٩٣٩ م» ، ص ٢٨٩ - ٢٩٧ .

كابوس يميت ووباء أصفر انتشر بينهم فغير الأجواء ، وفتك بالأجسام ،
وتسرب إلى العقول والقلوب ، فباعد بينها ، وغير اتجاهاتها ، وعكس مداركها ،
وجعل هذه الجماعة تنظر إلى تلك نظرة القلى والشئآن ، وتشعر نحوها بعماء
مرّ شديد الفاعلية ، وتظهر لها بين جنبها بغضا وحقدا تلتهب ناره ، وتمنى لها
أعظم مصيبة ونكابة .

اختلفت العقائد الأصولية ، وبعبارة أدق اختلفت وجهات النظر في
بعض مسائل الاعتقاد ، فنشأت الفرق الكلامية ، وتعددت الأحزاب ،
وتفرقت الجماعات ، وأخذ كل فريق يجادل الآخر ويناضله ، ويفرض عليه
بعنف اعتناق آرائه والرجوع إلى مبادئه فتأججت بذلك نار البغضاء . وكان
الساخطون على الاسلام يمدون تلك الاتانين^(١) الملهبة بالحطب الجرول ،
وينفخون فيها بملء أفواههم ، أملا (٢٩١) في القضاء على الإسلام باضرار
نار العداوة الجهنمية بين أبنائه . فعلا نجحوا بعض النجاح ، إذ أصبحت كل
فرقة من الفرق الكلامية تكفر الأخرى ، وتحكم عليها بالمروق من الدين ،
وتتخذ التكفير باللائم مركبا وطيفا تنوصل به إلى النكابة بغيرها ، واشفاء
غلة صدرها بإبعاده عن حظيرة الدين ، ورميه بكفر التأويل وإجراء أحكام
الكفرة الفجرة عليه ، واستباحة قتل الرجال وسبى النساء والأطفال ،
وانزال كل كارثة به مهما عظم أمرها وجل خطبها ، وحدثت من جراء ذلك
مأس فاجعة ، ومعارك دامية ، ووقائع محزنة ، وهذه كتب التاريخ تحدث
عن المحنة الشديدة التي قام بها المعتصم والوائق العباسيان ، وعن فتكات
محمود بن سبكتين بالمعتزلة باغراء بعض الفقهاء الملازمين لبلاطه ، وعن
الثورات التي كانت تقوم بها طوائف الأشعرية والحنابلة والمهتجة بالحشوية

(١) جيم أنون وهو الحل الذي يوقد فيه .

مصيبة أشد بها من مصيبة حلت بالمسلمين ، فباعدت بينهم ، وقطعت
صلاتهم ، وأضعفت قواهم ، وقصرت خطاهم ، وسلبتهم كل خير ، وشجعت
عليهم أعداءهم ، وصارت موطن ضعف ، وثغرة في السياج الاسلامي ،
يتصور منها الأعداء للتفريق بين المسلمين .

سم زعاف خدر الأعصاب ، وعكس المدارك ، وقلب الأحداق فجعلها
ترى الصديق عدوا والعدو صديقا ، وأوجد في البيئة الإسلامية عقاية مثل
عقاية قاضي سجستان الذي كان يمر بمسجد لطائفة غير طائفته المذهبية
فيقول : (أما آن لهذه الكنيسة أن تغلق) ثم سعى لدى الولاة حتى أقفل
المسجد فعلا . وأمثال ذلك التلميذ الفارسي الأهوج الذي قال كلمته الحيثة
فيما رواه الأستاذ الجوهري في تفسيره . قال : حدثني (دوارد بروان)
الإنجليزي المشرق الشهير أن الحكومة الإنجليزية وكلت إليه أمر البحث
في أمة الإسلام ، أيمن اتفاقهم أم (٢٩٣) هو محكوم عليهم بالتفريق
والإنحلال ، قال : فتوجهت إلى بلاد الترك والفرس أيام السلطان عبد الحميد ،
وعاشرت طلبة الفرس وعلماءهم فرأيتهم يكرهون أهل السنة كراهة شديدة
(لأنه يغلب على الفرس المذهب الاثني عشري) وسمعت تليفا صوفيا
يقول : لقد حاربت بسيفي مع الروس ضد الترك ، وأنى أفضل الرومي على
التركي لأنه من أهل السنة ... وغير ذلك من الحوادث الجمة التي لو فسحنا
لأنفسنا المجال في سرد شطر منها لظال الشوط ، وملأنا الصفحات العديدة ،
وها نحن أولاء نرى المستعمرين كل ما حاولوا التفرقة بين المسلمين وتوطئة
لتطبيق برنامجهم الاستعماري عمدوا إلى الاختلاف المذهبي ، وضربوا على
وتره ، وأهابوا بفريق على آخر لأنهم يعلبونه موطن ضعف المسلمين ،
وسبب تخاذلهم المفضي إلى استسلامهم وسقوط بلادهم في يد عدوهم الأزرق
من حيث لا يشعرون .

مصيبة أشد بها من مصيبة حلت بالمسلمين ، فباعدت بينهم ، وقطعت
صلاتهم ، وأضعفت قواهم ، وقصرت خطاهم ، وسلبتهم كل خير ، وشجعت
عليهم أعداءهم ، وصارت موطن ضعف ، ونقرة في السياج الاسلامي ،
يتصور منها الأعداء للتفريق بين المسلمين .

مم زعاف خدر الأعصاب ، وعكس المدارك ، وقلب الأحداق فجعلها
ترى الصديق عدوا والعدو صديقا ، وأوجد في البيئة الإسلامية عقاية مثل
عقاية قاضي سيجستان الذي كان يمر بمسجد لطائفة غير طائفته المذهبية
فيقول : (أما أن لهذه الكنيسة أن تغلق) ثم سعى لدى الولاة حتى أقفل
المسجد فعلا . وأمثال ذلك التلميذ الفارسي الأهوج الذي قال كلمته الخبيثة
فيما رواه الأستاذ الجوهري في تفسيره . قال : حدثني (دوارد بروان)
الإنجليزى المستشرق الشهير أن الحكومة الإنجليزية وكلت إليه أمر البحث
في أمة الإسلام ، أيمن اتفاقهم أم (٢٩٣) هو محكوم عليهم بالتفرق
والإنحلال ، قال : فتوجهت إلى بلاد الترك والفرس أيام السلطان عبدالحيد ،
وعاشرت طلبة الفرس وعلماءهم فرأيتهم يكرهون أهل السنة كراهة شديدة
(لأنه يغلب على الفرس المذهب الاثنى عشرى) وسمعت تلميذا صوفيا
يقول : لقد حاربت بسيفي مع الروس ضد الترك ، وأنى أفضل الرومى على
التركي لأنه من أهل السفة ... وغير ذلك من الحوادث الجمة التي لو فسحنا
لأنفسنا المجال في سرد شطر منها لظال الشوط ، وملأنا الصحائف العديدة ،
وما نحن أولاء نرى المستعمرين كل ما حارلوا التفرقة بين المسلمين توطئة
لتطبيق برنامجهم الاستعماري عمدوا إلى الاختلاف المذهبي ، وضربوا على
ونره ، وأهابوا بفریق على آخر لأنهم يعلبونه موطن ضعف المسلمين ،
وسبب تخاذلهم المفضى إلى استسلامهم وسقوط بلادهم في يد عدوهم الأزرق
من حيث لا يشعرون .

ويحسب قوم في التعصب رشدهم وما آخر الأقوام غير التعصب
وماذل قوم أبرموا وحدة لهم وإن لم يكونوا ينتمون إلى أب
ولا أوجسوا من تهدد خيفة وإن جاءهم في هجمة المتأهب

٤ - إهمال مبدأ التضحية بالنفس والمال

لا تسود أمة ولا تستطيع أن تحفظ بعزها وكرامتها إلا إذا جعلت
التضحية بالأرواح والأموال في سبيل المصلحة العامة مادة أساسية في منهاج
سيرها ، وعندها حيويًا تحافظ عليه كما تحافظ على موارد قوتها الأولية .
وأية أمة قصرت في هذا المبدأ القويم ولم تعطه من الأهمية ما هو جدير به ،
لا يد أن يتقوض بليانها (٢٩٤) وينهار صرح مجدها ويحكم عليها بالفناء
والموت فناء الحياة الدليلة وموت العيش الخانع .

فما العيش إلا أن نموت أعزرة وما الموت إلا أن نذل ونكرما

وبين يديك الأمة الإسلامية التي مر عليها دوران مختلفان : دور عز
ورفعة ، ودور خضوع وذلة ، فانك إذا أرسلت طرفك مفتشا في طيات
تاريخها وجدت التضحية - وقد كانت من أجلى صفاتها - عاملا فعالا في
تقوية كيائها وبناء سلطانها ومجدها في دورها الأول ، والفيت إهمالها ذلك
المبدأ وتخليها عن تلك الصفة العالية معولا هداما شديد الأثر في هدم صرح
ملكها السامي ، وثل عرشها العظيم في دورها الأخير .

كان المسلم لا يبالي بنفسه تذهب ولا بماله يفنى في سبيل الله وسبيل مصلحة
الإسلام ، يتقدم إلى ميادين الجهاد مسرورا مقتبعا بما تحدته به نفسه من
الاستشهاد والروح إلى دار الحياة الخالدة، فيزج بها بين الصوارم والرماح،
ويتلقى كل ما يصيبه بالغبطة والارتياح، يطلب الموت لنفسه ليحيي الإسلام

ويعز ، ويعتذب التعذيب لتتكون كلمة الله هي العليا ، ينفق المال في كل ما من شأنه تشييد أركان الدين وحفظ المصلحة المشتركة بين أبنائه ، ولا يبتخل به عن ذلك مهما عظم أمره وضخم مقداره .

ولإليك فصلاً وجيزاً من خطاب عبادة بن الصامت رضى الله عنه الذى ألفاه أمام المقوقس - المندوب السامى فى مصر من قبل القيصصر - وهو مثال جزئى يصور لك روح التضحية السائدة بين المسلمين الأولين قال : يا هذا لا نفرن نفسك ولا أصحابك ، أما ما نخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلمعمرى ما هذا الذى نخوفنا به ، بالذى يكسرنا عما نحن به (٢٩٥) وإذا كان ما قلتم حقاً فذلك والله أرغب ما نكون فى قتالهم ، وأشد لحرصنا عليهم ، لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا أن قدمنا عليه أن قتلنا عن آخرنا كان ذلك أمكن لما فى رضوانه وجنته ، وما شئ أقرلاً علينا وأحب لنا من ذلك ، وأنا منكم حين اذن لى لإحدى الحسينيين أما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا أن ظفرنا بكم ، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتتم بقاء ، وأنها أحب الحاصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا . وما من رجل منا إلا ويدعو ربه صباحاً ومساءً أن يرزقه الشهادة . وليس لأحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أمامنا ... إلخ . وتأمل تلك الكلمة الخالدة التى كان يقولها البطل الخالد المنزومى لأعدائه : قد جئناكم بقوم يحبون الموت كما يحبون الحياة . وأسمع الجندى المسلم الشاعر يعبر عن جند الإسلام تعبيراً صحيحاً إذ يقول :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرى

ووقائع بدر وأحد والخندق وحنين ومؤته وتبوك والقادسية ونهاوند وأجنادين واليرموك وبلخ (وقعة حاسمة بين قتيبة بن مسلم والتركمان) وشريش (معركة طارق مع الأسبان) والزلاقة (معركة يوسف بن تاشفين

مع الأسبان أيضاً) وغيرها من مواطن انتصار الإسلام ، كل تلك الوقائع صور رائعة من تضحيات المسلمين بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله وسبيل مصلحتهم العامة . وتواريخ الفتوحات مملوءة بأخبار البطولة الإسلامية التي لا تعرف شحاً بالنفس ، ولا بخفلاً بالمال . وليست تضحياتهم بالنفس والمال مقصورة على القتال في ميادين الجهاد ، ولكنها كانت في كل خير يعود على المسلمين بالصالح العام ، وفي سبيل الله الذي دعى العباد إليه سبيل النفع والمصلحة المشتركة . هكذا كان المسلمون في قرونهم الأولى .

والآن هيا بنا يا أخى القارىء نرجع القهقري إلى القرون الوسطى فنشاهد مسلميها ونرى سير أحوالهم ، ثم نعود أدراجنا إلى القرون الأخيرة فنفتش عن فضيلة التضحية (٢٩٦) وننظر هل نرى لها فيهم أثراً ... لقد فعلنا ورجعنا بهذه النتيجة المشؤمة وهي : أنهم فقدوا روح التضحية ، واستولى على نفوسهم الجبن والهلوع ، وتمسك فيهم داء الخرص والبخل .

شجوا بأنفسهم عن بذلها في سبيل الدين ، في سبيل نصرة الحق المبين ، في سبيل حماية أوطانهم ومنع المعتدين عليها ، والمنتهكين لحرمانها ، والقامرين لأهلها على الذل والاستعباد . . شجوا بها عن تجريدتها لخدمة القضية الإسلامية الكبرى بما للخدمة الصادقة من وسائل ، فلم يغامروا بها في العلم النافع ، واقتباس الفنون الحديثة ، واكتشاف أسرار الكون وعجائب الطبيعة ، ثم يعودوا إلى أوطانهم الإسلامية فيقوموا بجلال الأعمال ، وأفضل الخدمات بنشر معلوماتهم بين اخوانهم ، وتطبيقها فعلاً على ما هي وصلة إليه .

بخلوا بأموالهم عن إنفاقها في سبيل الله ، فلم يتبرعوا بها لإمداد المجاهدين وتسليحهم بأحدث السلاح وتزويدهم بكل عدة ، ولم يساعدوا بها المنكوبين ويخففوا بها بعض ما نزل بهم ، ولم يقيموا المستشفيات والملاجئ ودور الأيتام والمقعدين ، ولم يجهزوا بها الأساطيل الخضمة لتحرس نفوذ البلاد

- ٢٤٥ -

الإسلامية في وقت أصبحت فيه القوة البحرية من مقومات حياة الأمم
الاستقلالية ، ولم يقيموا بها المدارس العالية والثانوية والكتاتيب الأولية ،
فيطاردوا بها الجمل الذي أصبح الداء الدوى في المسلمين ، ويحاربوا الأمية
الضاربة أطنابها في أفطارهم ، لم يفعلوا كل ذلك على الوجه الذي يضمن
استرداد سيادتهم الغابرة .

أهمل المسلمون مبدأ التوضحية ، وجهلوا أو تجاهلوا واجبه نحو الصالح
العام ، وضنوا بأنفسهم وأموالهم عن بذلها في سبيل العزة والكرامة ، سبيل
الحياة الطيبة والسعادة العامة ، وأصبح كل لا يهتم به غير خاصة نفسه ، والعمل
على مصلحته (٢٩٧) وتنمية ثروته وتحسين حاله ، غير رافع إلى القضية
الكبرى رأساً ، ولا معير للمصلحة العامة أى اهتمام ، فوتروا في هوة الشقاء
والهون ، وتدحرجوا إلى بؤرة الذل والاستعباد . وهكذا شأن من أضحي
إلهه هواه ومصلحته الخاصة محرابه وكعبته : (سنة الله التي خلت من قبل
ولن تجد لسنة الله تبديلاً) .

أحمد عبد الوهاب الوريث

الإصلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم

عوامل انحطاطهم بعد العلو^(١)

- ٧ -

• — التخاذل وموت الشعور الأخوي

(٣٥٣) من أهم عوامل قآخر المسلمين مادياً وأدبياً وأسباب تكالب

(١) المسكة : العدد ١٢ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، شوال ١٣٥٨ هـ (نوفمبر /

ديسمبر ١٩٣٩ م) ، ص ٣٥٣ - ٣٦٣ .

الأعداء على أوطانهم تنخاذلهم واحجامهم عن التناصر وإعراضهم عن مساعدة من نكسب من إخوانهم بالأنفس والأموال .

(٣٥٤) فبينما كان المسلمون الأولون إذا انتابت لإحدى بلدانهم نائبة ، أو نزلت بجماعة منهم كارثة ، أو هاجم أحد تغورهم البعيدة عدو ، اعتبروا ذلك في الصميم من بجموعهم ، وتسابقوا إلى مساعدة المنكوب ، ومدافة العدو ، وقدموا أرواحهم وأموالهم ثمناً للحماية المصلحة المشتركة ، واستماتوا في سبيل صد النوائب المهاجمة ، عارفين جد المعرفة بأن البلاد الإسلامية وطن واحد لا مفرق بين شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ، وأن المسلمين جسد واحد : « إذا أصيب عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، فهم لذلك يجمعون كل التغور ، ويدافعون عن أى بلد ، ويحسون إحساساً شديداً بما أصاب أى مسلم . . كانوا يتقاطرون إلى التغور الحربى أين كان من كل وجهة ، ويرفعون علم الجهاد المقدس في وجه كل عدو مهما كان جنسه وبلده ، ويضربون النفير العام لإنقاذ أى قطر من أقطارهم ، وتقاذف أمواج المتطوعين إلى أى ميدان للجهاد ، آخذين بأعنة خيولهم كل ما سمعوا هيمه طاروا إليها في إحدى أيديهم المصحف وفي الأخرى السيف .

| | |
|----------------------------|-------------------------------|
| يتسابقون إلى الفتوح كأنهم | فوق السروج رواسخ الأطواد |
| يتراوحن ملاءة الفتح الذى | أعلى به الإسلام أى عماد |
| فشى الغزاة الفاتحون ولم | يقف بطريقهم فى الخافقين أعادى |
| واستبطن التاريخ للإسلام من | غرر الفتوح إلى الفخار هوادى |

بينما كانوا كذلك ، إذ أصبحوا بعد لا يهم أحدهم من أمر الآخر شيء ، ولا يبالى سكان بلد أو قطر بما أصاب إخوانهم فى البلد أو القطر الآخر : يسمعون بالكوارث تحل بأبناء دينهم ، وبالخطوب تنوالى عليهم وتعرّكهم عرك الأديم ، وتدمر الأخضر واليابس فلا تتأثر لهم نفس ، ولا يتحرك

لهم قلب ، ولا يتغير لهم حال ، ولا يحدثون أنفسهم بمديد المساعدة نحو
 اخوانهم ، ينظرون عدوهم الأجنبي (٣٥٥) عنهم في الدين والجنس يرسل
 على صقع من الاصقاع الإسلامية خميساً عرمرماً قد جره بأحدث السلاح
 وأضخم المدافع ، وأشد الآلات النارية تدميراً ، فيقتل الرجال والأطفال ،
 وينتهك الحرم ، وينسف البيوت ، ويهلك الحرث والنسل ، ثم لا يتأثرون
 لمناظر اخوانهم المحزنة ، ولا تسمح نفوسهم بأى نوع من أنواع النصره :
 يرضون بأرواحهم ويبتلون بأموالهم جاهلين أن الدفاع عن اخوانهم دفاع
 عن أنفسهم وعمل للصالح العام .

وأفزع من ذلك وأنكى ، إنا نرى الأمر يتجاوز التخاذل السلبى إلى سعى
 بعض المسلمين ضد اخوانهم ، وانضمامهم إلى صفوف الأعداء ، وتجسسهم
 على بلادهم لمصلحة الأجنبي وإرشاده إلى عوراتها ، وتعبيد الطرق أمامه ،
 وتذليل الصعوبات التى قد تقف له حجر عثر . وما ذلك الأمر بالخفى ،
 فمن المسلمين كثير فى جنود العدو ، ومن المسلمين سماسة للإستعمار ، ومن
 المسلمين مطايا للاحتلال ، ومن المسلمين جواسيس الأجنبي ، ومن المسلمين
 من يؤيد المستعمر وينصره ويتشدد فى مطالبه فوق تشدده (وهنا يجب أن
 نذكر مارقى فلسطين وخوارج سوريا طبعاً) . لعمر الحق : إن تخاذل
 المسلمين جر عليهم ويلات شديدة ، وأوقعهم فى ساملة خطوب لا يزالون
 بها حتى الساعة ، ولا يبرح يوقعهم فى الخطوب إذا لم يهبوا من نومهم
 ويفيقوا من غفاتهم . وإلا فقل لى بربك : أى مانع يصددهم فى الحالة الراهنة
 عن إحياء الجامعة الإسلامية ، واسترداد ماضى مجدهم وغابر سلطانهم ، ومنع
 كل عدو أن يقوم به الغرب نحو دينهم وأوطانهم .. أى حاجز يحول بينهم
 وبين رفع النير الاستعمارى الموضوع على عاتق جمهورتهم ! ... أى أمر
 جعلهم ينظرون إلى مآسى فلسطين وسوريا والمغرب أقصاه وأدناه مكتوفى

الأيدي مقيدى الأرجل ، ورقم عدد من أضخم الأرقام ، و ثروتهم تزيد
عن (٢٥٦) المقدار الذى يتمكنون به من العمل ؟
لا شك أنك وكل قافل يجيب بأن هذا الأمر ، وذياك الحاجز ، وذلك
المانع ، هو التخاذل ... التخاذل ... التخاذل ، وكفى .

٦ - ضعف الأخلاق وفسادها

متانة أخلاق الأمة : من عوامل نهوضها وأسباب لمعان نجمها فى سماء
المجد ، فإذا ضعفت أخلاقها وتسفلت سماتها ، فقدت كل خير كانت
تحويه يدها :

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا
ففساد الأخلاق فساد للحياة الطيبة ، ومدعاة للشروع ، ومجلبة للكوارث ،
بل موت أدب يقضى على الحياة الحقة ، حياة العزة والنبالة ، حياة الحناء
والسعادة :

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم فأقم عليهم ماتمأ وعويلا

كانت الأمة الإسلامية المثل الأعلى للأخلاق الفاضلة ، والسجايا الطيبة ،
والشمال العالية ، قد تحلت كل طبقاتها بأزبل الصفات التى يجب أن تكون
عليها ، واقسمت بالفضائل الرافعة لصاحبها إلى قبة الفلك ، وقبة الشرف والمجد .
وزرى من الواجب أن نشير لإشارة سريعة إلى بجمل أخلاق طبقات
الأمة فى صدر الإسلام ، ونقابل بينها وبين أخلاقها فى عصور الانحطاط .
فالأمرء والقادة كانوا مثلاً علياً فى (١) الشورية ومبادلة أهل الحل
والعقد الآراء (٢) وفى الإخلاص للمصلحة المشتركة ، واعتقاد إنما ألقى
على عاتقه من الولاية هو إقامة شريعة الله وإعلاء كلمته ، وتنفيذ أوامره
وإصلاح شئون عباده (٣) وفى الشعور بالمسؤولية الكبرى حتى يقول
أحدهم : لو ذهب للمسلمين شاة على شاطئ الفرات اسكنت المسئول عنها .

(٤) وفي التواضع ، وسجاجة (٢٥٧) الأخلاق ، ودماؤها ، والتجلى بالديمقراطية الخالصة ، والبعد عن مظاهر الكبرياء ، والانتقاد للنصيحة الغالية ، والرجوع إلى الحق ، فكان الأمير يمشى وحده ، ويباشر حوائجه بنفسه ، ويلبس المرقعة وفروة الصوف ، وينام على التراب بلا حارس ، ويصبح ويمسى متردداً على منتديات الرعية ومساجدهم وأموالهم ، فيتصل به الكبير والصغير والقوى والضعيف والرجل والمرأة وكان يقول : وليتكم ولست بخيركم ، إنما أنا بشر منكم ولست بخير من أحد منكم ، فراعوني فإذا رأيتموني استقمتم فاتبعوني وإن رأيتموني زغت فقوموني ، ويقول آخر خطيباً : من رأى في أعوجاجا فليقومه ، فيجيبه رجل من عرض الناس ، لو رأينا فيك أعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فقال الخليفة : الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة من يقوم أعوجاج عمر بسيفه . (٥) العدل والإنصاف وإعطاء كل ذي حق حقه ، فيستوى في نظر الأمير الشريف ، والوضيع ، والقوى والضعيف ، ويقف الكل أمام عدله على سواء ، ويقول : القوى عندى ضعيف حتى آخذ منه والضعيف عندى قوى حتى آخذ له ، وينصف من نفسه ومن خاصته وأحب الناس إليه . (٦) اليقظة الشديدة والعناية بأمر الرعية فكان يتفقد شئونهم عامها وخاصها ، ينظر في قيادة الجيوش ومواقع الحروب وأحوال الجند ، كما ينظر في خاصة أمر العجوز والأرملة واليتيم ، ويدور على بيوت المغيبات بالقرطاس والدواة ليكتب لهن إل أزواجهن المرابطين في سبيل الله ، ويشدد الرقابة على عماله ويحول بينهم وبين ما قد تدعوهم أنفسهم إليه من أعوجاج ، ويسمع شكوى أحد الرعية في عامله فينصفه منه ، كما أنه لا يترك الرعية يفتاتون على المال ويلوثون أعراضهم كذباً وإفتراب ، يهمة من أمر الواحد ما يهمة من أمر الجماعة . (٧) وضع الأموال العامة في موضعها وترجيح الصالح العام على غيره . (٨) تشجيع العلماء على تحصيل العلم (٢٥٨) ونفع الناس به ، ونشره وإقتناء كتبه ، وتشجيع كل صناعة نافعة ، ونثر الأموال وإزجاء البذر

في سبيل ذلك . (٩) إقامة الأحكام الشرعية والسير على السنن الأقوم ،
والخضوع لقوانين الدين ، وطهارة الذيل عن كل ما ينافي الشرف والمروءة
ويضاد العدالة الدينية ، والمزوف على ما من شأنه أن يحط من مقام الإمارة ،
أو يهتك حرمة الولاية ويسود وجهها .

هذا أهم أخلاق الأمراء الفاضلة . أما طبقة العلماء المصلحين فقد أغنانا
عن ذكر أخلافها المقال السالف ... أما السواد الأعظم من الأمة الإسلامية
فقد كان ذا صفات نبيلة وأخلاق عالية ، إذ كان يسود بينها الصدق والوفاء
والشجاعة والصراحة والأمانة والإخلاص وقوة العزيمة والجد والاعتماد
على النفس والصبر والمناورة ، كل بحسب ما يزاوله وباعتبار ما وضعه المجتمع
على كاهله من الأعمال . ولا حاجة بنا إلى إرخاء عنان القلم في شرح هذه
الفضائل ، وتفصيل اتصاف الأمة الإسلامية بها في دور نهوضها ، فالأمر
يجلي لا يستدعي البيان .

والآن فلنذكر خلائق السكثرة من المسلمين في دور الانحطاط بادئين
بالطبقة الحاكمة .

بينما كان الأمراء في عصور الإسلام الذهبية يتحللون بتلك الصفات
الشريفة والفضائل العالية ، إذ أصبحوا بعد على الضد منها — إلا من رحم
ربك — فأصبح الأمير لا يلتفت إلى شوري ، ولا يصغي إلى رأى سديد ،
يعمل ما توسوس به نفسه أو يوحى إليه شياطينه الخافون به ، وغلمان
القائمون على رأسه ، أو الخصيان وطواشية الدور ، وربات الخدور ، وكثيراً
ما يسيطر على الملك جارية حسناء ، أو بغنية مجيدة ، أو يأخذ بزمامه غلام
محبوب ، أو خصي مقرب ، فيرفع ويخفض ويولى ويعزل ، ويحل ويعقد
بحسب هواه وأغراضه ... فقدوا الإخلاص من قلوبهم (٣٥٩) وصاروا

لا يفهمون من معنى الولاية غير كونها وسيلة لإرواء الشهوة ، وتنمية الثروة ،
والتمتع بمظاهر الفطرية والجبروت .

فقدوا الشعور بالمسؤولية الملقاة على عواتقهم ، فأصبحوا لا يبالي أحدهم
بآلاف من المسلمين تقتل ، وأقطار من بلدانهم تؤخذ ، وأسراب من نساءهم
وأطفالهم تؤسر . تسلط داء الكبرياء على رؤوسهم واستولى مرض العناد
والإعجاب بالنفس والرأى على قلوبهم ، فبعدوا عن فضيلة الانقياد للصيحة
الغالية . وكان أحدهم يمدد من قال له اتق الله بالقتل ، ويعد نفسه أعلى
من أن تنقده أعماله أو يتطرق إليها الخطأ ، ويضنها فوق متناول العقول
والأذهان . ويضرب بينه وبين الناس حجاباً كثيفاً لا تخترقه الاوهام
ولا تنفذه أشعة الأفكار . ويفرض عليهم أن ينثروا حول اسمه الألقاب
الضخمة المعبرة عن منتهى العظمة والعلو ... آثروا الجور على العدل ،
والباطل على الحق ، وتهافتوا على مصالح أنفسهم . وأعرضوا عن تفكير
شئون رعاياهم . اتخذوا عباد الله خولا ، وأموالهم نهباً مقبهاً . يعطون
من شاءوا ما شاءوا ، ويمنعون أولى الناس العطاء ، ويحملون خاصتهم على
رقاب الناس ، ويحكمونهم في أموالهم وأعراضهم . قد يئس الضعيف من
عدلهم ، فترك حقه ضعفاً عن المطالبة وعجزاً عن المقاومة ، وأبى القوى من
الانتقام ، فبسط يده على ما امتدت إليه عينه ، أصبحت تجور عمالهم فنضع
من الخراج الباهظ ما يجعل الفلاح ينكر ملكه ، ويزعم أن ما بيده هو
للرئيس فلان أو للقائد فلان تعزاً بمجانبه وفراراً من الظلم إلى حماه .
وتأخذ الولاية ضياع بعض الفلاحين اغتصاباً ، فيضطر الفلاح المسكين إلى
تسليم ما على ضيعته من الخراج محافظة على بقاء اسم ملكيتها له . يحتجن
أحدهم أموال المسلمين وفيهم ويبدها ذات اليمين وذات الشمال ، وينفقها
في بناء القصور ، واقتناء الضياع والمنزهات ، وشراء الجوارى والقيان ،
وتعمير مجالس اللهو (٣٦٠) والفناء ، وإشادة مسارح الترف والقصف ،

وتوفير ملذات النفس المادية ، وإشباع الشهوة البهيمية ، ويدع فقراء المسلمين يتضورون جوعاً ، ويتخذون من أديم الأرض فرشاً ، ويلتمحون أشعة الشمس وتجاويد الظلام عرياً وإعداء . ويترك الجندي بلا رزق فيضطرون إلى إشعال نار الثروة ، والاعتداء على مزارع الفلاحين ، ومخازن التجار ودور المثمرين ... ، ينفق الأموال في شهوات نفسه ، وملذات أهل قصره ، ويصبح بيت المال خالياً معدماً لا يجد ما ينفقه في تحصين الثغور وتقوية المصالح وتعزيز قوة الجندية ، فإذا داهمه عدو وجد الأبواب مفتحة ، وطريق إكتساح البلاد معبدة .

أفسدوا الأمة بنكوصهم عن سنة الشريعة المحمدية ، وبمدهم عن الخضوع لقوانينها ، فترى أحدهم لا يبالي بأحكام الدين ولا ينفذها في خاصة نفسه . ولا يعرج عليها بعمله ، فينظأهر بالإعراض عن الواجبات الدينية والتهنك ، والانغماس في الرذائل ، وتعدى حدود المروءة ، وخرق ستار العفة ، فيقتدى به خاصته وحاشيته وتبعهم غيرهم حتى يشمل الأمر غالب رعاياهم فتضد فيهم روح الدين ، وتفسد أخلاقهم ، ولا خير في أمة فسد دينها وتسفلت أخلاقها ...

حاربوا العلم والحكمة ، وطاردوا علماء المعقولات ونهأها ، وضائقوا المصلحين توهماً أنهم خطر على السلطة ، أو إرضاء لغوغاء العامة وسفلة الجهال ، فسك من حكيم كبير ، وفيلسوف بارع ، ذهب عمله ضحية عريضة الولاة ، أو صخب العامة . ولا يغرب عنا خبر ابن رشد وابن حبان البستي وابن الهيثم وابن الأفلح الأندلسي وعبد السلام بن عبد القادر الجيلي وغيرهم . ولا ننسى ابن تيمية وابن القيم في القرن السابع ، وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي ومحمود حمزة في فجر القرن الرابع عشر ، وغيرهم من لا يساعدنا المقام على ذكره .

(٢١١) تباعدوا عن بنى دينهم ، ومال كثير منهم إلى الأجنبي ، وطلبوا منه النصرة على إخوانهم ، وركبوا رؤوسهم في الانقام من بنى جنسهم ، وآثروا العدو البعيد عنهم جنساً وديناً على إخوانهم ، واتخذوا بعود الأجنبي الكاذبة ، وأقواله الزائفة ، التي كشفت لهم الحوادث عن بطلانها ، واتخاذ العدو لإياها وسيلة لتدليلهم كما يدل الجازر الشاة عندما يقودها إلى المذبح . ولطال ما جرت على المسلمين هذه الفادحة مصائب شديدة ، وفواجع أليمة ، فسا مملكة الأندلس إلا من ضحاياها ، وما كثير من مآسى الحروب الصليبية ومذابح التتر إلا أثر من آثارها . وهانحن نرى في هذه القرون الأخيرة عدداً كبيراً من ملوك المسلمين وأمرائهم وزعماء شعوبهم ورؤساء قبائلهم ينزعون أيديهم من أيدي إخوانهم ، ويتراءون في أحضان الأجنبي الذي لا يفتأ أن تسنح له الفرصة فيلتهمهم جميعاً ، فيصيحون ويولولون ، ويندمون ولات حين مندم ...

تلك صورة لخلائق القادة والزعماء في عصور التأخر ... أما دهماء المسلمين فبعد أن كانوا متحليين بتلك الأخلاق الفاضلة انعكس الأمر ، وتسرب الفساد إليهم ، وفقدوا الخلق المتين الذي به عزوا .

ساد بينهم التلون وإخلاف الوعود ، فترى التاجر والصانع والزارع والعامل والجندي والحادم ... الخ يكذب في حديثه ، ويتلون كالحرباء ، ولا يفي وعد قطعه على نفسه .. يكذب التاجر في أثمان تجارتها ونوعها وقد ما يفرضه من الربح على المشتري ، ويكذب الصانع في صنعته ويخف وعود لإنجاز عمله ، ويسوف من يوم إلى آخر ويميل (زبائنه) أو بعبارة يمنية (عملاءه) بكثرة التردد إلى محله بلا جدوى ، ويكذب الزارع في حاصل الأرض وما يتعلق به ، ويكذب العامل في عمله ويفش مستأجره ويتهاون بما وكل إليه ، وهكذا قل في كل ذى مهنة .

(٢٦٢) ساد بينهم الجبن والتقاعد وأحجموا عن المغامرة الجريئة التي كانت تفيدهم كثيراً ، وفقدوا روح الشجاعة والتضحية كما أوضحناه في فصل سالف .

سادت بينهم المداخاة الممقونة ، وأصبح كل يرى من أخيه ما لا يحسن أن يكون ، فلا يصارحه بالحقيقة ، ولا يلوى على النصيحة الصادقة التي قوامها الصراحة الحقة . كثير فيهم داء الغش والخيانة . فخرموا الثقة التي كان يتمتع بها سلفهم ، والثقة رأس المال للتجارة الرابحة ، وقوام الحياة الاجتماعية والاقتصادية . تسرب إليهم الضمف والخنول فأنحلت عزائمهم ، وخارت قواهم ، واستولوا عليهم العجز والكسل ، وآثروا القعود على النهوض . وفضلوا الراحة على العمل ، ووكروا كليات الأعمال الاقتصادية إلى غيرهم . فأصبحوا حالة عليهم في كل المواد الحيوية . وجعلوا من أوطانهم أسواقاً للأجنبي ، يبتز فيها أموالهم ، ويجرف ثرواتهم ، ويستغل كنوزهم وخيراتهم ، ويعود بها إلى بلاده فيستخدمها في وسائل إخضاعهم ليقضى عليهم وعلى ثرواتهم القضاء المبرم . وفي مثل هذه البوتقة تحلل سائر خلائق الجهرة من المسلمين في دور الانحطاط ، ويرحم الله شوقي إذ يقول :

وإذا ما أصاب بليان قوم وهي خلق فإنه وهي أس
واقدا حسن الأستاذ محمد رضى الشيبى في قوله :

| | |
|---------------------------------|----------------------------|
| وإذا أراد الله رقدة أمة | حتى تضيع أضاعها أخلاقها |
| ملك الضلال زمامها فإذا حبت | أو أمسكت سبب المعالي عاقها |
| رأت العدالة لا تروق لعينها | فتلبست في الليل ظلمة راقها |
| عجلت على البلوى فسأقت نفسها | للدوت أو عجل البلاء فساقها |
| ما عذر طائفة أضاعت مصرها | أن لا تضيع شأما وعراقها |
| (٣٦٣) برزت وقابلها الزمان بسيفه | فأظن ساعدها وعرق ساقها |

رحمك اللهم أيقظ أمة الإسلام .

أحمد عبد الوهاب الوريث

الإصلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم
عوامل انعطافهم بعد الدلو^(١)

- ٨ -

٧ - نزع السلطة الادارية والعسكرية من أيدي العرب
وقبض العناصر الغربية على زمامها

(٦) عرف القاري الفاضل بما أسلفناه جملة من أسباب تقهقر المسلمين،
وهنا نشرح له عاملاً كبيراً من العوامل الهادمة لهرج المجد الإسلامى ،
ونعرض عليه بعضاً من الأغلاط التاريخية التى ارتكبها جماعة من ذوى
السلطة العليا فى الحكومة الإسلامية ، وبعض مؤسسى الأمر المالكه فيها :

بما لا يحتاج إلى بيان أن الدين الإسلامى قام على أكتاف العرب فى
جزيرتهم ، ترعرع وبين ظهرانيتهم درج وشب ، ومن أفقهم سطع نوره ،
وبزغت شمسُه ، فأضاءت المعمورة ، وعرف الناس طريق السعادة .
وبدعوتهم وإرشادهم فهمت الأمم الإسلام على وجهه ، فسارعت إلى الدخول
فيه أفواجاً ، وبجهادهم وتضحياتهم عز جانيه ، وعظم سلطانه ، وامتنع حواه
عن أن تمد إليه يد عدو حقود ، أو منافس عنيد ، وبسيرتهم العادلة ،
وأخلاقهم الفاضلة ، ومعرفتهم الروح الإسلامية والتعاليم المحمدية جدد
المعرفة ، وتطبيقهم لإياها على حسب الأحوال والظروف ، قدروا أن

(١) السكّة : العدد الأول ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ذى القعدة ١٣٥٨ هـ
(ديسمبر ١٩٣٩ / يناير ١٩٤٠ م) ، ص ٥ - ٨ .

- ٢٥٦ -

يسوسرا الأمم التي حكموها . وتلك السياسة الحكيمة البالغة في النظام والدقة ، وحفظ مصالح من يحكمونه وتأمين أحواله جمعاء شأوا بعيداً ، لم تستطع أن تصل إليه أو تقاربه أعرق الأمم في الحضارة والعلم وأعلمها بالقوانين على اختلاف أوضاعها ، الأمر الذي جعل سكان الأرض المفتوحة يؤثرون أبناء البادية ، وأدلاء كبد الصحراء القاحلة ، ورعاة الإبل ، وأصحاب حمائل السيوف الليلية ، على أبناء بزنطية وإيران وسلاتل الرومان والإغريق وأحفاد أفريدون وسلسان ذوى الحضارة والترف والنعمة والرخاء ، وأصحاب الجيوش المنظمة ، والأعتدة الوافرة ، يؤثرون السلطة العربية لأنها عادلة ومنظمة ، يمثلها رجال غلصون لدينهم ، قادرون على انتهاج الخطة التي وضعها لهم كتابهم ونبيهم ، مترسمون خطى المنقذ الأعظم صلى الله عليه وسلم ، فتمكنوا من إدارة الأفطار الواسعة ، وأحسنوا سياسة الأمم المختلفة (٧) وضبطوا المملكة الإسلامية ضبطاً محكماً ، وأصلحوا الفساد ، ورتقوا المفتوق ، وبسطوا فراش الهدوء والراحة لجميع رعييتهم على اختلاف طبقاتها ، ورفعوا اللواء الإسلامى فوق كل لواء ، وقبضوا عاياه بأيدي حديدية لا يستطيع أحد مهما عظمت قوته إضعافها ، فعزوا وأعزوا وما كانوا مستضعفين .

كان ذلك يوم أن كانت السلطة الإدارية والعسكرية بأيدي العرب : فنهم الولاة والقواد ، ومنهم الوزراء والقضاة ، ومنهم الجنود المرابطة في اشغور والمعاصم ومنهم ... ومنهم ...

ثم ماذا ؟؟ .

نشأ رجال ذوو مطامع كبيرة ، وأنفس تسمو إلى السيطرة والمملك ، وآخرون يطمحون إلى اغراض شخصية خاصة كان يقف أعداؤهم أو

منافسوعم أمامها سداً مانعاً عن الوصول إليها ، فرأى كل أن يحقق مطالبه ، ويتوصل إلى أغراضه وأهوائه بالاعتزاز والانتصار بالعناصر العربية الأعجمية التي كانت خاضعة للنفوذ العربي الإسلامي ، ومن تلك العناصر من لم يسلم ومنبأ من هو قريب عهد الإسلام ، ومنها من ينطوى على دغل وخبث نحو الدين الحنيف ، ويحاول كل ما في وسعه قلب النظام الإسلامي رأساً على عقب ، والقضاء على الساطة العربية قضاءً بهرماً . وفعلوا انجحت أنظار أولئك الرجال صوب استفزاز هاتيك العناصر وإثارتها على أعدائهم أو منافسيهم - وهم من العرب طبعاً - وألقوا منها جموعاً كبيرة ، وجيوشاً منظمة ، جعلت تناوى العرب وتنازعهم السلطة حتى انتزعها من أيديهم ، وبسطت نفوذها على كل المصالح الدولية في حكومة الإسلام واستأثرت بها عنهم ، وتحققت أحلام الطامعين والمفرضين زمننا ، وليكنها ما عتمت تلك العناصر أن انقلبت ودبت على رؤوسها مطامع شخصية ، وتسرب إلى صدرها حب الاستبداد بالملك ، وهو (٨) الأفراد بالنفوذ ، فعادت حرب على أولئك الذين استفزوها ، وجمعوا شواذها ، وأخذوا بناصرها ، ومكنوها من مقاليد الخلافة ، وألقوا إليها أزمة الساطان ، عادت حرب عليهم ، وكشرت لهم أنيابها ، وكافاتهم في أعقابهم « جزاء سنار » ، وأصبحت خطراً شديداً ليس عليهم فقط ، ولكن عليهم وعلى الدين الإسلامي ، وذلك لأن منها من اعتنق الإسلام عن إيمان وتصديق وليكنه لم يكن عرف الإسلام معرفة صادقة ، ولم يتشرب روحه السامية ، ولم يفهم مبادئه حق الفهم - كما كان العرب - وما برحت تقاليد الأعجمية ومعتقداته الوثنية السالفة مؤثرة فيه حاكمة عليه ، فاعتلى منصة الحكم بحسم إسلامي تسيطر عليه روح أعجمية وثنية ، وهناك لم يستطع أن يعمل ما يعمل العرب العاهلون للإسلام ، بل تصرف تصرفاً أعجمياً وثنياً ينافي

التصرف الإسلامى ويناقضه ، فدخلت فى الإسلام اعتقادات وأوضاع ،
وتسربت إليه عادات وخلائق ، تخالف تعاليمه على خط مستقيم كما يقولون .
ومن تلك العناصر من دخل فى الإسلام متظاهراً ، لأنه رأى الملك
والسلطان بأيدي المسلمين ، فنذر ع إلى تحقيق أطباعه باعتناق الإسلام ،
وأخذ يعمل ويحرك الحبال تحت ستار الإسلام المزعوم حتى إذا ما وجد
الجو ملائماً ، والفرصة سانحة ، ظهر بأمراره ، وثار فى وجه الحكومة
الإسلامية ، وبعبارة أصبح شهر السيف فى وجه الإسلام داعياً إلى محاربه
وتقويض دعائمه . وبصرف أولئك ومحاولة هؤلاء خلقت مشاكـ
لإسلامية كانت غاية فى التعقيد ، وأصيب جسمه بضربات قاسية أضعفت
روحه ، وأوقفت سيره ، وكانت أشد المaul أثراً فى هدم صرحه العالى ،
وثل عرشه المجيد .

١ . ب . ع . التوثيق

(لبحث بقية)

الإصلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم
عوامل انحطاطهم بعد العلو (١)

- ٨ -

٧ - نزع السلطة الادارية والسكرية من أيدي العرب

وقبض العناصر الغريبة على زمامها أيضا
د تمام ما قبله ،

(٣٢) نعم نشأ أولئك الرجال وعملوا على إضعاف العنصر العربى
وسلبه السلطة سعيا فى سبيل مطامعهم ، وتنفيذاً لخطاطم ، فارتكبوا أخطاء

(١) المسكحة : العدد ٢ السنة الثانية ، المجلد الثانى ، ذى الحجة ١٣٥٨ هـ (يناير /

فبراير ١٩٤٠ م) ، ص ٣٣ - ٣٩ .

كبيرة جاءت (٢٤) بالمعاني والنسب المتواليات على الإسلام ، ولنذكر لك أمثلة من ذلك تجلى الموضوع ، وتكمل البحث :

كانت الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين وأيام الحكم الأموي دولة عربية صرفة ، وكان قد انضوى تحت لوائها من العجم أمم كثيرة كانت ذات سلطان وملك قضى عليهما الإسلام ، فنزعت نفوس جماعات منها إلى استمادة مملكتها المذهب ، فشجعت تعمل في الخفاء ، وتدس العداوة والبغضاء بين العرب ، وتبذر بذور الاختلاف ، وتثير الذمرة العصبية بين القبائل ، وتتوصل إلى غايتها بكل وسيلة تحت أسماء مختلفة ، وعلى صور شتى ، وبأساليب خفية ، تضلل بها العقول ، وتستقر بها نواياها وأهدافها الحقيقية . وكانت تنهز لذلك كل فرصة تلوح ، وتلون دعاياتها بألوان المناسبات التي تعرض لها ، فما شرع محمد بن علي بن عبد الله العباسي يدب دعايته ضد الحكومة المروانية التي كانت تمثل السلطة العربية وقتئذ ، حتى ألمقت تلك الجماعات رسائله ومشوراتيه ودعايته بالترحاب ، وهرعت إلى تأييده والتبشير بمباديته ، فاعتمد محمد عليها ومنحها ثقة واحتمنانه ، ورأى في العجم الأرباب خير نصير على أعدائه . وأعظم عون على تطبيق بروعته السياسية .

مات محمد ، وخلفه ابنه إبراهيم المعروف بالإمام ، فكان أشد من أبيه تعلقاً ووثوقاً بالعجم ، وأعظم كراهية للعرب . وأن في وصيته لأبي مسلم الخراساني الآرى لا وضع دليل على ما ذكرنا فقد قال فيها : (... وانظر إلى هذا الحى من مضر فانهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره منهم ، ومن كان في أمره شبهه ، ومن وقع في نفسك منه شيء ، وإن استطعت أن لاتدع بخراسان لسانا عربيا فافعل فأيما غلام بلغ خمسة أشبار وتهمه فاقتله) .

من هذه الكلمات السود يتضح لك الأساس الذي قامت عليه الدولة (٢٥) العباسية وهو محاربة السلطة العربية ، وهدم كيان العرب والاعتزاز بالعجم

واحلالهم المحل الذي كان يشغله العرب في حكومة الإسلام ، وإضعاف الروح العربية السائدة في ذلك العصر . وفي الأخير انتهت تلك المعارك بانتصار العباسيين ، فكان في مغزاه انتصارا للعجم على العرب ، وأصبح العنصر العجمي متمكنا في الدولة ، وبمقدار تمكنه كان يتقهقر نفوذ العرب . وفي عهد الرشيد تغافم الأمر وزاد ، تسلط الآريين على الدولة ، فقبضت الأسرة البرمكية على أمرتها ، ولولا تلافى الرشيد للأمر بالقضاء على البرمكية لاصبحت الدولة فارسية بكل معاني الكلمة ... تولى الأمين الخلافة وتوترت العلاقات بينه وبين أخيه المأمون ، ووقف كل منهما نحو أخيه موقف العدو المحارب . وكان المأمون ينزع إلى الفرس وهم يميلون إليه ويدعونه (ابن اختنا) ، فلما توسعت شقة الخلاف بين الأخوين ، وأعلنت الحرب ، وتزاحف الجيشان : الجيش العربي الضعيف القوي يقاتل عن الأمين ، والجيش الآري يحقق النوايا الفارسية في صورة الانتصار للمأمون ، وبسقوط الأمين وقتله تضاعف النفوذ العجمي ، وزاد خطره ، تضعفت أركان العرب فتقهقرت أحوالهم أكثر من ذي قبل . ثم جاء دور المعتصم فكانت الغلبة الكبرى ، والغداحة المنكية ، والضربة القاضية ، ذلك أنه أرتأ أن في استمرار سلطنة العرب وبقاء كثير من مصالح الدولة بأيديهم ما يتناقض مع مصلحته وتوطيد دعائم سلطانه ، وأن الخير في إسعاد ما يتولاه العرب إلى غيرهم من الأمم الآرية والطورانية واختمرت هذه الفكرة السوداء في مخيلته ، فانصرف إلى تنفيذها ، وأخذ يكثر من شراء المماليك الأتراك والفرغانية والأشروسانية حتى حصل لديه منهم جموع جمة ، فالبسهم المناطق وقلدهم السيوف ، وجعلهم جنده الذي يعتمد عليه ، وأسقط العرب من ديوان الجند ، ومنعهم العطاء من العواصم (٣٦) والولايات ، وأصبح جند الخلافة لفيضا من عناصر مختلفة ، كما أن المعتصم فتح للأتراك باب السيطرة على الأمة ، ووكّل إليهم تدبير شئون المملكة وإدارة أعمال الولايات ، فلم تمر أزمّة غير طويلة حتى (غدا الدخيل بعد حين أميلا وسقطت الأصول وقامت بدلائها الفروع وأض المصطنع

سيداً مسوداً ورجع العظيم يتعثر في أذيال النذل) ، وأضحت الخلافة العباسية
ألعوبة بأيدي الجبهة المغتلبين والمستبدين الطامعين من الأتراك والموالي الأتاجم
فزقوها شرعزق ، وأقاموا على أنقاضها دولتهم كالبغانية والبويمية والغزنوية
والسلجوقية وغيرها ، وأقصوا العرب عن الأمر وإدارة الأعمال وصرفوهم
عن الوظائف ، كما أنهم حكموا البلاد حكماً أعجمياً منشعباً بروح الوثنية التي
كانوا عليها ، فأضعفوا الدين الإسلامي ، وألصقوا به ما هو براه منه ، وأفسدوا
المجتمع الإسلامي على اختلاف طبقاته ، وأدخلوا عليه عادات وخلائق
لا يرضاها القرآن ، ولا يقرها محمد صلى الله عليه وسلم .

أضف إلى هذا ، الثورات الموجهة نحو الإسلام التي كان يقوم بها رجال
آريون أو طورانيون واجدون على الدين الجديد ، حنقون على خلفائه وملوكه .
فقد بدأت في عهد المنصور العباسي إذ ثار سنباذ الفارسي في خراسان ثم ظهر
في أيام المهدي الأتور المقتنع وأتباعه من الفرس وزعموا أن قوة الله حلت
في آدم ، وانتقلت إلى أبي مسلم ، وأخيراً حلت في المقتنع نفسه ، وأطهوه
ودافعوا عنه جيش الحكومة ، وبقوا يردونها ويقاومونها أربع سنين .
وفي ولاية المأمون نجم بابك الخرمي بجبال طبرستان ، واستعجل أمره ،
وهزم جيوش المأمون مراراً ، وبقي إلى أيام المعتصم الذي أرسل له الجيوش
مترادفة ، فهزمها . ثم بعث إليه الأفشين أحد قواده الأتراك فخاربه مرات
وأخيراً قبض على (٣٧) بابك وقتله المعتصم بعد أن كبده غرامات فادحة .
ثم أتى دور طه الأفشين التركي الذي قامت البراهين للمعتصم على كبراهته
للإسلام ، ولأثارته التركان ضده ، وسعيه سرّاً في تأسيس امبراطورية طورانية
تشاد على أطلال الامبراطورية الإسلامية ، فحكم السيف في عنقه ... إلى آخر
تلك الحملات التي كان الأعاجم يرمون بها إلى هدم كيان الإسلام وتقويض
دعائم العرب . ولسنا في حاجة إلى تتبعها ومردّها في هذه العجالة ، فهي مجهولة
عند المطلع على تاريخ تلك العصور .

بهذا يتضح للقارىء ما جره نزع السلطة من يد العرب ، ونقلها إلى العناصر المختلفة على الإسلام من الانحطاط والندهور ، وما عبه على المجتمع الإسلامى من الانحلال والضعف .

وما نفس لا نفس ما أنتجته تلك الغلطات المرذولة من اضعاف الروح العربية الوثابة ، وإفساد حياة العرب الأدبية . فانهم بعد أن أبعدوا عن الرابسة والجيش ، وأفقدوا الأعاجم صولة الحكم ، أعاضوهم عن ذلك بالاصطناع من جهة الصدقات والاحسان حتى ذابوا فيهم ، وتغلبت على لسانهم الرطانة الأعجمية ، وتسرب إلى نفوسهم الضعف والوهن ، ودب إلى أخلاقهم الفساد (وليس من طبيعة الغالب أن يكف عن المغلوب — حين يتسلط عليه — أو يسعفه بالانقلابات من شمره بل يجد في تمويهه وتمويهه وإذابة ما كان يتحصن به من إباء وخلق كريم) . وقد ظهرت آثار عملية العجم في أخلاق العرب وآدابهم ، إذ استعاضوا عن أدب القوة ، والفلسفة الواقعية ، والنبرات العالية القوية ، التي كانت تفيض بعزة الفانح ، وإعجاب الناجح ونشوة المنتصر ، وإن كان فيها نبرات ضعف ونغمات استكانة فهي نغمات الحزب الذى غلب على أمره ، أو المحب الذى برح به الحب وأحرقت (٣٨) جوانحه جذور الوجد ، أما ما عدى هؤلاء ففخر وإعجاب وهجاء فى فى أعلى مراتب القوة ، استعاضوا عن ذلك كله بالرخاوة التي تلازم المرتزقة والمصطنعين عندما يشعرون بالخيبة والانكسار ، فصار أدبهم — وهو ظل الحياة — أدبا ضعيفا . إذا نظرت إليه نظرة استقصاء وجدته بين بالك على مصائب الدهر ، ومادح للولاة وذوى الثروات استجداء وطلباء للمال . ومستهتر يصف استهتاره ومجونه وصفا غنيا . إذا كان يرضى الفن فهو لا يرضى الروح ، وكل ذلك أدب مائع خال عن القوة والمتانة . بعيد عن الآداب العربية فى صدر الإسلام وعهد السلطان العربى . وكما سادت الرخاوة على

الأدب . فقد سادت على أخلاق العرب . فضعفت وتسفلت واصطبغت بالصبغة الأعجمية .

ولعلك تقول : ما هي الملازمة بين الأدب والأخلاق العربية وبين مجد الإسلام أو انحطاطه ؟ وأية مناسبة بين شرح عوامل تفقر المسلمين وذكر نتائج تسلط الأجنبي وأثره في أدب العرب وأخلاقهم ؟

والجواب أن الأخلاق العالية والأدب القوي يؤثران في روحية الأمة ويوجهانها توجيهاً خاصاً نحو المجد والعز ، فإذا سفلت أخلاقها وإن ماع أدبها استولى عليها الخنوع والذلة . وبما لا يقبل الشك أن الإسلام قام على اكتاف العرب وبهم عز وانتصر . فإذا أصيب العرب بكارثة فهي في الصميم من الإسلام .

لذن فالحكم الأعجمي لإذ أثر في أدب العرب وأخلاقهم ذلك الأثر المبيد قد أنزل بالإسلام ... في التالي — أضراراً قبيحة الأثر طبعاً .

إن العرب حماة الإسلام ومادته القوية ، إذا عزت العرب عز الإسلام وإذا ذلت العرب ذل الإسلام ، فلا ضعف الإسلام ولا انكماش ظله إلا من اليوم الذي آذلت فيه العرب ، ولا نهوض للمسلمين بل ولا للشرق الأدنى والمتوسط (٣٩) في الحال الحاضرة إلا إذا رأينا الأمم العربية تتضامن وتنهض كتلة واحدة للدفاع عن كياناتها ومجدها ، وتعمل جادة على الأخذ بوسائل الرقي السريع ومجاراة الأمم الفاهضة ، وتكافح في سبيل إحياء الجامعة الإسلامية كما كلفت أولاً ، تنصرف إلى تطبيق تعاليم الإسلام في جميع مناحي حياتها وبذلك تضمن مصلحتها ومصلحة المسلمين بل وبنى الإنسانية أجمعين .

فى سبيل الإصلاح

ماضى المسلمين وحاضرهم
عوامل انحطاطهم بعد العلو^(١)

٩ - ١

(٩٧) انتهى شوط قلم زميلنا الفاضل رحمه الله فيما كتبه بهذه المجلة تحت هذا العنوان^(٢) عند الكلام على عامل كبير من عوامل الضعف والانحطاط كان له أثر (٩٨) كبير فى تأخر الأمة الإسلامية وانحطاطها ، وذلك هو الإسفاف فى الأدب ، وتفشى اللبنة والرطانة فى لغة العرب ، وأشار إلى أن منبع الداء تغلب الأعاجم وسيطرتهم على العرب أيام الحكومة العباسية فما بعدها . وعلة ذلك أن العرب لما فقدت سلطتها السياسية لانحطاطها ، وتغلبت الرطانة الأعجمية على لغتها ، فنتج عن هذه المقدمات انحطاط المسلمين وتأخرهم ، لأن العرب هم حماة الإسلام ومادته وقادته ، فإذا عزت العرب عز الإسلام وإذا ذلت ذل الإسلام .

ولا شك أن العرب جرثومة الإسلام ودعامته ومصاصه وجوهره وبحبوحته ومعدنه بل سنامه وذروته ، وأنافيه وبنياه ، وأن العروبة والإسلام صنوان لا يفترقان ، حياة أحدهما مرتبة بحياة الآخر ، لا بقاء للإسلام إلا بالعروبة ، ولا بقاء للعروبة إلا بالإسلام ، فهما كجنتاحى

(١) الحكمة : العدد ٤ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، صفر ١٣٥٩ هـ (مارس / أبريل ١٩٤٠ م) ، ص ٩٧ - ١٠٢ . وهذه المقالة بداية مقالات الإصلاح بقلم أحمد المطاع .

(٢) وقد عثرنا على مقالة تحت عنوان نهضة الإسلام الحاضر سننشرها فيما يأتى إن شاء الله .

الطائر إذا هبض أحدهما انخفض الآخر ، بلغتهم الكريمة نزل القرآن
الوحي الإلهي ، وبها نشرت تعاليمه العالية ، ومبادئه القويمة بين الأمم المختلفة ،
والممل المتباينة ، فكانوا مبعث النور وحلة الرسالة ، وناشروا أعلام الحضارة
في العالم بأسره ، وكل مسلم مدين لهم ومحسوب عليهم .

بهم تربعت الأمور أحقابا ، في ظل سلطان فاهر ، وذرى ملك ثابت ،
وعز غالب أخضع لهم من الأمم رقابها فاخترقوا صفوفها ، واختطوا ديارها ،
وألقت إليهم الممالك أزمة أمرها ، فلأزوها نوزاً وعدلا ، وأوسعوها كلالا
وفضلا ، وأسسوا بكل قطر دخلوه ملكا واسماً وحكماً مطاعاً .

خلفوا الأمم الكبرى على أكثر المعمورة ، فقاموا بالأحكام وضماً
وافتراعاً ، وأظهروا في كل جلال زماماً ، حتى أوشكوا أن يعربوا العالم
بأجمعه بفضل ما نشروه بلغة القرآن من آداب وثقافة ، وعلوم وحضارة
أزارت الأفكار (٩٩) وحولت مجرى الحياة . قال بعض علماء الغرب (١)
في كتاب له سماه "مكان العرب تحت دين الشمس" ، (قل أن تجمد أمة
اتسعت لها رقعة من الدنيا بقدر ما اتسعت للعرب ، وقل أن ترى أمة أفاضت
على العالم بألوان ثقافتها وبذائع لغتها ما أفاض العرب ، حتى لقد كان من
جراه ذلك أن سمي قبيل من الناس بالعرب مع أنهم لبسوا أعراباً من ناحية
الجنس لكنهم اقتبسوا العادات والتقاليد العربية ونطقوا باللسان العربي
فاعتبرتة الناس من ثمة عرباً ، وليس كالعرب أمة من الأمم التي تحررت
وعملت على إيجاد كيان مستقل لها ، لها ماضى منقطع النظير ، وحاضر يدعو
إلى العطف والبر ، ومستقبل فسيح رحب) .

هذه لمحات سريعة تشير إلى مكانة العرب من الإسلام ، ومكانة لغتهم
الشريفة من القرآن : كتاب الله الذي أنزله هداية للعالمين .

(١) إسم هذا العالم ريتشارد كوك .

ومنها يتجلى (معنى إذا عزت العرب عز الإسلام) الخبر ، ولكن كيف تسربت الرطانة إلى لغتهم الكريمة ؟ ومتى ظهرت العجمة في أساليبهم المشرفة الرائعة ؟ وما الذى أحال برود آدابهم المفوفة الغضفاضة إلى خلجان مهلهة بالية ؟ وأدخل في لغتهم المندفقة بالحياة والقوة والبلاغة وحسن البيان ما دنس صفاءها ، وكدر عجاها ، من عبارات ملتوية ، ولغة ركيكة ، وألفاظ سخيفة ميتة ١٤ .

حتى كادت تصبح كقدح الراكب في مؤخرة القافلة ، عاجزة عن مجاراة حضارة العصر ، ومخزعات شئون الحياة ، بعد أن كانت لغة الدين والدولة والعلم والأدب والمنطق والفلسفة والاجتماع .

ولم تزل في حى الإسلام في كنف سهل ومن عزه في منزل خصب (١٠٠) حتى رمتها الليالي في فرائدها وخر سلطانها ينهار من صيب وعانت العجمة الخلقاء نائرة على ابنة البید في جيش من الرهب يقوده كل ولائغ أخى لحن مضمخ بدماء العرب مخضب لم يبق فيها بناء غير منتقص من الفصيح وشلا غير منقضب كأن عدنان لم تملاً بدائع مساح الكون من ناء ومقرب مضت بخير كنوز الأرض جانحة وغابت اللغة الفصحى مع الغيب

وهل يصح أن نقول أن تلك الأمراض الفتاكة انتشرت أو بئنها من تمكن العجم واستيلائهم على مناصب الحكم وقيادة الجيوش أيام الحكومة العباسية فما بعدها كما أشرنا إليه أول هذا المقال ؟ أم نقول أن اللغة مثل الحياة ، ومن لازم الحياة الحركة والتغير ، وإن اختلاف الأحوال وتقلبات الزمان وعوامل الألسنة والأفلام كان لها أثرها في التصحيف والتغير والتبديل والتحريف والعجمة واللاكنة ، وأن هذه العوامل والمؤثرات لم

٢٦٧ -

تسكن ولادة العهد العباسي أو ما بعده بل يرجع تاريخ ظهورها إلى زمن الجاهلية ثم أيام الفتح والاستيلاء على ممالك العجم في صدر الإسلام .

وهنا لا بد لنا من إلقاء نظرة إلى الحركة الفكرية المتصلة بتاريخ لغتنا العربية قبل الإسلام إلى أن طغت عناصر الفساد عليها وأحدثت فيها ما تقدم آنفاً .

كانت لغة شمال الجزيرة قبل البعثة تنقسم بخطوات سريعة إلى منصة السيادة العامة على جميع أصقاع جزيرة العرب ، وكانت تستمد قوتها ونشاطها من اللهجات المجاورة لها والبعيدة عنها بعد أن ابتلعت لهجات جنوب الجزيرة وتغذت بها ، كما أنها لم تحجم عن الزهام ما اتصل بها من آثار لهجات حكومات (١٠١) شمال الجزيرة وغيرها من الأمم السامية الموعلة في القدم .

ولم يكن النفوذ السامي والديني للدولة الرومانية والفارسية والحبشية المتغلغل في أعماق البلاد العربية في أواخر القرن السادس الميلادي مانعاً لتقدم لغة الشمال في تلك الأنحاء ، ولا اضمحلال الأسر وتفكك الوحدات واختلاف الديانات في الجزيرة صاعداً لها عن الانتشار والاقتراس من البلاد المجاورة أثناء رحلاتهم المشهورة للإنجاز أو الغزو والوفادة ، فكانت الأساليب الأعجمية تقسرب إلى العربية بواسطة ذلك الاختلاط .

وقد ظهر أثر هذا الاختلاط جلياً في شعر عدي بن زيد العبادي شاعر البلاط الكسروي ، وأميرة بن أبي الصلت الثقفي وغيرهما من شعراء الجاهلية .

كما أن عدة كلمات فارسية وعبرانية وآرامية ونبطية وحبشية ورومية وكلدانية ومصرية استساغتها لغة الضاد ولا تزال، تلك الكلمات تمت إلى

أصلها الأول بصلة متينة ورباط وثيق ، وقد عنى علماء اللغة من المسلمين وغيرهم بهذه الكلمات وبمحشوا عن أصولها ومصادرها وشتاتها ، ولا سيما وكثير منها قد نزل به القرآن كما أورده العلامة السيوطي في كتابه : الإتيان في علوم القرآن ، وقد نص علماء اللغة على عريية ما ورد من ذلك القليل وإن كان يرجع إلى أصل غير عربي لأنه صار باستعمال العرب الفصحاء له عربياً : راجع ما كتبوه في أبحاث التعريب .

وقد أوردنا ما تقدم في سياق سير اللغة في مدارج التاريخ ، ولم نقصد أن تلك الأساليب نفسها ساقطت اللغة إلى هوة الفناء بل نقول : إنها زادت في ثروة اللغة ورفيها ، وسلم بأمراض العجمة التي أفقدت العرب عزهم ، ولاشت قوميتهم ، وتركهم كالحليط المنبوذ فيما يأتى إن شاء الله تعالى . كما أنا سنوضح (١٠٢) أن القرآن الكريم والسنة الغراء يعتبران من أعظم كنوزها وأن العصر العباسي أيضاً زادها نمواً واتساعاً وأنه بحق يعتبر العصر الذهبي في تاريخها .

أحمد بن أحمد المطاع

في سبيل الإصلاح ماضى المسلمين وحاضرهم نهضة الإسلام الحاضرة

(مناقشتها وعواملها ، وأقوال علماء الغرب فيها ، ورأينا في ذلك)^(١)

(١٢٦) لعلمنا بعد كتابة الفصول السابقة قد أظهرنا قراءنا على صورة

(١) الحكمة : العدد ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، ربيع الأول ١٣٥٩ هـ (أبريل/

مايو ١٩٤٠ م) ، ص ١٣٦ — ١٤١ .

واضحة للإسلام في دور نهوضه الأول ، ثم في دور الانحطاط ، ومثلنا أمامهم عوامل كل من الدورين تمثيلاً إجمالياً يشخص لهم - ولا شك - الأسباب التي أدت إلى السقوط ، وقادت العالم الإسلامي إلى الهوة العميقة التي وقع فيها . ومن الواجب علينا - إيفاء بحق البحث وتجلية الحقيقة - أن نشير إلى النهضة الإسلامية الحاضرة . وتتكلم على مؤثراتها وآراء بعض الباحثين فيها .

من الحقائق الملموسة نهوض المسلمين نسبياً وتطور أحوالهم وتبدل مواقفهم عما كانوا عليه في أوساط القرن الثالث عشر فما قبله من القرون الوسطى ، تلك (١٣٧) القرون التي كان يخيم فيها على المسلمين سبات عميق ، ويحيط بهم جمود يميت ، وتسود بينهم أوهام وأضاليل ، وخرافات وأكاذيب ، تسربت إلى المعتقدات فأفسدتها ، وإلى الأخلاق فأضعفتها ، وإلى النفوس ففسختها ، وإلى العقول ففسدتها وإلى الأفكار فسممتها ، وإلى الأيدي فعمطلتها ، وإلى الهمم فغمدتها ، وسيطر عليها ملوك أنانيون جهلاء لا يعرفون غير السعي وراء الشهوات واللذات وإرضاء النفس المادية الجاحشة ، ولا يفهمون من معنى الكرم الذي يجلسون عليه - دون جداره - سوى القدرة على تعجيل استحصال ما تدعوهم إليه نفوسهم الأمارة بالسوء من مصالح شخصية سئحت لهم فنهافتوا عليها غير ناظرين إلى ما تنتجه من مسببات ممقوتة ، ولا آبهين لعواقب تكاليفهم العائدة على المجتمع الذي يحكمونه - وبالتالي عليهم - بما لا يسر ولا يرضى ، شأن الأطفال الذين لا تتجاوز أبصارهم ما بين أيديهم : فهم يفرحون ويبتهجون بما يحضرهم من الأعياب وملاذم دون أن يفكروا فيما وراءها من أضرار ومكروهات .

نعم ، كان المجتمع الإسلامي آنذا كما ذكرنا ، ولكنه أصبح اليوم بحال غيرها ، أصبح يحس بالآلام وآماله ، ويتلمس موضع الداء من جسمه ،

ويرتاد الدواء الآسى في منتجعاته . أصبح يعمل على تحرير العقل وتحطيم القيود التي أوثقته تلك العصور المتطاولة . وينفض عنه غبار الجود ، ويكسح منه أدران — التخريف والجهل . أصبح يقدر العلم النافع قدره ، ويعتقد الفوز والنجاح معقودين على الأخذ بأوفر نصيب منه ، أصبح يشعر بحقوقه المسلوقة ومقدساته المفصولة ، وحرمانه المتهكك ، وبلاده المستعمرة ، ويؤنب نفسه على تقصيرها في واجباتها ، وتهاونها بحقوقها ، وتأخرها عن الجرى في مضمار الحياة وتفاعمها عن مزاحمة الأمم الراقية في ميادين العز والفلاح ، أصبح ينظر (١٣٨) إلى كل ناحية من نواحي حياته ويفكر في إصلاحها والعمل لما يرفعها إلى المستوى اللائق بها ، فهو بهذا وما شاكله قد انتقل من طور إلى آخر . انتقل من طور الجود والغفلة ، والسكسل والبطالة ، والجهل والتخريف ، والاستسلام والتبذل ، والتقليد والخنوع ، والذلة والمهانة ، والاستعباد والتفديس — إلى طور — لا أقول أنه يفايره تماما ، ولكنه يخالفه شيء ما ، ففيه شيء من التحرر العقلي ، والإصلاح الديني ، والنهوض العلمي ، والرقى الأدبي ، والنشاط العمل ، والتقدم الاقتصادي ، والنظام السيامي ، والشعور القومي ، والاعتزاز الوطني .

ومن ذا الذي يجهل نزوع كثير من المسلمين إلى تحكيم العقل واعطائه ما جمل الله له من سلطان وهيمنة ، وتجارب الأصوات المنادية من مختلف الأنظار بوجوب الإصلاح الديني والنظر فيما تركته عصور الانحطاط من مخلفاتها الاعتقادية والاجتماعية ، ورفض ما يصر بالكيان الإسلامى منه .

ومن ذا الذى ينكر تباشير النهضة العلمية والأدبية في شتى نواحيها ، وهذه أكثرها يكثر فيها العلماء الفطاحل ، والأدباء العباقر ، والخطباء المصاحح الشعراء المقاول ، والمهندسون البارعون ، والأطباء النطاسيون ، والفلاسفة النقاريس ، والمنفكرين البواق ، وتحاكي مجامعها وكلياتها ومجامعها العلمية ومؤلفاتها وصحافتها أجود ما يفخر به الغرب من ذلك .

ومن ذا الذى لا يشعر بالحركة الإسلامية النزاعة إلى التقدم فى كل وجهة من وجهات الحياة ، كل ذلك مما لا مجال للاستجابة فيه ، وكل ذلك يدل على أن هناك نهضة إسلامية أخذت فى الظهور ، ودخلت فى دور التمرع .

ولكن ما هى الأسباب المؤثرة فى هذه النهضة ؟ ، وما هو منشأ التطورات الحاضرة ؟

(١٣٩) لقد شغل البحث فى ذلك — وبالحصوص النهضة السياسية — رجال الفكر فى أوروبا ، وأساطين السياسة فى الغرب ، واختلفت آراؤهم ، وتنوعت أنظارهم باختلاف مناحى التفكير وتنوع وجهات النظر ، ونزع بعضهم فى التمليل منزها غربيا ، وانتهج منهاجاً مضللاً يقصده التعمية والتويه أكثر مما يريد منه الاستنتاج والحكم والتوصل إلى الفسكرة الصحيحة وما ذلك من الغرب بغريب .

أجل ، لعمر الله ما ذلك من الغرب بغريب ، وما هو من العالم المادى بمستبعد ، فلقد برعت أوروبا فى تشويه طرق البحث وتلويت وسائل التفكير وأحكمت مناهج التضليل ، ونوعت طرق التويه لتنتشر حول الحقائق من الأوهام والأباطيل ما يحير الباحث ويضل به فى مباحث وهمية . وغرضها من وراء ذلك تسميم العقول ، وتضليل المدارك ، وتعمية السبل ، حتى لا يمتدى طالب الحقيقة إليها ، وحتى تقتنع الأمم بأن ما تراه من الحلول للمشاكل الكبرى ، وما تضعه لمعالجة المسائل السياسية شرعية أو غيرية يجب أن يكون البحث فيه مقيداً بما ترسمه الخطوط وما تحدده من المسالك — كما أنها ترمى إلى أن يخلو لها الجو فتتولى رسم مناهج البحث للباحثين ، ووضع طرق التفكير وحدود النظر للناظرين . ويكون إليها وحدها ارشاد العقول فى الشرق كما ترشد متكوماته ورجال السياسة فيه ، فتستطيع نشر نفوذها على

البلاد وما فيها ويسيطر سلطانها على العقول وما يحول بها ، ولتقطع على
الأمليين آمالهم ، وتساعد القانطين الآيسين من نهوض أمهم على قنوطهم
المضنى ويأسهم المميت توصلا إلى أن يعتقد الفريقان اليأس من النجاح ،
ويوقنوا بأن لا أمل في النهوض ، وإلا رجاء في الحياة فتخور منهم القوى ،
وتنحل العزائم ، ويستولى على نفوسهم الضعف والوهن ، فتسقط البلاد
وأهلها بين أيدي المستعمرين ذليلة مستسلمة .

(١٤٠) حقا أقول : أن التثوية والتضليل وقلب الحقائق لم يرج في عصر
من العصور كما راج في هذا العصر ، وإلا فقل لي بربك : هل سمع التاريخ
أودار على خلد الماضى أن حكومة متمدة تنشئ للتضليل دوائر خاصة
ومكاتب ضخمة ، وتخصص ميزانيات كبيرة وأفلاما مخنارة وصحفًا متعددة ،
وكتابا وشعراء وخطباء وفلاسفة ومؤلفين ، وتستخدم له لإحدى عجائب
العصر ونتيجة من أكبر نتائج العلم : (المذباغ) وما إلى ذلك من ما يسمى
بمصلحة النشر والدعاية وبعبارة أفريقية : بروبوغندا ، كما أنشأت له حكومة
أوروبا المتمدة ودولها الحاضرة ... ذلك ما لم يره التاريخ ولا سمع به بنو
الإنسان ، والغرض من كل ذلك ما عرفناك .

نعم . لقد اضطربت آراء الباحثين الغربيين في منشأ التطورات التي ترى
اليوم في البلاد الإسلامية ، فن قائل يقول : أن أسبابها ترجع إلى ما نشره
« ويلسون » رئيس الولايات المتحدة الغابر من تعاليمه المدعوة « بمبادئ
ويلسون » المتعلقة بحق تقرير المصير وحرية الأمم واستقلالها . ومن
ذاهب إلى أن السبب هو ضغط أوروبا ومسارة السياسة فيها إلى العمل على
محو الحكومات الإسلامية المستقلة ، وشيل الحركات النزاعة إلى الاستقلال

في كل بلاد الإسلام ، وتعطيل ما كان منها في بلد إسلامي مستعمر وخاصع
لنفوذ أوربا ، ويرى القائلون بالرأى الأول أنه يمكن القضاء على تلك الحركة
بارضاء الأمم الطامحة إلى الاستقلال ببعض ما تطلبه وتتنازل عن البعض
الآخر ، بحيث تقسم السياسة مبدأ حرية المصير مع المطالبين به وبذلك تجتث
النهضة من أصولها ، كما أن أنصار القول الثاني يذهبون إلى أن أوربا لو تخلت
عن سياسة الشدة وعدلت خططها الارهاقية حيال بلاد الإسلام لفضت على
التطورات الحاضرة ، وعطلت نشأته النهضة .

(١٤١) ونحن لا يسعنا أمام هذه الأقوال الزائفة والأناظر الخاطئة
وما ضاهاها إلا السكوت وتركها ترد على نفسها بنفسها ، على أن هناك كتابا
غريبين أحرارا أبت لهم همهم العالية ونفوسهم الحسرة إلا الانصاف في
البحث والصدق في القول والصراحة في الرأي ، وفي مقدمة هؤلاء الكتاب
الأمريكي (لوثر وب استودارد) فإنه نهج في بحثه منهجا واضحا ، وسلك في
تفكيره مسلكا أداه إلى الحقيقة في غالب مباحثه ، لا كأولئك الذين أرجعوا
النهضة إلى مبادئ ويلسن أو ضغط أوربا . ولو أنهم نصفوا التاريخ ،
وعدلوا في الحكم ، لعلموا أن النهضة الإسلامية وبالآحرى كل ناحية من
نواحيها أسبابا طبيعية أدت إليها واتصلت بها اتصال الوسيلة بالغاية ،
وارتبطت بها ارتباطا المقدمة بالنتيجة كما هو شأن النهضة العالمية
كلها^(١) .

أحمد عبد الوهاب الوريث

(١) انتهت مقالة السيد العلامة أحمد بن عبد الوهاب الوريث رحمه الله وهي التي
وعدنا القراء في العدد الماضي بنشرها .

في دليل الأصلاح

اللغة وتاريخها (١)

(١٦١) أشرفت، فيما سبق، على أن لغتنا العربية تأثرت بانصلاطا بالآدم المجاورة لها، والبيد عنها، وظهور أثر هذا الاتصال في كثير من المفردات وفي قصائد بعض شعراء الجاهلية، وفي ذلك دلالة كافية على قدم هذه اللغة ومكانتها (١٦٢)، فإن ما دخل عليها من اللغات السامية واليونانية لم يحدث فيها ما أحدثته في لغات القبائل المجاورة لها قبيل الفتح الإسلامي، والآدم البعيدة عنها بعد الفتح لسببين، الأول: قوة اللغة العربية وقدرتها على التعبير عن مختلف العواطف وأرق الإحساسات ومرونتها وغزارة مادتها، وفهمها لكلماتها، ولباقة أهلها في التصرف فيها، وتوسيعهم نطاق نفوذها بالنقل والاشتقاق والمجاز والترادف ونحو ذلك من ضروب البيان وأفانينه، وبه أصبحت صيغة لغات العالم وأوسعها، كما أنها أرق اللغات السامية وأشرفها.

قال أرنست رنان الكاتب الشهير: «من أغرب ما وقع في تاريخ البشر بوصف حل سره انتشار اللغة العربية، فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بأدى» (ذى) بدء، فبدت فجأة على غاية الكمال سلسلة غنية وأى غنى كاملة بحيث أنها من ذلك العهد إلى يومنا هذا لم يدخل عليها أدنى تعديل مهم، وليس لها طفولة ولا شيخوخة، فظهرت لأول أمرها تامة، ولا أدري

(١) المصحة: العدد ٦، السنة الثانية، المجلد الثاني، ربيع الثاني ١٣٥٩ هـ (مايو/يونيو ١٩٤٠ م) ص ١٦١ - ١٦٨.

إذا وقع مثل ذلك للغة من لغات الأرض دون أن تدخل في ألسان
وأدوار مختلفة .

وفي هذا الكلام تجوّز ومجازفة ، فإنه مما لا شك فيه أن هذه اللغة
العالية فرع من اللغة السامية الأولى ، بل يعتبرها بعضهم بذات تلك اللغة
البكر ، وتاريخ وجود الأولى يرجع إلى ما قبل آلاف السنين ، ومنه
العربية أحقاب متطاولة تندرج في معارج السكال ، وتغناوطا السنة الفوايح
من أبنائها بالصقل والتهذيب ، والسبك وحسن الاختيار . قال ابن جني
في الخصائص : (إن واضع اللغة لما أراد صوغها وترتيب أحوالها ، شجى
بفسكرة على جميعها ، ورأى بعين تصوره وجوه جمالها وتفصيلها ، وعلم أنه
لا بد من رفض ما شنع تأليفه نحو : مع ، وقع ، فنفاه عن نفسه) هذا رأى
ابن جني . باعتبار أن الواضع دونها ورتب أبوابها ثم لقنها الأعراب
أو درسها (١٦٣) في ما وضع ، وهو شيء لم ينقل ولا عرف عن
الامة الأمية .

وإنما الذي نقل عنهم أن سكان الحواضر كانوا يرسلون أولادهم إلى
البادية ليحذقوا اللغة ، ويحفظوها عن قوم هم أبعد الناس عن النظام العلمي
والوضع المدرسي ، وأعرفهم في الأمية والبدادة ، يظل أحدهم خلف إبله
وغنمه يتبع بها منابت العشب ومهابط القطر مدة عمره ، لا يجتمع بأمثاله
ومجاوريه غير أسواقهم العامة : كمكاض (عكاظ) ، وذى المجاز ونحوها ،
أو مكة . ومنى أيام الموسم ، فيحفظ ما سمع ويختار الأحسن بدل الحسن .

السبب الثاني : في احتفاظ لغتنا العربية بروبقها وصفاتها : بعدها عن
الحضارة وأممها إلا قليلا ، ومن ذلك القليل تسرب إلى العربية من اللغات
الأخرى ما يقارب ألف كلمة جاء منها في القرآن الكريم نحو مائة كلمة .

وقد سمي ما جاء من هذا القبيل معرباً : أى أعطوه حكم العربى لاستعمال العرب الفصحاء له .

وبما أنها كانت تعيش عيشة بدوية فإن حالتها من مقومات الحياة لم تكن تتمدى مطالبها المحدودة الملائمة لحياة الصحراء ، فوصف الخيل والإبل ، والسيوف والرماح ، وموارد الماء ، ومساقط الأنواء ، وذكر الأسفار ، وركوب الأخطار ، وما يتخيله المصحح إذا أقفر ، والبدوى إذا أدج : من صفات الجن والغيلان والتنطلع إلى الصوى والنيران ، والتغنى بالشجاعة والنجدة ، والمروءة والعزة ، وإكرام الضيف ، وإعمال السيف ، ونحو ذلك مما يلابس حياة البداوة ويتساق مع أغراضها ومقاصدها .

ولذا نرى معظم ما قيل أنه منقول عن اللغات الأخرى إنما هو طائفة من المفردات لها علاقة ما بحياتهم الأولى ، وقليل منها تدل على معارف عمرانية أو دينية أو ما تنتجها الحضارة من رفاغة عيش ، وصفاء فكرة . أما مصطلحات العلوم (١٦٤) والفنون وقوانين التشريع وغير ذلك من لوازم الحضارة ، فلم تكن بحاجة إليها لأنها لا تمت بصلة ، ولذا بقيت من هذه الناحية فقيرة معدمة بينما تجدها من الناحية الأخرى واسعة الغنى ، عظيمة الثروة ، كثيرة المترادفات ، مفرطة في تسمية الشيء الواحد بعدة أسماء أفردت فيما بعد بمؤلفات خاصة كمؤلفات : الأصمعى (١) والقالى (٢) وابن خالويه (٣) والفيروزابادى صاحب القاموس وغيرهم .

(١) وهى كتاب الأنواء وكتاب الميسر والقداح وكتاب خلق الفرس وكتاب الإبل وكتاب الشاء .

(٢) ولأبى على القالى كتاب الإبل وتناجها وما تصرف منها ، وكتاب حلى الإنسان والحيل وشياتها ، وكتاب فعلت وأفعلت وكتاب مقاتل الفرسان .

(٣) لابن خالويه كتاب فى أسماء الأسد وكتاب فى أسماء الحية وصاحب القاموس الروضى السلوف فما له لمسان إلى الألوف .

كما أنها كانت موضع شك وعمل خلاف بين أئمة اللغة وحفاظها ، قال : السيوطي رحمه الله في المزهري : (ومن الناس من أنكره ، أى الترادف)^(١) وزعم أن كل ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات ، إما لأن أحدهما اسم الذات والآخر اسم الصفة أو صفة الصفة) وقال ابن فارس بعد التمثيل بالسيف والمهند والحسام : ، والذي نقوله في هذا أن الإسم الواحد وهو السيف وما بعده من الألقاب صفات ومذهبنا أن كل صفة منها معناها غير معنى الأخرى ، الخ .

وصفوة القول أن إحتمالك العرب بغيرهم من اختلاف اللهجات ووجود بعض الألفاظ المترادفات والكلمات الأعجمية كما بيناه .

ومن العسير بيان تاريخ اتصال العرب بالأمم التي لاقتبس منها بعض الكلمات ، والذي يمكننا تحديده هو الاتصال بالامة اليونانية ، فقد حدث آخر القرن الرابع قبل المسيح عندما استولى الاسكندر المقدوني وخلفاؤه على سورية (١٦٥) وفلسطين ومصر وما بين النهرين ، وهى الأنظار التي كانت تقيم فيها بعض قبائل العرب قبل أن يفتحها الاسكندر ، ومن لغة اليونان نقلت العرب أسطورة اقليدس وترس وديماس ودمقس وزكاة وزنار وغير ذلك ، وكان اتصالهم بالسريان أقدم من هذا التاريخ فان الأمم التي كانت تقطن البلدان المذكورة مع العرب هم السريان ، ومن لغتهم اقتبسوا بعض كلمات من معانى مادية وروحية كمدينة وقرية وبيعة وفرقان وزبرجد واسطوانة وأسقف وناموس واسفنج ونحوه . ويحتمل أن بعض هذه الألفاظ نقلها العرب بواسطة السريان وليست سريانية الأصل ، وإنما نقلها عنهم العرب بعد أن أنتقلوا من الوثنية إلى المسيحية . وهذه الامة هى آرامية الأصل وإنما

(١) ومراد من أنكر الترادف تنزيه اللغة عما لا فائدة فيه من تعدد الأسماء لمسمى واحد واعتبر الزيادة فضولا وعبثاً يجب أن تنزه اللغة عنه .

سميت بالسرانية بعد اعتناقهم المسيحية ، وأصل التسمية يونانية ، وتعتبر الأمة السرانية من أرق الأمم السامية في العلوم والآداب والفلسفة .

ويبتدىء الاحتكاك بالرومان من تاريخ استلاتهم على سورية وفلسة لين سنة ٦٤ ، وقيل سنة ٢٧ ق . م ، فقد كانت الحكومة العربية الغسانية ذات صلات كبرى بالدولة الرومانية ولها بهم علائق دينية وسياسية وعمرانية متينة ، وبواسطة هذه العلائق انتبسوا كثيراً من العادات والتقاليد الرومانية في أعيادهم وأزيائهم وكنائسهم وقصورهم وبذخهم وترفهم ، وعلى طراز قصور الرومان في القسطنطينية كانت قصور الغسانية بالشام ، وكانت هذه القصور مهوى أفئدة شعراء الحجاز ، ومخطو رحال قوافل تجار البلاد العربية ، يؤمونها من جميع أطراف الجزيرة للبدح والوفادة أو الكسب والراحة ، ثم ينصرفون إلى بلادهم وقد حفظوا ما وقعت أعينهم عليه أو سمعوه من الأشياء الغريبة وأسماؤها . وعلى هذا الأسلوب جرت المناذرة ملوك الحيرة وهم عشيرة فارس ، ومن الضروري أن يتأثروا (١٦٦) بمحضارهم الفارسية ، وتقتبس منهم الوفود ما تقتبسه من منافسهم ، وبهذا علل بعضهم انتشار عدة كلمات فارسية ورومانية بين سكان مكة والمدينة وإندماجها في لغتهم حتى جاء الاسلام وورد بعضها في القرآن .

وهناك علة أخرى لوجود بعض ألفاظ كلدية وآشورية وفينيقية وأرامية وكنعانية وعبرانية وحبشية في اللغة العربية وهي الاشتراك في الوطن ، فقد كانت اللغة السامية الأولى في عصور موغلة في القدم لغة واحدة تعيش في منطقة واحدة هي ما يطلق عليه (المهد الأول للساميين) ، ثم انتشرت قبائل هذه الأسرة وتركت مهدها الأصلي إلى جهات شتى تأثرت لغاتها بطوارىء الأيام وأحوال البيئات والحروب والفتوح والاحتلال ، وانفدح بحال هذه المؤثرات حتى تكون لكل أمة لغة مستقلة مع وجود تشابه^(١) وتماثل

(١) راجع قاموس اللغات السامية للمؤرخ الشهير المعاصر الدكتور إسرائيل وانفسون .

تدلان على أنها لهجات تفرقت من دوسة واحدة لا يمكن معرفتها الآن لأنها ذابت وتلاشت منذ فروع كثيرة ، كما وقع لغروها من بعدها ، ما عدا لغة القرآن الخاند ، زاده الله علوا ، وفرع آخر وهو العبرانية كما ستقراء بهذه العجالة .

ومن الأدلة الواضحة على قدم العربية ومشابقتها للغات السامية القديمة مارواه التاريخ عن إبراهيم الخليل عليه السلام لما انتقل من العراق إلى مصر فسوريا فالحجاز ، فإنه تجول في هذه البلدان وتفاها مع قاطناتها ، وكان يدعو إلى دين التوحيد ونيز الوثنية بلغته ، وفي البلاد العربية ترك ولده وزوجته . قال السيد العلامة محمد رشيد رضا رحمه الله (١) : وقد ثبت عند علماء العاديات والآثار القديمة أن عرب الجزيرة قد استعمروا منذ فجر التاريخ بلدان الكلدان ومصر (١٦٧) وغلبت لغتهم فيها ، وصرح بعضهم بأن الملك حمورابي الذي كان معاصرا لإبراهيم عليه الصلاة والسلام عربي ، إلى أن قال : د ومن المعروف في كتب الحديث والتاريخ العربي أن إبراهيم أسكن ابنه اسماعيل مع أمه هاجر المصرية عليهم السلام في الوادي الذي بنيت فيه مكة بعد ذلك ، وأن الله سخر لهما جماعة من جرهم سكنوا معهما هناك ، وأن إبراهيم عليه السلام كان يزورهما وأنه هو وولده اسماعيل بنيا بيت الله المحرم ، ونشرا دين الإسلام في البلاد العربية ، فيظهر من ذلك أن العربية القديمة هي لغة إبراهيم وهاجر ولغة حمورابي وقومه ولغة قدماء المصريين أو اللغة الغالبة في ذينك القطرين ، وأنها على ما كان فيها من الدخيل الكلداني والمصري كانت قريبة جدا من العربية الجرهمية ، ولذلك كان الذين ساكنوا هاجر من جرهم يفهمون منها وتفهم منهم : وقد ثبت في صحيح البخاري أن إبراهيم زار اسماعيل مرة فلم يجده ، وتكلم مع امرأته الجرهمية

(١) تفسير المنارج ٧ سورة الانعام ص ٥٣٥ .

ولم تعجبه ثم زاره مرة أخرى فلم يجدده ، وكانت عنده امرأة أخرى فتكلم معها فأعجبته . وقد ورد أيضا أن لغة اسماعيل كانت أفصح من لغة جرهم فهي أم اللغة المصرية التي فانت بفصاحتها وبلاغتها سائر اللغات أو اللهجات العربية ثم ارتقت في عهد قريش من ذريته بما كانوا يقيمونه لها من أسواق المفاخرة في موسم الحج ، ثم كملت بلاغتها وفصاحتها بنزول القرآن المجيد المعجز للخلق بها ، هـ .

ومن فروع السامية اللغة العبرانية ، وبين العرب واليهود من الاتصال مالا يحتاج إلى إيضاح ، ومن ذلك الاتصال تسرب إلى اللغة العربية بعض كلمات عبرانية ، ويقول الدكتور « ولفنسون » أن العبرانيين اختلطوا اختلاطا كبيرا بالعرب حتى كان لهم تأثير لا يستهان به في تكوين اللغة العربية الشمالية () وقد أبعد النجعة في هذه الدعوى .

(١٦٨) فقد عرفت أن إبراهيم السكلداني عليه السلام كان يتكلم باللغة السكلدانية أخت اللغة العربية وأصل اللغة العبرانية ، فظلت العربية سائرة إلى الأمام تقطع أشواطا بعيدة المدى بينما العبرانية تتدهور في هوة الفناء حتى تلاشت واضمحلت العبرانية الأولى ، وحل محلها لغة أخرى خليطا من الفارسية واليونانية واللغة الآرامية ، وقد تعلبت الآرامية وأصبحت ظاهرة ودونت بها تفاسير كتبهم الدينية ، وكان الأحبار يحاربونها بكل قواهم فلم يفلحوا (١) ومن هنا يتضح عجز العبرانية عن حفظ كيائها فضلا عن أن تكون سنادا للغة هي أرقى منها وأمتن ، ووجود بعض كلمات منها في العربية لا يصح أن يقال أنها أثرت أثرا لا يستهان به في تكوينها .

أحمد بن أحمد المطاع

(١) جاء في التلمود كلمات بليغة في ذلك منها استعملوا العبرانية واليوفانية وأخذوا من الرطانة الآرامية ومنها لا يجادث الإنسان أخاه بلغة آرام ، انتهى نقلا عن تاريخ الدكتور لإسرائيل ولفنسون .

في سبيل الإصلاح

« تابع لما قبله (١) ،

(١٩٣) ومن فروع السامية التي اقتبست منها اللغة المضرية بعض كلمات ، لغة جنوب الجزيرة د اليمن ، فإن اليمن ، وإن كان يصعب على من أراد الكتابة عن ماضيها التوسع في مجال البحث لغموض تاريخها ، قد اشتهرت بكثرة خبراتها (١٩٤) وسمعة ثروتها ، وخصب تربتها ، وعظم تجارتها ، وطيب مناخها ، واعتدال هوائها .

وحقيق برقة كهذه أن تتصل بالأمم الأخرى اتصال وثيق ، وأن تكون لها علاقات ذات شأن بغيرها لتبادل المنافع المادية والأدبية ، وأن تتحج إليها الشعوب من كل فج عميق لاستكمال ما فاتها من أسباب الحياة الرافة ، ولتذم تشاهده من متع الحضارة ومظاهر النعم ، وكل ذلك قد كان .

فإنه مما لا مرية فيه أن هذه البلاد ذات المجد العريق والمدنية الرائعة والسمعة الطيبة والعصبة الذائع والشهرة العالية ، كانت من أهم مراكز الحضارة البشرية عند الأمم القديمة ، وتاريخ حضارتها موغل في القدم يتصل بدورة الأفلak ، ولذا جزم أكبر المحققين بأنها « المهد الأول للساميين » .

وليس من غرضنا الإحاطة بما كان لها من المجد في مطاوى التاريخ

(١) الحكمة : العدد ٧ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، جادى الأول ١٣٥٩هـ (يونيه/

يوليه ١٩٤٠م) ص ١٩٣ - ١٩٨ .

ومجاهل العصور وانما أوردت ما تقدم كبرهان على ما ألمعت إليه أول هذا البحث من، أن لغة الشمال اقتبست من لغة الجنوب لأنها عريقة في القدم، ولأن الجنوب كانت متحضرة رافية، والآخرى موغلة في البداوة، إلى آخر ما هنالك من الفوارق والمميزات الحافزة لعرب الشمال على الاتصال بإخوانهم والاستماع من مناهلهم.

ولطالما كان هذا البحث مشيراً لأفكار الكتاب ومحركاً لنشأهم، لتوسيع دائرة البحث العلمي بالدرس والتفتيح عن آثار ذلك العهد العظيم، واستنطاق نقرش الأعمدة والمدن والقصور والهياكل وكل أثر أثروه في ربوع الجزيرة، وبهذه الوساطة توصلوا إلى معرفة الفرق بين لهجات العرب في شمال الجزيرة وجنوبها.

وإن كان من الصعب بل من المتعذر الآن بيان الحدود العاصلة بين الشمال والجنوب في العصر الذي كانت فيه لغة الشمال غير لغة الجنوب وتحديد امتداد (١٩٥) نفوذ كل منهما، ولكنه لا يشك أحد قط في بميزات جنوب الجزيرة باعتبار موقعها الطبيعي وثروتها الأصلية وعمرانها البديع وجمالها الساحر، إلى غير ذلك، من الصفات التي أورثت سكانها ملكة الابتكار وعبقرية الإبداع.

ولكثرة منتجاتهم وغنى إقليمتهم كانت اليمن سوقاً للبلدان والأهصار التي تجاورها، وكانت قوافل التجار تفد إليها من مصر والشام والحجاز للتبادل التجاري والإنتاج المحلي ونخص بالكلام الحجاز فإن أصحاب الإنلاف الأربعة ويسمون بالمتجزين: أحدهم عبد المطلب كان يواف إلى اليمن، ومن قبله المطلب مات باليمن في إحدى رحلاته إليها.

وكانت قوافل اليمن التجارية أيضاً تمر في ذهابها وإيابها بمراكز البلاد الشمالية وتشهد أسواق الحجاز ولم تكن الصلات بين البلدين اقتصادية فحسب،

بل هناك صلات كثيرة كانت من أهم عوامل الاختلاط والامتزاج، منها نزوح بعض قبائل يمنية من مهدها الأصلي ووطنها الأول إلى الشمال، كخزاعة وجرحم إلى مكة، والأوس والخزرج إلى يثرب، وجهينة إلى أطراف الحجاز، وطى إلى نجد، كما أن قبائل معينية انتقلت من منطقة معين المعروفة الآن بالجوف إلى شمال الحجاز وهضبات طور سيناء، وعندهم أخذ سكان تلك البلاد القلم اليمنى وعبادة الأوثان اليمنية.

ومن الضروري أن تؤثر عوامل الهجرة والجوار والغزو وانتجارة في لغة الأمتين معاً رغم أن على ما في لغتيهما من الاختلاف والتباين، قال السيوطي في الزهر: (خرج رجل من بني كلاب أو من سائر بني عامر بن صعصعة إلى ذي جدن فاطلع إلى سطح والملك عليه فلما رآه الملك اختبره فقال له (ب) أى أفعد، فقال: ليعلم الملك لى سامع مطيع ثم وثب من السطح فقال الملك: ما شأنه فقالوا له: أبيت اللعن إن (١٩٦) الوثب في كلام نزار الطمر، فقال الملك: ليست عربيتنا كعربيتهم من ظفر حمر (أى من أراد أن يقيم بظفار فليتكلم بالحميرية).

وقد ظهر من الكتابات المطلوبة على الأحجار بالقلم المستند الحميرى أن لغة حمير كانت لغة مستقلة قريبة من اللغة الحبشية، الجعزية، والعربية الشمالية، وبها كلمات كثيرة لا توجد في العربية الشمالية ولا في غيرها من اللغات السامية، ولذلك تعذر على علماء الآثار ترجمة عدة نقوش ترجمة واضحة فكتفوا باستخلاص معناها بالتقريب.

وتختلف عن العربية الشمالية والحبشية بنهاية الماضى بنون وبصيغة المصدر، وخاصيات أخرى صرفية ونحوية، وعدة خاصياتها تشترك فيها فقط مع العبرانية والآشورية وتشبه في أخرى اللغة الآرامية^(١).

(١) راجع تازيخ اللغات السامية ٢٥ «العالم الإسلامى».

ولاشك أن لغة حمير كانت تعتبر لهجة عربية وإن اختلفت عن لغة سائر القبائل في اصطلاحاتها ومفرداتها وأكثر ألفاظها ، ولا سيما كتاباتهم فإن خطهم المعروف بالمسند حروفه هي الحروف العربية ، ومن المؤسف أنه لم يصل إلينا من لغة حمير وآدابها إلا ما أسارته الأيام وهو قليل جداً .

على أنه قد نشأ في جنوب الجزيرة قبل الأسرة الحميرية المذكورة الأسرة الميمنية والسبئية والقتبانة وغيرها . وقد انتشرت بعض هذه القبائل في أنحاء الجزيرة العربية وامتزجت بعناصر مختلفة ، فهل كانت تتكلم باللهجة الحميرية أم كانت لها لغات أخرى ؟ وهنا ننقل لقرائنا ما عثرنا عليه من النصوص التاريخية كجواب عن هذا السؤال .

قال في تاريخ اللغات السامية نقلاً عن المؤرخ « استرابون » اليوناني : وفي الجنوب تبتدى بلاد العرب السعيدة إلى أن قال : ويقطن في تلك البلاد شعوب (١٩٧) أربعة أهل معين على شاطئ البحر وتعرف عاصمتهم باسم « قرنا » أو « قرنانا » ، ثم أهل سبأ وعاصمتهم « مأرب » ، ثم أهل قتبان ومنطقتهم تمتد إلى الخليج وفيها مدينة ملوكهم المسماة « تمنا » .

ثم أهل حضرموت وعاصمتها « سبتا » وأهل هذه المنطقة ذوو غنى واسع وجاه عظيم وأبنيتها نخمة خصوصاً الهياكل والقصور وعماراتهم تشبه عمارة المصريين .

(٤) نقوش وكتابات :

تعتبر النقوش والكتابات التي كشفها سائحو الإفرنج من الذين جابوا بلاد اليمن أهم كثيراً من المراجع التي ذكرناها ، فإن هذه المراجع التي سردناها قد اقتصرنا على إبراد بعض المعلومات عن الحوادث التاريخية

والأحوال الاقتصادية ، وأما المسادة اللغوية التي نقصد إليها في بحثنا هذا فقد سكنت عنها هذه المراجع سكوتاً تاماً .

وجاء في ما نشره المستشرق « اغناطيوس جويدي » في كتابه المسمى : « بالمختصر في علم اللغة العربية الجنوبية القديمة » ، ما يأتي : « اعلم أن معرفتنا للسان الذي كان أهل جزيرة العرب الجنوبية يتكلمون به قبل الإسلام إنما هي من النقوش ، وكان هذا اللسان يشمل لهجات شتى : أى المعينية والسبئية والقتبانبة والارسانية والحضرية وغيرها : ونحن نعرف أن تلك اللهجات قريبة من اللهجات الحبشية السامية ونعلم أيضاً أن هنالك فرقاً بين العربية الجنوبية والعربية الشمالية .

أما الشمالية فأشهرها اللغة العربية الفصحى التي هي لغة القرآن الشريف ولغة التأليف ، ونعلم غير ذلك أن اللغة المتكلم بها بين الأمم العربية والمنعربة (١٩٨) لهجات كثيرة في عصورها القديمة والمتوسطة والحديثة كما حدثنا بذلك النحويون وعلماء اللغة ، فقد رووا لنا كلمات وصيغاً مختلفة كانت مستعملة في اللهجات القديمة .

ويستدل من كتابات النقوش السبئية والمعينية على أن بينهما مشابهة تامة بخلاف القلم المسند الحيرى فإنه يمتاز عليهما بدقة الرسم وسلامة الذوق والميل إلى تصوير مناحى حياة الحيريين العقلية في بناء القصور والمعابد والأسوار والهياكل والسدود : أى أن الحروف كلها عبارة عن خطوط تستند إلى أعمدة ولهذا سماه علماء المسلمين القلم المسند^(١) .

ولغة المعينين كثيرة الشبه باللغة السبئية وحروفها واحدة تقريباً لكنها تختلف عنها اختلافاً واضحاً في ضمير المذكر الغائب فإنه في المعينية « السين » بدل « الهاء » ، في السبئية وسائر اللغات السامية إلا البالية والحبشية^(٢) .

(٢) كتاب العالم الإسلامى .

(١) راجع تاريخ اللغات السامية .

هذا ما عثرنا عليه من النصوص التاريخية في الفرق بين اللهجات اليمنية في عصورها الأولى، وذلك بما نقله المستشرقون واستفادوه من مخلفات تلك الأمم المبعثرة في بطون الأودية وقنن الجبال وتحت أطباق الرغام، وفيما عثروا عليه طرفاً من الخبر لانبأ عن الحقيقة، فالحقيقة المفصحة عن تفاصيل مجد هذه الأمة الباهر لا تزال في مرحلتها الأولى.

أحمد بن أحمد المطاع

(للبحث صلة)

في سبيل الاصلاح^(١)

واللغة وتاريخها - تابع لما قبله ، (٢)

(٢٢٥) ولم تزل اللهجة الحميرية هي السائدة في الجنوب إلى أن طفت أمواج الاستعمار الحبشي والفارسي، وعند ذلك فقدت عزتها وساطاتها وتلاشت مقومات حياتها المادية والأدبية، وتزعزت أركان ديمومتها، وضعفت عوامل تأثيرها في لغة الشمال، وأصبحت قابلة للتأثر والانفعال تسير بخطوات سريعة إلى النهاية.

على أن قضية الاستعمار إنما كانت (٢٢٦) في آخر مراحل حياتها، ومن

(١) تحت هذا العنوان قمنا بادىء ذي بدء كلمة تتعلق باللغة وبيان الأسباب التي أدخلت عليها العجمة والسكنة فشوهت جمالها. وكان الأمل لإيقاف اليراع بمحدود الإيجاز ولكنه طال بنا القول فبعدت المسافة بين العنوان وما تحته ولم يرقى حذف العنوان لغاية قد أعود إليها بالتوضيح فيما بعد.

(٢) المحكة : العدد ٨ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، جادى الآخرة ١٣٥٩ (يوليه / أغسطس ١٩٤٠ م) ص ٢٢٥ - ٢٣١ .

البعيد أن نقول بأن الاستعمار هو الذى قضى على لغتها ، فإنه مهما كان شديداً لا يستطيع محو لغة الأمة والسيطرة على عواطفها وأفكارها .

لا جرم ، إن الاستعمار من الأدواء القاتلة الفتاكة ، وأنه يقتل النفوس ويمسح الأخلاق والنظم والمبادئ ، داء خبيث لا دواء له غير التخلص من نيره والفرار بأقدام « السليك » من أسبابه وعلامته ، وأنه لا يعز ساطان اللغة والآداب ولا يشرف منارها ويطر درقيها إلا فى ذرى المجد والامستقلال وبحبوحة الخصب والقرار ، وكلما ضعف سلطان الأمة المادى تقلص نفوذها الأدبى ، وتدهورت لغتها ، قضية مسلمة لا يشك فيها أحد .

غير أنا إذ ارجعنا إلى مخازن ذلك العصر وجدنا لغة البلاد هى السائدة رغما عن قسوة الاستعمار وظفاعة إياها ، جاء فيما عثر عليه المستشرق « فلانز » من النقوش المتعلقة بسيل الهرم كتسابة لأبرهة الحبشى كتبها فيما أصلحه بسد مأرب وأقصا : (بقوة الرحمن « رحمانان » ولطفه ورحمته ، وبمسيحه روح القدس ، نقشت هذه الكتابة على الحجر بأمر أبرهة الوالى من قبل الملك اليكسوس « رامفيس ذى يامان » ملك سبأ وذى ريدان وحضر موت ويمنات وعربهم فى الوعر والسهل .

كما أن بعض مؤرخى اليمن أورد نص معاهدة دفاعية عقدت بين حكومة الفرس الموجودة إذ ذاك باليمن وبين بعض قبائل اليمن التى لم تخضع للمستعمر ، ومحتويات هذه المعاهدة مكتوبة باللغة العربية أيضا ، وسنأتى عليه فى غير هذا الموضع إن شاء الله . والشواهد على ذلك كثيرة ، وهى مع كثرتها تدل دلالة غفلة ، على أن اللهجة السائدة فى ذلك الدور إنما هى اللهجة الشمالية ومنها تعرف أن الجناية لم تكن جناية الاستعمار لحسب وأن هنالك أسباب (٢٢٧) متنوعة سنشير إليها بإيجاز .

فقد كانت الأيام قبل أن تفغر فاغرة الاستعمار قد أوهنت اليمانيين بقوارعها وحدثت حوادث ذات — شأن منها سياسية ، ومنها اقتصادية ، ومنها دينية واجتماعية ، أدت إلى انحلال الصبغة الأصلية وأوسعت المجال للغة المضرية ، بما فيها من قوة وفتوة .

وليس معنى هذا أن عرب اليمن أخذوا لغة عرب الشمال وتركوا لغتهم أو تناسوها ، وقد عرفت بما أسلفناه أن لغة اليمن الأولى هي لغة عربية وإن اختلفت عن لغة سائر القبائل العربية بما سبقت الإشارة إليه على صفحات هذه المجلة لأنهم أصل العروبة ومنبتها ، ولذا يقال لهم « العرب العرباء » وغيرهم العرب المستعربة .

ويقال أن يعرب جد هذه القبيلة الأكبر أول من نطق بالعربية ، وإلى عراقتهم في العروبة يشير ابن دميادته ، بقوله :

أئن كان في قيس وخندف ألسن طوال وشعر سائر ليس يقدر
لقد خرق الحى اليمانيون قبايعهم بحور كلام تستقى وهى تطفح
وهم علموا من بعدهم فتعلموا وهم أعربوا هذا الكلام وأوضحوا
فلا سابقين الفضل لا يحدونه وليس لمخلوق عليهم تب — جمح

وغاية ما هنالك أنهم مزجوا لغتهم بلغة هي أرق منها وأمتن ، فتذوقوا العذوبة في أبلغ الألفاظ والجزالة في أدق الأساليب ، ولما بين اللغتين من تقارب وتماثل مرعان ما اندمجت (١) إحداهما في الأخرى ، وأصبحت اللغة المضربة صاحبة الحول والطول في جميع أنحاء الجزيرة العربية .

(١) وقد ترك ذلك الاندماج أثره في اللغة الغالبة وبقيت عدة كلمات تحمل طابعها الأصلي .

كانت عرب الشمال قد أنشأت منتديات أدبية عامة بسائق الفطرة وطبيعة عيش البداوة وكان أهم هذه (٢٢٨) المنتديات أسواقهم العامة ، وأجلها سوق عكاظ ، وفيه كانت تتبادل الأفكار الأدبية واللغوية. وكانت لهجات عرب الجزيرة تعرض في منتجات قرائح الشعراء وكلمات الخطباء. ومن جملة المنتظمين في عداد هذا المجتمع اللغوي العظيم شعراء وخطباء جنوب الجزيرة ، فقد اشأ منها خطباء وشعراء تزدان بفصاحتهم النوادي ، ويفاخرون ببلادتهم وخطبتهم وأمثالهم وجوامع كلهم في الحواضر والبوادي .

لقد كانت شعراء اليمن ترد ذى الحجاز ومجنة وعكاظ ، تماكظ وتفانحرون وتنشأ الأشعار لا فرق بينها وبين عرب نجد والحجاز .

ولما أشرقت شمس الرسالة المحمدية وقام سيد العالم أفصح من نطق بالاضاد صلى الله عليه وسلم ، يتلو القرآن الذى بهر العقول بإعجازه وفصاحة كلمه ، وروعته وبلاغة أسلوبه ، لم يصعب على اليمنيين فهم أسرار وعرفان مقاصده ومعانيه ، بعث سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم والعرب فوضى لا جامعة تؤلف بينهم ، ولا قانون يلم شتاتهم ، ولا راية ترفرف على رؤسهم ولا رابطة تربطهم ، سوى وحدة اللغة والاشترك فى الشعور والأدب ، ولم تكن تلك الوحدة تسير على نمط موصل إلى الاتحاد الكامل حتى جاء الاسلام دين التوحيد :

| | |
|-----------------------------|-------------------------------|
| وقام خير قریش وابن سادتها | يدهو إلى الله فى عزه وفى دأب |
| نطق هاشمى الوشى لو نسجت | منه الأصائل لم تنفصل ولم تغب |
| طابت به أنفس الأيام وابتهجت | ومر دهر ودهر وهى لم تغاب |
| وهزت الراسيات الشم وارتعدت | لهولة الباترات البيض فى القرب |
| وأصبحت بات عدنان بنفحة | تيها تجرر من أذيب لها القشب |
| فازت بركن شديد غير منصدع | من البيان وحبل غير مضطرب |

وذلك أن اختلاط العرب بسائر (٢٢٩) الأمم وإندماج لهجات متعددة في لغة الشمال أحدثت اختلافاً عظيماً في لهجات العرب بحيث أصبحت كل قبيلة ولها لهجة تختلف لهجة القبيلة الأخرى، فكانت لربيعة لهجة، ولتميم وقيس لهجة ولكنانة وهذيل ونقيف وخزاعة، ولقيف من عرب اخجاز - ونهامة لهجة واقعة لهجة، ولليمن أيضاً عدة لهجات، ولكنه كتب الفورو للغة قریش وبها نزل القرآن فذابت تلك اللهجات وإندمجت في لغة القرآن ولم يبق منها إلا كلمة كسيلة الأداة حفظته بعض القصائد الجاهلية أو الأمثال السائرة وبطون المعاجم اللغوية وكل ذلك غيض من فيض .

وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم كما في حديث د ليس من أبرامصيام في أمسفر، وغيره، وصح أيضاً عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنزل القرآن على سبعة أحرف » ، وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيد به ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف » .

وقد اختلفت آراء العلماء في تفسير السبعة الأحرف فذهب بعضهم فيها أنها سبع لغات كل حرف منها لقبيلة ، ورويت عنهم نصوص في تعيين هذه القبائل ، فقال بعضهم خمس في هوازن ، وإثنتان لسائر العرب ، وقال آخرون لغة لقریش ، ولغة لليمن ، ولغة للجرم ولغة لهوازن ، ولغة لقضاعة ولغة لتميم ، ولغة لعلية .

وقال ابن عباس لغة الكعبيين وهما كعب بن عمر وكعب بن لؤى ولبطونهما سبع لغات ، وهناك قول آخر وهو أن المراد بالسبعة الأحرف هي الحمزة والامالة والمد والقصر والتفخيم والكسر ونحو ذلك من اللهجات المختلفة ، والقول الأخير هو الأقرب وعليه القراءات المشهورة ، ولها أمثلة

كثيرة وكما ترجع (٢٣٠) إلى كيفية نطق قبائل العرب بها ، فقد كانت تختلف أساليبهم في النطق لبعض الكلمات كائبات همز وتسميله ، وبها قرأ نافع بن أبي نعيم في كلمة النبي في حال الإفراد والتثنية والجمع كلها بائبات الهمزة ، والنهيل في أنذرهم بمد الأول وإبدال الثانية هاء ، رواية قالون ، أو إشباع حركا أو ضده نحو دفن أوفى بما عاهد عليه الله ، والأماله وبها قرأ حمزة بن حبيب وهي قراءة أهل الكوفة في كل مقصور نحو هدى وفى ، وشاء وجاء ونحو ذلك من الشواهد التي تقصر هذه المعجالة عن إستكمالها . ومن إختلاف اللغات إبدال حرف بمقاربة كهراط وذرراط وسراط وجذف وجدث وثوم وفوم ، وقلة الجبل وقننه ، وساط وشاط (١) وإختلاف في النطق بالحرف كذيب وذنب ، ويبس وبس وأذكر وأذكر (٢) ، والمعاقبة (٣) بين الواو والياء والمياثر والمواثر ، والموائق والمياثق ، ونحيزت وتحوزت ، وتوهت والرجل تيهته ، ومامت الركبة تموه وتميه وتماه ، وطال طولك وطال طيلك ، وضاره يضيره .

وقد يحولون الواو ياء ويقولون سريع الآية والأوبة ولاته يلبته وتبوغ الدم وتبيغ (٤) ، وقد تصيح البقل — إذا هاج وتصوح ، وفاحت ريحه تفيح فوحاً وفوحاً ، وقالوا : قليتة أقلية وقليتة أفلاء في المضارع وسلوته أسلوه وسليته أملاه (٥) .

وكانت (٦) بعض العرب تبدل السين تاء في النطق ويقولون في الناس الناء والآكياس الآكيات قال راجزهم :

(١) بمعنى خلط قال كعب بن زهير (لكتها خلة قد سيعط من دمها) .

(٢) قرئ بهما قوله تعالى : (فهل من مدكر) .

(٣) لغة حجازية .

(٤) تبوغ الدم بصاحبه غلبه وفي الحديث (إذا تبغى الدم بصاحبه فليججم) .

(٥) لغة ملية .

(٦) لغة بني سعد بن زيد مناة .

- ٢٩٢ -

يا قبح الله بنى السمعات عمرو بن ربوع شرار الناس
غير أصفاء ولا أكيات

وبعضهم يدلون الحاء هاء قال (٢٣١) رؤية بن الحجاج : (لله در
الغانيات المده) يعنى المدح ، وقال (براق أصلاد الجبين الأجله) أراد
الأجلح وازدشنوه يقبلون القاف جيماً .

ومن هذا قول العرب جئل بمعنى جزل قال العجاج :
« قرون جئل واراد جزل »

هذه بعض شواهد على اختلاف اللهجات وهى بلا شك تمت بأصل
وثيق إلى مادتها الأولى وأصلها القديم .

أحمد بن أحمد الطاع

(البحث صلة)

فى سبيل الإصلاح

، اللغة وتاريخها - تابع لما قبله ،^(١)

- ١٤ -

(٢٥٧) على أننا لو أردنا استكمال كل ما جاء فى هذا الباب لخرجنا عن
القصد ولكن حسبنا ما أسلفناه (ويكنى من القلادة ما أحاط بالعنق) .
والغاية التى نرمى إليها من وراء هذه الأبحاث هى بيان ما لشئون الحياة
الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وما للرقى والإنحطاط وما للأزمة
والامكنة والبيئات أيضاً من أثر فى تكوين اللهجات واختلاف الألسن .

(١) الحكمة : العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ؛ رجب ١٣٥٩ هـ (أغسطس /

سبتمبر ١٩٤٠ م) ص ٢٥٧ - ٢٦٤ .

(٢٥٨) وبيان الأدوار التي قطعتها وتدرجت فيها لغتنا الثريفة وما بها من عناصر القوة التي استطاعت بفضلها أن تبنى حضارة ظاهرة وأن تخضع البلاد العربية لسلطانها الأدبي آماداً طويلة : وكيف كانت حالتها أيام الجاهلية وما الذي أدخل العرب الفسحاء فيها من الكلمات الأعجمية ، وكيف أصبحت تلك الكلمات بحسن صيغتهم وضياء الجبين مشرفة القسبات تتبايل مرحا ، وتميس حبوراً بما أتبع لها من حياة ناضرة ونمو مزدهر في منابت الشيخ والقيصوم ومقاول اللهايم من أبناء يعرب وعدنان .

ثم ماذا أكسب هذه اللغة الإسلام وكيف استطاعت أن تتحول من مركزها الضيق ومهداها الأول (شمال الجزيرة) فتعم الجزيرة العربية جمعاء ، وتجعل من أبنائها كتلة واحدة تحس بشعور مشترك وعاطفة واحدة لا أثر للتباعد والفوارق فيما بينها . ثم كيف توسعت حدودها الجغرافية إلى أفق متباعد الأرجاء مترام الأطراف ، يحده من خليج فارس شرقاً إلى القاموس المحيط (الأتلاتيكي) غرباً ، ومن جبال طورس والأناضول وشواطئ البحر الأبيض شمالاً إلى المحيط الهندي وصحاري أواسط أفريقيا جنوباً ، وأن تصبح لغة الملايين من الترك والبربر والقبط والروم والفرس وغيرهم من الأمم المختلفة .

وكيف استطاعت أن ترافق الفتح الإسلامي وتماشيه في تقدمه وتسايره في قوثة حتى وصلت بسيره إلى قلب أوروبا غرباً بعد أن قاربت سد الصين شرقاً ، وتقيء بجميع مطالب الإنسانية المادية والروحية وما الذي أهلها لزعامة العالم في جميع مناحي الحياة العقلية والعلمية .

وقد أوضحنا فيما مر العوامل التي كان لها أثرها في اللغة على اختلافها قبل الإسلام ، وسنشير الآن إلى عوامل رقيها وسموها بعد الإسلام ، فانه

لولا القرآن (٢٥٩) الكريم والنهضة العظيمة التي جاء بها الإسلام لذهبت معالم هذه اللغة من الوجود :

نزل القرآن بالضاد فلو لم يكن فيها سواه لكفاهها
حسبها أن صورت من آيه معجزات عظمت أن تنهاى

نزل القرآن بلغة الضاد ، قرآناً عربياً غير ذى عوج ، نزل به الروح الأمين على قلب خاتم النبيين من رب العالمين ليكون للعالمين نذيراً بلسان عربى مبين ، فصدع صلى الله عليه وسلم بأمر ربه وشرع بأمر القرى ومروحوها من عرب الجزيرة ، ثم نفى بالشهوب الأعجمية إفك كتب عليه الصلاة والسلام لكسرى وقبهر المقوقس يدعوم إلى الإسلام ، كتب إليه بلغته العربية لغة القرآن الذى قضى الله أن يوحد بها السنة جميع الأمم لتحقق بينهم الوحدة المشار إليها بقوله تعالى : « وان أمتكم أمة واحدة » الآية .

وليتم الأخاء بين أتباع النبي العربى كما أوجبه الله بقوله : (إنما المؤمنون اخوة) والاعتصام الواجب بحبل الله المتين وكل هذه الأسس المتينة والمبادئ العالية الكريمة لا تتم إلا بمعرفة القرآن ينبوع الهداية والمعارف الإلهية ، ومعرفة الكتاب العظيم متوقفة على معرفة اللغة العربية ، ولذا كان نزاهاً على كل من أظلمته الرؤية الإسلامية ودان بالدين الحنيف أن يفهم لغته ، التى هى لغة الكتاب الإلهى الذى أوحاه الله تعالى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وأمر جميع من أتبعه ودان بدينه أن يعبدوه وأن يتلو القرآن فى الصلاة وفى غير الصلاة مع التدبر والتأمل فى معانيه^(١) ، وهذا ما كان فى صدر الإسلام وما بعده ، فان الأمم التى كانت تعتنق الدين الإسلامى من الأماجم كانت ترى من الضرورة أن تعلم اللغة العربية لإقامة شعائر الإسلام

(١) راجع تفسير النار الجزء السابع سورة الأعراف .

وأهمها الصلاة ، إلى أن ضعف سلطان العرب ونمزقت جامعتهم وأصبحوا كالحليط المنبوذ تفتاتهم سباع الأطناع ، وتداعى عليهم أكلة الأمم كما تداعى الأكلة (٢٦٠) إلى قصعتها ، فوقفَت الدعوة إلى الإسلام وضمف العلم بالعربية .

ويفضل الدين الإسلامى والدعوة المحمدية عظم حظ اللغة العربية وزكى نبتها واستوسق أمرها ، حتى ملأت الأرض علماً وأدباً وديناً وسياسة وفلسفة وعمراناً ، وصار من شعائر الإسلام درسها والعلم بآدابها والمحافظة عليها ، قال الشعالبي رحمه الله في أول كتابه فقه اللغة : (أما بعد فإن من أحب الله أحب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ، ومن أحب النبي العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي أنزل أفضل الكتب على أفضل المعجم والعرب ، ومن أحب العربية عنى بها وثابر عليها وصرف مmente إليها) .

وقال أيضاً (والعربية خير اللغات والألسنة والإقبال على تفهيمها من الديانة ، إذ هى أداة العلم ومفتاح الفقه فى الدين) .

ولم يقتصر تأثير القرآن الكريم فى توسيع نطاق اللغة العربية بشعرها بين الأمم المختلفة التي دانت بالإسلام فحسب ، ولكنه زاد فى ثروة اللغة بما أدخل فيها من معان جديدة برزت فى قالب حكيم من اللفظ والتركيب ، ومدلولات دينية لا عهد للعرب بها ، وألفاظ لغوية ضربوا للاستفسار عنها أكباد الإبل وآباط المظلى ، ودعتهم إلى حفظ أشعار العرب وخطبها وأمثالها ، والإكثار من رواية اللغة كما سنوضحه أن شاء الله .

ولسنا نعنى بهذا أن القرآن جاء بلغة لا تعرفها العرب ، ولا أتى بالشاذ من كلامها والغريب من ألفاظها ، كلا بل هو كما وصفه البارى بقوله : « قرأ عربياً غير ذى عوج ، ما حذى على مثال ، ولا أشبه غريب الأمثال .

ولا شاكل خطابة العرب، ولا سجع المكننة ذوى الارب ، لاعصل في نظمه،
ولا وعث في أسلوبه ، ولا انطفاء لمصباحه ، ولا مرارة لحلاوته ، لا غرابة
فيه ولا تعقيد منسجم (٢٦١) العبارة ، حلو اللفظ ، بليغ الحكم ، مترع
بالزخارف البيانية ، والمجاز ، والتشبيه ، والاستعارة ، والسكناية والمجانسة
والطباق وغير ذلك في غير تكلف ولا اختلال ، وبتنوع الأساليب ، يلتزم
السجع في مواطن التبشير والانذار ، والوعظ والإرشاد ، وتارة الازدواج ،
وآونة يحمل الكلام المرسل عاهما بأسلوب يهر العقول ويغلب الآلباب ،
ولذلك كان عظيم التأثير على عقول العرب شديد الاستيلاء على مداركهم
وأفكارهم .

وكذلك السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ، فإن بها مادة
غزيرة من المفردات اللغوية والتراكيب الفنية العالية الحاوية لشوارد المعاني
وجوامع الحكم . فقد كان صلى الله عليه وسلم يعرف السنة العرب ويعلم لغة
من بعد عنهم واقرب ، فصيح العبارة ، حلو المنطق ، في كلامه ترتيل
لا فضول فيه ولا نقصير ، يفهمه كل من سمعه كأنما هو درر نظمت ، يتكلم
بجوامع الحكم كقوله صلى الله عليه وسلم : (الظلم ظلمات يوم القيامة) ،
وقوله : (اليد العليا خير من اليد السفلى) وقوله : (الطاعة في المعروف)
وقوله : (ان الله يحب الرفق في الأمر كله) وقوله : (الراحون يرحمهم
الرحمن) ، إلى نحو ذلك من الأحاديث القصار المشتملة على محاسن البيان ،
كقوله : (ان من البيان لسحرا) ، (ان الله لا يمل حتى تملوا) ، (كل معروف
صدقه) ، (الحرب خدعة) ، (حتى الوطيس) ، (مات حتف أنفه) إلى آخر
ما جاء في آلباب الدال على أنه صلى الله عليه وسلم كان أفصح من نطق بالضاد .
وفي كتب السنة النبوية كنوز من المفردات اللغوية لم تعرف إلا منها . وقد
نبه شراح الكتب الحديث على ما ورد من هذا القبيل وأفردت بالتأليف
د كنهاية ابن الأثير في غريب الحديث ، وغيره .

قلد الفصحى حبل قدسية فزهاها من حلاها مازهاها
(٢٦٢) وبیاناً هاشمياً لو رمى قال الأجبال لأهدت قواها
أسهم من كلم مسنونة جامهدت في الله والله براها
كلما صاح بها في طيبة مستثيراً رددتها لأبتاها

ولإيقاف القراء على مقدار الأثر الذي تركه القرآن الكريم والسنة
الغراء في أذهان العرب وقرائحهم ، سنعرض عليهم بعض خطب رجال القرن
الأول ، وفي مقدماتهم إمام البلغاء ، وسيد الفصحاء ، مولانا أمير المؤمنين
على ابن أبي طالب كرم الله وجهه ، قال عليه السلام : «الولد لله الذئب ، استخلص
الحمد لنفسه ، واسترجبه على جميع خلقه ، والذي ناصيه من سيئ ،
ومصير كل شيء إليه ، القوى في سلطانه ، اللطيف في جبروته ، لا مانع لما
أعطى ، ولا معطى لما منع ، خالق الخلائق بقدرته ، ومسخرهم بمشيئته ، وفي
العهد صادق الوعد ، شديد العقاب ، جزيل الثواب ، أحمد وأستعينه على
ما أنعم به بما لا يعرف كنهه غيره ، ويتوكل عليه توكل المستسلم لقدرته ،
المتبرئ من الحول والقوة إليه ، وأشهد شهادة لا يشوبها شك إنه لا إله
إلا هو وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ،
ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الدن ، وكبره تكبيراً وهو
على كل شيء قدير ، ومنها :

«وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم صفوته من خلقه ، وأمينه على وحيه ،
أرسله بالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً ، وإلى الحق داعياً ، على حين فترة
من الرسل ، وضلالة من الناس ، واختلاف من الأمور ، وتنازع من الألسن ،
حتى تم به الوحي وأنذر به أهل الأرض ، أو صيكم عباد الله بتقوى الله فانها
العصمة من كل ضلال ، والسبيل إلى كل نجاة ، فكأنكم بالجثث زابلتها
أرواحها ، وتضمنتها اجداثها ، فلان يستقبل معمر منكم يوماً من عمره إلا
بانتقاص أجله ، (٢٦٣) وإنما دنياكم كنفء الظل أو زاد الراكب ، إلخ .»

ومن خطبته عليه السلام : « أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وأن الآخرة قد أقبلت وأشرفت باطلاع ، وأن المضمار اليوم والسباق غدا ، ألا وإنكم في أيام أمل ، من ورائه أجل ، فمن أخلص في أيام أمله ، قبل حضور أجله ، نفعه عمله ولم يضره أمله ، ومن قصر في أيام أمله ، قبل حضور أجله ، فقد خسر عمله ، وضره أمله ، ألا فاعملوا لله في الرغبة ، كما تعملون له في الرهبة ، ألا وإنى لم أر كالجنة نام طالبا ، ولم أر كالنار نام هاربا ، ألا وإنكم قد أمرتم بالظمن ، ودلتم على الزاد ، وأن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل . »

ومن خطبة له يوبخ بها أصحابه لتواكلهم عن نصرته :

« أيها الناس المجتمعة أبدانهم ، المختلفة أهواؤهم ، كلامكم يوهن الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم عدوكم ، تقولون في المجالس كيت وكيت فإذا جاء القتال قلتم حيدى حيايد^(١) ، ما عزت دعوة من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، أعاليل بأباطيل ، دفاع ذى الدين المطول ، هيات لا يمنع الضيم الدليل ، ولا يدرك الحق إلا بالجد ، أى دار بعد داركم تمنعون ، أما مع أى إمام بعدى تقاثلون ، المغرور والله من غرتموه ، ومن فاز بكم فاز بالمهم الأخيب ، أصبحت والله لأصدق قولكم ، ولا أطمع في نصرتكم ، فرق الله بينى وبينكم ، وأعقبى بكم من هو خير لى منكم ، وددت والله أن لى بكل عشرة منكم رجلا من بنى فراس بن غنم ، صرف الدينار بالدرهم . »

هذه من بعض خطب الإمام على بن أبى طالب عليه السلام ، وفيها من قوة (٢٦٤) التعبير ، ومتانة التركيب ، وجزالة اللفظ ، وجودة القول ، وسمو البيان ، ما يشهد بصحة ما ذهبنا إليه آنفاً من تأثر البيان العربى ببلاغة القرآن

(١) كلمة يقولها الهارب كأنه يسأل الحرب أن تمنحى عنه .

— ٢٩٩ —

وأسأله ، وأنتك لتجد ذلك الأثر وضاح الجبين في خطاب ورسائل الصحابة ،
نؤمن بعدم ، كما سترأه قريباً إن شاء الله .

ولا شك أن أعظم مورد للاستشهاد على ما نريد هو كتاب «نهج البلاغة»
المجموع من خطب أمير المؤمنين ورسائله ، ولأنه كما قال الشريف الرضى
رحمه الله : « يتضمن عجائب البلاغة ، وغرائب الفصاحة ، وجواهر العربية ،
وثواب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعا في كلام ، ولا بجمع
الاطراف في كتاب ، إذا كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة
وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها ، ومنه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه
أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب ، وبكلامه استعان كل
واعظ بليغ ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا ، وتقدم وتأخروا .

ولأن كلامه عليه السلام الكلام الذى عليه مسحة من العلم الإلهى وفيه
عبقة من الكلام النبوى .

أحمد بن أحمد المطلاع

لبحث صلة

في سبيل الإحصاء

« اللغة وتأريخها — تابع لما قبله ، (١) »

— ١٥ —

(٢٨٩) ولست بحاجة إلى إطالة القول في وصف محاسن كتاب نهج
البلاغة ، وما تضمنه من كنوز الفصاحة ، وجواهر البلاغة ، وإبداع

(١) الحكمة : العدد ١٠ ، السنة الثانية ، المجلد الثانى ، شعبان ١٣٥٩ هـ (سبتمبر/

أكتوبر ١٩٤٠م) ص ٢٨٩ — ٢٩٥ .

العبقريّة وعجائب النبوغ ، وسمو القول وزوائع البيان : وفحات ضوء الشمس
تذهب باطلاء .

ولا سيما وذلك السفر النفيس الذي به تمت النعمة على الأدب العربي
والبيان (٢٩٠) العربي في متناول كل إنسان فليرجع إليه من شاء .
« وفي البيان غنا عن شاهد الخبر ،

ويمكن الجزم بأنه لا يوجد في تاريخ البلاغة العربية من فجر الإسلام
إلى يوم الناس هذا أديب لم يغترف من بحره ، أو لم ينهل من نبعه ، فكل
خطيب مصقع ، وكل شاعر مبدع ، وكل كاتب بارع يستمد غذاء بلاغته
من ذلك الفيض القدسي .

وإن العارف بأمرار هذه اللغة الشريفة ، الخبير بأساليبها ، العليم
بكرائم المعاني وعقائل الألفاظ ، البصير بتحفها النادرة ، ودررها الساحرة ،
يشهد شهادة حق لا يشوبها شك بأن ذلك الكلام المروى عن الإمام علي عليه
السلام مقتبس من مشكاة النبوة ، وأن صلته القوية بالقرآن هي التي أكسبته
حسن البيان ، ومتانة التبيان ، وسمت به إلى مرتبة الخلود ، وليس ببعيد على
من شب واكتهل في منزل الوحي ومهبط التنزيل أن يتبجح عرش البلاغة ،
ويملك شوارد الأفكار .

ولعل قائل عن لم يتيسر له الاطلاع على كلام أمير المؤمنين المدون في
الكتاب المذكور يقول أن كل إنسان إنما يقول على قدر طبعه وسجيته
وروحه وطريقته وما تنطوى عليه نفسه ، وأن بين القلب واللسان أوامر
روحية ، وصلة عقلية وإنما اللسان ترجمان القلب ، وفي الخطب المختارة
من كلامه عليه السلام في العدد السابق أكبر برهان على أنه كان أبين من

خطب ، وأفصح من تكلم ، بعد سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم من بدو وحضر .

ولكن الروح المشرقة على تلك الخطب روح زهد في الحياة وتشاؤم منها ، روح تقشف وزهادة لا تجدى الحياة الإنسانية فتيلة لأنهم داعية تأخر واستسلام ونحن أحوج ما نكون إلى ما يشير القوة ، ويحث على طلب الرفعة ، وسيادة (٢٩١) الأمم ، وملاحظة الخيرات أنى وجدت ، واستطابة الحياة الشريفة ، أياً كان لونها ، والاستمتاع بالملاذ المشروعة مهما تكن ، والجد في العمل والثبات في جهاد الحياة وجهادها ، وأنى للزاهد المتقشف المنقطع للعبادة القانع بالتافه اليسير ، السكل على غيره ، إدراك هذه الحقائق .

وهذا سندع الجواب للشريف الرضى ، قال رحمه الله : « ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها ، وأمن المشاركة فيها ، أن كلامه عليه السلام الوارد في الزهد والوعظ ، والتذكير والزواجر ، إذا تأمله المتأمل ، وفكر فيه المتفكر ، وخلع من قلبه أنه كلام مثله بمن عظم قدره ، ونفذ أمره ، وأحاط بالرقاب ملكه ، لم يعترضه الشك أنه من كلام من لاحظ له في غير الزهادة ، ولا شغل له بغير العبادة ، قد قبع في كسر بيت ، أو انقطع في سفح جبل ، لا يسمع إلى حسه ، ولا يرى إلا نفسه ، ولا يكاد يوقن بأنه كلام من يتغمس في الحرب مصلاً سيفه ، فيقط الرقاب ، ويجدل الأبطال ، ويعود به ينطف دماً ، ويقطر مهجاً ، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد ، وبدل الأبدال ، وهذه من فضائله العجيبة ، التي جمع بها بين الأشداد ، وألف بين الأشتات ، .

وربما يقال أن هذا الجواب غير مقنع وإن كان يتضمن لمحة موجزة لأبرز صفات الإمام على عليه السلام ، وأظهر بميزاته ، ويشير إلى أنه المثل الأعلى للإنسانية من جميع نواحيها ، وأن شخصيته القذة كانت ملتقى طائفة من الخصال التي ينسك بعضها بعضاً ، وينفر بعضها من بعض ، فكان كرم الله وجهه ، الزاهد الناسك الورع المتقشف ، وكن البطل الأروع القاتك

الشجاع الذى لا يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه ، وبشجاعته
تضرب الأمثال على عمر الأجيال ، كان مهيب المقتبل شديد القوة ، قوى
الشكيمة لا يرام ما وراء ظهره ، وكان عظيم البر (٢٩٢) كريم الأخلاق ،
سمح اليدين ، طويل الفسكرة ، غزير الدمعة ، طلق الحياه بسام الثغر ، دائم
البشاش ، حسن المعاشرة ، لطيف المفاكة ، حتى عيب (بالدعابة) إلى غير
ذلك من الصفات والمحامد التى صارت مسك الصحف وعطر التاريخ .

لأما نريد أن نعرف ولو على جهة الإجمال هل يجد القارىء أو المتأدب
في كلام الإمام ما تصبو إليه النفس ، ويعتاج بالفسكر من ضروب القول
وأفواع البيان غير ما قرأناه من خطبه القيمة في الزهد ، وتحقير الدنيا ،
وتعجيد الله سبحانه وتعالى ، والثناء على خاتم رسله صلى الله عليه وسلم وتلك
الخطبة الرائعة التى نقد بها أخلاق أصحابه .

وقبل إيراد البيان المطلوب أقول - وأستطيع العفو - لأنه لم يخطر
ببالى عند إيراد (ما) تقدم من خطب الإمام على كرم الله وجهه ، لاني
سأضطر أن أقول كلمة واحدة عن حياة أعظم خليفة ، وأجل إمام ، عرفه
تاريخ المسلمين ، ولا أن القلم سيخط حرفاً واحداً حول دليل بلاغته التى
عقب منها جر الأدب العربى طيباً مدى أربعة عشر قرناً

لذلك لم أعمد إلى نقل بليغ كلامه ، وروائع خطبه ، كخطبته التى ألقاها
بعد تلاوة (ألهاكم التكاثر) ، وخطبته المسماة (بالقاصعة) في ذم الكبير
والاختلاف ، والإشارة إلى بعض أسرار التكليف ، وخطبة الأشباح
وما جاء عنه في صفة الطاووس ، ونحو ذلك ، لاني لم أقصد الاستشهاد على
بلاغته وعلو قدمه في الفصاحة ، كما أنى لم أتفنن في اختيار ما روى عنه في
الأخلاق والسياسة وأصول المدنية ، وقواعد العدالة ، والعمران ، والاجتماع
والتاريخ وألوان المعارف ، وصنوف الآداب ، ومختلف العلوم ، لاني لم

أحدث نمنى بالكتابة عن مواهبه العالية وشخصيته الفذة ومزاياه الباهرة لأن قلبى يقصر عن ذلك المقال .

ولما أوردت فى ذلك المقام من متوسط كلامه عليه السلام بقصد الاستشهاد (٢٩٣) على كيفية سير اللغة العربية ونموها بفضل القرآن .

أما وقد بعدنا بعض البعد عن صميم الموضوع ، وتعرضنا لكتاب « نهج البلاغة » ، فلا مانع من إيراد ما وصفه به العلامة السكبر مفتى الديار المصرية الشيخ محمد عبده رحمه الله ، وهو أحد الشراح للكتاب المذكور ، وسأحاول فيما بعد إيقاف البراع بدائرة الموضوع ، قال فى أثناء إخطابته لشرح النهج : « كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع أحس بتغير المشاهد ، وتحول المعاهد ، فتارة كنت أجدنى فى عالم يعمره من المعانى أرواح غالية ، فى حلال من العبارات الزاهية تعالوف على النفوس الزاكية ، وتدنو من القلوب الصافية ، توحى إليهم رشدًا ، وتقوم منها مرادها ، وتنفر بها عن مداحض المزال إلى جواد الفضل والكمال . وطوراً كانت تتكشف لى البجل عن وجوه يامرة . وأنياب كاشرة ، وأرواح فى أشباح النور ، ومخالب النسور ، قد تحفرت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب ، تغلبت القلوب عن هواها ، وأخذت الخواطر دون مرماها ، واغتالت فاسد الأهواء ، وباطل الآراء . وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً ، لا يشبه خلقاً جسدياً ، فصل عن الموكب الالهى ، واتصل بالروح الانسانى ، نخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى المسكوت الأعلى ، ونما به إلى مشهد النور الأجلى ، وسكن به إلى عمار جانب التقديس ، بعد استخلاصه من شوائب التلبس ، وآفات كائن أسمع خطيب الحكمة ينادى بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يعرفهم مواقع الصواب ، ويهزمهم مواضع الارتباب ، ويحذرهم مزالق الاضطراب ، ويرشدهم إلى دقائق السياسة ، ويهديهم طرق

الكياسة، ويرتفع بهم إلى منصات الرئاسة، ويصعدهم شرف التدبير، ويشرف بهم على حسن المصير : اهـ .

(٢٩٤) هذا الشناء وأجدر أن أصحابه وقد يدوم ريق الطامع الأمل

وحسبك هذا الوصف الموجز ، فرب قليل يغنى عن الكثير ، والنهلة الباردة تشهد بعذوبة الغدير (ولمّا آفة التبر عدم الناقد) .

وإليك أيها القارئ الكريم أنموذجاً من خطبته التي ألقاها بعد تلاوة (أحكام التكاثر حتى زرتهم المقابر) قال عليه السلام :

« يا له مراماً ما أبده ، وزوراً ما أغفله ، وخطراً ما أظفمه ، لقد استغلوا منهم أي مدكر^(١) ، وتناوشوهم^(٢) من مكان بعيد ، أفبمصارع آبائهم يفتخرون ، أم بعديد الهلكى يتكاثرون ، يرتجعون منهم أجساداً خوت^(٣) ، وحركات سكنت ، ولأن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً ، ولأن يهبطوا بهم جناب ذلة أحجى من أن يقوموا بهم مقام عزة^(٤) ، لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة ، وضربوا منهم في غمرة جهالة ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية ، والربوع الخالية ، لقاتل ضربوا في الأرض ضللاً ، وذهبتم في أعقابهم جهالاً ، تطاؤون في هامهم ، وتستثبتون^(٥) في أجسادهم ، وترتمون فيما لفظوا ، وتسكنون فيما خربوا

(١) استغلوهم أي وجدوهم خالين .

(٢) وتناوشوهم تناولوهم .

(٣) خوت سقط بناؤها وخلت من أرواحها .

(٤) أحجى أقرب للحجى أي العقل ، فإن موت الآباء دليل الفناء .

(٥) تستثبتون تحاولون إثبات ما تثبتون من الأعمدة والأوتاد في أجسادهم لذهابها تراباً وامتزاجاً بالأرض .

ولمّا الأيام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم ، أولئك سلف غايتكم^(١) ،
وفراط مناهلكم ، الذين كانت لهم مقاوم العز ، وحلبات الفخر ، ملوكاً
وسوقاً سلكوا في بطون البرزخ سبيلاً ، سلطت الأرض عليهم فيه
فأكلت من لحومهم ، وشربت (٢٩٥) من دماهم فأصبحوا في فجرات (٧)
قبورهم ، جهاداً لا ينمون ، وضماراً لا يوجدون ، لا يفرغهم ورود الأحوال ،
ولا يحزنهم تنكّر الأحوال ، ولا يحفلون بالرواجف ، ولا يأذنون للقواصف ،
غريباً لا ينتظرون ، وشهوداً لا يحضرون ، ولمّا كانوا جميعاً فتشتوا ، وآلافاً
فافتروا ، وما عن طول عهدهم ، ولا بعد محلم ، عمت أخبارهم ، وصمت ديارهم ،
ولكنهم سقوا كأساً بدلتهم بالنطق خرساً ، وبالسّم صمماً ، وبالحرّكات
سكراناً ، فسكّاهم في ارتجال الصفة صرعى سبات ، جيران لا يتأنسون ،
وأحياء لا يتزاورون ، بليت بينهم عرى التعارف ؛ وانقطعت منهم أسباب
الأخاء ... الخ .

وهي طويلة منقطعة النظير في تصوير عالم الفناء وما وراء هذه الحياة ،
ذات روعة وجلال يقصر البلاء وتمعّج الأقلام عن الاحاطة بأسرار جمالها
وسمو بلاغتها ، ورصانة تركيبها ، ودقة معانيها ؛ وعلو مرامها ؛ ولأنه ليستشف
من بيانها طابع القرآن وأسلوبه .

أحمد المطاع

لبحث صلة

(١) سلف الغاية السابق إليها والفراط جمع فارط السابق إلى الماء .

(٢) الفجوات جمع فجوة وهي الفرجة والمراد منها شق القبر .

- ٣٠٦ -

بسم الله الرحمن الرحيم

« اللغة : تاريخها : تدوينها ، ^(١) »

« تابع لما قبله ، »

- ١٦ -

(٣٥٣) ومن الأدلة على تأثر البيان العربي بالقرآن الكريم أن فطاحل البيان وفرسان البلاغة كانوا يستقبحون الخطب التي لا شيء فيها من القرآن، قال أبو عثمان الجاحظ في كتابة البيان والتبيين : « وعلى أن خطباء السلف الطيب ، وأهل (٣٥٤) البيان من التابعين بإحسان ما زالوا يسمون الخطبة التي لم يبتدئ صاحبها بالتمحيد ويستفتح كلامه بالتجيد «البتر» ويسمون التي لم توشع بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم «الشوها» . »

وقال عمران بن حطان : « خطبت عند زياد خطبة ظننت أني لم أقهر فيها عن غاية، ولم أدع لطاعن علة، فررت ببعض المجالس فسمعت شيخاً يقول هذا الفتي أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن ، . »

وقد استمر أثر القرآن بديناً في ألسنة رجال القرن الأول والثاني ، وكان الإيجاز في البيان صورة مفصحة لحياة المسلمين في الصدر الأول تمثل سرعته في الفتح والاستيلاء ، ولكن ذلك الفتح واختلاطهم بالأمم المغلوبة ، ودخول أمم من غير العرب ، أو ممن عربيتهم ضعيفة في الإسلام ، كان من أسباب ظهور اللحن والمعجمة في لغة القرآن .

(١) الحكمة : العدد ١٢ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، شوال ١٣٥٩ هـ (نوفمبر /

ديسمبر ١٩٤٠ م) ص ٣٥٣ - ٣٥٦ .

ولم تكن هذه الظاهرة المشؤمة وليدة العصر الأموي ولا العباسي ، بل كانت أعرق في القدم ولنا أن نعتبرها من أيام فتوح الصحابة رضوان الله عليهم لمملكتي فارس والروم ، وذلك ما حدى بالإمام على كرم الله وجهه إلى وضع قواعد وأسس فن النحو ، قال في تاريخ الأدباء ما نصه : (وسبب وضع على كرم الله وجهه لهذا العلم ما روى أبو الأسود قال : دخلت على أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام فوجدت في يده رقعة ، فقلت : ما هذه يا أمير المؤمنين ، فقال إنى تأملت في كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (يعنى الأعاجم) فأردت أن أضع (٣٥٥) شيئاً يرجعون إليه ويعتمدون عليه : ثم أتيت إلى الرقعة وفيها مكتوب الكلام امم وفعل وحرف ، فالإسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ به ، والحرف ما أفاد معنى ، وقال له انح هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك ، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة ظاهر ومضمر ، واسم لا ظاهر ولا مضمر وانما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر (وأراد بذلك الإسم المبهم) .

قال ثم وضعت بابي العطف والنعت ، ثم بابي التمجيد والاستفهام ، إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها فكتبتها ما خلا (لكن) فلما عرضتها على أمير المؤمنين عليه السلام أمرني بضم (لكن) إليها . وكنت كلما وضعت باباً من أبواب النحو عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية فقال ما أحسن هذا النحو ، فسمى علم النحو .

هو بلا شك يعد من أروع آثار العقل العربي لما فيه من دقة أسلوب ، ورصانة تركيب ، ولطف إشارة ، وغوص على دقائق العبارات ، ومقدرة على جمع شتات المتفرق منها ، وأن سمو مقاصده تنم عن دقة عقل الذي وضعه ، وأسس قواعده .

ولما امتد سلطان المسلمين ، واتسعت أفياء الفكر الإسلامى باتساع
سلطانهم ، وتبسطوا فى حياتهم المادية ، أدى تبسطهم هذا إلى توسعهم
فى حياتهم الفكرية ، فحبوا وقد راعهم ما طرأ على لغتهم الشريفة من اللحن
والتحريف والدخيل ونحوه ، فشحنوا قرائحهم ، وألفوا المؤلفات
الضخمة فى كل ناحية من نواحي الثقافة الإسلامية العربية ليصلحوا بذلك
ما فسد .

(٢٥٦) وكان هؤلاء (١) العلماء فرقا ، كل فرقة يغلب عليها الميل إلى
ناحية من نواحي هذه الثقافة ، فالخليل بن أحمد وأبو زيد الأنصارى ،
والأصمعى ، وأمثالهم غلب عليهم مفردات اللغة وجمعها والبدء بتبويبها .
والمفضل الضبي ، وخلف الأحمر ، وحماد الراوية ، وغيرهم غلب عليهم جمع
القصائد والأشعار والأمثال وما إلى ذلك . ومحمد بن اسحق والواقدي
وبو مخنف والهيثم بن عدي والمدائني مالوا إلى تدوين الروايات عن
الأحداث التاريخية : كفتوح الشام ، وفتوح العراق ، ووقعة الجمل ، ووقعة
صفين ، ونحو ذلك ، وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم ، وكتبه إلى الملوك
والمغازي ، وأسماء المنافقين والوفود ، وابن الكلبي وأمثاله عنوا بالأنساب
وما يتبعها من بيوتات ومنافرات ومودات ، وفي أخبار الأوائل من
عاد الأولى والآخرة والمعمرين والأصنام والقداح وأيام العرب
وأسماء الخ .

على أنا إذا نظرنا فى كتاب سيبويه المتوفى سنة (١٦١) أو سنة ١٨٠
كما يقال ، ومذاهب علماء العربية المتقدمين كأبي عمرو والخليل وسيبويه
ولإخراهم من أئمة البصريين ، والكسائي والفراء وهشام الضرير من أئمة
الكوفيين ، وما بذل كل من الفريقين فى خدمة ذلك الفن ، وجدنا مجهوداً

— ٣٠٩ —

عظيماً وعملاً ناضجاً حتى أن الناظر فيها ليحس أن التقدم المدهش في مدة وجيزة ، ويعجب بثمار تلك العقول ومبدعاتها ، على أنه لولا القرآن الكريم لم يكن شيئاً من ذلك .

أحمد بن أحمد المطاع

(للبحث صلة)

في سبيل الإصلاح

د اللغة وتاريخها : علم النحو وتدوين المعاجم ،^(١)

— ١٧ —

(٣٣) قلنا فيما سبق أن اللغة العربية زادها القرآن الكريم والسنة الغراء نشاطاً وقوة ، وأن ذلك النشاط الأدبي ظهر بوضوح وجلالة في كتابة رجال القرن الأول وما بعده ، وأوردنا بعض خطب تمثل الأسلوب الذي جرى عليه بلغاء القرن الأول ، ثم أشرنا إلى الزمن الذي طرأ على اللغة فيه اللحن والعجمة ، وقلنا أن زمن ذلك يتصل بأيام الفتح الإسلامي واختلاط الأمة العربية بغيرها من الأمم (٣٤) ، وذلك ما حدث بالإمام (على كرم الله وجهه) إلى تدوين علم النحو ، وأهاب رجال القرن الثاني وما بعده إلى تدوين العلوم على اختلافها ، كل ذلك حرصاً على اللغة الشريفة ، وخدمة للكتاب العزيز .

ونحب قبل المضي فيما ذهبنا إليه أن ننبه القراء إننا لم نقصد بما قلناه أخيراً نقض ما قدمناه على صفحات هذه المجلة ، من أن اللغة مثل الحياة ومن لازم الحياة الحركة والتغيير ، وأن اختلاف الأحوال وتقلبات الزمان وعوامل

(١) الحكمة : العدد ٢ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، ذى الحجة ١٣٥٩ هـ (ديسمبر

١٩٤٠ / يناير ١٩٤١ م) من ٣٣ — ٣٧ .

الألسنة والأقلام كان لها أثرها في التصحيف والتحريف والمعجمة والسكتة، وأن هذه المؤثرات لم تكن وليدة العصر العباسي أو ما بعده بل يرجع تاريخ ظهورها إلى زمن الجاهلية ثم أيام الفتح والإستيلاء على مالِك العجم في صدر الإسلام . وقد ألمعنا إلى تلك الأدوار بما فيه الكفاية ، وغرضنا الآن الإلمام بالمؤثرات التي عرضت لها فيما بعد ، وكما قلنا أن المعجمة قديمة الظهور كذلك نقول عن اللحن فإنه يرجع تاريخ ظهوره إلى العصر الجاهلي . نقل الأستاذ البهائية المعاصر زكي مبارك في كتابه (النشر الثماني) عن كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري لأبي القاسم الحسن بن بشر الأمدى قال: والأمدى لا يستبعد اللحن بل يقرر: (أنه لا يكاد يعرى منه أحد من الشعراء المحدثين ، ولا يسلم منه شاعر من الشعراء الإسلاميين ، وأنه قد جاء في أشعار المتقدمين ما لا يقوم العذر فيه إلا بالتأويلات البعيدة ، وأن ما عيب على البحتري من مخالفة المقاييس والبعد عن الصواب قد جاء كثير مثله في أشعار القدماء والأعراب الفصحاء) .

ولارِيب أن العوامل التي واجهت اللغة في العصر الإسلامي كانت كبيرة التأثير ، عظيمة التطور ، كثيرة الإنتاج ، مختلفة كل الاختلاف عما كانت عليه أيام الجاهلية : منها اتساع رقعة الفتح ، واختلاط العرب بالأمم الأعجمية ، ذلك الاختلاط (٣٥) الذي كاد أن يستولى على ثمار القرائن العربية ويفسد أسلوبها العجيب وجمالها الساحر ، ولا سيما في الحواضر ، بينما كان اتصال العرب في جاهليتهم بأمم الأعاجم لا يتعدى الشئون الاقتصادية وبعض الأحوال السياسية ، فكانت العرب تقتبس بعض الكلمات الأعجمية وتعود إلى باديتها . فلما جاء الإسلام استولت العرب على أكثر مواطن الحضارة ، وواجهتهم حضارة الأمم المغلوبة بمسميات لا تعد ؛ ومعارف لا تحصى ، لا عهد لهم بها ، فلم يقفوا أمام ما عرض لهم واضطروا إليه وعرفوا حيارى . بل وضموا له الأسماء على أسلوبهم المعروف في النقل

والتعريب والاشتقاق (١) ، وكان إلى جانب نهضتهم السياسية والفكرية نهضة دينية ، فكانوا ينشرون الراية الإسلامية والدعوة إلى الدين الإسلامي والعمل بالقرآن والعلم بلغته في جميع أجزاء مملكتهم الجديدة المترامية الأطراف .

وبينما كانت اللغة العربية يتكامل نموها ، ويزداد سموها ، وتسير بخطوات سريعة (٣٦) لتتقبأ مكانتها في أوج الشمس في جميع نواحي المملكة الإسلامية ، إذ بعملية الامتزاج وتأثير الاختلاط ينمو ويتماظم ، وإذ باللحن يغشو ، والعجمة واللكنة والتصحيف يسود ويتغلب في الحواضر الإسلامية .

وهناك خاف المسلمون : (أن تفسد تلك المملكة رأساً ويطول العهد بها ، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم ، واستنبطوا من مجارى كلامهم قوانين لتلك المملكة مطردة شبه الكليات والقواعد يقيدون عليها سائر أنواع الكلام ، ويلحقون الأشباه بالأشياء مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول

(١) قال الأستاذ المحقق أحمد أمين في كتابه ضحى الاسلام أن العرب لما تحضروا بعد البداوة وجدوا أنفسهم أمام أشياء كثيرة ليس في ألفاظهم ما يدل عليها ، وكان ذلك في جميع مرافق الحياة من أدوات الزينة وأنواع المأكولات والملابس وآلات البناء والدواوين ونظائرها ونحو ذلك ، فسلخوا خيراً طريق يسلك لذلك وهو : أن يتوسعوا في مدلولات الكلمات العربية أحساناً ، يأخذون الكلمات الأجنبية كما هي أحياناً ، ومصقولة بما يتفق ولسانهم أحياناً . وكانت اللغة الفارسية منبهاً كبيراً من المنابع التي تستمد منه اللغة العربية وتوسع بها مادتها . حكى الصولي قال حدثنا علي بن الصبيح قال سمعت الحسن بن رجاء يقول ناظر فارسي عريباً بين يدي يحيى بن خالد البرمكي ، فقال الفارسي ما احببنا لم اليكم قط في عمل ولا تسمية ، ولقد ملكتم فاستغنيتم عنا في أعمالكم (وانتسكم) حتى أن طبعكم وأشربتكم ودواوينكم وما فيها على ما سمعناه ما غيرتموه كالاستفداج والسكباغ والدوغباغ وأمثاله كثيرة ، كالسكنجيين والجلاب وأمثاله كثيرة : فسكت عنه العربي ، فقال له يحيى بن خالد : قل له : اصبر لنا نملك كما ملكتم ألف سنة بعد ألف سنة كانت قبلها ، لا نحتاج لاسمك ولا إلى شيء كان لكم .

الأهمية في هذا الجزء من العالم ، وأنه ليس هناك حاجة إلى الخوف من أن المصالح البريطانية القانونية ستعكسها السياسة أو الأعمال الإيطالية^(١) . ولكن يبدو أن محادثات يناير وتصريح يوليو سنة ١٩٢٧ ، يدلان صراحة على قلق إنجلترا ، وخوفها الناتج من عقد المعاهدة اليمنية لا العكس . ف مجرد حرص إنجلترا على التفاهم مع إيطاليا على مصالحها في السواحل العربية ، دليل قوى على أن هذه المعاهدة قد أثارت قلق إنجلترا وانتباهها لهذا الخطر الوافد عبر البحر الأحمر ، لذلك سارعت لاتخاذ الاجراءات اللازمة لتأمين هذا الخطر .

نتائج المعاهدة بالنسبة لإيطاليا واليمن :

ولكن ما مدى استفادة إيطاليا من عقد هذه المعاهدة مع الامام ؟ وما مدى استفادة اليمن داخلياً من هذه المعاهدة كذلك ؟ والاجابة على هذين السؤالين ، نحتاج إلى تتبع آثارها على مر التاريخ ، وهذا سيتضح طوال عهد الامام يحيى . ولكن يمكن الاكتفاء الآن بالإشارة إلى آثار المعاهدة من هاتين الناحيتين .

يبدو أن استفادة إيطاليا من وراء هذه للمعاهدة ، كانت لا تتناسب مع أهمية للمعاهدة التاريخية باعتبارها أول معاهدة للامام مع دولة أجنبية ، ومع ما كانت إيطاليا تنتظره من ورائها . فقد كانت إيطاليا تعتقد أن اليمن ستكون مستعمرتها الهامة في شبه الجزيرة — كما كانت أريتريا على الشاطئ الإفريقي — ولكنها لم تلق نجاحاً يذكر في هذا المجال ، ويرجع هذا إلى عدم ثقة الإمام وخوفه من وجود أى نفوذ أجنبي في بلاده^(٢) . فلم يفتح الإمام في الحقيقة اليمن أمام النفوذ الإيطالي ليتغلغل بالصورة التي أرادتها إيطاليا ، ولم يتح لها الفرصة للقيام بتوسع استعماري أو استغلال في بلاده .

Survey of International Affairs, 1928, p. 314,

(١)

Hans Helfritz : The Yemen, p. 125, '

(٢)

في سبيل الاصلاح

د اللغة وتاريخها : علم النحو وتدوين المعاجم ، (١)

(٩٨) وكان هم أولئك الرجال حفظ ما يسمعون من كلام العرب الفصحاء الذين لم تفقد سلاقتهم بمخالطة الأعاجم وسكنى الأمصار وهم أهل جزيرة العرب ، ولذلك كانوا يتسابقون إلى الأخذ عنهم ، والارتواء من مناهلهم الصافية ، كما فعل أبو زيد الأنصاري وأبو عمرو بن العلاء والأصمعي والكسائي وأمثالهم ، قال أبو زيد في أول كتابه النوادر : (ما كان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبي ، وما كان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي من العرب. وسأل الكسائي الخليل بن أحمد من أين عليك هذا ، فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج الكسائي وأنفذ خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه ، وأما أبو عمرو بن العلاء ، فقد روى أن كتبه عن العرب الفصحاء (٩٩) ملأت بيتاً له إلى قريب السقف ، وتاريخ الأصمعي يملؤه بالقصص عن الأعراب في البادية وما سمع عنهم من لغة وشعر وقصص (١) .

ظلت اللغة العربية تتمتع بمجود أبنائها البررة وتزهو بروائع نثرهم ونظمهم مدة الحكومة الأموية بكمالها ، وكان للملك بنى أمية عناية كبرى بالأدب العربي وإستماع المسجلات الطريفة ، والقصص الأخلاقية ، والأصغاء إلى القصائد والأراجيز والأمثال والنوادر والأخبار المأثورة عن أعراب

(١) المصحة : العدد ٤ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، صفر ١٣٦٠ هـ (فبراير /

مارس ١٩٤٦م) ، ص ٩٨ - ١٠٣ .

(٢) ضحى الإسلام .

البادية . وفي أيامهم أقبل الناس على مدارس الأدب الجاهلي والاستمتاع بما فيه من بلاغة ومثانة ، ورقة وسلاسة ، وجلال ، وروعة وما شئت لهم أنفسهم الصافية المتعطشة ، إلى متع الخيال ، وسمو الفن ، ونخامة المعاني ، وطلاوة البيان وعذوبة القول ، ورصانة الأسلوب ، وأريج الابداع ، بعد أن كانوا قد تناسوه حقبة من الزمان ، لاشتغالهم بالفتح والاستيلاء وتأسيس المملكة الإسلامية الواسعة الرقعة ، المترامية الأطراف ، فكأنهم أرادوا أن يرفهوا عن أنفسهم المكدودة بنفائس الأدب القديم ، وعرائس بنات أفكار التابغين المتفوقين .

| | |
|---------------------|---------------------------|
| وبنو مروان لله همو | عدة الفصحى وحراس حماها |
| رب مأثور لهم ودله | صدف اللؤلؤ لو كان شفاها |
| خطب هـز لها منبرهم | يقذف الهول دراكا من رماها |
| وقواف سل أبا حرزتها | وسل الاخطل كيف ابتدعها |

وكان للأدباء والشعراء من رعاية الأمويين وعنايتهم ودظيم صلاتهم أكبر عون على حذق اللغة وخدمتها والمنافسة على قيد شواردها والمكاثرة بما أخذوه عن فصحاء البادية ، وعقلاء الأعراب واستظهروه من أخبار الجاهلية وآدابها (١٠٠) حتى أن بعض رجال ذلك العصر كان يعتمد إلى الغريب من كلام العرب ويدبجه في كلامه رغبة في المبالغة وحيا للظهور ، قال العجاج : كان السكيت والطرماح يسألاني عن الغريب فاخبرهما به ثم أراه في شعرهما وقد وضعاه في غير موضعه ، وأنا بدوي أصف ما رأيت فأضعه في موضعه .

هذه صورة ولها أمثلة عديدة تدلنا على خطأ بعض الشعراء الذين يحتاج بكلامهم في فهم ما نقلوه عن العرب ، ومن أمثلة خطأ العلماء ما روى ابن الإعرابي قال : دلقيني أبو حاتم ومعه إعرابي ، فقال : جئتمكم بهذا الإعرابي لتعرفوا منه كذب الأصمعي ، أليس كان يقول في بيت عنبرة :

شربت بماء الدجر ضنين فاصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم
أن الديلم الأعداء لأنهم أعاجم ، والعرب كانوا يعدون جميع الأعاجم
أعداءهم ، فسلوا هذا الإعرابي ما معنى الديلم فسألناه ، فقال : حياض بالغور
أوردتها لأبلى غير مرة ، (١).

ونحن لا نشك في أن علماء الإسلام ونخص منهم أئمة اللغة رحمهم الله
حفاظهم بذلوا من العناية في النقد والتمحيص والتصحيح والتزييف لما
وصل اليهم من الروايات إجموداً يقف دونها الفكر ، ويندهش لمناعها
أرجل الجلد الصبور ، وألفوا المؤلفات القيمة فيما وقع من أصحاب اللغة
والشعر من التصحيف ، لأنهم كانوا يعدون خدمة اللغة خدمة للكتاب والسنة ،
وهو كذلك ، قال حبر الأمة عبد الله بن العباس ، رضى الله عنهما : الشعر
ديوان العرب فاذا خفي علينا الحرف من القرآن الذى أنزله الله بلمغة العرب
رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه) .

(١٠١) وقد ذهب جماعة من علماء العربية إلى القول بأن الحديث لا يصح
الاستناد إليه (٢) في إثبات ألفاظ اللغة ، ولا في وضع قواعدها ، وحيثهم أن
تدوينه إنما كان في القرن الثانى ، وقد وقع الإختلاط وظهر اللحن^٣ وتسربت
العجمة وراء الحديث ، كانوا يجيزون الرواية بالمعنى ، فانتفت الثقة من أن

(١) ضحى الإسلام .

(٢) وزعم أبو حيان أنه مذهب المتقدمين والمتأخرين من علماء العربية فقال في شرح
كتاب التسهيل (أن الواضحين أعلم النحويين المستقرين للأحكام من لسان العرب كآبى
حمر ، والحليل وسيبويه ، من أئمة البصريين ، والكسائى والفرار ، وعلى بن المبارك
الأحر وهشام الضرير . من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك (أى لم يحتجوا بالحديث) وتبعهم
على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كمنجاة بغداد وأهل
الأندلس) راجع ما كتبه الأستاذ الحقى محمد الحضرى حسين في الجزء الثالث من مجلة
الجمع لغوى .

لفظ الحديث الذى نطق به الراوى هو عين اللفظ الذى نطق به الرسول صلى الله عليه وسلم . وذهب آخرون إلى الجواز وصحة الاستدلال بالحديث، ولهم على ذلك أدلة وبراهين ليس من غرضنا بسطها وتفصيل أدلة أصحابها، وإنما سقتنا كبرهان على ما قلناه آنفاً .

وقد أجمعنا الكلام عن العصر الأموى وليس من الصواب ، فإنه يعد بحق من أهم عصور اللغة وأنماها ، وأحفلها بفرسان البلاغة وأعيان البيان، ولأدب رجاله نفحة طيبة الأريج ، عقبة الرائحة ، وناهيك بعصر من بعض رجاله عبد الحميد الكاتب الذى يضرب ببلاغته المثل حتى قيل: (فتحت الرسائل بعبد الحميد^(١)) (١٠٢) وختمت بأبن العميد^(٢))، وابن المقفع^(٣) علم البلاغة وسلطان البيان ، قال المحبى : « يتيمه ابن المقفع يضرب بها المثل لبلاغتها وبراعة منشئها » ، وهى رسالة فى نهاية الحسن، تشتمل على محاسن من الأدب النحوى، وفى : « رسائل البلغاء » من أدبهما الكثير الطيب فليرجع إليها من شاء . ويمتاز أدب ذلك العصر بما يمتاز به أدب القرن الأول من الجودة والمتانة والمحسنة اللفظية ، والجمع بين السع والترسل ، وحلاوة التعبير ،

(١) عبد الحميد بن يحيى كان أول أمره معلم صبية ينتقل فى البلدان وعنه أخذ المترسلون ولطريقته لزوماً ولأثاره اقتفوا ، وهو الذى سهل سبيل البلاغة فى الترسل ، اتصل بمروان الحميدى آخر ملوك بى أمية واقطع عليه حتى قتل فى خبر طويل ، قال الأستاذ المحقق زكى مبارك فى كتابه النثر الفنى: (المعروف أن عبد الحميد بن يحيى هو أول من نقل تقاليد الفرس إلى الكتابة العربية ، ومعنى هذا أنه كانت للعرب تقاليد كتابية) (١٠٢) أضاف إليها عبد الحميد زيادات فنية رفى الفوائج والخواتم فهو لم ينشئ فناً جديداً ولكنه أصلح فناً قديماً الخ .

(٢) عبد الله بن المقفع بن المبارك وسمى والده بالمقفع لأن الحاجب بن يوسف ضربه بالبصرة فى مال احتجته من مال السلطان ضرباً مبرحاً فتفقت يده ، وأصله من خوز مدينة من كور فارس . وكان ابن المقفع مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح والمنصور وكتب له واختص بخدمته ، وهو أول من اعتنى فى الملة الإسلامية بترجمة الكتب المنطقية اليونانية إلى العربية ، وله أيضاً عدة كتب ترجمها من الفارسية إلى العربية . قتله المنصور العباسى على يد عامله على البصرة سفيان بن معاوية المهلبى وسبب قتله غدر المنصور بعمه عبد الله بن علي ، وقد رمى ابن المقفع بالزندقة من بعض معاصريه حسداً له ولرضاء لسياسة .

ونصاعة الأسلوب وقلة الغريب ، والميل إلى المسهولة مع الرصانة والانسجام ،
اقتداء بالقرآن الكريم ، ومحاكاة لأساليبه البليانية ، ومزاياه العربية العالية .

وإلى القراء بعض خطب الأمويين وخصوصهم ، وهى صورة ناطقة
بنشاط اللغة وسموها فى تلك الأيام ، فمن ذلك هذه الخطبة للخليفة عمر بن
عبد العزيز رضى الله عنه ، وهى تعبر عن أخلاقه وورعه وزهده وتكشفه
وميله الشديد للمساواة بين الناس أصدق تعبير .

وأياها الناس إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولم تتركوا سدى ، وإن أنكم معاداً يحكم
الله (١٠٢) بينكم فيه ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل
شئ ، وحرم جنة عرضها السموات والأرض ، وأعلموا أن الأمان غداً لمن
يخاف اليوم ويبيع قليلاً بكثير وفانياً بياق ، ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين ،
وسينخلعهم من بعدكم الباقون حتى يردوا إلى خير الوارثين ، ثم أنكم فى كل
يوم تشيرون غادياً ورائعاً إلى الله قد قضى نحبه ، وبلغ أجله ، ثم تغيبونه
فى صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير مؤسد ولا مهد قد خلع الأسباب ،
وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، مرتبنا بعمله غنياً عما ترك فقيراً إلى
ما قدم ، وإيم الله إنى لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم أكثر
بما عندى فاستغفر الله لى ولحكم ، وما نبأنا حاجة يتسمع لها ما عندنا إلا لاسدودنا ،
ولا أحد منكم إلا وددت أن يده مع يدى ، ولحقى الذين يلونى حتى يستوى
عيشنا وعيشكم ، وإيم الله إنى لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان
اللسان به ناطقاً عالماً بأسبابه ، ولكفه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة
دل فيها على طاعته ونهى عن معصيته .

أحمد بن أحمد المظاوع

البحث صلة

والاطلاع على تكون نهضاتها من أقدم (١٧٦) عصورها ومشاهدة أجيالها وهي تخرج من الكهوف إلى الصروح ، ومن الأكواخ إلى القصور ، ومن الأودية والغابات إلى المحاكم والكتليات ، ومن نفث الآثار على الأحجار إلى استنطاق الجماد واستخدام البخار ، فعليه بما خلده الأيام على صحائف التاريخ .

وإن شاء الرجوع إلى العصور العافية ، والتغلغل في مهوى القرون السحيقة ، كي يرى الإنسان الأول يزاوِل أعماله بسائق الفطرة ، ويترصَد فرسته في ألفاف الشجر ، وأجواف الحفر ، ويتمقب الطرائد في غارم الجبال وبطون الأودية ، أيام كان يستوطن الكهوف والغيران ، ويتسلح الحجر ، فليرجع إلى آثار تلك العصور ، (ولسكل نبأ مستقر) .

ولا نبالغ إذا قلنا أن التاريخ ما عرف في جميع أدواره عصرأ هبت فيه الشعوب عن بكرة أبيها لدراسة الماضي والارتواء من مناهل ثقافته ، والتنقيب عن آثار البشرية من أقدم أزمنتها ، والبحث عن الحضارة الإنسانية كهذا العصر .

هبت أمم العالم اليوم تنقب عن مفاخر الماضي وآثاره ، لتضع على كواهل أبنائها من قدسية ماضيهم وأمانة تاريخهم ما تنوء بحمله الجبال ، وتجعل من آثار ذلك الماضي أدوات تستخدم لإيقاد جذوة الوطنية في الصدور وإلهاب نار الحماسة في الرؤوس مستلهمة وحى النبوغ والتقدم من أرواح الآباء والأجداد .

ولذا كان لزماً على كل أمة تحاول النهوض الالتفات أولاً إلى الماضي بدراسة تاريخها ، ومعرفة ما فيه من الحوادث والكوارث ، والوقائع والكوائن وأسباب الصعود والهبوط ، فإن حياة الأمم موصولة ، وحاضرها القريب وليد ماضيها البعيد ، ولذا قيل : لأن الأمة التي تهمل ماضيها ولا تعرفه

والاطلاع على تكون نهضاتها من أقدم (١٧٦) عصورها ومشاهدة أجيالها وهي تخرج من الكهوف إلى الصروح ، ومن الأكواخ إلى القصور ، ومن الأودية والغابات إلى المحاكم والكتليات ، ومن نقش الآثار على الأحجار إلى استنطاق الجماد واستخدام البخار ، فعليه بما خلده الأيام على صحائف التاريخ .

ولإن شاء الرجوع إلى العصور العافية ، والتغلغل في مهاوى القرون السحيقة ، كي يرى الإنسان الأول يزاوِل أعماله بسائق الفطرة ، ويترصد فريسته في ألغاف الشجر ، وأجواف الحفر ، ويتمقب الطرائد في مخارم الجبال وبطون الأودية ، أيام كان يستوطن الكهوف والغيران ، ويتسلح الحجر ، فليرجع إلى آثار تلك العصور ، (ولسكل نبأ مستقر) .

ولا نبالغ إذا قلنا أن التاريخ ما عرف في جميع أدواره عصرأ هبت فيه الشعوب عن بكرة أبيها لدراسة الماضي والارتواء من مزال ثقافته ، والتنقيب عن آثار البشرية من أقدم أزمنتها ، والبحث عن الحضارة الإنسانية كهذا العصر .

هبت أمم العالم اليوم تنقب عن مفاخر الماضي وآثاره ، لتضع على كواهل أبنائها من قدسية ماضيهم وأمانة تاريخهم ما تنوء بحمله الجبال ، وتجعل من آثار ذلك الماضي أدوات تستخدم لإيقاد جذوة الوطنية في الصدور وإلهاب نار الحماسة في الرؤوس مستلهمة وحى النبوغ والنقد من أرواح الآباء والأجداد .

ولذا كان لزاماً على كل أمة تحاول النهوض الالتفات أولاً إلى الماضي بدراسة تاريخها ، ومعرفة ما فيه من الحوادث والكوارث ، والوقائع والكوائن وأسباب الصعود والهبوط ، فإن حياة الأمم موصولة ، وحاضرها القريب وليد ماضيها البعيد ، ولذا قيل : إن الأمة التي تهمل ماضيها ولا تعرفه

مثل الرجل الذى يفقد ذاكرته ، ، ويقول علماء الاجتماع وتباريس علم الأخلاق : (إن ماضى الأمة لا يموت أبداً ، ولكنه يكون حياً (١٧٧) تاريخه إلى آلاف السنين يستوحى منه .

فدراسة التاريخ إذاً من ضروريات البقاء ، ومعرفة الأمة نفسها من أكبر عوامل الارتقاء ، ولا سيما إذا كان فى تاريخ الأمة من أعمال المجد والعظمة ما يثير الفتوة ، ويبعث النشاط والقوة فى شرايين الأجسام المنحلة ، ويدفع بالأبناء إلى ترسم آثار الآباء ، فإنه يستحيل أن يرضى لنفسه بالذل والمهانة من كان أبوه يعزم العزيمة الفاصلة فيعمل لإرادته على الملوك والجبابة ، ويقول الكلمة فتعلنىء الحرب العوان وتشعل ، وإذا ربيع كان له السيف والرديفى أمتع معقل .

وكيف يحمل بأبناء الأرواح اللهاميم فراجوا الغمم من دانت لسطوتهم الملوك ، وذلت لهيبهم الأقاليم ، أن يكونوا نكسداً تفتاشهم سباع الاصماع وهم فى غفلتهم ساهون ، أو تنزل بهم عون الخطوب فيذلون ويسعدون ، و (يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون) .

أجل ، إن من يدرس أصول التهضات العالمية يجد فى قراراتها أثر التاريخ وضاح الجبين وعوامل وأرواح الآباء مصدر تلك القوة وأساسها المتين ، فلا غرابة إذا رأينا جبايرة العقول ، وفطاحلة الفكر الإنسانى ، تعد التاريخ من أكبر الوسائل لتنمية العقل وتهذيب الشعور ، وبسط النفوذ ، وسعة الملك ، وتضخيم الثروة ، وعظمة الشأن ، ونرى علماء الغرب على اختلاف مشاربهم ، وتنوع معارفهم ، وقباين مباحثهم ، ومناحيهم ، عاكفين فى جامعاتهم السنين الطوال : هذا يدرس أجناس البشر وأصول الشعوب ، ومتى وجد الإنسان على الأرض ، ومدنيته الأولى ، وصفاته وقسمات وجهه إلى آخر ما هنالك .

وذلك مكب على تمثال قديم يرجع (١٧٨) فنسه وجماله ودقته مبلغ حضارة الأمة التي وجد فيها ، كما أن زميله وضريه قد شغلته لفظة لغوية في أدب أمة لا يمت إليها بصلة عن كل ما في الوجود ، كل ذلك رغبة في العلم ، ووصلة إلى فهم الشعوب وعاداتها وأخلاقيها ، لوسائل كثيرة ، منها : علمية محضنة ، ومنها سياسية واقتصادية ونحو ذلك . ومن التواريخ التي أصبحت اليوم تدرس في جامعات الغرب كفن مستقل : تاريخ الصين القديم وما به من النقوش والآثار والعاديات وما خلفه آباء الصينيين من آداب وثقافة صقلت العقل الإنساني وازدانت بها حضارة البشر في أيامهم ، وهي اليوم كعبة تحج إليها أئمة التواريخ افتناناً بروعتها وجلالها ، وترتشف من معيها العقول ويتخذ منها الأقوام درعاً لتوطيد أركانها وتخليد كيائها .

ذلك ما حدا بي إلى تقليب صفحة من صفحات تاريخ هذه الأمة الضخمة ، والتفتيب عن بعض فرائد عقدها الثمين ، وإن كان ماضيها كثير الظنون قل أن يفوز الحريث منه بما يشفي الآوام ، ويطنى لاعج الغرام ، لما على لباليه الماضية ، وأيامه الخالية ، من غبار الدهور ، وكلا كل العصور .

وهيات أن يجد المشتاق بالرسوم العافية ، والأطلال البالية ، ما يجده بمطرحات نقيض النعمة من ثنايها ، وتسايق الشمس متطاولة من أبراجها وحنايها .

اللهم إلا أن تكون مرابع أنس ، ومرائع سرور ، أقوت عن الفطان وفارقها السكان ، ونزح عنها الأخلا ، ولم يبق من أنافيتها إلا : (نقط يشك الشاك فيها) ، فإن لها ذكريات لا تقوى يد الحدثنان على الدنو من من قدس نذكرها .

- ٣٢٢ -

وهذه الذكريات إحدى عناصر التاريخ وميزات هذا الإنسان ، فهو لا يقنع بما هو آت ، ولا يسأم الوقوف أمام المنجبات : غاص أعماق البحار ، وركب متون الأخطار ، واستنطق الجناد ، وعزى (١٧٩) اللانهاية بقوة فكره ، وحاول أن يفجع الغد في غيبات سره رغبة في الاطلاع ، وهياماً بالرواية والسماع ثم هو مع هذا : (دائم الحنين إلى سالف خال والبكاء على دارس بال) ، لا يقف عند غاية الأوهام بما خلفها ، وساقته الفطرة إلى استكشاف ما وراءها ، فلا غرو أن أصبح علم التاريخ من مشتهيات النفوس وأغراضها ، وشئون الحياة ولوازمها .

احمد بن احمد المطاع

(يتبع)

في التاريخ اليمني

اليمين في مدارج التاريخ

التاريخ وفوائده^(١)

- ٢ -

(٢٠٤) وإذا كان من طبع الإنسان وغريزته الحنين إلى الفئات المنقرض ، والالتفات إلى أطلال الأحبة ، والوقوف بآثارهم الدوارس ، والاعتزاز بتقاليده وماضيهم ومجده وتاريخه ، وما كان لأجداده من سجايا ومفاخر ، وعادات ومآثر .

فأخلق بأبناء من ملكوا الخافقين ، وبسطوا سلطانهم على العالمين ، أن يعتزوا بتاريخهم ، ويفأخروا بماضيهم ، ويكاثروا بنوابعهم وأبطالهم

(١) الحكمة : العدد ٧ ، المجلد الثاني ، السنة الثانية ، جمادي الأولى ١٣٥٩ هـ

(يولية / يولية ١٩٤٠م) ، ص ٢٠٤ - ٢١٠ .

الذين تساقطت تحت أقدامهم عروش الفاتحين ، وملسكوا الأمور على من كان يملكها في أطراف الأرضين .

وأن يقفوا وقفات كبرى لا كلوث أزار أو كحل عقال ، بل وقوف جميل في عراص بثينة ، أو وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمة ، بأثار أسلافهم الغر حيث كانوا يتناغمون ويتسامرون وينثرون طرائف الحكمة وروائع الكلم ، بأرب يعرجوا بأطلال ماضيهم المجيد لينظروا أبدع ثمرة تركها الإنسان ، وأجل نتاج للعبقريّة والنبوغ ، وأسرى حضارة عرفها التاريخ .

وبهذا الالتفات وذلك الوقوف ما يوقظ الهمم ، ويهيب بالأبناء إلى متابعة الآباء ، وبشوارد الأنفس إلى سواه السبيل ، ليقرؤوا شرفهم التليد بمجدهم الطريف كما قيل :

(٢٠٥) إنا وإن كرمنا أوائلنا لسنا على الأحساب نتكل
بنينا كما كانت أوائلنا تبني ونفعل فوق ما فعلوا

ولا بدع في حفظ مناقب الآباء والاعتداد بآثارهم الصالحة من أكبر العوامل المثيرة لعزة النفس وبقظة الوجدان وسمو الغاية ، وقديماً كانت العرب تنافس بأبجاذها وآبائها في أنديتها وأسواقها وجمعاتها ومواسم حجها ، قال تعالى : « فإذا قضيتُم مناسككم فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكرى » .

وكل شعب يحمل أمانة التاريخ ، وتجري في عروقه مناعة دم شريف ، وتدور في رأسه ذكريات الماضي ، لا يطمئن إلى حياة لا تصلة بماضيه : « فإن من فاته حسب نفسه لا ينفعه حسب أبيه » .

والتاريخ كما قلنا هو سجل الحياة ، والصورة الفنية للعصور الغابر ،

ومحقق آمال المنبت الحائر ، وقد طمحت به النفس إلى ذرى المجد وسنام
المفاخر ، وحفزه غريزه البشرية إلى معرفة تراثه من الأكابر ، ومشاهدة
معرض الوجود الحاضر .

منه يستلهم وحى النبوغ ، ومن أرواح أبنائه وآثارهم يستلهم روحاً
تسمو به إلى أبعد شأو كتب له في الحياة ، بعزيمة أمضى من القضاء ، وصدر
أوسع من الفضاء ، وشجاعة في الله يكلوها الحجى .

وأحر ، بمن عرف الماضي ، وأفق القرون ، وسائر ركب الزمان ،
أن تسمو نفسه وتهذب مداركه ، وتلطف شمائله ، وتتحرك مشاعره ،
وتحفزه المؤثرات الحرة إلى مطمح الإنسانية ومثلها العالية : (وأن لا يكون
كمن سمع اللطم يسمع الناعى ويحضر الباكي ثم لا يعتبر ، وإنما البصير من سمع
فتفكر ، ونظر فأبصر ، وانتفع بالعبء ، ثم سلك جديداً واضحاً يتجنب فيه
الصرعة في المهاوى ، والضلال في المغاوى) .

فإن التاريخ هو الشاهد العدل ، والرقيب العتيد ، والمراتب المشرف
على أعمال (٢٠٦) الأمم وما جرياتها لانفوته صغيرة ولا كبيرة ، ولا يترك
حسنة ولا سيئة إلا أتى عليها ونقلها ، يرمى فيقرطاس ، ويضرب المحن
ويقطع المفصل .

من عادة التاريخ ملء قضاياه عدل وملء كنانتيه سهام

هذا وللتاريخ من الفوائد غير ما مر من تهذيب الأخلاق ، وإيجاد
الشعور القوي ، وإذكاء نيران العواطف السكاملة في القلوب ، وتوحيد كلمة
الامة وصهرها في بوتقة واحدة ، وجعلها كتلة لا تتجزى ولا تفرق ،
يقودها المجد إلى ميادين العظمة ، وسعة السلطان ، وبسطة النفوذ ، ويزجها
الإخلاص والحرص على كنوز تراثها وتقاليدها إلى المحل اللائق بها تحت

~ ٣٢٥ ~

الشمس ، وتوازرها في سيرها نحو الغاية حرارة عقيدة شب عليها الصغير ،
وورثها بجمع الأمة عن أسلافه ، وغير ذلك من خلال السكال .

مقام لا ينسك في خدمة الكتاب العزيز والسنة النبوية على صاحبها
أفضل الصلاة والتحية ، فهو عمدة المفسر لمعرفة الناسخ والمنسوخ وغيره من
الأسباب المتوقفة على نتائجها ، وهو دليل المحدث ، ومعلم الفقيه ، به تعرف
الآجال وحلولها ، والأخبار وناقولها ، قال سفيان الثوري رحمه الله :
« لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ » ، وقال حماد بن زيد :
« لم يستعن على الكذابين بمثل التاريخ » .

وبمقدار ما يستفيد منه الملك لإصلاح رعيته ، والسياسي لمهمته ، والفنان
لغايته ، والاجتماعي لعمله ، والمزارع لحاجته ، يستفيد منه القاضي والمرشد
والمعلم والمحدث وغيرهم من جميع الأصناف في جميع الشؤون ، فله بكل
مقام مقال :

لا تقل دارها بشرقي نجد كل نجد للعامة دار
ولها دمنة على كل رسم وعلى كل دمنة آثار

(٢٠٧) (التاريخ لغة واصطلاحاً وكيف يجب أن يكتب)

قال المقرئ رحمه الله في خطه : « التاريخ كلمة فارسية أصلها (ماروز)
ثم عربت ، قال محمد بن يوسف البلخي في كتابة مفاتيح العلوم : « وهذا
اشتقاق بعيد لولا أن الرواية جاءت به » ، وقال قدامة بن جعفر في كتاب
الخراج : « تاريخ كل شيء آخره » ، وهو في الوقت غايته ، يقال فلان تاريخ
قومه أي إليه ينتهي شرفهم ، ويقال ورخت الكتاب تاريخاً ، وأرخته
تاريخاً ، الأولى لغة تميم والثانية لغة قيس .

وقال الأستاذ العلامة محمد كرد علي في كتابه خطط الشام : قال العلامة

والقوية ، وما نلى ذلك من الحوادث الطبيعية كطول الأمطار ، وفيضان الأنهار ، وأخبار الزلزال والبراكين ونحو ذلك .

ولعل ذلك الداء مرى إلى المؤرخين من مدلول كلمة تاريخ الفارسية التي معناها التوقيت ، ولو أنهم عدلوا عنها إلى الكلمة اليونانية (هستوريا) ومعناها الرواية والتحقيق لسكانت طريقتهم فيما أخال غير ما كان .

ولم نذل هوة البعد عن الحقائق والفرض الأصلي من كتابة التاريخ تنسح حتى أصبح سلطانها مزار الجرف ، منقض الدائم أطول ما عبثت به أحداث الزمان وأحداث الإنسان في عصور الوهم وأزمة الانحطاط ، وصار أسوأ من الأدب حظاً ، وأنحس منه طالعاً ، تتلاعب به أدمغة العجائز والسنة القصاصيين والممخرقين والمخرفين ، محشوة أسفاره بالخرافات والآكاذيب إلا النادر القليل .

وسواء في ذلك من عنى بتاريخ قرن أو حكومة أو قطر ، أو من اشتغل بالتاريخ العام ، وإنك لتجد كثيراً من المؤرخين وغيرهم يعتبرون المؤرخ دكااطب ليل ، ومنهم من جعل هذه الكلمة تسكأة له في سيره المغلوط ، فاشتبهت عليه المخارج والمواالج ، واختلط لديه الخابل بالنبال ، فجمع الغث والسمين ، ومزج الممكن (٢٠٩) بالمستحيل ، ولبت الخطب وقف عند هذا المرض القتال ، والداء العضال ، وهو مزج الصحيح بالسقيم ، وخاطل الجائز بالمستحيل ، ومجانبة النقد وعدم التحيص ، ولسكنه تعداد إلى ما هو أدهى وأمر ، وأسوأ حالاً مما مر ، وذلك ما أشار إليه الأستاذ المعاصر محمد كرد علي بقوله : « كان المؤرخون بعد القرون الوسطى بين عاملين قوبين إما أن يكذبوا فيغضبوا الحق أو يصدقوا فيغضبوا الخلق » . وقال العلامة الفيلسوف إمام المؤرخين ، واضع علم الاجتماع عبدالرحمن ابن خلدون (١)

(١) هو المفكر الإسلامى العظيم له طريقة لم يسبق إليها في فلسفة الاجتماع والتاريخ .

والقارية ، وما إلى ذلك من الحوادث الطبيعية كطول الأمطار ، وفيضان الأنهار ، وأخبار الزلزال والبراكين ونحو ذلك .

ولعل ذلك الداء مرى إلى المؤرخين من مدلول كلمة تاريخ الفارسية التي معناها التوقيت ، ولو أنهم عدلوا عنها إلى الكلمة اليونانية (هستوريا) ومعناها الرواية والتحقيق لسكانت طريقة فهم فيما أخال غير ما كان .

ولم نذل هوة البعد عن الحقائق والغرض الأصلي من كتابة التاريخ تنسع حتى أصبح سلطانه مهيار الجرف ، منقض الدائم لطول ما عبثت به أحداث الزمان وأحداث الإنسان في عصور الوم وأزمنة الانحطاط ، وصار أسوأ من الأدب حظاً ، وأنحس منه طالعاً ، تتلاعب به أدمغة العجائز والسنة القصاصيين والممخرفين والمخرفين ، محشوة أسفاره بالخرافات والآكاذيب إلا النادر القليل .

وسواء في ذلك من عني بتاريخ قرن أو حكومة أو قطر ، أو من اشتغل بالتاريخ العام ، وإنك لتجد كثيراً من المؤرخين وغيرهم يعتبرون المؤرخ « كحاطب ليل » ، ومنهم من جعل هذه الكلمة تسكأة له في سيره المغلوط ، فاشتبهت عليه المخارج والمواج ، واختلط لديه الخابل بالتابل ، فجمع الغث والسمين ، ومزج الممكن (٢٠٩) بالمستحيل ، وليت الخطب وقف عند هذا المرض القتال ، والداء العضال ، وهو مزج الصحيح بالسقيم ، وخلط الجائر بالمستحيل ، وبجانبه النقد وعدم التحيص ، ولسكنه تعداه إلى ما هو أدهى وأمر ، وأسوأ حالاً مما مر ، وذلك ما أشار إليه الأستاذ المعاصر محمد كرد علي بقوله : « كان المؤرخون بعد القرون الوسطى بين عاملين قوين إما أن يكذبوا فيغضبوا الحق أو يصدقوا فيغضبوا الخلق » . وقال العلامة الفيلسوف إمام المؤرخين ، واضع علم الاجتماع عبد الرحمن ابن خلدون (١)

(١) هو المفكر الإسلامى العظيم له طريقة لم يسبق إليها في فلسفة الاجتماع والتاريخ .

- ٣٢٩ -

في التاريخ اليمني

اليمن في مدارج التاريخ

التاريخ وفوائده^(١)

- ٣ -

(٢٦٤) وإذا تأملنا فيما دونه كبار المؤرخين القدماء كالطبري وابن الأثير والمسعودي (٢٦٥) وابن خلدون في تأريخه دون المقدمة وأضرابهم ، وجدنا بتلك المؤلفات روعة العلم وجلاله ، ولمسنا روح البحث والتحقيق والاستقصاء والانقطاع للعمل والشهوة العلمية لذاتها بارزة وماثلة .

ولكنها لم تتعد دائرة البحث عن الحالة السياسية ، ووصف حركات التجاذب والتغالب بين المتوافدين من الأمراء والملوك ، وما يتبع ذلك من نزوات ونزعات ، ولذا جاءت تلك المؤلفات غير كافية بالمعنى المراد من التاريخ لأنهم لم يفوا المشكلة التاريخية حقها .

ويمتاز قدماء المؤرخين بسعة الإطلاع والإحاطة بالجزئيات والفهم للحقائق والقدرة على التعبير : ولكنهم لم يقدرُوا على ربط الحوادث برابط جامع لها ، وقد طوع لهم إدراك الجزئيات الإحاطة بشئ الحوادث وما جرى في السنين من الأحداث ، فجمعوا في مؤلفاتهم الكثير الطيب ممزوجاً بغيره من دون نقد وتمحيص أو تعليل واستنتاج ، فكان من جراء ذلك أن برزت الحقائق محاطة بإطار من الخفاء يعوزها النضوج والاكتمال ، كأنها منجم الذهب يتوقف الحصول عليه على إزالة ما يحاطله من العناصر المتنوعة .

(١) المحكمة : العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رجب ١٣٥٩ هـ (أغسطس/

سبتمبر ١٩٤٠م) ، ص ٢٦٤ - ٢٦٩ .

- ٣٢٩ -

في التاريخ النبوي

اليمين في مدارج التاريخ

التاريخ وفوائده^(١)

- ٣ -

(٢٦٤) وإذا تأملنا فيما دونه كبار المؤرخين القدماء كالطبري وابن الأثير والمسعودي (٢٦٥) وابن خلدون في تأريخه دون المقدمة وأضرابهم ، وجدنا بتلك المؤلفات روعة العلم وجلاله ، ولمسنا روح البحث والتحقيق والاستقصاء والانقطاع للعمل والشهوة العلمية لذاتها بارزة ومائلة .

ولكنها لم تنعد دائرة البحث عن الحالة السياسية ، ووصف حركات التجاذب والتغالب بين المتوافدين من الأمراء والملوك ، وما يتبع ذلك من نزوات ونزعات ، ولذا جاءت تلك المؤلفات غير كافية بالمعنى المراد من التاريخ لأنهم لم يفوا المشكلة التاريخية حقها .

ويمتاز قدماء المؤرخين بسعة الإطلاع والإحاطة بالجزئيات والفهم للحقائق والقدرة على التعبير : ولكنهم لم يقدرُوا على ربط الحوادث برباط جامع لها ، وقد طوع لهم إدراك الجزئيات الإحاطة بشئ الحوادث وما جرى في السنين من الأحداث ، فجمعوا في مؤلفاتهم الكثير الطيب ممزوجاً بغيره من دون نقد وتمحيص أو تعليل واستنتاج ، فكان من جراء ذلك أن برزت الحقائق محاطة بإطار من الخفاء يعوزها النضوج والاكتمال ، كأنها منجم الذهب يتوقف الحصول عليه على إزالة ما يخالطه من العناصر المتنوعة .

(١) الحكمة : العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رجب ١٣٥٩ هـ (أغسطس)

سبتمبر ١٩٤٠ م ، ص ٢٦٤ - ٢٦٩ .

واستمر الحال على ذلك آماداً متطاولة ، وطرق التأليف في هذا الفن متشابهة حتى ظهر لإمام المؤرخين عبدالرحمن بن خلدون رحمه الله في القرن الثامن الهجري فعنى بالتاريخ عناية خاصة واعتبره جزءاً من الفلسفة ولكن هذا الجزء ينبغي ألا يعنى بشيء سوى تقرير الحوادث والعمل على كشف ما بينها من افتران الشيء بسببه على أساس النقد البريء من التشيع والهوى . وأكبر قواعد البحث التاريخي هي أن الحوادث يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً العلة بالمعلول (١) .

(٢٦٦) وقد أطال في مقدمته الكلام على هذه المباحث ، وأثبت فيها القوانين العامة والأسس الأولية للمقايسة والتمييز وذلك بالإمكان ، والمقايسة والاستحالة ، فقارنته الماضي بالحاضر تعطينا قانون التشابه ، وقياس الأخبار على أصول العادة ، وطبيعة العمران يعطينا قانون الإمكان والاستحالة .

ومن المؤسف أن هذا الفيلسوف الاجتماعي العظيم لم ينتفع المسلمون بمبتكراته في علم الاجتماع وفلسفة التاريخ لتأخر زمانه عن زمن النهضة العربية الإسلامية ، وظلت آثاره أنفأ لم يحط بها اللثام إلى أن شرع الغرب في النهوض .

أما من تقدمه من مؤرخي المسلمين فإنه بالرغم عن مقدرتهم العالية ، وملكتهم الكتابية ، ونزاهة مقاصدهم ، واتساع الفكر الإسلامي العربي وحرية في أيامهم ، نجدهم فيما نقلوه عن غيرهم قد تجنبوا النقد أو تهيبوه تقديساً للرواية أو لعلّة أخرى ، وقليل منهم من أتى بشيء جديد ، أما ما يتعلق بأزمعتهم فلم يبعدوا عن الأسلوب المذكور أولاً .

(١) راجع تاريخ الفلسفة في الإسلام ومقدمة ابن خلدون

على أن بعضهم قد تأثر بالنزعات الدينية والعصبية القومية والمذاهب السياسية إلى أمد بعيد فظهرت مؤلفاتهم في ثوب شفاف ينم عما تحته من سلطان الهوى وحكم العاطفة .

كما أن بعضهم لم يتورع عن خدمة الأغراض السياسية والمقاصد المتخصصة ، وجعل البحث التاريخي شبكة لصيده ، ومطية لنزوات روحه ، ولا سيما أيام كانت السياسة تركض وراء الألسنة القوية ، والأقلام السليطة لتستفيد من نصرتها ، وتعتز بشهرتها ، ليتيم لها احتكار السلطة في أشخاص القائمين بها ، وصرف البلاد والعباد عن التفكير المثمر والعمل النافع ، إلى ما يعود بالمجد الأجوف والخير المزعوم ، وقد سجل التاريخ من أعمال الغريقيين ما يندى منه الجبين .

وصفوة القول أن هذا الفن لم يوله أربابه (٢٦٧) إلا كفاء حقه من العناية كمسائر الفنون : « ولم يمحسوا أخبارهم الموروثة تمحيصاً دقيقاً ، ومع هذا فقد كان الكثيرون يعولون عليها تعويلهم على المشاهدة ، وكانوا يرجحونها على حكم العقل لأنه قد يسهل أن يسلم بنتائج غير صحيحة » .

وكان بين المؤرخين دائماً قوم يذكرون مختلف الروايات من غير تشييع ، وكان آخرون مع ما أظهروا من مراعاة لمطالب الحاضر لا يترددون في الحكم على الماضي أحكاماً يتفاوت حظها من الصحة ، وكثيراً ما يسمل على الإنسان أن يصيب في حكمه على الحوادث الماضية أكثر مما يسمل عليه الحكم على شئون العصر الذي يعيش فيه ،^(١) .

وقد أنتج الفكر العربي عند ما استبحر في العمران ، واتسع نفوذه ، وازدادت معارفه قسماً من أقسام التاريخ تفنن فيه تفنناً يفوق الوصف ، وبلغ فيه مبلغاً من الإتقان لا يدرك شأوه ، واستعمل فيه النقد والتحصيل إلى أبعد حدوده وذلك فن التراجم .

(١) راجع تاريخ الفلسفة في الإسلام .

واهتمامهم الكبير بالبلدان وضبط أسماء المدن والقرى والجبال والأنهار والأودية والطرق والمسافات ومحطات البريد ، وتكديهم الرحلات الشاقة والأسفار الطويلة في سبيل البحث والتنقيب عن كل ما يتعلق بهذا العلم من حقائق تستاهل التخليد والتسجيل ، وتأليفهم في ذلك المؤلفات النفيسة الممنعة ككتاب الجاحظ عن البلدان ، ومعجم ياقوت الرومي الحموي ، وصفة للجزيرة العربية للهمداني البيني ، ورسالة فيلسوف العرب أبو يوسف يعقوب ابن إسحق الكندي ، وجغرافية عبد الله بن خرداذبة ، والمقدسي ، ومحمد بن رسته ، وأمثالهم

(٢٦٩) كما أن إليهم يرجع الفضل أيضاً في تخطيط الخرائط . ووضع التقارير الإضافية عن رحلاتهم البعيدة كما يفعل الغربيون اليوم .

وأقدم أثر عربي عثر عليه في تخطيط الخرائط كتاب أبي زيد البلخي ، أحد تلامذة الفيلسوف الكندي ، عني فيه بوجه خاص بالخرائط ، فصور العراق في زمانه سنة ٣٠٩ هـ بخريطة جعلها ياقوت الحموي دليله في رحلته كما نوه به في كتابه : إرشاد الأريب .

وكذلك فعل الشريف محمد الأذريسي في كتابه : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وهو من أجل الكتب الجغرافية وأنفسها ، وبه خريطة للبلاد المصرية وكان تأليف الكتاب المذكور بعناية (روجر الثاني) ملك صقلية ونابلي منتصف القرن السادس .

والمستبصر في تاريخه لجزيرة العرب صور فيه أهم مدن الحجاز واليمن في أيامه ، وذكر طرقها وتاريخ اختطاطها ، ومقدار المسافات إليها ،

ومن أمثلة تقارير سواح المسلمين تقرير أحمد بن فضلان سفير المقتدر العباسي في بلاط ملك البلغار سنة ٣٠٩ هـ ذكر فيه أحوال البلاد الطبيعية وعادات السكان وأخلاقهم وتقاليدهم بأسلوب ممتع أورده ياقوت في معجمه .

واهتمامهم الكبير بالبلدان وضبط أسماء المدن والقرى والجبال والأنهار والأودية والطرق والمسافات ومحطات البريد ، وتكبدتهم الرحلات الشاقة والأسفار الطويلة في سبيل البحث والتنقيب عن كل ما يتعلق بهذا العلم من حقائق تستأهل التخليد والتسجيل ، وتأليفهم في ذلك المؤلفات النفيسة الممتعة ككتاب الجاحظ عن البلدان ، ومعجم ياقوت الرومي الحموي ، وصفة للجزيرة العربية للهمداني البجلي ، ورسالة فيلسوف العرب أبو يوسف يعقوب ابن إسحق السكندی ، وجغرافية عبد الله بن خردادبة ، والمقدسي ، ومحمد بن رسته ، وأمثالهم

(٢٦٩) كما أن إليهم يرجع الفضل أيضاً في تخطيط الخرائط . ووضع التقارير الضافية عن رحلاتهم البعيدة كما يفعل الغربيون اليوم .

وأقدم أثر عربي عثر عليه في تخطيط الخرائط كتاب أبي زيد البلخي ، أحد تلامذة الفيلسوف السكندی ، عني فيه بوجه خاص بالخرائط ، فصور العراق في زمانه سنة ٣٠٩ هـ بخريطة جعلها ياقوت الحموي دليله في رحلته . كما نوه به في كتابه : إرشاد الأريب .

وكذلك فعل الشريف محمد الأديسي في كتابه : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، وهو من أجل الكتب الجغرافية وأنفسها ، وبه خريطة للبلاد المصرية وكان تأليف الكتاب المذكور بعناية (روجر الثاني) ملك صقلية ونابلي منتصف القرن السادس .

والمستبصر في تاريخه لجزيرة العرب صور فيه أهم مدن الحجاز واليمن في أيامه ، وذكر طرقها وتاريخ اختطاطها ، ومقدار المسافات إليها .

ومن أمثلة تقارير سواح المسلمين تقرير أحمد بن فضلان سفير المقتدر العباسي في بلاط ملك البلغار سنة ٣٠٩ هـ ذكر فيه أحوال البلاد الطبيعية وعادات السكان وأخلاقهم وتقاليدهم بأسلوب ممتع أورده ياقوت في معجمه .

- ٣٣٤ -

وتقرير إبراهيم بن يعقوب أحد تجار المغرب عن رحلته إلى أوروبا
وألمانيا، وأبو دلف مسعر بن مهمل عن الهند وتركستان وأبو الريحان محمد
بن أحمد البيروني عن الهند أيضاً .

والقاضي الحسن بن أحمد الخيمي الصنعاني ، سفير الإمام المتوكل على الله
إسماعيل بن الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد ، إلى ملك الحبشة وصف فيه
حالة البلاد الطبيعية والسياسية وبلاط ملك الحبشة ، وما كان يحوى عليه من
دسائس الرؤساء والقواد ونحو ذلك .

السيد أحمد المطاع

يتبع

في التاريخ اليمني

اليمن في مدارج التاريخ^(١)

- ٤ -

(٢٩٥) تلك نظرة إجمالية وكلمة عامة عن المصادر التاريخية العربية كان
إيرادها (٢٩٦) لبيان ما يعترض الباحث أو المؤرخ من عقبات في تاريخنا
القديم على جهة الإجمال ، وفي المثال ما يغني اللبيب ، وذلك كله والمصادر
التاريخية للأمة أو البلدة التي يريد البحث عن أحوالها متوفرة ، والمرجع التي
يستنبط من منابعها بحوثه ، ويستقى من مناهلها نصوصه غنية ، والطرق
الموصلة إلى الغاية معبدة أو قريبة^(٢) .

المحكمة : العدد ١٠ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، شعبان ١٣٥٩ هـ (سبتمبر /

أكتوبر ١٩٤٠ م) ص ٢٩٥ - ٣٠١ .

(٢) وما أصدق ما قال الكاتب الكبير الأمير شبيب أرسلان في مقدمة كتابه تاريخ
غزوات العرب في هذا الشأن ، ولا يلبثك مثل خبير ، قال : « ولعمري أن هذا التاريخ
الحجيد وإن سقته سيول المحابر ، واخضرت له أعواد المنابر ، وسبقت فيه تآليف استولى
أصحابها على الأمد اخراجا ، وامت فيه كتب لولا لاحت لكائنات بروجها ، ولو نضدت لكائنات
أبراجها ، لانزال فيه نواقص بادية العوار ، ومالم طامسة الآثار ، ومظان متوارية غامضة ،
ومعلومات قاعدة غير ناهضة تحتاج إلى هم بعيدة من الأفواج الآتية ليثيروا من دقاتها ،
ومعارف واسعة عند السلائل المقبلة لينثروا من كنائنها » .

ولكن قل لي ربك أيها القارئ ماذا يقول الباحث المفكر المصنف الخبير بمشاق البحث ومتاعب الطلب ، إذا وقف أمام التاريخ البني وأبحاثه الغامضة وفصوله المبعثرة بين مئات المجلدات وآلاف الصفحات ؟ وبماذا يحكم إذا عرف أن طريق البحث متعرجة ملتوية ذات أدغال وسلسلة جبال وعرة المسالك ، وأن السالك فيها لم يلق إلا ما وفي الله ؟ .

لا شك أنه يعذر الكاتب في تقصيره ، ويرضى منه بميسوره ، ويوسعه العذر ، ويقابله بمزيد الشكر ، وأيم الله إنه لشئ عسير يضل فيه الخريت ، ويحار فيه الحكيم ، . وقد يما اضطربت أفسكار المؤرخين في أمره ، كما احتار من بعدهم في قصصه وأخباره ، ففي سبيل الله ما يلاقى الباحث في تاريخ اليمن .

غير أنه لما كان من الواجب المحتم على كل فرد وهبه الله حظاً من العلم ، ونصيلاً من الإدراك ، وقسطاً من المعرفة (٢٩٧) القيام بواجب الشكر ، وشكر كل نعمة بحسبها ، وكنت ممن أفنى السنين الطوال ، وشغل فراغ أيامه منذ الحداثة إلى زمن السكولة ، في البحث والتنقيب والدرس والتنقيب عن علم التاريخ ، وما بصحائفه من عبر وعظات ، ومن بين تلك الأسفار ما يخص اليمن المبارك ، « بحر عواليها وبحر السوابق » ، أحببت أن أقوم بذلك الواجب بعد أن بذات الوسع ، واستفردت الجهد في جمع الشوارد ، وقيد الأوابد ، واستقرت النصوص ، وتبع الأدلة حسب الإمكان . وقد راعيت أمانة النقل ، وواجب العلم فيما احتجيت به من كلام الغير ، وأبحت القراء من عقلي ونفسي ما أحبهم من عقول ونفوس من نقلت عنهم ، فلم أكتف بنقل ما قالوه وجادت به عقولهم من دون أن أبدى رأيي ، ولا سيما فيما تضاربت عنده الأفكار ، واختلقت فيه الروايات ، فإني لم أقف هنالك وقوف المشدود الحيران ، بل نقدت ومحضت بقدر ما أستطيع ، (ومن قدر عليه رزقة فليوفق بما آناه الله) ، ومن الله استمد التوفيق ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وسأبتدى بذكر حضارة اليمن وأقوال المؤرخين في ذلك .

(اليمين مهد الحضارة البشرية)

اليمين الخضراء أو اليمين السعيد^(١) ذات المروج الخضراء ، والسهول الممرعة، والهضبات الخصبة ، والجبال الشاهقة ، والينابيع الفياضة، والأنهار المندفقة، والأسداد المحسكة ، والآثار الخالدة، مشرق شمس الحضارة ، ومطالع (٢٩٨) أفلاك المدنية، مركز التنوع ومهد الثقافة، مهد الإنسان الأول (٢)، وأقدم بلدان المعمورة رقباً، وأروعها مدنية، وأعظمها عمراناً، تحت سماءها الصافية وعلى أديمها المنبت، وفي مروجها النضرة مرحت أبطال الحروب، وعابرة الفنون، ومهرة الرسامين، وفوايح الصناع ، وتركوا من نتاج عبقرتهم وآثار نبوغهم معاول الدهر ، وفل شباء القرون .

ولم تزل بعض تلك الآثار جائمه كالخلود ، تمثل لرأيها أجيالا من ملوك حمير وصبا ومعين والأذواء ، وينشد لسان حالها قبل مؤالها :

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وما عليك أيها الباحث إلا أن تقف قليلاً بطولهم الدوارس، ورسومهم الطوامس، بمعين، وبراقش، والحمراء، وصرواح، وسبا، وناعط، وظفار، وينون وغمدان كي تناجيك آثارهم ، وتخبرك مآثرهم من نقوشهم المطلوسة على الأحجار ، وبقية أطلالهم الثابتة على كر الأعصار ، أنهم أساندة العالم في تلك العصور ، فإن بقية ما أسارته الأيام من القصور والهياكل والمدن والمعابد

(١) قال المؤرخ المعاصر الدكتور لإسرائيل ولفنسون : « يعتقد جلازر أن كلمة العرب المسعدة عن اليمين إنما هي ترجمة حرفية لكلمة اليمين باليونانية لأنها مأخوذة من اليمين والبركة ، لا كما يعتقد المستشرقون أن هذا اللفظ من اختراعات اليونان ، هذه ملاحظة دقيقة وتعارض النظرية التي تقول بأن كلمة اليمين تعني ناحية اليمين ، كما أن بلاد الشام من ناحية الشمال » .

(٢) عن ابن قتيبة في كتاب المعارف .

لا يزال قريباً مما كان ، والكثير منها سطا عليه الزمان ، فلم يبق منه غير
العنوان .

طلل عند دمنة عند رسم ككتاب عما البلاء عنوانه
من رآها يقول هذى ملوك الـ سدر هذا وقارهم والرزانه
وبقيا هياكل وقصور بين أخذ البلى ودفع المنانه

ثم تندس ذلك القلم المسبارى والخط الطير وغلوفى وردد الطرف فى آثار
الأمم التى نالت حظها الكامل من الحضارة فى تلك اقرون ، تجدد المشابهة
الكاملة ، والمشاكله التامة ، شبه الماء (٢٩٩) بالماء والغراب بالغراب ،
وحينئذ لا يسمعك إلا الجزم بوحدة الأصل والتسليم بما قضت به أساطين
البحث ورجال التاريخ وعلماء الاجتماع وغواة الآثار من أن تلك الأنوار
التي أنارت الشرق والغرب قبس من هذه النار ، فإذا عرفت ذلك فما عليك
أن تفشد بملء فيك .

الملك فيك وفى بنيك وانه حق من الآباء للأحفاد
وأمانة التاريخ فى أعناقهم من عهد بابل يوم نهضة عاد
وذوى حمورابى وآل سميدع وبنى معين وحمير وأباد
وفما تكانفت عليه ظلمات الأعصار ، وطمرته أتربة النسيان ، وغمرته
سواقى الزمان ، وزواجر الطغيان ، ولم يبق منه ذير (نوء مثل خط بالقلم) .
من ذلك الماضى المشرو ، والشرف المؤثق ، والفخر التالذ ، وما يشبع
رغبات الباحثين ، ويسد فراغ الخزائن ، ويسدى إلى التاريخ والإنسانية
أعظم منه .

فما لا شك فيه أن الذين كانت لها حضارة موهلة فى إنتاج الماضى ،
وأنها سبقت مدنية الإغريق والرومان فى تشييد الصروح والقصور والمعابد
وتجميلها بالزخارف والنقوش والتماثيل ، وأن سبأ ومأرب كانتا محط رحال
النوابغ ، ومثابة لرجال الفنون كالبنايين والحفارين والمصورين ، وأن فن

العمران بها كان قد سبق زمن (أقليدس) أستاذ الهندسة الأكبر كما يستفاد ذلك من أطلالها التي تدل بنقوشها أنها كانت قبل أن يعرف العالم أقليدس^(١).

كانت اليمن وعرف وجودها قبل أن تشاد بيوت النيران ، ومعاقلة الأولثان ، وبيع الصليبان ، وأديار الكهان ، قبل أن يدنى خوفو^(٢) هرمه العظيم (٢٠٠) ، ويؤسس مرجون^(٣) الأول دعائم ملكه بالبحر المتوسط وجزر اليونان ، ويخرج موسى يبنى إسرائيل من أرض الفراعنة : كانت شريعة ديمورابي^(٤) أول شريعة عرفها البشر ونظام سنة الإنسان ، واليمن تنظر إليه بعين الإعجاب لأنه فرع من دوحته العظيمة ، وغصن من شجرتها الباسقة ، وذلك قبل أن ينشر بوذا^(٥) تعاليمه على صنفاف السكافج بقرون .

نقل المؤرخ الشهير استرابون اليوناني أن الإسكندر الكبير كان قد اختط خطة قبل موته ، قصارها أنه يريد نقل عاصمة ملكه من الهند إلى اليمن ، وذلك يدل على ما كان لهذه القطعة المباركة من مكانة في نفس ذلك الفاتح العظيم ، وقديماً أطلق عليها الرومان والفرس واليونان اليمن السعيدة ، والجزيرة الخضراء ، ووصفها مؤرخوهم بما يعجز القلم عن وصفه .

عرفت اليمن وعرفت حضارتها الرائعة وعمرانها الزاخر ، وعلومها

(١) أقليدس أبو الهندسة ومؤسس مذهب البحث العلمي ولديه يرجع الفضل في جعل عصر سيده بطليموس سسوتر ، عصر تفوق رياضي عظيم ، وبطليموس هو مؤسس دولة البطالسة في مصر بعد الاسكندر سنة ٣٢٣ قبل الميلاد .

(٢) خوفو من المارك الفراعنة الذين بانث مصر في عهدهم شوطاً بعيد في المدنية .

(٣) مرجون الأول الآشوري أول من أسس ملكاً سامياً كبيراً في أرض باجلل سنة ٢٨٠٠ ق . م . وامتد نفوذه إلى البحر الأبيض المتوسط وانتقل إلى الجزر اليونانية ، وسياق الكلام على الآشوريين عند ذكر الهجرات القديمة .

(٤) من الأسرة الكنعانية التي ملكت بابل بعد الآشوريين حوالي سنة ٢٣٠٠ ق . م .

(٥) ظهر بوذا في القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، وقيل لأنه كان عايشاً في القرن السادس أو السابع قبل المسيح .

ذكرنا قبل ذلك عند استعراض علاقات الملك حسين مع باقي أمراء الجزيرة العربية ، أن علاقته مع الإمام كانت طيبة بالنسبة لعلاقته مع باقي الأمراء . فقد كان يعترف له بالإمامة ، ويسكره توسع الإدريسي في تهامة ، ولكنه كان يرى أن نفوذ الإمام لا يمتد إلا إلى الطوائف والجهات الزيدية فقط . وقد حدث في أواخر سنة ١٩٢١ وأوائل سنة ١٩٢٢ بعض التقارب ، فيذكر الجرافي أنه : « في سنة ١٣٤٠ هـ بعث ملك الحجاز الشريف حسين بن علي مندوباً إلى الإمام وهو رئيس الأشراف بمسكة ، فنزل ضيفاً على الإمام ، ولما أزمع الرحيل رأى الإمام أن يوفد معه بعض أصحابه رداً للزيارة ، وأرسل معهم قصيدة أنشأها السيد العلامة الأديب يحيى بن علي الداري ، وهي تحت على الوفاق بين الأمة العربية » ^(١) . بل ويذكر أمين الريحاني نص معاهدة حررت في صنعاء في ١٨ رمضان سنة ١٣٤٠ هـ (أوائل يولية سنة ١٩٢٢ م) بين الشريف حسين والإمام يحيى وكان قسطنطين بنى ^(٢) هو الذي عمل على إتمامها ^(٣) . وقد عاد قسطنطين بنى بالمعاهدة إلى الملك حسين ليعرضها عليه ، واسكن يبدو أنه لم يتم توقيع المعاهدة ، وأنها كانت غير نافذة للمفعول لما تلا ذلك من أحداث داخل الجزيرة العربية أدت إلى القضاء على دولة الملك حسين .

ويجب أن نلاحظ أن سبب هذا التقارب هو انباء البيتين الحاكمين في مكة وصنعاء ، إلى بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهذا مما أدى أيضاً إلى التقارب بين الإمام يحيى والعراق فيما بعد . وقد نظمت هذه المعاهدة « للسامولة » ، العلاقات بين الطرفين وقربت بينهما ، ودعت إلى التعاون والسلام بين البلدين . وهناك مادة خاصة بالتعاون في حالة وجود عدوان

(١) الجرافي : للتتطف من تاريخ اليمن ، ص ٢٢٦ .

(٢) زميل الريحاني في رحلته إلى صنعاء ومبعوث الملك حسين إلى الإمام وأحد ضباط جيشه ، وله قصيدة في ذم القات ومضغه أرسلها للإمام يحيى .

(٣) أمين الريحاني : ملوك العرب ، ج ١ ، ص ٢١٠ — ٢١٤ .

- ٣٤٠ -

في التاريخ النيني

اليمن في مدارج التاريخ^(١)

« تابع ما قبله ،

- ٥ -

(٣٢٨) فاليمن إذن مهد الديانات ووطن الأساطير ، عانقت الصابئية الأولى ، واحتضنت المجوسية ، كما حمت الوثنية وتغلغلّت في جنباتها اليهودية ، ورثت فيها المسيحية : دحرت الرومان ، وقهرت الغزاة ، ولغظت الأحباش ، وهمضت الفرس ، وخرجت من معارك الدهر وصراع القرون عربية إسلامية . « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه » .

فإنها لم تلبث الوثنية أن خست ، كما تخاذلت المسيحية ، وانكشفت اليهودية ، كما تراجعت المجوسية ، وأصبحت هذه القطعة المباركة وزراً للآمن ، ومعتصم السعادة ، منبع الحكمة ، ومقر الإيمان ، والمحل الذي منه يأتي نفس الرحمن ، كما أخبر بذلك من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم القائل : (الإيمان يمان والحكمة يمانية) ، هكذا صرح عن سيد ولد آدم رجل العالم صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً ، قبل عصر البخار والكهرباء واستنطاق الجناد ، وحل الرموز وقراءة النقوش ، ومعرفة الآثار ، قبل أن يعثر كريستوف كولمب على أمريكا (٣٢٩) بألف سنة قال سيد قریش : الحكمة يمانية . «

وهناك طوت سجل الماضي ، وقامت بحمل راية الفتح الإسلامي ،

الحكمة : العدد ١١ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، رمضان ١٣٥٩ هـ (أكتوبر / نوفمبر ١٩٤٠ م) ص ٣٢٨ - ٣٣٣ .

فأنجبت من أبطال الحروب ، وكبار القواد ، وأفذاذ الحكماء ، ونوابغ
الشعراء ، ومشاهير العلماء ، عداد نجوم السماء .

شهد الخلائق أنهم - لنجبية بدليل من ولدت من النجباء

هب رجال اليمن لنشر راية التوحيد خفاً وثقالاً ، واحتملوا أبناءهم
وأزواجهم ونزحوا إلى الطرف الأقصى من ديار الإسلام ، وهنالك في
أرض الهجرة دافعوا دفاع الأبطال ، واقتحموا الأهوال ، وصابروا
وصبروا وقاتلوا حتى ظفروا بأحدى الحسينين^(١) .

بعد أن ملؤا العالم قديماً ، وأخذوا إمرة الأرض اغتصاباً ، واستولوا
على الممالك أحقاباً ، وتسلبوا زمام الحياة المادية والمعنوية دفعاً وانزاعاً ،
بما لهم من صفاء العقول ، ومضاء العزيمة ، وشدة البأس ، وعظمة المجد ،
وكرم الأعراق ، فقد كانوا أعجوبة الحياة بكل مظاهرها ، ولله علامة اليمن
نشوان بن سعيد حيث يقول :

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| قوى الذين تملسكوا وتمسكنوا | في الأرض قبل تمسكن الاسكندر |
| الخاتمون لسد يأجوج الذى | لا يستطيع لردمه من مظهر |
| والضاربون الهام في يوم الوغى | بين الصوارم والقنا المتكسر |
| ولكم لخيركم وكم من مفخر | باق إلى ميعاد يوم المحشر |

لاشك أن أهل اليمن بلغوا مبلغاً (٣٣٠) عظيماً في الملك ، واتسع
نفوذهم ، فشملت معارفهم وحضارتهم كل ما استولوا عليه من الأقاليم

(١) خرجت الموجة الأخيرة اليمنية لفتح مملكتي فارس والروم في أيام أبي بكر
الصديق رضى الله عنه ، قال الواقدي أن أبا بكر قال لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه
يا أبا الحسن أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لما أقبلت هجر ومعهما نسائها
وأولادها فابشروا بنصر الله على أهل الشرك ، قال نعم .

والبلدان ، لأنهم وصلوا إلى ما لم تصل إليه مدارك الأمم في تلك العصور .
كما تدل عليه آثارهم .

ولا سيما بمدينة سبأ الشهيرة ، ومارب حيث كانت أعظم مدينة في ذلك
الزمن ، فيما من المعابد والقصور والحدائق وأنواع طرف المدنية ما يشهد لها
بالسبق ، ولأطلالها اليوم من العظمة والجلال ما تضامل أمامه عظمة
المدائن ، ويصغر بجانبه ملك كسرى وقيصر ، وحسبك ما وصفها به القرآن
الكريم قال تعالى : (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال
كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) .

وقوله تعالى حاكيا عن هدهد سليمان عليه السلام في وصفه عرش بلقيس
وملكها : (إن وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) .

قال العلامة شكيب أرسلان : د على أن مؤرخى الافرنج يعترفون بأن
في كتب مؤرخى الإسلام عن مدينة سبأ القديمة والأدوار التي تلتها تنطبق
أشد الانطباق على الكتابات المنقوشة في الحجر وعلى المنابع اليونانية
والرومانية ، وكلها تفيد أن مدينة سبأ كانت راقية جداً ، وأرقى من المدنات
العربية الأخرى ، فالبنات القديمة الدائرة من آثار سبأ ، والنقوش والتماثيل
وبقايا الأعمدة والهيكل والقصور والأسوار والأبراج وسدود المياه ،
بما شاهده سياح الافرنج بأعينهم ، يطابق أشد المطابقة الأوصاف التي
وصف بها اليونان والرومان تلك الآثار المدهشة ولا يجدون فيها مبالغة ،
كما أنه عندما ينظر السائح إلى تلك الآثار لا يعود متعجباً مما جاء عنها في
كتب الإسلام ، مما كان يظنه من أساطير الأولين . وحسبك بما ذكره
الهمداني من قصر (٢٣١) غمدان وغيره من قصور سبأ مثل قصر ساحين
وبينون ، وما ذكره من عظمة سد مأرب ، وما كتبه مؤرخو اليونان
والرومان عن ضخامة تلك القصور وهاتيك الأسداد والقلاع ، فهو مطابق
للمحسوس المشهود بالعيان ، اهـ

وقد جاء وصف مدينة سبأ عن كثير من قدماء المؤرخين غير العرب قال « أغارسيدس » : أنه كان يوجد في سبأ كل شيء يجلب السعادة لبني آدم ، وغير المحصولات المشهورة يوجد فيها اللبان والمر والقرفة ، وكانوا يطبخون ما كولاتهم بالأخشاب ذات الروائح الذكية ، إلى أن قال : دعائم بيوتهم تلمع بالذهب والفضة ، وأبوابهم من العاج مزينة بالجواهر وباطنها يشبه خارجها ، إلى آخر كلامه الذي يدل على أنهم وصلوا إلى مالم تصل إليه حضارة نيويورك وباريس ولندن اليوم ولا روما وأثينا وبيزنطة والاسكندرية في العصور الغابرة .

ونقل جرجي زيدان عن استرابون الرحالة اليوناني ، أن مأرب كانت في زمانه مدينة عجيبة ، سقوف أبينتها مصفحة بالذهب والعاج والحجارة الكريمة ، وفيها من الآنية الثمينة المزخرفة ما يهر العقول . وقال المستشرق (نيولد نيكلسون) الانكليزي في كتابه تاريخ العرب الأدبي : سبأ تستعمل غلظا إذا قصد بها كل بلاد اليمن على حين لم تكن سوى إقليم منها ، وإن كانت بلا جدال أقوى شكيمة وأعظم أهمية من كل الممالك والأقاليم التي ورد ذكرها في كتابات الاغريق والرومان القدامى ، ومهما بولغ في عظمتها وثراها فن المحقق أن سبأ هذه كانت ذات مركز تجارى ممتاز قبل ظهور المسيح بعدة قرون .

وجاء في الانسيكلوبيديا الاسلامية (دائرة المعارف) انه لا مبالغة فيما نقلوه من أن أبواب منازل سبأ وجدرانها وسقوفها وأعمدتها كان منها الكثير (٢٣٢) موزا بالذهب والفضة ، مرصعا بالحجارة الكريمة ، وأن آيتهم كانت مصوغة من أنفس المعادن ، وهذا ما ذكره الهمداني والمسعودي وغيرهما من مؤرخي العرب ، وما أيده الكتابات الصخرية نفسها فيما ترويه عن القادام العظيمة من الذهب والفضة ونفائس الأحجار ، وقد وجد كثير

من المسكوكات السبئية ومن الحلبي تؤيد أيضاً روايات الرواة من كل قبيل ، اه (١) .

وقد علل بعض الباحثين وجود المدنيات بعزل شتى ، منها طيب المناخ ، وكثرة المياه أو المعادن ، ومنهم من يعزوها إلى غراتز اختصت بها بعض الأجناس البشرية ، وصفات جادت بها الطبيعة على بعض الشعوب دون بعض ، وكل ذلك متوفر في هذه البلاد وأهلها .

فن الذى يحفل ذكاه أهل اليمن الفطرى ، ونبوغهم العجيب ونشاطهم ، وما فى طباعهم من الوجدان ، ونفوسهم من الحماسة ، وتلك بلا شك من أكبر عوامل النبوغ والتقدم . وفى تاريخهم الغابر كنوز لا تقدر بشمن محفوفة بسياج جلاله العلم ، وطرأه القوة ، وأسراره الذكاء والفطنة ، فكل حجر أقيم ، وكل تمثال نحت ، وكل نقش خلد ، هو صفحة الخلود ، أما من غمرت عبقريتهم أتربة النسيان ، وطمست معالم خلودهم حوادث الأيام ، قلم تتصل بسمع التاريخ فهم أكثر .

وأما خصب التربة ، وبركة الأرض ، وكثرة الإنبات ، وجودة الهواء ، وإعتدال الطقس فأشهر من نار على علم . قال بعض المؤرخين (٢) : أن مأرب كانت فى بهاء ، مشاهدتها الطبيعية على شاكلة مدينة دمشق ، يجرى فى وسطها نهر عظيم يجتمع (٢٢٢) إليه المياه المنحدرة من أعالي الجبال ، فيتألف من هذه السيول الجائشة بحر شديد الاغتمام ، يفيض مرة فى العام على المراعى والحقول فلا يندر فيها حسنا ، ولا يستبقى من روائعها روعة ، وبذلك

(١) تعليقات الأمير شكيب على ابن خلدون .

(٢) هو الأستاذ المعاصر معروف الأرنؤود فى كتابه سيد قریش .

— ٢٤٥ —

أصبحت مرئاداً للملوك والأمراء ، يرتادونه في فصل الصيف الفاظاً للترفيه
عن أنفسهم ، وفي قوله تعالى : (بلدة طيبة ورب غفور) ما لا يحتاج
إلى مزيد .

السيد أحمد المطاع

يتبع

في التاريخ اليمني

« اليمن في مدارج التاريخ »^(١)

— ٦ —

(٢٧) ألمعنا فيما سبق من أعداد (الحكمة) إلى عظمة اليمن التاريخية ،
وما قيل في حضارتها القديمة ، ونقلنا ما جاء في وصف تلك المدينة عن قدماء
المؤرخين من غير العرب كالليونان والرومان والفرس ونحوهم وكلهم أدلة
متظافرة على تقدم المخترعين لتلك المدينة في الآداب والمعارف وتعمقهم في
أسرار الطبيعة وما خفي من أمرها ، وبذلك يسهل الحكم بأن اليمن مهد
الحضارة ، وأن مدينتها من أقدم ما عرفه التاريخ .

قال العلامة ابن خلدون رحمه الله في مقدمته عند الكلام عن العرب
وبعدهم من الصنائع لتوغلهم في البداوة ما لفظه ، وأما اليمن والبحرين
وعمان والجزيرة وإن ملكه العرب إلى أنهم تداولوا ملكه آلاف من السنين
في أمم كثيرة منهم ، واختطوا أمصاره ومدنه وبلغوا الغاية من الحضارة
والترف مثل عاد وثمود (٢٨) والعمالة وحير ومن بعدهم من التبابعة والأذواء
الخ .

(١) الحكمة : العدد ٢ ، السنة الثالثة ، المجلد الثالث ، ذى الحجة ١٣٥٩ هـ (ديسمبر

١٩٤٠ / يناير ١٩٤١ م) ص ٣٧ — ٤٣ .

وفد لحظ هذه الحقائق كتاب التاريخ العربى الإسلامى كالمسعودى فى كتابه مروج الذهب ، وابن هشام فى كتابه المسمى بالتييجان ، والهمدانى فى الإكليل ، وغيرهم من كتبوا عن التاريخ القديم ، كل أولئك قص علينا من أخبار حمير ، وعظمة ملكهم ، وسعة ما استولوا عليه من الأقاليم والأمم كالصين والهند والترك والبربر ونحوهم ما يدعو إلى الدهشة والارتباك . وإليك ما رواه نشوان بن سعيد الحميرى للربيع بن ضبع الفزارى فى كتابه شمس العلوم ، عند الكلام على ظفار ، قال : وللربيع بن ضبع :

| | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| وقل فى ظفار يوم كانت وأهلها | يدينون قهراً شرقها والمغاربا |
| لهم دانت الدنيا جميعاً بأسرها | يؤدى إليهم خرجها الروم داتها |
| وغمدان إذ غمدان لا قصر مثله | زهاء وتشيداً يحاذى السكواكبا |
| وأرباب يبنون وأرباب ناعط | خلا ملكهم منهم فأصبح عازبا |
| ومارب إذ كانت وأرباب مارب | توافى جباء الضمين بالخرج مارب |
| فمن ذا يرجى الملك من بعد حمير | ويأمن تكرار الردى والنوائبا |
| أولئك مأوى للنعيم كفاهم | ولكن وجدنا الخير للشر صاحباً |

وقد أبطل هذه الروايات ابن خلدون فى مقدمته ، وعدها من أغلاط المؤرخين ، وأطال فى نقد كل رواية جاءت بغزو حمير لأمم الشرق أو الغرب ، وعلل امتناع ذلك بعلل جغرافية وأخرى إدارية وسياسية ، ولكنه وقع فيما أنكره على غيره ، ولا أقول كما قال فيه بعض المستشرقين من أنه قليل الثبات على وثيرة واحدة ، وإليك ما قاله فى نقد أقوال المؤرخين أولاً ، قال : (ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة فى أخبار التبابعة وملوك اليمن وجزيرة العرب من أنهم كانوا (٣٩) يغزون من قرأهم باليمن إلى أفريقيا والبربر من بلاد المغرب وأن أفريقش بن قيس بن صيفى من أعظم ملوكهم الأول ، وكان بعهد موسى عليه السلام أو قبله بقليل ، غزا أفريقيا

وأثنى في البربر ، وأنه الذى سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم ، وما قال :
ما هذه البربرة الخ .

ثم ذكر رواية المسمودى أيضاً من أن ذا الأذعار من ملوكهم غزا المغرب
ودونخه ، إلى أن قال : وكذلك يقولون في تبع الآخر من أنه ملك الموصل
وأذربيجان ، ولقى الترك وهزمهم ، وأثنى ، ثم غزاهم ثانية وثالثة ، وأنه بعد
ذلك أغزى ثلاثة من بنيهِ بلاد فارس والصغد والصين ، إلى أن قال : وهذه
الأخبار كلها بعيدة عن الصحة ، عريقة في الوهم والغلط وأشبه بأحاديث
القصة الموضوعة : وذلك أن ملك التبابعة إنما كان بجزيرة العرب
وكرسيهم صنعاء ، وجزيرة العرب ، يحيط بها البحر من ثلاث جهاتها ، فبحر
الهند من الجنوب ، وبحر فارس الهابط منه إلى البصرة من المشرق ، وبحر
السويس الهابط منه إلى السويس كما تراه في مرسوم الجغرافيا ، فلا يجد
السالكون من اليمن إلى المغرب طريقاً من غير السويس ، والمسلك هنالك
ما بين بحر السويس والبحر الشامى قدر مرحلتين فما دونهما ، ويعد أن يمر
بهذا المسلك ملك عظيم في عساكر موفورة من غير أن تصير من أعماله ،
هذا ممتنع في العادة ، وقد كان بتلك الأعمال العاقبة وكنعان بالشام ، والقبط
بمصر ، ثم ملك العاقبة مصر ، وملك بنو إسرائيل الشام ، ولم ينقل قط أن
التبابعة حاربوا أحداً من هؤلاء الأمم ، ولا ملكوا شيئاً من تلك
الأعمال الخ .

وهو كلام ظاهر البطلان منقوض ، ولا حاجة إلى بيان غلطاته والتنبية
عليها ، ومرد الروايات التاريخية المناهضة لها ، ولا سيما وقد نقضها هو ،
وأورد هذه الأخبار مستدلاً بها في عدة مباحث ، منها عند الكلام على الأمم
المتوحشة ، وسعة ما تملك (٤٠) مستشهداً بحميم ، وكيف كانوا يخطون من
اليمن إلى المغرب مرة ، وإلى العراق والهند أخرى ، وأن ذلك لم يكن لغير
العرب من الأمم . وقال في صفحة ١٥١ عند الكلام على طبائع الدولة

في أدوارها الخمسة : وواعتر ذلك بجوائز ابن ذى يزن لوفد قريش ، كيف أعطاهم من أو طال الذهب والفضة والأعبد والوصائف عشرين ، ومن كرش العنبر واحدة ، وأضعف ذلك بعشرة أمثاله لعبد المطلب ، وإنما ملكه يومئذ فرارة الين خاصة تحت استبداد فارس ، وإنما حمله على ذلك نفسه بما كان لقومه من التبابعة من الملك في الأرض والغلب على الأمم في العراقيين والهند والمغرب ، وقال في موضع آخر : وقد كان الخط العربي بالغاً مبالغته من الإحكام والإنقان والجودة في دولة التبابعة لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الجبرى ، وانتقل منها إلى الحيرة لما كان بها دولة آل المنذر ، نسبة التبابعة في العصبية ، المجددين للملك العرب بأرض العراق ، انتهى .

وعلى كل تقدير فإن أجل ما كتب في هذا الباب وأقربه إلى الحقيقة ، ما كتبه نشوان بن سعيد الجبرى ، والحسن بن أحمد يعقوب الهمداني ، وهما من فحول رجال الين وأعيانها ، غير أنه من المؤسف بل المومع أن معظم ما كتبوه سطت عليه أيدي الزمان ، ونواب الأيام ، وكثير من ذلك خرج من الين ولاذ بنزائن الغرب ، لاذ ببرلين ولندن وروما والاسكريال ، وما بق منه بالين انكش بنزائن العظام ، وانجحر في ظلمات البيوت ينادم الفيران والأرضة ، مع أن مؤلفاتها لا تخلو من المبالغة والمجازفة في كثير من الأخبار ، وذلك لبعدها ما بينهم وبين من كتبوا عنهم من القرون الطوال ، فقد نقلوا ما سمعوه وفيما كتبوه طرفاً من الخبر لا نباء عن الحقيقة . وزيادة على تقادم العهد ، ميلهم العظيم إلى المجد السالف والتغنى بمفاخر الآباء والأجداد إلى درجة التعصب ، وهو ما حال بينهم وبين نقد بعض (٤١) الأخبار المبالغ فيها ، مع أن تلك الأخبار ليست كذباً ، ولا يصح إهمال ما جاء فيه ، نوع من الغلو ، قال الأمير شكيب أرسلان : ه جاء في الانسيكلوبيديا الإسلامية دائرة المعارف : د أنه لم يوجد بين

كتاب العرب من جاء بتاريخ تحقيق عن الين ، وبمعلومات مؤسسة على قواعد متينة ، مثل الهمداني ، فقد كان هذا الرجل يمانياً مولوداً في صنعاء ، فحمله حب وطنه ، والإعجاب بقومه ، على تأليف كتاب الأكليل الذي ذكر فيه تاريخ الين ، ووصف العاديات التي هي في الجزء الثامن من الأكليل ، كان نشره مع ترجمة ألمانية الدكتور مولر ، وقد أخذ من الجزء العاشر معلومات تسكمل ما ورد في كتاب الهمداني الآخر المسمى بصفة جزيرة العرب ، وقد كان في كتاب الهمداني قصص أشبه بالأساطير نقلها الهمداني على علاقتها إلا أنا برغم ذلك هو الكتاب العربي الوحيد الذي يفهم منه القارئ ما ليمن ومن أهل اليمن وفيه تفاصيل عن أنساب الين وطبائع أهلها ، وعن مواقع مدنها ، وعن قصورها وحصونها ، لا توجد في كتب الإفرنج برغم تدقيقهم ، وكذلك في إكليل الهمداني عن سبأ وعن سبيل العرم ما لا يتم تاريخ الين إلا به ، وقد ذهب مولر أن السكتابات الحجرية لا تسكني لجلاء وتاريخ سبأ ومعين وبلاد الين .

وبالرغم على ما دونه الهمداني وغيره ، وما عثر عليه المستشرقون من النقوش وكشفوه من الآثار ووجدوه من المسكوكات ، فإن تاريخ أولئك الأقوام لا يزال في مرحلته الأولى ، وطريق الدراسة مهما أضمن فيها المتوغل ، وتقليب الصفحات وإن استغرقت أيام الحياة ، لا تسد الحاجة ولا تروى الغلة لما هنالك من مجاهل لا تهتدي الأفكار إلى ميعها ، والحل الوحيد لهذه المشكلة إنما هو درس الآثار والتفهم لأسرارها ، وأظن الوقت قد حان للفوز بهذا الفخر العظيم ، فن الخلق بتاج ذلك المجد الباهر ياترى؟ الأمل وطيد في همم رجال الجد ، ذوى الغايات البعيدة ، والمراتب الكبيرة ، (٤٢) والنفوس العالية ، والضامرات الحية ، وما ذلك عليهم بعزير .

إذن فما الحيلة؟ وكيف السبيل الآن إلى معرفة ما لا بد منه للورخ ليعرف الحاضر حق العرفان ، لأنه لا يعرف بغير الماضي لما يستنتجه من المباحث التي تدرجت فيها الأمة وأدوار الانتقالات التي مرت عليها

نظرة في الأدب

وكيف يكتب^(١)

- ١ -

(٧٩) الأدب كلمة طال ما حلل الكتّابون مدلولها ومعناها ، وبحثوا
بجد عن مواضع استعمالها ومزلاتها في الأساليب العربية الصحيحة ، وقد أدام
البحث والتنقيب ، وهدم الافتراء والتنقيب ، إلى أن هذه الكلمة وردت
كثيراً في الاستعمال الصحيح ، بمعنى الظرف ، ومعنى التهذيب ، فيقال أدب
إذا ظرف ، وتأدب إذا تهذب ، ومنه : أدبني ربّي فأحسن تأديبي ، الحديث
الشريف ، وقول الشاعر العرب :

وأدبته حتى إذا ما تركته أعا القوم واستغنى عن المسح شاربه
وقوله :

« أبعدي شيبى يبغي عندي الأدباء » .

ثم نقلت هذه الكلمة واستعملت في العلوم والمعارف أو ما يستطرف
منها ، وتوسعوا في التصرف بهذه الكلمة ، فأوردوها في محاورتهم وكتاباتهم
بمعنى اللائق والمرضى من الحركات ، كما قال : أدب الدرس ، وأدب القضاء ،
وأدب الجنديّة ، واشتهر إطلاق كلمة الأدب على المنشور والمنظوم على الطريقة
العربية الفصحاء . وعلم الأدب هو العلم الباحث عما يعصم من الخطأ في الكلام

(١) المسكّة : العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٨ هـ (فبراير /

مارس ١٩٣٩ م) ص ٧٩ - ٨٢ .

نظرة في الأدب

وكيف يكتب^(١)

- ١ -

(٧٩) الأدب كلمة طال ما حمل السكاتبون مدلولها ومعناها ، وبحشوا
بجد عن مواضع استعمالها ومنزلتها في الأساليب العربية الصحيحة ، وقد أدام
البحث والتنقيب ، وهداهم الافتراء والتنقيب ، إلى أن هذه الكلمة وردت
كثيراً في الاستعمال الصحيح بمعنى الظرف ، وبمعنى التهذيب ، فيقال أدب
إذا ظرف ، وتأدب إذا تهذب ، ومنه : « أدبني ربّي فأحسن تأديبي ، الحديث
الشريف ، وقول الشاعر العربي :

وأدبته حتى إذا ما تركته أخال القوم واستغنى عن المسح شاربه

وقوله :

« أبعث شدي يبغي عندي الأدباء ، .

ثم نقلت هذه الكلمة واستعملت في العلوم والمعارف أو ما يستطرق
منها ، وتوسعوا في التصرف بهذه الكلمة ، فأوردوها في محاورتهم وكتاباتهم
بمعنى اللائق والمرض من الحركات ، كما قال : أدب الدرس ، وأدب القضاء ،
وأدب الجندي ، واشتهر إطلاق كلمة الأدب على المنشور والمنظوم على الطريقة
العربية الفصحى . وعلم الأدب هو العلم الباحث عما يعصم من الخطأ في الكلام

(١) الحكمة : العدد ٣ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، محرم ١٣٥٨ هـ (فبراير /

مارس ١٩٣٩ م) ص ٧٩ - ٨٢ .

العربي وأساليبه ومناهجه . ولا غرض لنا في مرد ما قاله أئمة اللغة وأساطين البيان وعلماء المنظوم والمنثور في هذه السكلمة ، وإنما نريد أن نقول أن الأدب بمعنى المنثور والمنظوم ، وهما طريقة الترسيل وقرض الشمس ، قد لُحج به المتأخرون كثيراً ، وصار الأديب من (٨٠) يجيد الصناعتين ، أو يدعى الإجادة فيهما ، فيمنحه من لا دراية له بأسرار هذه الصناعة العالية الكبيرة هذا اللقب جرياً على المؤلف في الطباع ، من المواربة والمداجاة في تبادل الكلام والكتابة ، حتى قضى على طريقة الفحص ومنهج البحث وأسلوب التحصيل وفضيلة وضع الأشياء في مواضعها ، فاستنسر البغاث ، وانتفخ المهر ليسمع حروف كلمة الأسد تضاف إليه وينسب إليها ، ولشد ما منى الأدب بهذه المجازفة والتخليط فانتحطت قيمته ، وذوى غصنه الرطيب ، وفاض مأوه النير ، وأدجى نهاره المنير ، فلا ترى إلا هزلاً وهزلاً ، وورماً وانتفاخاً ، والحقيقة مهضومة مدروسة في طباط صخب الصاحب وأسفاف الكاتب .

حقاً إن الأدب بهذا المعنى الأخير هو ظل الحياة الاجتماعية ، تمتد بامتدادها ويتقلص بتقلصها ، وعلاقته بها كعلاقة الروح بالجسد ، والنور بالشمس ، وأنت إذا أردت أن تشاهد أصدق صورة للحياة الاجتماعية فعليك بإرسال الطرف إلى طروس الأدب وصفحاته فهناك ترى الحياة بألوانها ومخاضها ، وجدها وهزلها ، ومساوئها ومحاسنها ، هناك ترى القلوب وعزماتها ، والنفوس ورغباتها ، والعقول وآياتها ، والأفكار ومجادلاتها ، هناك ترى ضوضاء الحياة ، وصخب الاجتماع ، وكفاح المجدين ، وعيث اللاعبين ، وصرخات المنكوبين ، وأنان المهضومين ، وتعلات الأمل ، ومرارة اليأس ، وشكاوى المحبين . وصلف المحبوبين .

الأدب مرآة صافية تمثل خطرات الأفكار ، وجلاجل الصدور ، واشتباك السلسلة البشرية في الشؤون الاجتماعية ، ترى فيها حماسة رجالات

الجد تلمتبه ، ودعابات أرباب المبادئ تنلون ، وكفاح أولى السلطات يستمر ، ترى المدح والذم ، والحكمة والنسب ، والاستجداء والاستعفاف ، والتقريع والتوبيخ ، والتأديب والتهذيب .

(٨١) وإن أردت أبها القارىء زيادة في البحث ، وبسطة في القول ، فاعلم أن الأدب طال ما بنى وأشاد ، وهدم وأباد ، وقلب الوضع ، وعكس الأمر ، وكثيراً ما أذل ووضع ، وأعز ورفع ، كم أطاح من رؤوس ، وأخذ من نفوس ، وكأين من أديب غير بأدبه سير التاريخ ، ومنار الحقيقة ، وصوى الطريقة . ولا أذهب بك بعيداً إذا قلت لك أن الأدب منزلته من الواقع منزلة الحياة من الحى ، وأن الحياة متأثرة به كما هو متأثر بها .

وها هنا نمسك عنان القلم وننتقل إلى طريقة التأليف والكتابة في الأدب . وليس بمعارب على الأديب أن جهوداً عظمى قد اطلعت بكتابة الأدب العربى من أفراد ، رفعوا من شأن الأدب ، وأعلوا مستواه ، فاستعاد الأدب مكانته اللائقة به . وعرف الناس قيمة الأدب ونسبته من الحياة ، ونسبة الحياة منه . ولكن أولئك الكتاب على عظم شأنهم ، وخطر أقدارهم واتساع معارفهم ، وثقوب أفكارهم ، وجليل أعمالهم ، لم يرجوا يوماً ما إلى الأدب البينى ، ولم يرجوا إلى مغانيه وربوعه ، فيرسموا لمشاق الأدب صورة ناضرة يتمتع بها ، ويضعوا مثالا يحتذىه الكاتب والباحث ، ويرفعوا مناراً يستضاء بأشعته ، فيمشى الكاتبون في أضواءهم على سلامة من العثرات والارتطام .

وبهذا فالكتابة في الأدب البينى تتطلب مقدرة بيانية ، وماسكة في الأدب غير متزعزعة ولا مضطربة ، وعرفاناً بجيد القول وهزيله ، وغثه وسمينه ، واضطلاعاً بأساليب الرقة والفخامة ، وعلماً بمواقع الإسماب المفخم ، والايجاز المفهم ، ودراية بمواقع الكلام ، وكيف يرسم ، وما يجب في الوضع من انساق وارتباط ، واشتباك واتصال ، ليسكون هادلاً فيما يحكم . ومنصفاً

وقد تبع هذا التفاوت الطبيعي التباين في العمران ، فبينما أنت في حاضره
حافلة بالترف و غصارة العيش ، وزاهية بألوان الحياة وزخارف الحضرة ،
إذ بك في بادية منقبذة في زاوية مرعبة ، لا يعرف أهلها إلا ثغاء الشاة ،
ومواء القطط ، ورغاء البعير ، يعيش الواحد منهم ولم ينفذ بصره إلى ما وراء
الجبل التي احتجب وراءها ، وربغ في أحشائها ، وترعرع في سفوحها .
وقد كان لهذا التفاوت في الطبيعة والعمران أثره الذي لا يجهل ، ونتيجتها التي
لا تختلف في الأخلاق والمواهب ، ومن له دراية بعلم السنن ، والمأمة بطبائع
العمران يعرف المسافة الشاسعة بين أخلاق البدو والحضر ، والتباين البين
بين منازع الفريقتين وميولهم وعواطفهم واتجاهاتهم ، لقد كان هذا المعنى
مرتكزاً في أفكار القوم ، متأصلاً في طبائعهم ، اهتموا إليه بما أوتوه من
صفاء القرائع ، وصادق الذكاء ، ولطافة الإدراك ، على رغم أنهم ما درسوا
علم النفس ، ولا جئوا بين أيدي الأسسائفة ولا ضمنهم كلية ، ولا هذبهم
مدرسة ، ولكن قوة الاحساس ، والبراعة من الكرازة والجفاوة ، وبلادة
الطبيع ، وغلظ القلب ، دلهم على ما نطق به ألسنتهم . ولقد كان سكان
البادية يرون أن الشمم والاباء وصلابة العود ، وطهارة الضمير ، وعلو
الهمم ، وعظم النفوس ، ومثانة العزائم ، من مواهبهم التي لم تبعد أطناب
الخيام ، (١٤٨) ومسارح الآرام ، ولقد افتخروا ففخروهم ، يقال :

فن تكن الحضارة أعجبتة فأى رجال بادية ترانا
ومن ربط الجحاش فإن فينا قنا سلباً وأفراساً حسانا

وقال آخر :

الموقدون بنجد نار بادية لا يحضرون وفقد العز في الحضرة

وقال مادم منهم :

هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه من نسل شيدان بين الضال والسمير

وقد قبع هذا التفاوت الطبيعي التباين في العمران ، فبينما أنت في حاضره حافلة بالترف وعضارة العيش ، وزاهية بألوان الحياة وزخارف الحضرة ، إذ بك في بادية متقبذة في زاوية مرعبة ، لا يعرف أهلها إلا ثغاء الشاة ، ومواء القطط ، ورغاء البعير ، يعيش الواحد منهم ولم ينفذ بهصره إلى ما وراء الجبل التي احتجب وراءها ، وربيع في أحشائها ، وترعرع في سفوحها . وقد كان لهذا التفاوت في الطبيعة والعمران أثره الذي لا يجهل ، ونتيجتها التي لا تتخلف في الأخلاق والمواهب ، ومن له ذراية بعلم السنن ، وللمامة بطبائع العمران يعرف المسافة الشاسعة بين أخلاق البدو والحضر ، والتباين البين بين منازع الفريقين وميولهم وعواطفهم واتجاهاتهم . لقد كان هذا المعنى مرتكزاً في أفكار القوم ، متأصلاً في طبائعهم ، اهتموا إليه بما أوتوه من صفاء القرائع ، وصادق الذكاء ، ولطافة الإدراك ، على رغم أنهم ما درسوا علم النفس ، ولا جثوا بين أيدي الأسسائفة ولا ضمنتهم كلية ، ولا هذبهم مدرسة ، ولكن قوة الاحساس ، والبراعة من الكرازة والجفاوة ، وبلادة الطبع ، وغلظ القلب ، دلم على ما نطق به ألسنتهم . ولقد كان سكان البادية يرون أن الشمم والاباء وصلابة العود ، وطهارة الضمير ، وعلو الهمم ، وعظم النفوس ، ومناة العزائم ، من مواهبهم التي لم تبعد أطنان الخيام ، (١٤٨) ومسارح الأرام ، ولقد افتخر ففخرهم ، يقال :

فن تكن الحضارة أعجبتة فأى رجال بادية تـرانا
ومن ربط الجحاش فإن فينا قنا سلباً وأفراساً حسانا

وقال آخر :

الموقدون بنجسد نار بادية لا يحضرون وفقد العز في الحضرة

وقال مادم منهم :

هذا أبو الصقر فرداً في محاسنه من نسل شيدان بين الضال والسمير

ولعمري أن أبناء البادية ، وأحلاس الصحارى ، على حق فيما يتعصبون له ، فكثيراً ما كانت الحياة في مراتع الغلبا ومنابت الشيخ ، حياة طهر وعفاف ، وعزة ومهولة ، رغبات النفوس فيها محصورة ، ومطامع الآمال فيها محدودة ، وحاجات العيش ميسورة ، ودواعي الهناءة موفورة تحت ظل السماء الصافية ، وفوق أفواف الطبيعة الزاهية ، يألون الصراخه ، ويمجدون الصرامة ، ربأوا بأخلاقيهم عن التحول في مستنقعات الخنوع والذلاله ، وآثروا المنايا على الدنيا ، وحاربوا الخنا ، وتعالوا عما يمس كرامة نفوسهم الآبية ، وباطخ أعراضهم النقية .

وقد سبق لنا في المقال السابق أن الأدب متأثر بالحياة كما هي متأثرة به ، وأن العلاقة بينهما محكمة العرى ، شديدة الالتحام ، وأنه مرآة ترسم فيها صور الحياة وألوانها ومظاهرها وما يحيط بها من حبور وغم ، وخسارة وغم ، لا جرم لقد حكمنا بتفاوتات الحياة في الجزيرة العربية ، وتعدد ألوانها ، واختلاف مظاهرها ، وأن منها المشرق المتلألئ ، والعاث الكامد ، والروض الأنف ، والموضع الصفصاف ، إن الأدب فيها يتفاوت ، وإن أساليبه في جنباتها تختلف وتنوع تراكيبه إذ الأدب أثر من آثار الحياة ولشد ما تكون به الألفة والالتحام والارتباط بين المؤثر والأثر . وقد حاول بعض المتأخرين أن (١٤٩) يكشف القناع عن هذا الموضوع ويحزح أسناره ويصرح عن الزبد فلم يأت بشيء يذكر .

وقد حدثتنا كتب الأدب عن آداب الأمة العربية في جاهليتها ، وامتثلت بطون المؤلفات الضخمة بينات أفكار أولئك الأعراب القحاح ، والشعراء الحناذيد ، والفحول المصاقيع . ولقد تناول أدبهم شتى المشادة التي كانت تشغلهم في صبحهم ومسيهم ، وغدوم ورواحهم ، من جرّ غارات ، وصدام جماعات ، وبث مفاخر ، وتعداد مآثر ، ووصف دقيق يصور لك القبائل

في حلمها وترحالها ، وما يجري بينها من أحداث ، وما أولعت به من سباق ،
وقنص وحماصة ، ونحر وتسابق ، وتغالب وتشتائم ، وتمايب وترحال يطوى
البعد ، ويذلف البعيد ، على خصوص كأشباح الحنايا ، ضمير لا تفتر تسير عنقا
وترد الماء خمساً . وتناولوا في أدبهم أحاديث القلوب ، ومناجات الضمائر ،
وشرحوا أمرار الحب ، وأفاضوا في تقديس الجمال من قلوب استولى عليها
الوله ، واستحوذ على شغافها سلطان الحسن ، وأذعنوا لحكم الحب الذي
لامعقب لحكمه ، فأكثروا من التشبيب بالغانيات ، والهيام وراء الظباء
الفائنات .

ولا تنس ما ازدان به أدبهم من الأمثال السائرة ، والآيات النادرة ،
والحكم الرصينة ، والكلمات المتينة ، وما امتاز به أدب الجلم الغفير منهم من
بهاء القول ، وسمو الأسلوب ، ونبيل المقصد ، وجدة الابداع ، وحلاوة
الفخامة ، وطلاوة الجزالة . ولقد مر ما يزيد على خمسة عشر قرناً وأدبهم
مشرق الديباجة غض ناظر بهي ، ومتلألئ مضيء ، دان جناءه ، وعلى طرف
النمائم قطوفه يستشهد به الأديب ، ويتمثل به اللبيب ، فيقرطس سهمه ،
ويبلغ من السامع مالا يبلغه السحر وإن لطف ، أنظر إلى عنقرة
وهو يقول :

يخبرك من شهد الوقية أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم

تري فيه عجباً من علو الأسلوب ، وقوة التركيب ، ودقة الوصف
والإجادة في (١٥٠) البيان عن خلقه الذي سما به عن مزاحمة من يتهافون
على السلب ، وانظر إلى زهير وهو يقول :

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السباحة والبذل
ويقول أيضاً :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذم

— ٣٥٨ —

والثفت إلى امرء القيس الكندى وقد غادر مرابع أنسه ووطوه ابتغاء
درك الثأر من قتله أبيه، تسمعه وهو يشجع رفيقه وقد شجاء النأى، وروعة
الفراق، وأربعه مضض الغربة، فذرفت عيناه بالدموع، وأميره الكندى
بمخاطبه، فيقول :

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن أنا لاحقان بقيصرا
فقلت له لاتبك ويحك إنما نحاول ملكا أو نموت فنعذرا
هنا النفس الكبيرة، والعزيمة الجبارة، القوة التي تستسهل الصعب،
وتندفع في كل غمرة، وإن شئت فانظر إلى أعشى همدان، وهو يهجو
الحرث بن وعلة، وقد حرمه جدواه :

أنيت حريثا زائرا لجنابة فكان حريث عن عطائي جامدا
إذا ما رأيت ذا حاجة فكأنما يرى أسدا في بيته وأسودا

لها بقية
عبد الله العزب

نظرة في الأدب العربي القديم

وحظ اليمين منه (١)

— ٣ —

(١٧١) هكذا كان أدب القوم في جاهليتهم، ألفاظا كريمة، ومعاني
شريفة، وأساليب رشيقة، تتصل بالقلب، وتلتحم باللب فتؤثر فيه تأثير
الغيث في الأرض الجذب. وقلبا تجدد في القطعة الكبيرة من كلامهم ألفاظا
مسخوطة، أو معاني مدخولة على كثرة افتنانهم في الكلام، وحمل بعضهم

(١) الحكمة : العدد ٦ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، ربيع الثاني ١٣٥٨ هـ
(مايو/يونيه ١٩٣٩ م) ص ١٧١ — ١٧٥ .

— ٣٥٩ —

على بعض ، واشتقاق بعضه من بعض . وقد يعجب الناظر في أدهم ماشاء
أن يعجب حينما يقرأ الكثير للطيب من أشعارهم فيجده لنا عذبا ، وسائغا
سهلا ، ليس فيه ما يعلو على متناول الإفهام أو ما يبعد عن مستوى المدرك :
أنظر إلى كلام المنخل اليشكري في كلمته المشهورة التي يقول فيها :

إن كنت عاذلتى فسيرى نحو المراق ولا نحورى
وقوله فيها :

ولقد دخلت على الفتاة الخدر في اليوم المطير
الكعب الحسنة تر فل في الدمقس وفي الحريز
فدفعتهما فتدافعت مشى القطساة إلى الغدير
ولتتهما فتتنفس كتنفس الظبي الغرير
فدنت وقالت يا منخل ما يجسمك من حرور
ما شفت جسمي غير حبسك فاهدنى عنى وسيرى

إلى قوله :

يا هند من المتيم يا هند للعاني الأسير

(١٧٢) انظر إلى هذا الكلام تراه قد أخذ بعضه بأعناق بعض ، والتحم
أسلوبه ، وتلايلات كلماته ، وأشرقت ديباجته ، وقويت لحنه وسداه ، ودنى
إلى الفهم ، واقترب من الإدراك حتى لينخيل إليك أن في استطاعه كل أحد
أن ينسج على منواله ، ويصوغ مثل سبك ، ولكن الخبر بالقول ، العليم
بحاسنه ، والعارف بمزاياه ، الناقد لمعايه ، المصطلح بمواضع العلو
والاسفاف ، البصير بتأليف الكلام وترصيفه وتحبيره وتنسيقه ، يعرف
أن هذا يكاد يمتنع على كثير من الفحول الخناذيد .

ولا يذهبن بك الوهم إلى أن هذه الخصائص البينة في أدب القوم لم تتناول إلا النسيب ، ولم تتجاوز أما كن التشبيب ، فأدبهم مشرق الديباجة ، متين الأسلوب ، رائع الوصف ، جميل الرصف ، بهى القول ، جميل الوضع ، محكم النسيج بلا تفرقة بين الأبواب ، ولا تزييل بين موضوعات الخطاب .

وإذا أردت زيادة في البرهان ، وإمعانا في التبيان ، فقف قليلا على قصائد عدى بن زيد العبّادى التى عاتب النعمان بن المنذر بها ، وقد سجنه بعد أن أخلص له الولاء ، وأسلف له الجليل ، وسمى جده السعى فى توطيد دهائم عرش النعمان ، وقضى على كل نعمة ضده فى قصور آل كسرى بالمدائن ، وما كان جزاؤه من النعمان إلا الغلظة السوداء والتشكر الفظيع ، فلبس له جلد النمر ، وزجه فى السجن ، وغيبه فى قرار مخافة أن يتصل به أحد يسمى خبره إلى الملك الفارسمى . وسنضع مثالا واحداً من عتابه للنعمان من زوايا السجن لتعرف به مدى ارتفاع الأدب العربى فى عصوره الأولى ، قال من قصيدة له :

وتقول العداة أودى عدى وعدى بسخط رب أسير
أيها الشامت المعير بالدهر أمنت المبرىء الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الأيسام بل أنت جاهل مغرور
(١٧٣) أن يصيبنى بعض الهنات فلأوا ن ضعيف ولا أكب عثور
كقصير إذ لم يجد غير أن جـ دع أشرافه لمكر قصير
من رأيت المنون خلد أم من ذا عليه من أن يضام خفير
لا توثأنيك أن صحوت وإن أجهد فى العارضين منك القثير
يوم لا ينفع الرواغ ولا يعسدم إلا المشيع النحرير
أين كسرى كسرى الملوك أنوشر وإن أم ابن قبله سابور

وبنوا الأصغر الكرام ملوك الروم لهم يبق منهم مذكور
وأخو الحضرة أذنباه وإذا دجاجة تجبي إليه والخابور
شاده مرمرأ وجلله كلساً فالطائر في ذراه وكور
لم يهيه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدي نفكير
مره ماله وكثرة ما يملك والبحر معرضاً والسدير
فارغوى قلبه وقال ما غبطة حى إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والأمة وائتمهم هناك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جفف فألوت به الصبا والدبور

وقد نقل بعض رواة الأدب أن ابن عباس كان كثيراً ما يستنشد قصيدة
عدي بن زيد هذه ، فإذا سمعها هن لها رأسه ، ولعمري أنها جديرة بهز
رأس حبر الأمة لها .

وحسبنا أن نقول أن اللغة العربية كانت قد انقادت وأذعنات واطردت
واستوت في هذه الجزيرة ، وبلغت شأواً هو نتيجة عصور طوأل ، ثم
ترعرعت فيها وتطورت ونشأت وتقدمت ، إذ لا يعقل أن يكون هذا الأدب
الغض ، والقول النضر (١٧٤) للغة ناشئة في مهدها ، كما أنه لا يكون للغة
رمت في لحدها .

على أنا لا ندعى أن كلام القوم ، أجمع أكتع ، كان في طبقة واحدة ،
وفي مستوى واحد ، فكلام الناس طبقات ، كما أن الناس في أنفسهم طبقات ،
قال إمام الأدباء عمرو بن بحر الجاحظ : وفن الكلام الجزل والسخيف ،
والمليح والحسن ، والقبيح والسمج ، والخفيف والثقيل ، وكله عربى ، وبكل
قد تكلموا ، وبكل قد تمادحوا وتعابوا ، فإن زعم زاعم أنه لم يكن في
كلامهم تفاضل ، ولا بينهم في ذلك تفاوت ، فلم ذكروا المعيب والبكى ،

والحصر والمفهم ، والخطأ والمسهب ، والمنشأ والتمهيد ، والمهمال
والثرائر ، والمكتنار والهامز ، ولم ذكروا الهجر والهنر ، والهديان والتخليط ،
إلى آخر ما مرده ، وأنت تراه قد عدهد هيوب الكلام ، وألم بسياآته ، وأبان
أنهم كانوا أولى بصائر يهتدون بها إلى النقد ، فإن رأوا شيئاً بهرجوه ، وإن
رأوا حسناً هشوا إليه وأكرموه . . وقال أبو العباس المبرد : « من كلام
العرب الاختصار المفهم ، والأطناب المضم ، وقد يقع الإيحاء إلى الشيء
فيغنى عند ذوى الألباب عن كشفه ، كما قيل لمحة دالة ، وقد يضطر الشاعر
المقلق ، والخطيب المصقع ، والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى
المستغلق ، واللفظ المستكره ، فإن انعطفت عليه جنبتا الكلام خطنا على
عوارده ، وسترنا من شينته ، وإن شاء قائل أن يقول بل الكلام القبيح في
الكلام الحسن أظهر ومجاورته له أشهر كان ذلك له ، ولكن يغتفر الشيء
للحسن ، والبعيد للقريب ، أ هـ .

والشوط بطين في تحليل الأدب الجاهلي تحليلًا دقيقاً كاملاً ، بيد أنا
بجزء هنا بهذه الكلمة ، ونمسك عنان القلم ، ونعرج على ما وعدنا به من
تبيان حظ اليمن من الأدب الجاهلي . ولا يضطرنا الموضوع إلى الإسهاب
بعد ما أسلفنا في صدر هذا المقال من تفاوت حال الجزيرة العربية في
جغرافيتها ، وتبع ذلك التفاوت التباين الشاسع (١٧٥) في عمرانها وطبيعتها
حياتها ، واستتبع ذلك التفاوت في الأخلاق والمنازع ، والخواطر والعواطف
والأدب كما أسلفنا مرآة تمثل الحياة وصورها ، أو أثر لها متأثر بها . وقد
كان اليمن في تلك العصور البائدة متمتعاً بمدنية لا تزال آثارها موضع إعجاب
الناظرين ، وقبلة أنظار الرواد من المستكشفين ، على قلة ما عثروا عليه
وظفروا به من النقوش الدقيقة ، والآثار الرصينة ، والتمائيل الثمينة ،
والرسوم الساحرة ، والآيات الباهرة ، الناطقة بمظمة كانت ضاربة أطنابها
في طول بلاد معين وسبأ وحير والأذواء وعرضها .

(لها بقية)

عبد الله العزب

نظرة في الأدب العربي القديم

وحظ اليمين منه^(١)

- ٤ -

(٢٦٥) وقد عرف جنوب الجزيرة العربية شعوباً وأما بادت وفنيت
وانقطعت أخبارها ودرست آثارها ، وقد أخبرنا القرآن الكريم الذي هو
أصح مصدر يعول عليه في أنباء الأمم البائدة ، والشعوب الغابرة ، بأن عاد
الاولى ، التي كانت منتشرة في أرض الأحقاف في مشرق الين ، كانت ذات
سلطنة وجبروت وقوة مرهوبة الجانب ، وإنها كانت مشغوفة ببناء المصانع
المتينة ، والمعازل الحصينة ، شديدة الولوع بمباهج الحياة ، وزخارف العيش ،
فاتخذت الحدائق الخضراء ، والجنات الآنية ، وأجرت العيون الدافقة ،
واقننت الأنعام الوافرة ، وأن الزمن لان لها حتى عظمت ثروتها ، وتوافر
عدد أبنائها ، وتمسكنت من رفح البروج المشمخة على قن الشاشات ،
وحسبنا أن نذكر دليلاً واحداً على ما أديناه ، فقد ورد في سورة الشعراء
ما حكى الله ، وهو الصادق القول ، عن هود حين أرسله إلى هذا المجتمع
المفتون بقوته وطيب حياته ، ليبيب بهم إلى صالح العمل ، وكريم الأخلاق ،
وليردعهم عن الإمعان في رذائل الترف ، وأئيم الشهوات ، وليسقل من
سورة طغيانهم وجبروتهم ، ويذكرهم بما أوتوه من خضارة عيش ، ورفاهية
حياة ، وشدة قوة ، فقال : (أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع
لعلكم تتفلدون ، وإذا بطشتم (٢٦٦) بطشتم جبارين فاتقوا الله وأطيعون
وانقوا الذي أمركم بما تعملون أمركم بأنعام وبنيين وجنات وعيون) . وقد

(١) الحكمة : العدد ٩ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، رجب ١٣٥٨ (أغسطس /

سبتمبر ١٩٣٩) ص ٢٦٥ - ٢٦٨ .

هناك عاد وفنيت في مساكنها أرض الأحقاف ، ونشأت عاد الثانية ،
وتطور الزمن ، وتبدلت الأحوال ، وعاشت أمم من بعدهم وبادت لا يعلمها
إلا الله . لقد حاول بعض المشغوفين باستكشاف التاريخ القديم أن يتكلم
عن الأخطا السامية التي انتشرت في جنوب الجزيرة وغيره فاستند إلى
نقوش أبرزها الاقتراء والبحث في الأطلال البالية ، والخرايب الدائرة ،
وبعد محاولة كبرى لحل أسرارها ، وتفهم حروف كلماتها ، عثروا على
على شيء ضئيل ينطق بما كان لتلك الأمم البائدة من عناية دقيقة بالفنون
الجميلة ولكنهم ظلوا ، أو ظلوا أفهامهم بدعواهم الفارغة أنهم قد تمكنوا
بها من تحليل ذلك التاريخ الموهل في القدم ، وأنهم قد فهموا العلائق اللاحقة
كانت بين الشعوب المتجاورة ، وعرفوا قوانين حكوماتهم ، وأسماء ملوكهم ،
ومبلغ ارتفاع ثروتهم ، وتجاوزوا هذا فتكلموا عن فنون لغتهم ، من
صرف ونحو ، ومشوا على هذه الخطة التي هي عبارة عن افتراض وتحكم
وتخمينات إلى آخر حدود القول . واسترخى رعن السخف ببعض أولئك
السكان ، فتكلم على الكلمات التي تسربت من لغة شعب إلى لغة شعب
آخر ، وغير هذا من الهذر والهجر ، فإذا ما وزن كلامهم بميزان التحصيل ،
وغربل غرلة صادقة ، خرج كله نفاية ، ومالت كفته على رغم ما فيه من
التناقض والتباين ، ولا ننكر فضل كثير من الباحثين وراء حقائق التاريخ
وشدهم الرحال إلى مواطن النقوش والآثار في الشرق ، وأنهم قد استنصروا
بجهودهم الجسارة كشف كثير من الحبايا ، وإنما الذي ننكره استرسال
طائفة منهم وأتباع لهم من غيرهم ، ظنوا أنهم لمسوا السماء بأيديهم لم يفارقوا
الشلل ، وداروا مع الفلك بأرجلهم لم تعرف غير القزل ، فحشروا أشياء
يستغرب ذوا الفهم عند دراستها صدورها من رجالات (٢٦٧) العلم والبحث ،
ويعجب اللبيب ما شاء عندما يراهم يفتنون الأساطير التي رواها من قبلهم ،
والخرافات التي أضيفت إلى التاريخ ، وكيف تسيل أفلامهم وتندفع اندفاع

السييل الآتى ، ثم لا يلبث إلا قليلاً ، فإذا هم قد جاءوا شيئاً إذا فوق الحرافة والأسطورة بمراتب ، طائنين أن التساريخ بالتخرص والتحكم وهو فوق ما يظنون . وقد جرننا إلى هذا البحث ، وإن كان له موضع غير هذا ، ما أسلفناه من أن الأدب أثر للحياة مثل لها ، وإن العلاقة بينهم شديدة الالتحام قوية الشأن فالأمة التى ترسخ قدمها فى الحضارة ، وتتأصل فى الحضارة ، وتمتع بنصيب كبير من رفاهة العيش والرخاء ، وتعرف بالقوة والثراء ، لا جرم يكون أدبها عالياً ذا بهجة ورواء . ولا نريد بهذا أن نثبت دعماً ، أدباً عالياً إثباتاً قطعياً ، فهذا ما لا ندعيه ولا نعلمه ، وإنما الذى نريد أن نقوله هو أن الذين قد اتسم بالعمران ، وعرف بالتقدم فى كثير من الفنون فى أزمنة لا يستطيع كاتب أن يتكلم عنها بأكثر مما يقولون من أنها عصور قديمة بادأ أهلها وآثارهم ، وانقطعت الصلات بينها وبين ما خلفها ، ولم يعرف من أمرها غير التافه النذر ، ولولا ما جاء فى السكتب السماوية ، وأصدقها القرآن الكريم ، من قصص سيق للعبرة ، وجىء به للتذكرة ، لما إهتدى أحد إلى أسمائها ، ولا شيء من أخبارها . وهذا العصر هو الذى يطلق على أبنائه لفظ العرب البائدة ، وهو الذى ننكر على المتخربين وأهل الافتراض من رجالات التاريخ استرسالهم فى تفاصيل أحواله ، وتبيان دقيق أنبائه . والكلام على الأدب يضطرنا إلى الامام بكثير من المباحث التاريخية التى يستبين بها كثير من مظاهر الحياة ومجاليها ، إذ الكلام على الأدب لا يتم على الصفة الكاملة إلا بالتعرض لما يتصل به ويلبسه ، لتعرف عوامل رقيه وانحطاطه ، ويتبين وجه الارتباط والالتحام بين الأدب والحياة . وإذا كان الأديب إنما يصور عواطفه ، وخوارج نفسه ، وخطرات فكره (٢٦٨) فهاته الخوارج والخطرات إنما تمدها الطبيعة لصفاتها وتجهمها ، وتغذيها الحياة بمباهجها ومساءتها ، وتؤثر فيها المناظر والمشاهد من رياض وغياض ، وجنات وعيون ، وجبال شائحات ،

وصحارى مترامية ، وأودية سحيقة ، وأطيار تصدح ، وأمواه تخر ،
وأرواح تهب ، وأشجار تحف ، وسحب تتراكم وتبتدد . هذه هى المعانى التى
تقضيها الطبيعة وتوحىها إلى قلب الأديب ، فتجرى على لسانه ، فيساس
القول ، وينقاد له الصعب الجراح من أوابده وشوارده ، كما تمدد الحياة
وما فيها من سررات ومساءات ، وآمال وآلام ، ومباهج ومفانن ، ومظاهر
وروايع ، ترهف الشعور ، وتحبى العاطفة ، وتقوى الملسكة ، وتطلق اللسان ،
وهذا لا يعرف جد المعرفة إلا بالتعريح على كثير من زوايا التاريخ
الاجتماعى ، ودراسة كل ما له علاقة بالأدب دراسة عميقة ليتمكن كاتب
الأدب من إخراج صورة غير مشوهة ولاخداج وقد كاد الاتفاق ينفقد
على ما كان لليمن فى زمن حكومتى سبأ وحير من حضارة وعمران ساحق
كان لها بلاريب أعظم أثر فى أدب الأمتين ، ومنلم بخلاصة وجيزة لنتمكن
بها من فهم الأدب وتطوره ، وننتقل بعد ذلك إلى إثبات بعض ما وصل
إلينا من أدب العرب فى اليمن قبل الإسلام ، مع التعرض لما يحيط بالأدب
ويتصل به ويؤثر فيه ، متوخين قصد الطريق لئلا نلتسكب الحقيقة فى
ما نطلب ونزوم ، ونلتمس معذرة الناظرين فى ما نكتب ، فذلك مبالغ
ما لدينا ، وحسب المقل أن يجود بما عنده ، ومن قدر عليه رزقه فليوفق
بما آناه الله .

عبد الله العزب

(لما بقية)

نظرة في الأدب العربي القديم

وحظ اليمن منه^(١)

(٢٩٧) إنا إذا بحثنا عن الأدب ومناشئته ، ونظرنا بدقة وتأمل إلى هوائه ومصادره ، اضطررنا للبحث وألجأنا الموضوع إلى إرسال الطرف إلى زوايا التاريخ الاجتماعي والاقتصادي ، والتنقيب عن السكفل الذي نالته الأمة التي نبحث عن أدبها من الأمرين معاً ، لما ثبت من أن الأدب هو ظل الحياة وأثر لها ، وأن الرابطة بينهما شديدة الالتصاق لا تنفصم عروتها ولا يرتحبليها ، وإذا كان الأديب إنما يصور بأدبه خواجج نفسه وخطرات فكره ، والمعاني التي تمتلج في وجدانه ، فتلك الخواجج والخطرات والمعاني منشؤها ما يحيط به من مظاهر الحياة ومناظر الطبيعة ، وما يفاجئه في صبحه ومسيه من أحداث المجتمع الذي يروح ويغدو في جنباته ، ويرتع في نواحيه ومقتدياته ، وحوادث المجتمعات اللاتي يزخر آذيها ، وتهب أعاصيرها ، وتكاثف غيومها ، هي التي توحى إلى الأديب ما تتحلى به الطروس ، وتبتهج به النفوس ، فيستمد من فيض ورآه غيض متراعى الأكتاف ، تنفجر عيونه وتجري يناعيه ، فلا يدركه الأكداء ولا يلتوى عليه القول . ومناظر (٢٩٨) اليمن الطبيعية أخاذاً بالنفوس تستهوى اللب ، ولا سيما في الزمن الذي يزل فيه الودق من صيف وخريف ، فتري الجبال الشاهقة ، والأودية السحيقة ، والنواحي المترامية الأطراف ، قد اهتزت وربت وأخذت زخرفها وأزمنت ، وبرزت في حلة قشبية من مختلف النبات ، وجعل الأزهار ، وريق الأعشاب . كما أن قسماً كبيراً من اليمن سهول

(١) الحكمة : العدد ١٠ ، السنة الأولى ، المجلد الأول ، شعبان ١٣٥٨ هـ (سبتمبر/

أكتوبر ١٩٣٩ م) ص ٢٩٧ - ٣٠٣ .

متسعة ، كلها حفول زراعية جيدة التربة ، ينمو فيها الزرع ، ويترك فيها
النبت ، هذه السهول الفيحاء والجبال المتسلسلة هي التي ضربت بسهم صائب
في العمران والتقدم الزراعي والإنتاج الاقتصادي في العصور التي قهرمت
وخلت منذ آلاف السنين . وقد أثبتنا بالدليل القاطع ما كان في الين من
قوة ورخاء ونعمة وثراء زمن عاد الأولى بما لا مجال للاستزابة فيه ،
ويقول المؤرخون أن عاد الثانية انتشرت في طول البلاد وعرضها ، بعد
مهلك عاد الأولى ، التي ساءت مصائرها لطغيانها واغترارها ، فأصبحت
صرعى كأنها أعجاز نخل خاوية ، وقد ذكر الجاحظ في كتابة البيان والتبيين
بعد أن جاء بقطعة شعرية لابنة وثيمة ترى أباه وثيمة بن عثمان ، وجاء في
قولها في صفة والدها :

والدافع الخصم الألد إذا تفوض في الخصومة
بلسان لقمان بن عا د وفصل خطبته الحكيم
الجهنم بعد التدا فع والتجاذب في الحكومة

قال : « إن العرب كانت تعظم شأن لقمان بن عاد الأكبر والأصغر ،
ولقيم ابن لقمان ، في النباهة والقدر ، وفي العلم والحكم ، وفي اللسان والحلم ،
وهذا غير لقمان الحكيم المذكور في القرآن على ما يقول المفسرون) .
هكذا قال الجاحظ وفيه دلالة أن أخبار عاد الثانية ، ومنهم لقمان وليم ،
اتصلت أنباؤها بمن بعدها وتناقلت الألسنة أديها وعليها وحكمها ، وعرف
من بعدها شأنها وجلالها ، وقد قال الجاحظ (٢٩٩) بعد سياقة الأول
ما لفظه : (وقد قال الأول في تعظيم شأن لقيم بن لقمان) :

قوى أصبحني فاصبح الفتى حجرا لكن رهينة أحجار وأرماس
قوى أصبحني فان الدهر ذو غير أقف لقيا وأقنى آل مرماس

اليوم خسر ويسدو في غد خبر والدهر من بين إنعام وإبأس
فاشرب على حدثنان الدهر مرتفقا لا يصحب الهم قرع السن بالكأس

وقال أبو الطمجان القيني « شاعر جاهلي وأدرك الإسلام » :

إن الزمان ولا تنفى عجائبه فيه تقطع إلاف وأقران
أمتت بنو القين أفرافاً موزعة كأنهم من بقايا حي لقمان

قال : وقد ذكرت العرب هذه الأمم البائدة ، والقرون السالفة ،
وابعضهم بقايا قليلة وهم أشلاء في العرب متفرقون مغمورون ، ثم قال بعد
كلام له عن ثمود ، وقال المسيب بن علي (من شعراء الجاهلية المقلين جيد
الشعر بحكم القول) في ذكر لقمان :

ولإليك أعملت المطيعة من سهل العسراق وأنت بالفقر
أنت الرئيس إذا همو نزلوا وتوجهوا كالأسد والنمر
لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنصور لیسلة القدر
ولانت أجود بالعطاء من السريان لما جاد بالقطر
ولانت أشجع من أسامة إذ نفع الصراخ ولج في الذعر
ولانت أبين حين تنطق من لقمان لما عى بالامر

وقال لبيد بن ربيعة الجعفری :

واخلف قساً ليتنى ولو أنى واعى على لقمان حكم التدبر
فان تسألينا كيف نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر

(٣٠٠) وقد يقف المتأمل عند قوله :

ولانت أبين حين تنطق من لقمان لما عى بالامر

ويستنبى عن القضية التي عى بها هذا الرجل الذى تناقلت العرب أنباء
نباهته وعلمه ودرايته ، وقد جاء الجاحظ بالقضية التي أعيى الحكيم أمرها ،
وسنقلها ونضعها أمام القراء ليروا آراءهم في حظها من الصحة قال :
(ولإرتفاع قدره وعظم شأنه قال النمر بن تولب) :

لقيم بن لقمان من أخته فكان ابن أخت له وابنها
ليالى حمق فاستحصنت عليه فقر بها مظالما
فقر بها رجل محكم فجاءت بها رجلا محكما

وذلك أن أخت لقمان قالت لإمرأة لقمان إنى إمرأة محقة ، ولقمان
رجل منجب محكم ، وأنا فى ليلة طهرى فهى لى ليلتك ، ففعلت فباتت فى
بيت امرأة لقمان ، فوقع عليها فأحبها بلقيم ، فلذلك قال النمر بن تولب
ما قال ، (والمرأة إذا ولدت الحمق فهى محقة) هكذا يقول الجاحظ . وقد
ورد ذكر لقمان وأحياء عربية بائدة فى شعر سلمى بن ربيعة الذى
يقول فيه :

| | |
|------------------------|------------------------|
| إن شأوا ونشوة | وخبب البسازل الآمون |
| يجشمها المسره فى الطوى | مسافة الغنائط البطين |
| والبيض يرفلن كالدى | فى الریط والذهب المصون |
| والكثر والخفص آمنأ | وشرع المزهىر الحنون |
| من لذة العيش والفنى | للدهر والدهر ذو فنون |
| والعسر كاليسر والفنى | كالعدم والحى للنون |
| أهلكن طمعا وبعده | غذى بهم وذا جدون |
| (٣٠١) وأهل جاش ومأرب | وحى لقمان والفقون |

وهذا الشاعر جاهلي ، ويستفاد مما ذكره الجاحظ أن لقمان كان ذا أدب
بارع وحكمة فائقة ، حتى ضربت به الأمثال ، وتناقلت الاسمة نبأ كياسته
وتفوقه وهذا ما نرتاد لإثباته في بحثنا . هذا على أننا لم نستطع الوقوف على
شيء من أدب تلك الأحياء البائدة ، بيد أن ما كان عليه جفوب الجزيرة
من خصب وترف يقتضى أن يكون للطوائف المنتشرة في سهوله وجباله
أدب يصور العواطف والإحساسات التي هي قعيدة القلوب ، وحليفة المدارك ،
وقرينة النفوس ، لقد ذكر بعض الباحثين من المستشرقين أن الين نال حظاً
كبيراً من العمران زمن الحكومة المعينية ، مستفيداً لهذا من النقوش اللاحقة
كان العثور عليها في الأطلال المتهدمة في مشرق الين ومعين ، لا تزال
أطلالها ورسومها تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد إلى يوم الناس هذا في الجوف
في مشرق الين ، وقد تراءى نبأ الثروة التي كانت ضاربة أطنابها في الين
حتى اتصل بمسامع الرومان في شرق أوروبا ، لحفر الجشع والطمع تلك الدولة
الرومانية إلى بعث قائد عسكري على حملة ذات عدد وعدد لإحتلال الين .
وقد خابت تلك الحملة وفشلت بعد أن وطئت أرض نجران في شمال الين ،
ويذكر أن سبب فشل الحملة وباء جارف قضى عليهم ، كما يذكر آخرون أن
الحكومة المعينية صمدت لهم وقاومتهم ، وهذه الحكومة المعينية يذكر بعض
رجال التاريخ أنها جاءت من أرض بابل فاحتلتها وحكمتها ، ويرجع
الفحول الرأي الأخير . وقد خلف معين في الين الخضراء سبباً التي اشتهرت
بحب الزراعة والتجارة ، فبنت السدود المتوافرة ، وأحيت السهول المترامية ،
حتى صار لهم جنتان في الين والشمال ، وصارت بلدانهم آية يشار إليها .
وكانت (٣٠٢) تناجر بمحصولات البلاد فتحمل الأطياب والمنسوجات
والمصنوعات إلى الهند ، وإلى ما يجاور الخليج الفارسي ، ونشطت فانتشرت
تجارها في أفريقيا بعد أن غمرت سوريا وما يجاورها ، وبلغ الين شأواً
بعيداً في عهد هذه الحكومة ، ونال من الحضارة والترف ورغد المعيشة
ما جعل رجال اليونان والرومان يتحدثون عنه في مؤلفاتهم التاريخية ،

ويشيدون بذكره . وبعد أن قطعت هذه الحكومة قروناً متطاولة يرجع كثيرون أنها ستائة سنة ، خلفها في الحكم حمير ومن رجالات حمير التابعة المشهورون بالفتوحات والغلب ، وكانوا أولى نفوذ وعظمة وجلال وعنجهية لاجمال للاستراية فيها ، وفي عهدهم بنيت المصانع المتينة ، والمعامل الحصينة ، وزخرت الثروات ، وتأنق الناس في المباني ، وتقدمت الفنون . ومن ينظر نظرة واحدة إلى ما يبدو بين آونة وأخرى في الخرائب الحجرية من رسوم وتمائيل ، يعرف جد المعرفة أن تلك الآلة كانت قد بلغت مستوى عالياً في العلوم والآداب ، فإنه وإن كان أدبهم الناطق قد ضاع وأخنت عليه الليالي ، فأدبهم الصامت ، وهو الرسوم الساحرة والتماثيل الدقيقة ، باق ينطق بما كان هنالك من ذوق وفن ، وليس الشعر إلا تصويراً ناطقاً كما أن التصوير شعر صامت . على أنه يمكننا تدعيم ما ذهبنا إليه ، بأنه ليس من المعقول أن يعج سيل الحضارة في البلاد ، ولا يكون لها أدب عال مشرق الدياجة ، يصور عواطفها ، وجلال صدور أبنائها ، وينطق بما كان للقوم من حصافة عقل ، وجودة رأى ، وصدق إدراك . وقد أخبرنا القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، بأن ملكه سبأ (بلقيس) جمعت الملائ من قومها عندما وافاها بريد سليمان (النبي الإسرائيلي والملك المشهور) فاستشارتهم ، فأجابوا بلسان واحدة أن عندهم قوة وبأساً شديداً ، مذكرين لها بأن من كان كذلك فلايس بجدير أن يفرق ويخاف ، فالقوة والبأس يمكنانه من صد كل (٣٠٣) غارة ، ولستكنها لم تغتر ، ولم تسارع إلى إرسال القوة ، بل عمدت إلى الحكمة والسياسة ، فأرسلت وفدها بالهدية الفخمة ، إلى آخرها هنالك من أبناء تدل على عقول حصيفة ، ورجاحة كاملة ، أفلا يكون لأولئك القوم أدب ؟ لقد كان أهم كل شيء .

(لها بقية)

عبد الله العزب

- ٣٧٣ -

في الأدب اليمني

د نظرة في الأدب العربي القديم وحفظ اليمن منه ،

(تابع ما قبله) (١)

- ٦ -

(١٠٢) على أن هنا عاملاً قوياً من عوامل الأدب ليس من الحكمة في شيء إغفاله وطيه ، والإضراب عن ذكره صفحا ، وذلك هو الدين ، فإنه ما بقي من أقوى عوامل الأدب وأشدّها تأثيراً في صبغته ولونه ، فالدين بمظاهره وصوره ، يلهب العواطف ، ويحيي الأفتدة ، ويرهف الشعور ، ويهز الوجدان ، ويبعث في النفس معاني تمدّها قوة غيبية هائلة ، يستشعرها الفكر فيمتلئ روعة ونشاطاً ، فينال الأدب من الصور الدينية ثروة لا يستهان بها ، ولا سيما وأكثر الأديان التي دان بها البشر قديماً كانت تنظر إلى جهة العاطفة ، وتنتجه إليها ، ولا تعبر العقل أي اهتمام أو أية عناية . وكيفما كان الدين فإنه يمد الأدب ويغذيه ، إذ الأدب إنما يعرف على الخواج النفسية ، والنزعات الفسكورية ، والعوامل الملتبهة ، ولا شيء مثل الدين في إثارة هذه العوامل وتقويتها حتى أن الديانات اللاتي غلبت عليها الوثنية ، وسترها سلطان المادة ، وحطى عليها لج المظاهر الجوفاء ، لم تعبس في وجه الأدب ، ولم توصد أبوابها أمامه ، فإنها وإن غلب فيها جانب المادة والصورة ، (١٠٣) لم تزل معيناً للأدب لم ينضب ، ومورداً لم يدركه الصرى ، وعلى رغم اهتمامها بالصور وتعلقها بخيوط القشور ، فقد استقادت للسلطة الغيبية ، وخضعت لتيارها الهامل . وكان أتباع تلك الديانات إذا عظموا الشمس أو أي كوكب من اللامعة الباهرة ، أو ألهموا النار ، أو عبدوا التماثيل المنحوتة وعكفوا عليها ،

(١) الحكمة : العدد ٤ ، السنة الثمانية ، المجلد الثاني ، صفر ١٣٥٩ (مارس /

أبريل ١٩٤٠ م) ص ١٠٢ - ١٠٧ .

فهم إنما يعتبرونها مظاهر قوية ، وقوى هائلة تتمثل فيها القوة الغيبية التي يخضع لها الروح وينزع إليها ، ويجأر إلى سلطانها ، تدنيهم منها ، وتزلفهم إلى مواطنها .

ولقد اشتد هيام النفوس بهذه المظاهر العظمى ، والآيات الكبرى زمن بساطة العقول وسداجتها قبل أن تهذبها الحوادث ، وتربها العبر ، وتهديها المثالات ، وتبهر أمامها سبل الرشاد والسعادة . والذين قد كان منذ زمن موغل في القدم ، مليئاً بالهياكل الدينية الفخمة المشحونة بالتماثيل الفخمة ، والأنصاب الدقيقة ، كما أنه في حقبة من تاريخه القديم كان مشغولاً بعبادة الشمس وتأليه لإشرافها ونورها المنبثق في هذه العوالم اللاتى لا يأتى عليها العد .

هذا النور الذى يمد الأحياء من حيوانات ونباتات بجوهره القوى المتدفق ، فتنمو وتربو وتندرج في مراتب وجودها وكما لها ، متغذية به مستمدة منه قواها ليتم لها درك ما قدر لها وهديت إليه . ولقد كانت الملكة المشهورة (بلقيس السبئية) ممن يدين بهذا اللون من الديانات ، كما أن قومها لم يكونوا أحسن حالا منها ، وما عثم أن وافاها بريد سليمان داعياً لها ولقومها إلى الإسلام دين الله الحق ، ودين جميع المرسلين بهداية الأمم . وقد هدتها حصانها ورجاحتها وحسكتها السياسية إلى مهاداة سليمان ، ثم إلى الوفادة إليه ، ثم إلى اعتناق دينه وعقيدته . ويقرر التاريخ الصحيح أنها عادت مع قومها الذين رافقوها في سفرتها إلى الشام إلى عقر (١٠٤) دارها باليمن بالدين الجديد ، مبهجة به ، مغتبطة ، آبت وقد أسلمت (مع سليمان لله رب العالمين) .

وحينئذ عرف اليمن لونا من الديانات لم يكن قد عرفه من قبل ، وهذا في نظري مبدأ دخول الديانة الموسوية وانتشارها في اليمن ، ولا أدري

أسبقت إلى هذا الرأي أم لا ؟ ومستند هذا الرأي أصبح ما يمكن الاعتماد عليه ، إذ رأى القائل بأن الدين الموسوى دخل اليمن على أيدي الحبرين القادمين من أقاصى الحجاز إلى اليمن مرافقين لأحد تبابعة اليمن لا يعتمد على برهان بين ، وليس هناك وثائق تاريخية صحيحة تشهد له على أن غرض تاريخ اليمن القديم ، ووفور تناقض ما روى عنه ، وبقاء المقوش الأثرية تحت آكام التراب ، وأكادس الأطلال ، مما يبعث على الارتياب فى التفاصيل التى تضاف إلى تاريخ اليمن القديم ، ولتسجيل القرآن الكريم الذى هو خاتمة الكتب السماوية وأصحبها قصة بلقيس ، واتساع صدورها لدين سليمان ، الذى هو الدين الحق ، أمكننا أن نعلن هذا الرأي . ولنا أن نرجع على رأى القائل بأن الحكومات اللاتى تواردت على اليمن فى قديمه ثلاث ، هن : معين ، وسبأ ، وحمير ، وأن سبأ حكمت اليمن قبل الحيريين الذين منهم التبابعة المشهورين ، فإذاً يكون دخول الديانة الموسوية إلى اليمن زمن بلقيس السبائية سابقاً لزمن الملك الحيرى الذى يقول الرواة عنه أنه جاء بالحبرين من الحجاز على أثر غزوة قام بها فى الشمال .

ولقد مرت حقبة تاريخية على اليمن تزامنت فيها الوثنية بجميع مظاهرها والديانة الموسوية والمسيحية والمجوسية ، وتصارعت فى أرجائه وجنباته وتهاثر أبناء هذه الديانات وتجادلوا ، وحرص كل فريق على أن يكتسب الموقعة ليتم له السلطان السياسى ، فيتمكن من نشر دينه وآراءه . وهذا البحث وإن (١٠٥) لم يكن من واجب الباحث فى الأدب أن يرجع عليه ، ويروج إليه ، غير أن العلاقة التى قرناها بين الأدب والدين ، وشدة الالتحام والارتباط بين المؤثر والأثر ، هو ما دعانا إلى الإلمامة القصيرة بهذا الموضوع الخطير .

ولذا كنا قد قررنا فى مقالاتنا السابقة أن الأدب هو ظل الحياة ، يتقلص بتقلصها ويمتد بامتدادها وسبوغها ، فالدين مازال أعظم جانب فى حياة

المجتمعات البشرية . وقد فشل من أراد التخلص منه ، والفرار من سلطانه
قديماً وحديثاً ، فليس من السداد أن نجعل أو نتجاهل صلة الأدب بالدين
وترافقهما ، وسيرهما جنباً لجنب .

على أنا قد وعدنا بأن سوف نوافي القراء الكرام بمباحث من التاريخ
الاجتماعي، لها مساس بالأدب ، وله بها اتصال وارتباط، مع عدم الابتعاد
عن دائرة الموضوع الذي نكتب فيه ونبحث عنه .

وقد يرد علينا بعد تقريرنا بالأدلة المتوافرة اللاتي أتينا بها في مقالاتنا
السابقة ، أن اليمين نال حظاً وافراً من الأدب في عصوره الأولى ، كما نال
كفلاً كبيراً من الحضارة من جميع مناحيها، يرد علينا أنا قد أبعدها النجعة ،
وأغربنا في الاستدلال ، وادعينا ما لا يتقبله الواقع ، فأين أدب الأحياء
البائدة ؟ وأين آداب معين وسبأ وحير ، وبأية لهجة كانوا ينطقون ؟ وكيف
تحاول تدعيم إثبات أدب يمني قديم ؟ وهذه المقررات العلمية تنادى بأن القلم
المعروف بالمسند قد كان أداة الكتابة في الأوساط اليمنية في أكثر عصوره
الأولى .

ونحو هذا من القول الذي يذهب إليه الفسك من أول وهلة ، ومن
السهل الهين أن تجيب على كل هذه الأسئلة بأن من أمعن في دراسة ما أسلفناه
من القول تبين له جلياً أننا لم ندع وجود ذلك الأدب بأيدينا ، وفي الأسفار
اللتي نقلها صباحاً ومساءً . وما أوردناه من (١٠٦) الأدلة التي سردها
الجاحظ رحمه الله على ما اشتهر به لقيمة ولقمان ، أو عاد الثانية بالعلم
والحكمة والأدب ، لا يدل على أن أدبهم وصل إليه ، وإنما يستنتج منه
استنتاجاً صحيحاً أن تلك الأمة البائدة كان لها أدب وعلم ، وأنها بادت
وباد أدبها وعلمها ، وبقي ذكرها وذكر أدبها وعلمها يتداول ويذكر وتضرب

به الأمثال، وشتان بين الدعويين ، دعوى وجود الأدب وتخليده ، ودعوى أن تلك الأمم كان لها أدب مشرق الديباجة ، هى الطلعة ، أخنت عليه الأيام كما أخنت على جميع مخلفاتها الزاهية الساحرة . بقيت الذكريات ، ذكريات الأمرين معا ، والناس على ذكره الفانت الفانى أشد منهم على ذكره الموجود الباقي لما فى النفوس من طبيعة الحنين إلى ما نأى عنها أو فاتها .

وقد أشرنا قبلا إلى أنه إذا كان الأدب الناطق لتلك الأمم قد ذهب أدراج الرياح ، ودخل خبر كان ، فإن أدبهم الصامت من نقوش وتماثيل أبدعها وحى الإلهام والفن ما يزال مائلا إلى يوم الناس هذا ، وأما التشكيك بالكتابة ونوعها فأيا ما كان نوع رسم الكتابة لديهم ، سواء المسند أو غيره ، فإن ذلك لا ينقض ما ادعيناه ، فقد كان القلم المعروف بالسكوفى هو أداة إثبات الأدب العربى ، وأداة إثبات العلوم الإسلامية على اختلافها فى القرون الأولى ، كما تطور شكلها وخرج من صيغته إلى هذه الصيغة التى بين أيدينا . وهذا التطور وهذا الخروج لا يقدر فى الأدب والعلم الذين كانا فى ذلك الزمن الزاهر ، فالرسم الكتابى شئ ، والأدب والعلم شئ آخر والنسبة بينهم كنسبة الظل إلى الشجرة . وقد نعالج هذا الموضوع بتفاصيل طويلة فى فرصة أخرى إن شاء الله ، ونبادر إلى أن نعد القراء الكرام بأننا سنضع أمام أعينهم فى العدد القادم وما يتلوه ، ما وصل إلينا من أدب اليمنيين قبل (١٠٧) الإسلام ، مستمدين ذلك من أمهات كتب الأدب ومصادره الصحيحة ليكون لديهم أدبا لاسلافهم ، رانعا وثقافا ، يفترق من ألسنتهم ويقوم منها إذا هم تأثروه واتخذوه نبراسا ومنارا لهم فيما يهتدون من تقويم ألسنتهم ، وتنمية ملكتهم ، وتوسيع معارفهم ، وهم إذا حققوا هذا الأمل فإنما يحسنون إلى أنفسهم ، وينصحون لها ولوطنهم وللاسلافهم ، بل للعلم والأدب .

ومن العار أن يكون لنا تراث خالد فنتعمد إهماله وإغفاله ، ولا نتعمده
ونشيد بذكره ، فأسلافنا الأولون قد تركوا لنا ثروة من العلم والأدب يجب
علينا أن نقدرها حق قدرها ، وأن لا نتقاعص ونتواكل فنسيء إلى أنفسنا
ووطننا ، فنصبح موضع هزؤ الهازيء ، ونقد الناقد ، فأولئك الأسلاف
هم الذين عانهم إمام الأدب الكبير أبو بكر بن دريد رحمه الله في قصيدته
المشهورة ، إذ يقول :

| | |
|---------------------------------|--------------------------------|
| ألم تر ما أدت إلينا وسيرت | على قدم الأيام عاد وجرم |
| هم اقتضبوا الأمثال صعباً قيادها | فذل لهم منها الشريس الشمشم |
| وقالوا الهوى يقظان والعقل رافد | وذو العقل مذكور وذو الصمت أسلم |
| وبما جرى كالرسم في الدهر قولهم | على نفسه يحفى الجاهول ويحرم |
| وكلنار في ييس الهشيم مقالهم | ألا إن أصل العود من حيث يقظم |
| فقد سيروا مالا يسير مثله | فصيح على وجه الزمان وأعجم |

عبد الله العزب

(لها بقية)

في الأدب النيني

نظرة في الأدب العربي القديم وحظ النين منه^(١)

(تابع ما قبله)

(١٤١) وعدنا في مقالنا السابق قراء هذه المجلة ، أن نضع بين أيديهم
أمثلة من أدب النينيين في أطوار الجاهلية ، ولا يفوتنا أن نذكر القراء

(١) الحكمة : العدد ٥ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، ربيع الأول ١٣٥٩ هـ (أبريل/

مايو ١٩٤٠ م) من ١٤١ — ١٤٥ .

الكرام بأن أدب (١٤٢) البينين قبل الإسلام هو على غرار الآداب العربية المعروفة آنذاك في جميع أصقاع الجزيرة ، قلبصير الحاذق بعرفان أسرار الكلام وموافقه ومغازيه ومناحيه ، يعرف جد المعرفة أن القوم كانوا يلتهجون مناهج في القول يتخيرون فيها الألفاظ الجزلة ، والمعاني السكرية ، وكان كلامهم يتراوح بين الطول والقصر ، وكانوا يعدون للقول عدته من التروى وإجالة الفكرة واعتيام أحاسن الكلمات . وكانوا يستنزلون المعاني اللاتي يودعونها أجواف تلك الكلمات اللاتي يرمون بها في محافلهم ومتندياتهم وفي مباراتهم ومحاوراتهم ، ولا يتوهم أحد أن عامة القوم ودهماتهم كانوا على شاكلة واحدة ، وفي المرتبة المذكورة ، فالتفوق والنبوغ والعبقرية ليست أشياء تذال وتغتصب ، وإنما هي مواهب يمتاز بها أفراد من كل جيل ، وفي كل زمن ، وتلك سنة الله وإن تجد لسنة الله تبديلا .

ويسرنا أن نعيد القول بأن ما خلده الدهاق على كر العصور ، واختلاف الجديدين من آثار الآداب في البين قبل الإسلام ، لا يخرج عن الدائرة التي كانت أغراض الآداب منحصرة فيها في ذلك العهد القديم . فن وصف دقيق لما كانت تقع عليه أبصارهم من مظاهر حياتهم ، إلى غزل رقيق يصورون به خلجات قلوبهم ، ونزعات نفوسهم ، إلى تفاخر بتعداد المآثر ، وتكثير المفاخر ، إلى حكم يرمون بها في مطاوي أقوالهم ، إلى أمثال سائرة ، وأبيات نادرة ، إلى كلمات توجه إلى مَرَزَّة ، أو منكوب ليتأسى ويسلو ، وكان ولوع القوم بالفخامة والجزالة في خطبهم وأشعارهم بالغاً أشده حتى أنك لتظفر بثروة عظيمة من مواد الكلمات العربية إذا ظفرت بكتاب في آداب القوم . ويمكنني أن أقطع للقراء الكرام بأن ما سيقع بين أيديهم مما نفتتاره ، لا يتعدى المصادر المشهود لها بالصحة والإنقان ، ولا يصحباها بالتقدم في الآداب والرسوخ في صناعته (١٤٣) وعلو السكع في روايته ، أمثال : الجاحظ والمبرد وأبي على القالي وابن السكبي رحمهم الله ، وهؤلاء

هم نجوم الأدب العربي وأئمة . وعلى أضواء ما كتبوه مشيت القرون
المتطاولة من بعدهم إلى يوم الناس هذا . فكم من متعب نفسه حاول الاحق
بهم فأكدى ، وكأين من خريت لارتاد أن يستورى مثل زنادهم فأكبي ،
فهم أمراء البيان ، وأعلام الأدب بلا تردد ولا استراية . فن أدباء اليمن
قبل الإسلام عمرو بن بركة الهمداني من صعاليك العرب ، ومن مشهورى
عدائها ، وكان شاعراً جيداً ، وكان من الشجاعة والفروسية على الجانب
الخوف ، وكان بينه وبين السليك بن السلكة ، وتأبط شراً ، صداقة متينة ،
وصلة قوية . قال أبو علي حدثنا أبو بكر رحمه الله ، قال حدثنا السكك
بن سعيد ، عن محمد بن عباد ، عن ابن السككي ، قال : أغار رجل من مراد
يقال له حريم ، على ابل عمرو بن بركة الهمداني وخيل له ، فذهب بها ،
فأتى عمرو إلى سليمي وكانت بنت سيدهم ، وعن رأيها كانوا يهيدرون ،
فأخبرها أن حريماً المرادى أغار على إبله وخيله ، فقالت : والخفو والوهيض
والشفق كالأحريض والقلة والحضيض أن حريماً لمشيح الحيز ، سيد مزيز ،
ذو معقل حريز ، غير أنى أرى الحمة منه ستظفر بعثرة بطيئة الجبرة ، فأغر
ولا تنسكع ، فأغار عمرو ، فاستاق كل شيء له ، فأتى حريم بعد ذلك يطلب
إلى عمرو أن يرد عليه بعض ما أخذ منه ، فامتنع ورجع حريم ،
فقال عمرو :

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| تقول سليمي لا تعرض لتلفة | وليلك عن ليل الصعاليك نائم |
| وكيف ينال الليل من جل ماله | حمام كلون الملح أبيض صارم |
| غموض إذا عض الكريمة لم يدع | له طمعاً طوع اليمين ملازم |
| ألم تعلمي أن الصعاليك نومهم | قليل إذا نام الخلى المسالم |
| إذا الليل أديجوا كفه ظلامه | وصاح من الإفراط يوم جوائم |
| (١٤٤) ومال أصحاب الكرى غالباته | فانى على أمر الغواية حازم |
| كذبتم وبيت الله لا يأخذونها | مراغمة مادام للسيف قائم |

تخالف أقوام على يسلموا وجروا على الحرب إذ أنا سالم
أنا اليوم أدعى للهوادة بهمدنا أجيل على الحى المذاكى الصلادم
فان حريماً إن رجبى أن أردھا ويذهب مالى يا لابنة القبل حالم
متى تجمع القلب الذكى وصارما وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم
متى تطلب المال الممنوع بالقنى تنش ماجداً أو تحترمك المخارم
وكنت إذا قدم غزوى غزوتهم فهل أنا فى ذا يال همدان ظالم
فلا صلح حتى تقذع الخيل بالقنى وتضرب بالبيض الخفاف الجاحم
ولا أمن حتى تقشع الحرب جهرة بميدة يوماً والحروب غواشم
أستبطىء عمرو بن نعمان غارقى وما يشبه اليقظان من هو نائم
إذا جر مولانا علينا جريرة صبرنا لها أنا كرام دعائم
وتنصر مولانا ونعلم أنه كما الناس مجروم عليه وجارم

وقد وقع فى هذه القطعة الأدبية بعض كلمات تحتاج إلى التفسير والبيان
وتتميماً للفائدة ننبه عليها : فالخفو : اللمعان الضعيف ، والوميض : أشد من
الخفو ، والأحريض : حجارة النورة ، والحيز : الناحية ، وميز : فاضل
من قوهم . هذا أمر من هذا أى أفضل منه ، والجة : القدر ، وتنكع :
تردع قال نكعته إذا ردعته ، والمكفر : المثرأكب الظلمة ، والأفراط :
الآكام وهى الجبال الضغار وإحداها فرط ، والهوادة الصلح والسكون ،
والصلادم : وأحداها صلدم وهو الشديد الصلب ، وتقذع تكلف ، والغشم :
أشد الظلم .

هذا ما قاله أبو على رحمه الله ، وهذه الأبيات كما يراها القارىء عابسة
الأسلوب ، رصينة التركيب ، لها جزالة بهية ، ونخامة أنيقة ، تصورك نفسك
قائلاً بالمتعمدة الشرهة بالإغارة والحروب عن الإذالة والامتنان .

في الأدب اليمني

نظرة في الأدب العربي القديم وحظ اليمن منه^(١)

(تابع ما قبله)

- ٨ -

(٢٣١) ومن شعراء اليمن قبل الإسلام عبد يغوث بن وقاص الحارثي، كان سيد بني الحارث وفارسهم وقائدهم في يوم الكسلاّب الثاني وفيه أمر وقتل ، وكان من الشعراء الأجاد ، والأبطال المغاوير ، ليس بيّابة وإن أعضل الخطب ، ولا ناكل إذا خيم الكرب ، جرى الجنان ، ذاق اللسان حتى في ساعة الهول الذي يقطع أعشار القلوب ، وتطلع له النفوس ، قال أبو عثمان الجاحظ رحمه الله : (وليس في الأرض أعجب من طرفة بن العبد وعبد يغوث ، وذلك أنا إذا قسنا جودة أشعارهما في وقت إحاطة الموت بهما لم تكن دون سائر أشعارهما في حال الأمن والرفاهية) أ هـ . ولما أسره بني تميم قال لهم : (يا بني تميم اقتلوني قتلة كريمة ، اسقوني (٢٣٢) الخمر ودهوني أنح على نفسي) فسقوه الخمر وقطعوا له عرفاً فجعل يشرب والدم ينزف ، وهو يقول : (ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا) الخ الآيات الآتية . وهذه القطعة الشعرية من عيون الشعر العربي الجاهلي ، وغرر مبدعاته ، إذ تلمس فيها اعتزاز الشاعر الأسير المحاط بالموت بنفسه الآتية ، وشماله الكريمة ، ذا كراماً ما كان يسديه إلى قومه من أياد بيضاء ، ويمنع لهم من معروف ، ويؤثرهم على نفسه . ولقد حاطهم ووقاهم ونافع عنهم

(١) المسكّة : العدد ٩ ، السنة الثانية ، المجلد الثاني ، جمادى الآخرة ١٣٥٩ هـ (يولية / أغسطس ١٩٤٠ م) ص ٢٣١ - ٢٣٥ .

فياراكبا أما عرضت فبلغن نداماي من نجران أن لا تلاقيا
 أبا كرب والأيممين كليهما وقيسا بأعلى حضرموت اليمانيا
 جزى الله فومى بالكُلاب ملامة صريحهم والآخرين المواليا
 ولو شئت نجتني من الخيل نهدة ترى خلفها الحر الجياد تواليا
 ولكنني أحيى زمار أبيكم وكان الرماح يخطفن الحماميا
 أقول وقد شدوا لساني بنسعة أمعشر تيم أطاقتوا لي لسانيا
 أمعشر تيم قد ملكتم فاسججوا فإن أخاكم لم يكن من بوانيا
 أحقا عباد الله أن لست سامعا نشيد الرعاء المعز بين المتاليا
 وتضحك مني شيخخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا
 وظل نساء الحى حولي ركَّدا يراودن منى ما تريد نسانيا
 وقد علمت عرسى مليكة أنى أنا الليث ممديا عليه وعاديا
 وقد كنت نَحَّار الجذور ومعمل المـطى وامضى حيث لا حى ماضيا
 وانحر للشرب الكرام مطيقتى وأصدع بين القينين ردانيا
 وكنت إذا ما الخيل شمسها القنا لبيقا بتصرف القناة بنانيا
 وعادية سرم الجراد وزعتها بسكنى وقد أنحوا على العوالييا
 (٢٣٤) كأن لم أركب جوادا ولم أقل لخلي كرى نفسى عن رجاليا
 ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لايسار صدق أعظموا ضوء ناريا

هذا ما رواه أبو على في ذيل الأمالى ، وتسهيلا لرواد الأدب وطالبيه ،
 نتكلم على ما يفتقر إلى بيان وتفسير اسكلمات لغوية وردت في هذه الأبيات
 لكي لا يتجشم القارىء عناء البحث والتنقيب وراء معانيها فقله وما لومى
 أخى من شماليا أى من خالق وهو واحد الشماليل ، وقوله أبا كرب والأيممين
 كليهما وقيسا أسماء رجال بيان لنداماي وقيس أراد به قيس بن معدى كرب

فياراكبا أما عرضت فباغن نداماي من نجران أن لا نلاقيا
 أبا كرب والأيممين كليهما وقيسا بأعلى حضر موت اليمانيا
 جزى الله قوني بالكُلاب ملامة صريحهم والآخرين المواليا
 ولو شئت نجتنى من الخيل نهدة ترى خلفها الحر الجياد تواليا
 ولكنني أحى زمار أبيكم وكان الرماح يخططن الحاميا
 أقول وقد شدوا لساني بذسعة أمعشر تيم أطاقوا لي لسانيا
 أمعشر تيم قد ملكتم فاسججوا فإن أخاكم لم يكن من بوانيا
 أحقا عباد الله أن لست سامعا نشيد الرعاء المعز بين المتاليا
 وتضحك مني شبيخة عبشمية كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا
 وظل نساء الحى حولي ركّدا يراودن منى ما تريد نسانيا
 وقد علمت عرسى مليكة أننى أنا الليث ممديا عليه وعاديا
 وقد كنت نحّسار الجذور ومعمل المطى وامضى حيث لا حى ماضيا
 وانحر للشرب الكرام مطيقتى وأصدع بين القينتين ردائيا
 وكنت إذا ما الخيل شمسها القنا لبيقا بتصريف القناة بنائيا
 وعادية سزم الجراد وزعتها بسكنى وقد أنحوا على العوالييا
 (٢٣٤) كائن لم أركب جوادا ولم أقل لخلي كرتى نفسى عن رجاليا
 ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لايسار صدق أعظموا ضوء ناريا

هذا ما رواه أبو على في ذيل الأمالى ، وتسهيلا لرواد الأدب وطالبيه ،
 فنكلم على ما يفتقر إلى بيان وتفسير الكلمات لغوية وردت في هذه الآيات
 لكي لا يتجشم القارىء عناء البحث والتنقيب وراء معانيها ، فقله وما لوى
 أخى من شماليا أى من خلقى وهو واحد الشمال ، وقوله أبا كرب والأيممين
 كليهما وقيسا أسماء رجال بيان لنداماي وقيس أراد به قيس بن معدى كرب

أبو الأشعث ابن قيس ، وقوله المواليا أراد بهم هنا الحلفاء ، وقوله نبذة في صفة فرسه أى مرتفعة الخلق ، وهذه نهد ثدى الجارية إذا ارتفع ، والحوّ من الخيل التى تضرب للخضرة ، وتوالي أى توابع لها ، والذمار ما يجب حفظه ، وقوله قد شدوا لسانى بنسعة مثل لأن اللسان لا يشد بنسعة ، وإنما أراد افعلوا بى خيراً ينطلق لسانى بشكركم ، واسجحوا أى يسروا ، والبوآ السواء ، والمعزب المنعجى ، والمتالى التى نتج بعضها وبقي بعض واحدتها متلية ، والشرب جمع شارب ، واصدع أى أشق ، والقينة الأمة مغنية كانت أو غير مغنية ، وشخصها بالصاد والسين لغتان ومعناها واحد ، والعادية القوم يعدون ، وسوم الجراد انتشاره فى المرعى ، وقوله وزعتها أى كلفتها ، والمواليا أراد بها رؤوس الرماح ، وقوله ولم أسبأ الزق السبأ اشتراه الخنز .

ومن صور الأدب البنى الجاهلى ما قاله بعض أهل اليمن لذى رعين يعزبه يوم مات أخوه ، قال أبو دلى رحمه الله وحدثنا أبو بكر رحمه الله ، قال أخبرنا أبو حاتم عن أبي عبيدة وحدثنا ، قال حدثني أيضاً السكن ابن سعيد عن محمد بن عباد عن الكلبي ، ولفظاهما متفقان غير أن أبا عبيدة قال لبعض ملوك اليمن (٢٣٥) وقال ابن الكلبي لذى رعين ، قال مات أخ لذى رعين فمزاه بعض أهل اليمن ، فقال : إن الخلق للخالق ، والشكر للنعم ، والتسليم للقادر ، ولا بد مما هو كائن ، وقد حل ما لا يدفع ، ولا سبيل إلى رجوع ما قد فات ، وقد أقام معك ما سيذهب عنك وستتركه ، فما الجزع مما لا بد منه ، وما الطمع فى ما لا يرجى ، وما الحيلة فى ما سينقل عنك أو تنقل عنه ، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفرع بعد الأصل ، فأفضل الأشياء عند المصائب الصبر ، وإنما أهل الدنيا سفر لا يحلون عن الركاب إلا فى غيرها ، فما أحسن الشكر عند النعم ، والتسليم عند الغير ، فاعتبر بمن قد رأيت من أهل الجزع ، هل رد أحدا منهم إلى ثقة من درك ،

— ٣٨٦ —

واعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف ، فأفق والمرجع قريب ، واعلم إنما ابتلاك المنعم ، وأخذ منك المعطى ، وما ترك أكثر ، فإن نسبت الصبر ، فلا تغفل عن الشكر .

وهذا الكلام الآخذ ببعضه بحجزة بعض كما تراه رصانة ونخامة ، وقوة تركيب ، وجزالة لفظ ، وكرائم معاني ، وفرائد لآلى ولعمري الحق إن هذا هو الكلام الممتع البهيج ، المتلألئ لإشرافاً ، المتضوع عبيراً ، الآخاذ بالنفوس ، المستولى على موضع الإدراك ، ومثل هذا الكلام إذا أتى بعد الروية ، وأعمال الفسكرة ، وطول الأناة ، لتخير أحسن الكلمات لكرائم المعاني ، فهو بلا ريب موضع إعجاب وإكبار ، فكيف به إذا سال عفواً بلا تعمل ورمى به بدون ريث ولا تأمل .

عبد الله العزب

(بالمسمع)

في الأدب اليمني

نظرة في الأدب العربي القديم وحفظ اليمن منه^(١)

تابع ما قبله

— ٩ —

(٢٧٠) ومن أمثلة الأدب العربي اليمني في عصوره القديمة حديث الرواد الذين أرسلتهم مذبح ، ووصفهم الأرض لقوهم بعد رجوعهم ، قال أبو علي رحمه الله ، وحدثنا أبو بكر ، قال حدثنا السكون بن سعيد عن

(١) الحسكة العدد ٩ ، السلة الثانية ، المجلد الثاني ، رجب ١٣٨٩ هـ (أغسطس / سبتمبر ١٩٦٤ م) ، ص ٢٧٠ - ٢٧٤ .

محمد بن عباد عن ابن الكلبي عن أبيه عن أشياخ من بني الحارث بن كعب ، قالوا : أجريت بلاد مذحج فأرسلوا رواداً من كل بطن رجلاً فبعثت بنوز بيد رائداً وبعثت النخع رائداً ، وبعثت جعفي رائداً ، فلما رجع الرواد قيل لرائد بني زبيد ما وراك ، قال : رأيت أرضاً موشمة البقاع ، ناتحة النقا ، مستحلسة الغيطان ، ضاحكة القربان ، واعدة وأحر بوفاتها ، راضية أرضها عن سبائها . وقيل لرائد جعفي ما وراك ، قال : رأيت أرضاً جمعت السماء أقطارها ، فأمرعت أصهارها ، وديثت أوعارها ، فبطنانها غمقة ، وظهرانها غدقة ، ورياضها مستوسقة ، ورقافها رائخ ، وواطئها سائخ ، وماشيتها مسرور ، ومصرمها محسور . وقيل للنخعي ما وراك فقال مداحي سبل ، وزهاء ليل ، وغيل يواصي غيلا ، قد ارتوت أجزارها ، ودمت عزارها ، والتبدت أقوازها ، فرائدها أنق وراعيا سنق ، فلا قصص ولا رمض ، غاربها لا يفرح وواردها لا ينسجم . فاختاروا مراد النخعي .

والقاري تبيناً موجزاً لمعاني الكلمات اللاتي انتظمت في سلك هذه الفقرات (٢٧١) الرائعة ، فقولته موشمة البقاع ، أي بادلتها يقال أوشمت الأرض إذا بدا فيها بكت ، وناتحة واشعة ، والمستحلسة الأرض التي غطاها بكتها ، والقربان مجاري الماء وأحدها قري . واعدة تعد تمام بكتها وخير . وأحر أخلق والسماء المطر هاهنا ، وأمرعت اعشبت وطال نباتها ، والآحى الواحي ما علا منه ، وديثت ليدت ، والآحار جمع وعر وهو الغد والخشونة ، والبطنان جمع بطن وهو ما غمض من الأرض ، وغمقة ليد مع أقل ووخامة ، ومنه الحديث أن الأردن أرض غمقة وأن الجابية أرض نزهة ، والظهران جمع ظهر وهو ما ارتفع يسيراً ، وغدقة كثيرة الببل والماء ، ومستوسقة منتظمة ، والرقاق الأرض اللينة من غير رمل ، ورائخ مفرط الين ، وقوله وواطئها سائخ أي تسوخ رجلاه في الأرض من لينها ، والمائى صاحب الماشية والمصرم المقل ، ومداحي مفاهل من دحوته إذا بسطته

ومنه قول الله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) أى بسطها . وقوله وزها ليل فالزها الشخص وأراد بذلك شدة الخضرة، والغيل الماء الجارى، ويواصى يواصل، والأجراز جمع جرز وهى التى لم يصبها المطر ، ودمث لين، والعزاز الصلب السريع السيل ، والآفواز جمع قوز وهو نقي يستدير كالهلال ، وائق معجب بالمرعى ، والسبق البشم ، والقضض الحصى الصغار يريد أن النباتات قد غطى الأرض فلا ترى هناك قصصاً ، والرمض أن يحمى الحصى والحجارة من شدة الحر ، والماعزب الذى يعزب بابله ، وينكح يمنع ، اهـ .

ومن أمثلة الأدب اليمنى حديث بعض مقاول حمير مع ابنه وما دار بينهما وبينهما من المسامحة حين كبرت منه قال أبو على رحمة الله : وحدثنا أبو بكر بن دريد قال : حدثنا الاشعثانى عن التوزى عن أبى عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء قال : كان لرجل من مقاول حمير ابنان يقال لأحدهما عمرو وللآخر ربيعة وكانا قد (٢٧٢) برعا فى الأدب والعلم ، فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشقى على الفنا دعاهما ليبلو عقولهما ويعرف مبلغ علمهما فلما حضرا قال لعمرو ، وكان الأكبر أخبرنى عن أحب الرجال إليك وأكرمهم عليك ، قال : السيد الجواد ، القليل الأنداد ، الماجد الأجداد ، الرامى الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الباسل الذواد ، الصادر الورداد . قال ما تقول ياربعة ، قال : ما أحسن ما وصف وغيره أحب إلى منه ، قال : ومن يكون بعد هذا ، قال : السيد الكريم ، المانع للحريم ، المفضل الحليم ، المقام الزعيم الذى إن هم فعل ، وإن سئل بذل . قال أخبرنى يا عمرو بأبغض الرجال إليك ، قال : البرم اللئيم ، المستخذى الخصيم ، المبطن النهم : العى البكم ، الذى إن سئل منع ، وإن هدد خضع ، وإن طلب خشع . قال ما تقول ياربعة ، قال غيره أبغض إلى منه ، قال ومن هو : قال الفؤوم المكذوب ، الفاحش الغضوب ، الرغيب عند الطعام ، الجبان عند الصدام . قال أخبرنى يا عمرو أى النساء أحب إليك ، قال : الهر كولة اللقاء ، الممكورة الجيداء

التي يشفى السقيم كلامها، ويبرى الوصب المساء، التي إن أحسنت إليها
شكرت، وإن أسأت إليها صبرت، وإن استعنتبتها أعتبت، الفاترة العارف،
الطفلة الكف، العميمة الردف. قال ما تقول ياربعة، قال: نعم فأحسن
وغيرها أحب إلى منها، قال ومن هي قال: الفتانة العيين، الأسيلة الحديد،
الكاعب الشدين، الرдах الوركين، الشاكرة للقبل، المساعدة للحليل،
الرخيمة الكلام، الجا العظام، الكريمة الأخوال والأعمام، العذبة اللثام.
قال فأى النساء أبغض إليك يا عمرو، قال: الفتانة الكذوب، الظاهرة العيوب
الطوافة الهبوب، العابثة القطوب، السبابة الوثوب، التي انتمنتها زوجها خاتته،
وإن لان لها أماتها، وإن أرضاها أغضبته، وإن أطاعها عصته. قال ما تقول
ياربعة قال بنس والله المرأة ذكر، وغيرها أبغض إلى منها قال: وأيتن التي
هي (٢٧٣) أبغض إليك من هذه قال: السليطة اللسان، المؤذية للجيران الناطقة
بالبهتان، التي وجهها عابث، وزوجها من خيرها آيس، التي إن عاتبها زوجها وترته
وإن ناطقها اتهرته. قال ربعة وغيرها أبغض إلى منها قال ومن هي قال: التي
شقي صاحبها، وخزى خاطبها، واقتضح أقاربها، قال: ومن صاحبها قال: مثلها في
خصالها كأنها لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها قال فصفه لي قال: الكفور
غير الشكور، اللثيم الفجور، العبوس الكالج، الحرون الجاح، الراضى بالطوان
الختال الميان، الضعيف الجنان الجعد البنان، القثول غير العقول، الملول غير
الوصول، الذي لا يرفع عن المحارم، ولا يردع عن المظالم، ثم قال أخبرني يا عمرو
أى العيش ألد، قال: عيش في كرامة، ونعيم وسلامة، واغتياب مدامة، قال ما تقول
ياربعة قال نعم العيش والله وصف وغيره أحب إلى منه قال وما هو قال:
عيش في أمن ونعيم، وعز وغنى عميم، في ظل نجاح، وسلامة مساء وصباح، وغيره
أحب إلى منه قال وما هو قال: غنى دائم، وعيش سالم، وظل ناعم. هذا وقد
ارتأيت طي بقية التساؤل الذي جرى بين الأب وابنيه اكتفاء بما رسمه لليراع
في هذه الكلمة، وإلا فقد استرسل الأب في إلقائه على ابنه مبتلياً لقرآنهما
ممتحناً لإفهامهما فأحصأ عن مبلغ إدراكهما، ولقد سألهما عن الخيل وما يحب

- ٣٩٠ -

منها وما يفيض ، وعن السيوف جيدها ورديتها ، وعن الرماح ومحاسنها
ومساوئها .

وهما في كل ذلك يجريان على غرار ما رأيت حتى قال لهما انصرفا الآن
طاب لي الموت .

وأهيب بالقارئ ليتذكر ما قلناه في مقالاتنا السابقة عند الكلام على
تحليل الأدب ومناشئته ، ليستيقن جلياً أن ما قلناه هناك من أن الأدب مرآة
رسم عليها صور الحياة المتعددة الألوان ، وأن الأديب يستوحى أدبه من
بيئة التي يعيش فيها والوسط التي يكدرح فيه ، والطبيعة التي يقع عليها بصره
في صباه ومسيه (٢٧٤) هو ما ينطق به ما بين أيدينا من أمثلة الأدب ورواياته .
ولا نتجشم عناء إقامة البراهين بعد أن سردنا ما عرفه القراء في مقالاتنا
القرية فإنه إذا حلل تحليلًا صادقاً ووزن بميزان الفهم والنظر وجد بلا امتراء
أدباً رائعاً صافي اللون مشرق الديباجة يصف لك مظهرأ من مظاهر الطبيعة ،
وينتقل بك بين مروجها الخضراء وجناتها الأنيقة بكلمات رشيقة وأساليب
قوية ، ثم تجد فيه ما يهرك من قوة الأسلوب وروعة البيان وصدق الإدراك
ودقيق النقد للأخلاق الملتوية والإعجاب بالشمال الكريمة ، وجودة الوصف
ومتانة الوصف ، كما ترى ذلك ملبوساً في ما زين به جيد هذا المقال من
الحوار الممتع .

عبد الله العزب

(ينسم)

[illegible]

نوفج لإحدى المحاولات لجمع مادة وافية خاصة بترجمة حياة أحمد عبد الوهاب الوريث ، وهذه صورة خطاب من أحد تلاميذه وهو علي بن حمود الديلمي

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا

عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الوهاب

الحكمة الجمانية

الإيمان بآل والحكمة بآلية « حديث شريف »

العدد ١ السنة الأولى مجلة علمية جامعة شهرية ذي القعدة سنة ١٣٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

فبدي الأسس إلى الحق والارشد إلى طريق
استقيم وانخرج الأمة من الظلمات إلى
النور، من ظلمات الشرك والاضلال إلى
نور التوحيد والهدى وطهرهم من أوجاس
الرتبة ودأب الاخلاق وباطل العقائد
والقديم من حروب اكلت النور
واهلك الاموال وشاعت بها كل
فروعها بال... وعلى آ... وامحاه الدين
مثلوا الشريد في يوم جد بارا طين وها
في كامل زينتها وسينها

لا تجعل كل ذي قدرة من الصحافة
الصغيرة من أر عظم في الاسم التي
كانت رغبة الجليل في الدنيا والآخرة
الافكر الساتية والحالات الساتية

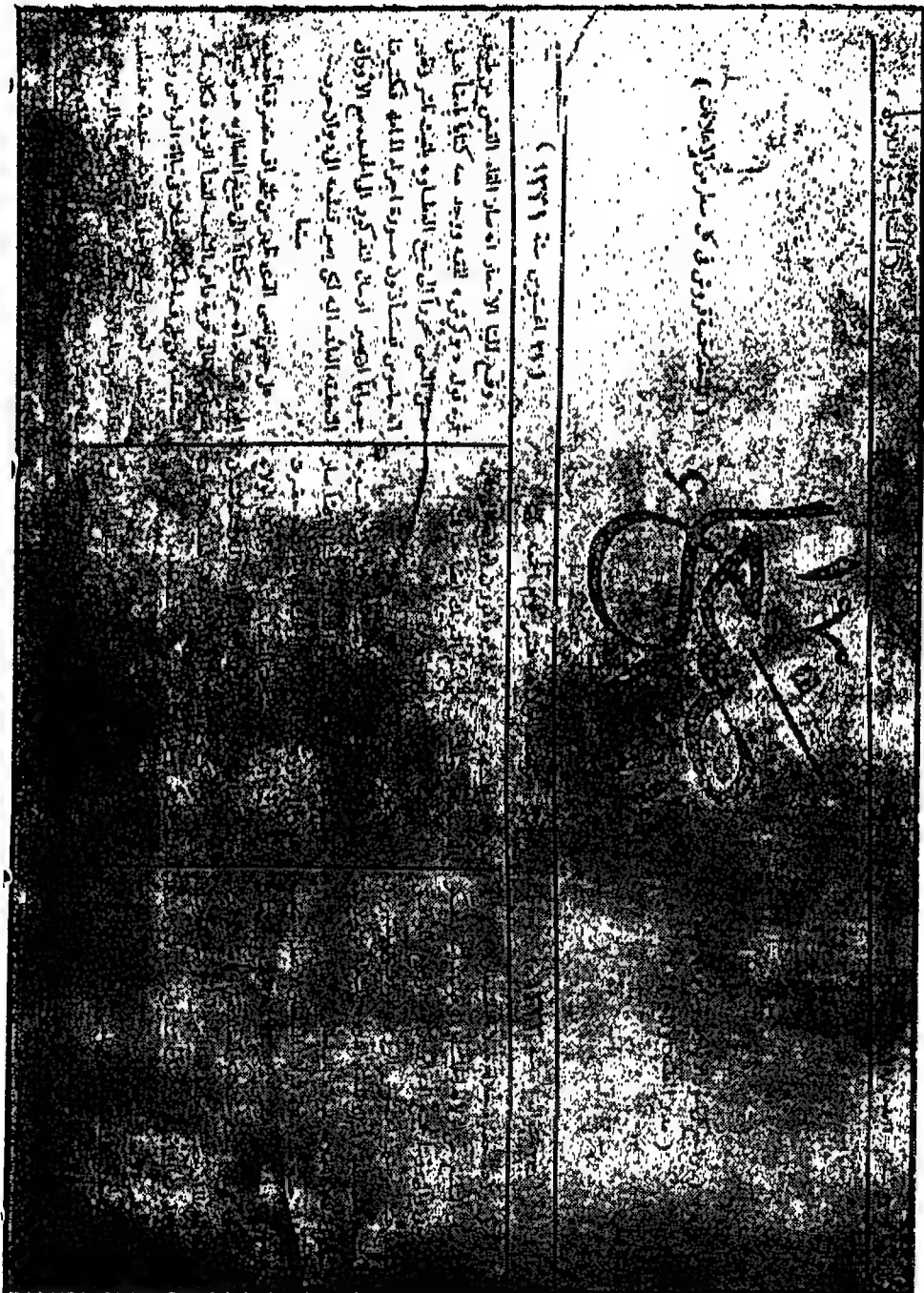
نحمدك اللهم على ما انتعت علينا من
سوابغ النعم ولتترك على ما انتعتنا من
فضيلة النعم والعرفان. وانجنت لنا من
وسائل التمسك والارواحل واستباب
التقية والارشاد وذرايع التعلیم والدفع
إلى الخير. ونسألك ان تسدد خطانا في
الطريق التي اردنا سلوكها واعترضا لتجاهنا
ونرجوا منك ان توفقنا إلى الغاية التي
نقصد بها. ان تقينا من عثرات الشان
وتعطينا السلام

ونسلي ونسلم على وسولك محمد الذي
بنت إلى خلقك على حين اطلاق جعل
في الاسم وفساد في الاخلاق وتخط في
مراهمة الضلال وتشتت برمان المصاد

| | | | |
|--|--|------------------------|--|
| العدد ١٠ السنة الأولى | | شهران المظفر سنة ١٣٤٠ | |
| بسم الله الرحمن الرحيم | | | |
| الحكمة بسم الله الرحمن الرحيم | | | |
| الإيمان بيمان - والحكمة بيمان | | | |
| مجلة علمية باهجة شهيرة | | | |
| عن النسخة ربع علمية في العلية | | | |
| بلى الاشتراك | | راجع في كل أمور العلية | |
| فلم داخل المظهر | | إدارة العلية | |
| في خروج المظهر | | بصناعة العين | |
| ثلاثة رولات وربع | | | |
| نصف جنيه استكيزي | | | |
| طابعت بتعليم وزارة المعارف صنعاً : ماسحة العين | | | |



صورة المرأة من جريدة الايمان



صورة أحد أعداد جريدة صنعاء (الوجه العربي)

صورة احمد اعد د جريدة صناعه (الوجه التركي)

المراجع

(١) الدوريات

— مجلة الحكمة ، اليمنية ، صنعاء :

جميع الأعداد الثمانية والعشرين ، وهي شهرية .

صدر العدد الأول في ذي القعدة ١٣٥٧ هـ (ديسمبر ٢٨ / يناير ١٩٣٩ م)

وصدر العدد الأخير في صفر ١٣٦٠ هـ (فبراير / مارس ١٩٤١ م)

— مجلة الحكمة (الجديدة) ، عدن :

— العدد ١٦ ، السنة الثانية ، شوال ١٣٩٢ هـ ، نوفمبر ١٩٧٢ م ، ص ١٧-٢٣ .

(البناجلو فسكيا : حول مسألة قيام بعض التنظيمات السياسية والاجتماعية في اليمن ، ترجمة أبو نشوان) .

— العدد ١٨ ، السنة الثانية ، محرم ١٣٩٣ هـ ، فبراير ١٩٧٣ م ، ص ٣٦-٣٩ .

(القاضي عبدالرحمن الإرياني يتحدث عن ثورة ١٩٤٨ : أجرى المقابلة صالح دحان) .

— العدد ٢٦ ، ذوالحجة ١٣٩٣ هـ ، يناير ١٩٧٤ م ، ص ٦١-٨٠ .

(عمر الجاوي : نشأة الصحافة اليمنية وتطورها حتى ١٩٤٨ م) .

— جريدة الإيمان ، صنعاء :

— العدد ١٣٦ ، السنة الثانية عشرة ، شوال ١٣٥٦ هـ (نوفبر / ديسمبر ١٩٣٧ م)

— ٤٠٦ —

- العدد ١٤٩ ، السنة الثالثة عشرة ، ذى القعدة ١٣٥٧ هـ (ديسمبر ١٩٣٨ / يناير ١٩٣٩ م) .
- العدد ١٥٠ ، السنة الثالثة عشرة ، ذى الحجة ١٣٥٧ هـ (يناير / فبراير ١٩٣٩ م) .

(ب) الكتب العربية

- أحمد محمد الشامي :
- من الأدب اليمني ، نقد وتاريخ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٣٩٤ هـ — ١٩٧٤ م ، ص ٣٧٥ .
- قصة الأدب في اليمن ، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، ١٩٦٥ م — ١٣٨٥ هـ ، ط ١ ، ص ٤٨٨ .
- زيد بن علي الوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٧١ ، ص ٢٢٤ .
- عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي : جامعة الأشاعر (زيد) ، صنعاء ، الشركة اليمنية للطباعة والنشر ، ١٩٧٤ ، ص ٧٢ .
- عبد الغني الرافعي : اليمن ظاهرها وباطنها ، القاهرة ، مجلة الرابطة العربية ، د . ت ، ص ٦٤ .
- عبد الله البردوني : رحلة في الشعر اليمني ، قديمه وحديثه ، القاهرة ، دار الهدى للطباعة ، ١٩٧٢ ، ص ٣٥٤ .
- عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي : اليمن ، الإنسان والحضارة ، القاهرة ، دار الهدى للطباعة ، ١٩٧٢ م ، ص ٣٦٨ .
- علي بن علي صبره : الملحمة الشعبية ، الدم وأغصان الزيتون ، تعز ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، د . ت ، ص ١٨٣ .

— ٤٠٧ —

— محمد أحمد نعمان : الأطراف المعنية في اليمن ، عدن ، مؤسسة الصبان ، ١٩٦٥ ، ص ١٢٤ .

— الحركة الوطنية في اليمن : عدن ، الاتحاد اليمني ، مطبعة الجماهير ، ١٩٥٩ م ، ص ٤٣ .

— محمد أنعم غالب : نظام الحكم والتخلف الاقتصادي في اليمن ، القاهرة ، الاتحاد اليمني ، ١٩٦٣ ، ص ١٢٦ .

— محمد علي لقمان ، فاروق محمد لقمان ، قصة الثورة اليمنية ، عدن ، دار فتاة الجزيرة ، د . ت . ، ص ١٤١ .

— محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، د . ت . ، ص ٧٠٤ .

— محمد مختار باشا (اللاسواء) : التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الأفرنجية والقبطية ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ، ١٣١١ هـ (١٨٩٤/٣ م) ، ط ١ ، ص ٧٥٢ .

— نزيه مؤيد العظم : رحلة في بلاد العربية السعيدة ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، د . ت . ، ص ٣٥٠ .

— هلال ناجي : شعراء اليمن المعاصرون ، بيروت ، مؤسسة المعارف ، ١٩٦٦ م ، ط ١ ، ص ٢٥١ .

— ٤٠٨ —

(ج) الكتب الأجنبية

- Abdallah Yahia El Zine : Le Yemen, Et Ses D information, Etude Historique, Politique, Juridique, Sociale Et Critique, 1972-1974, Tome I,2, p 211, 412.
- Dana Adams Schmidt: Yemen, The Unknown War New York Holt, 1968, First Published, p. 316.
- Edgar O'Ballance : The War in the Yemen, London, Faber and Faber, 1971, p. 218
- Harold Ingrams : The Yemen, Imams, Rulers and Revolutions, London , Jhon Murray, 1963, p. 164.
- Manfred W. Wenner : Modern Yemen, 1918-1966, U. S. A., The Johns Hopkins Press, 1968, Second Printing, p. 257.

(د .) المقابلات الشخصية

(الأسماء الواردة هنا مرتبة حسب الحروف)

(الأبجدية وبدون ألقاب)^(١)

١ - أحمد بن أحمد الجرافي : تلقى العلم على شيوخه ... وشارك في أحداث اليمن قبيل الاستقلال، وعقب الحرب العالمية الأولى تولى الأحكام في المقام، ثم عين عاملاً لأنسى مدة طويلة، ثم وزيراً للعدل في العهد الإمامي .

— أحمد حسين المروفي : من مواليد ١٩٢٠ م ، التحق بمدرسة الأيتام ١٩٢٧ ، ثم عين عضواً بالبعثة التعليمية الأولى إلى العراق والتحق بالكلية الحربية هناك ، وعاد إلى صنعاء ليلحق بالجيش اليمني ، ثم عين بعد قليل بوزارة المواصلات ، اعتقل لأول مرة في صنعاء عام ١٩٣٨ ، ثم في ١٩٤١ مع مجموعة كبيرة بتهمة نشر أفكار عصرية واتصاله ببعض الأحرار الذين عرفوا بمعارضة الإمام والدعوة إلى الإصلاح . اشترك في حركة ١٩٤٨ م ، واعتقل عند فشلها وسجن بمحكمة مدة سبع سنوات ، وأطلق سراحه عند قيام حركة الثلاثين عام ١٩٥٥ م . وظروف سياسية اضطر إلى الهرب إلى عدن وبقي بها حوالي عامين ، وعقب ثورة ١٩٦٢ تسلم إدارة الإذاعة ، ثم

(١) . لم أستطع الحصول على تراجم جميع هؤلاء الأخوة باقلاهم لمدة ظروف خارجة عن الإرادة كما ذكرت في المقدمة ، وذلك حتى آخر مرحلة من مراحل الطبع ، ولهذا اعتمدت في جمع كثير من المعلومات على جهودى الخاصة أثناء وجودى بصنعاء ، وعلى جهود بعض الأخوة اليمنيين ، حتى أن الأخ الصديق زيد محمد حجر أرسل لى بالبريد بعض هذه التراجم لى القاهرة ، لذلك فأنى أعترف مقدماً عن الخطأ والتقصير بالنسبة للبعض ، وعن الاختصار والإيجاز بالنسبة للبعض الآخر . وكان النرض من وراء الحصول على تراجم هؤلاء بأعلام أصحابها هو أن تكون وافية صحيحة من ناحية ، وحتى تنف على تراجم بعض رجالات اليمن الحاليين ، وحتى يتضح أمامنا تنوع هذه التراجم واختلافها فيما بينها مما أعطى للبحث عمقه واتساع آفاقه .

وزيراً للإعلام فوزيراً للتربية والتعليم فسفيراً في العراق إلى ١٩٧٤ ، وحالياً
عين مديراً لمركز الدراسات اليمنية ، وهو شاعر أديب .

٣- أحمد عبدالرحمن محبوب : من مواليد صنعاء في ٣ رجب ١٣٢٧ هـ ،
تلقى العلم على شيوخه ... وأكمل حفظ القرآن وهو في الحادية عشرة من
عمره ، تقلب في الوظائف الدينية ودرس في المدرسة العلمية بصنعاء ، وحالياً
انتخب رئيساً للجمعية العلمية بصنعاء ، وكان له نشاط بالحركة الإصلاحية
وسجن في حجة سبع سنوات عقب فشل ثورة ١٩٤٨ .

٤- أحمد عبد الرحمن المعلمي : من مواليد عتمة في ١٩١٧ م ، وتلقى
تعليمه الأولى بها ، ثم انتقل إلى أريان التي كانت مزدهرة بالعلوم الدينية
حينذاك ، ومنها إلى صنعاء حيث التحق بالمدرسة العلمية . وبعد التخرج
عين كاتباً بإحدى المحاكم الشرعية ثم سجن للمرة الأولى في حجة عام ١٩٤٤م
لمدة عام ونصف لاشتراكه في جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
في أب ، والمرة الثانية في سجن حجة أيضاً بعد فشل ثورة ١٩٤٨م واستمر
به سبع سنوات . وقد فر إلى عدن عقب حركة الثلاثين عام ١٩٥٥ م ، ومنها
إلى كينيا ثم إلى القاهرة . وعند قيام ثورة ١٩٦٢ م عاد إلى اليمن حيث عين
وزيراً مفوضاً بالقاهرة حتى عام ١٩٦٥ ، ثم سفيراً في بغداد ، فسفيراً في
أنبوبيا حتى عام ١٩٧٥ حيث أعيد إلى الديوان العام لوزارة الخارجية مديراً
عاماً لإدارة الشؤون الفنية والثقافية ، وهو شاعر وأديب .

٥- أحمد محمد داعر : تخرج في كلية الآداب (قسم التاريخ) بجامعة
صنعاء عام ١٩٧٥ م ، ثم عين مديراً لمكتب وزير الاقتصاد .

٦- أحمد بن محمد الشامي : من مواليد العشرينيات في هذا القرن (الميلادي)
وتلقى علومه بالمدرسة العلمية بصنعاء ، واضطر إلى الحرب إلى عدن بعض
الوقت عام ١٩٤٤ ، وعند عودته إليها شارك في معارضة الإمام يحيى ، وقبله

عليه عقب ثورة ١٩٤٨ وسجن في حجة ثم أطلق سراحه عام ١٩٥٥ ، وعين قائماً بالأعمال في القاهرة ثم وزيراً في الاتحاد بين مصر واليمن ، ثم عضواً في مجلس رياة الجمهورية ، فمفيراً في لندن ، وهو شاعر وأديب ، وله عدة مؤلفات عن الأدب اليمني ، كذلك عدة دواوين شعرية .

٧ - أحمد بن محمد عبد الله الوزير : من مواليد بيت السيد يبنى حشيش في رجب ١٣٣٥ هـ حيث تلقى تعليمه الأولي بها ، ثم انتقل إلى تعز ليكون مع أميرها عمه السيد علي الوزير ، وهناك أكمل دراسته الدينية والعلمية على يد عدة من علماء اليمن ، ثم عين كاتباً أول في ديوان عمه ، وانتقل معه إلى إمارة لواء المحويت ، ثم عين عاملاً لناحية شام كوكبان ، وعند فشل ثورة ١٩٤٨ قبض عليه وسبق إلى سجن حجة ، وبعد الإفراج عنه عين في الهيئة الشرعية المشاركة لمحكمة الاستئناف ، كما عمل بوزارة المعارف ، وعند قيام ثورة ١٩٦٢ م عين مديراً للدرسة العلمية بصنعاء ، وعند إلغائها عين عضواً بالمحكمة الاستئنافية العليا .

٨ - زيد بن علي عنان : ولد بصنعاء في عام ١٣٢٦ هـ ، ودرس بالمدرسة التركية بصنعاء قبيل الحرب العالمية الأولى ، وبعد الحرب درس القرآن والعلوم الدينية في الكتاتيب ثم الجامع الكبير في صنعاء ، واشتغل فترة في سوق البر (القماش) لدى أحد التجار ثم استقل بمحانات في نفس السوق . والتحق بالكلية العسكرية بصنعاء لمدة خمس سنوات ، ثم عمل بالجيش مدة أربع سنوات حتى اختير على رأس البعثة الثانية إلى العراق ، وهناك التحق بدار المعلمين وعاد إلى اليمن ليعمل في التدريس ثم اختير مشرفاً على البعثة الأمريكية لتنقيب عن الآثار في مأرب عام ١٩٥١ م ، كما عمل رئيساً للبعثات الثقافية في القاهرة عام ١٩٥٤ م ثم سكرتيراً ومستشاراً للشئون الثقافية في اتحاد الدول العربية في القاهرة ، ثم سكرتيراً أول في السفارة اليمنية بالعراق . وعند قيام ثورة ١٩٦٢ م عين مديراً عاماً لوزارة المعارف ، ثم رئيساً للجنة

جمع الكتب المصادرة من قصور الإمام وغيره ، وحالياً يشغل وظيفة وكيل الهيئة العامة للآثار ودور الكتب .

٩ - عبد الله حران : من مواليد ٥ صفر ١٣٥٣ هـ (١٩٣٤ م) في محل الصوبات في الحيمة الداخلية من أعمال صنعاء ، وفي عام ١٩٥٠ م التحق بالمدرسة العلمية بصنعاء ، وفي أوائل ١٩٥٦ م التحق بالإذاعة عقب افتتاحها بشهرين ، وعند فصله منها في عام ١٩٥٩ عمل بوزارة الأشغال حتى أعيد إلى الإذاعة قبيل ثورة ١٩٦٢ م بعدة أشهر وعند اندلاعها عين مديراً للإذاعة ، ثم نقل الأشغال ثانية وتولى رئاسة تحرير جريدة الثورة ، ثم سكرتيراً أول في المفوضية اليمنية بالخرطوم ، ثم مديراً عاماً للإذاعة في ٥ نوفمبر ١٩٦٧ ، وعضواً في المجلس الوطني عام ١٩٦٩ ، ثم وزير للأعلام في يناير ١٩٧٠ م ، ثم وزيراً لشئون الرئاسة ورئيساً للمجلس الأعلى للشباب والرياضة ، ثم وزير للدولة وممثلاً شخصياً لرئيس المجلس الجمهوري ومستولاً عن الحوار بين شعاري اليمن لإعادة الوحدة . وبعد حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤ عين وزيراً للدولة وممثلاً شخصياً لرئيس مجلس القيادة ، ومستولاً عن الحوار بين شعاري اليمن أيضاً ، كما انتخب رئيساً لهيئة التعاون الأهلي لتطوير الحيمتين .

١٠ - علي محمد الزرقه : بدأ دراسته الأولى بالمدرسة التركية بصنعاء قبيل الحرب العالمية الأولى ، ثم عمل بالمطبعة منذ عهد الإمام يحيى وإلى الآن ، وثقافته مثل أغلب ثقافة أبناء جيله ثقافة ذاتية .

١١ - محمد أحمد السياحي : من علماء اليمن ، واشترك في الحركة الوطنية منذ بدايتها ، وسجن مرتان ، الأولى في سجن غمدان بصنعاء في عهد الإمام يحيى ، والثانية في سجن حجة عقب فشل ثورة ١٩٤٨ م ، وبعد ثورة ١٩٦٢ م تولى عدة مناصب هامة كان آخرها عضوية مجلس الشورى .

١٢ - محمد عبد الحالق حيدر : من مواليد وادي السر بني حشيش ،

وبعد انتقاله مع والده إلى صنعاء في سن مبكرة التحق بمدرسة الأيتام ، ثم بالمدرسة المتوسطة ، واختير عضواً بالبعثة العسكرية الأولى إلى العراق ، وبعد عودته ألحق برياسة الأركان بالجيش اليمني ، ومنذ ذلك الوقت وهو يتدرج في المناصب العسكرية المختلفة حتى عين مندوباً دائماً باللجنة العسكرية بجامعة الدول العربية عام ١٩٥٤ م ، وقضى بهذا المنصب سبع سنوات . وبعد ثورة ١٩٦٢ عين مديراً للشعبة العسكرية بالحديدة ثم رئيساً لهيئة الرقابة والنفطيش بالقيادة العامة . ويشغل حالياً رئيساً لهيئة تدقيق الرديات بالدائرة المالية بالقيادة العامة .

١٣ - محمد عبد الله الشامي : أنهى دراسته الثانوية في مصر ، ودراسته الجامعية في إيطاليا حتى حصل من هناك على درجة الماجستير في العلوم الاجتماعية ، ويشغل حالياً وظيفة مدير المرامم بوزارة الخارجية ، وهو يجيد عدة لغات .

١٤ - محمد عبد الله الفسيل : من مواليد صنعاء عام ١٩٢٦ م ، تلقى تعليمه الابتدائي بمدرسة الأيتام ، ثم التحق بالمدرسة العلمية بصنعاء ، كما اعتمد على التنقيف الذاتي كما هو الحال مع بقية المتعلمين والمثقفين اليمنيين من أبناء جيله . فر إلى عدن عام ١٩٤٧ م ثم عاد مع العائدين عند قيام ثورة ١٩٤٨ م ، وعقب فشلها قبض عليه وسجن في حجة حتى عام ١٩٥٥ م حيث اضطر إلى الحرب ثانية إلى عدن ، ثم ألقى القبض عليه في جدة وسبق إلى سجن حجة ثانية حتى تمكن من الفرار منه عام ١٩٦١ وذهب إلى عدن ، ثم تسلل إلى داخل البلاد قبيل قيام ثورة ١٩٦٢ م ، وبعد نشوبها تولى عدة مناصب هامة منها وزيراً مفوضاً في موسكو وسفيراً في برلين ، وأخير أعين بعض الوقت مستشاراً لرئيس مجلس القيادة .

١٦ - محمد بن محمد الخالدي : من قضاء أنسى ، وبعد أن تلقى تعليمه

الأولى التحق بالمدرسة الحربية التي كانت النظم التركية حتى ذلك الوقت ، كما درس بالمدرسة العلمية بصنعاء . قبض عليه في وقت مبكر في عهد الإمام يحيى ، ثم نفاه إلى سجن وشحه حيث قضى هناك أربع سنوات تمكن بعدها من الفرار واللجوء إلى سيف الإسلام أحمد في تمر فعفى عنه . وقد عين وزيراً في اتحاد الدول العربية بين مصر واليمن ، كما تولى عدة مناصب هامة بعد قيام ثورة ١٩٦٢ سواء في داخل اليمن أو خارجه .

١٥ - محمد عبد الولي الذبحاني : من مواليد ١٩١٨م بقرية ذا الأفيان ذبحان بقضاء الحجرية ، تلقى دراسته الأولية بالقرية ثم بجامعة زيد ، وعند افتتاح المدرسة الأهلية بالتربة بالحجرية في ١٩٣٢م تحت إدارة وإشراف الأستاذ أحمد نعمان والأستاذ أحمد حيدرة للتحق بها ، وفي ١٩٣٤م استدعى إلى صنعاء ضمن بعض الطلبة وألحق بالمدرسة العلمية بها ، ثم اختير عضواً بالبعثة اليمنية إلى العراق وألحق بالسلكية الحربية ببغداد ، وتخرج فيها عام ١٩٣٩ ، وعاد إلى بلاده ليعمل في الجيش اليمني حتى قيام ثورة ١٩٤٨ فقبض عليه وأبعد من الجيش . وعند قيام ثورة ١٩٦٢م أعيد إلى الجيش وتولى به عدة مناصب هامة ، ثم عين وزيراً للداخلية عام ١٩٦٨ وفي عام ١٩٧١ عين عضواً بمجلس الشورى ، ثم عين في ١٩٧٦ مستشاراً لوزارة المواصلات .

فهرس الاعلام (١)

| | |
|---------------------------------------|--------------------------------|
| أحمد حسين المروني : ٢٠، ٢١، | (١) |
| ٢٣، ٣٢، ٣٤، ٣٧، ٤٣، ٤٦، | ابراهيم بن أحمد الحضرائي : ٢٧، |
| ٥٥، ٥٩، ٩٦، ٩٧، ١١٢، | ٣٧، ٩٥، ٩٦، ١٩٤ . |
| ١١٥، ١٤٣، ١٥١، ١٦٤، | أحمد بن أحمد المطاع : ٢٦، ٢٧، |
| ١٦٦، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، | ٣١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٩، |
| ١٨٠، ١٨٢، ١٩٤ . | ٦٧، ٦٨، ٧١، ٧٤، ٧٥، ٧٦، |
| أحمد الخيمي : ١٧٩ . | ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، |
| أحمد داصر : ٢١ . | ١٠٣، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، |
| أحمد سلامة : ١٩٤ . | ١٤٠، ١٤١، ١٤٨، ١٥٢، |
| أحمد شوقي (أمير الشعراء) : ٩٤، | ١٥٤، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، |
| ١٩٣ . | ١٦٣، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٠، ١٧١، |
| أحمد طاهر : ١٧٩ . | أحمد اسحق : ١٧٩ . |
| أحمد بن عبد الله عثمان السالمى : ٦٦ . | أحمد البراق : ٦٨، ٦٩، ٨٤، ١٥٢، |
| أحمد عبد الواسع الواسعى : ٢٧ . | ١٧١، ١٩٥ . |
| أحمد عبد الوهاب الوريث : ٢٢، ٢٣، | أحمد الجرافى (الصنى) : ٣١، ٣٤، |
| ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٣، | ٣٦، ٥٣، ٥٤، ١٧٠ . |
| ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٤، | أحمد حسن الخورش : ٢٦، ٩٠، |
| ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٢، | ٩١، ٩٢، ١١٥، ١٥٢، ١٧١، |
| ٥٣، ٦٧، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، | ١٧٩، ١٨٠ . |
| ٨٢، ٩٣، ٩٨، ١٠٣، ١٠٥، | أحمد حسن الزيات : ٢٢ . |

(١) هذا الفهرس خاص بالأسماء التى وردت بالدراسة فقط .

عبد الله الحبشي : ١٩ .
 عبد الله حران : ٣٢ ، ٣٤ ، ٥١ ،
 ١٥١ .
 عبد الله السلال : ١١٥ ، ١٧٩ ،
 ١٨٠ ، ١٨١ .
 عبد الله الضمين : ١٠١ .
 عبد الله السكريم الجرافي : ٢٧ ،
 ٤٤ .
 عبد الله بن عبد الوهاب الشماحي : ٤٦ ،
 ١٤٣ ، ١٥٩ ، ١٥٥ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ،
 ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٨ ، ١٩٠ .
 عبد الله العرب : ٤٢ ، ٤٦ ، ٦١ ،
 ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
 ٨٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ،
 ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧١ .
 عبد الله بن أحمد الوزير (الإمام) :
 ١١٢ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .
 عبد الله بن علي الوزير : ١٨٤ .
 عبد الله بن يحيى حميد الدين (سيف
 الإسلام) : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ،
 ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ،
 ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ،
 ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٥ ،
 ١٠١ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٨٤ .
 ١٨٨ ، ١٩٥ .
 عبد السكريم الأمير : ٢٩ ، ١٧٤ ،
 ١٧٥ .

زيد بن علي الوزير : ١٦٨ ، ١٨٧ ،
 ١٨٩ .
 زيد مطيع دماج : ٦٨ .
 زيد الموشكي : ٣٧ ، ١١٣ ، ١٤٦ ،
 ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٨٦ ،
 ١٩٤ .
 (س)
 سعود بن عبد العزيز (الأمير) : ١٦٨ .
 سلام الرازحي : ١٧٨ ، ١٧٩ .
 (ش)
 شكريب أرسلان : ٣٢ ، ١٩ ،
 ١١٠ ، ١٣٤ .
 (ع)
 عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي :
 ١٧٣ .
 عبد الرحمن الكواكبي : ١٧٦ ، ٥٥ .
 عبد الرحمن بن محمد الحداد : ١٤٧ .
 عبد السلام صبره : ١٦٣ .
 عبد العزيز آل سعود (الملك) :
 ١٠٩ .
 عبد الغني الرافعي : ٥٤ .
 عبد القادر علام المصري : ١٠٢ .
 عبد القادر القاظمي : ١٨٣ .
 عبد الله بن أحمد الإيرياني : ١٢٣ .
 عبد الله البردوني : ٥٣ ، ١٤٨ ،
 ١٧٠ .

عبد الله الحبشي : ١٩ .
 عبد الله حمران : ٣٢ ، ٣٤ ، ٥١ .
 . ١٥١
 عبد الله السلال : ١١٥ ، ١٧٩ ،
 . ١٨٠ ، ١٨١ .
 عبد الله الضمين : ١٠١ .
 عبد الله عبد الكريم الجرافي : ٢٧ ،
 . ٤٤
 عبد الله بن عبد الوهاب الشماحي : ٤٦ ،
 ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ،
 ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٨ ، ١٩٠ .
 عبد الله العزب : ٢٦ ، ٤٢ ، ٦٠ ، ٦١ ،
 ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
 ٨٢ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٢ ،
 ١٥٩ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٧١ .
 عبد الله بن أحمد الوزير (الإمام) :
 ١١٢ ، ١٨٨ ، ١٨٩ .
 عبد الله بن علي الوزير : ١٨٤ .
 عبد الله بن يحيى حميد الدين (سيف
 الإسلام) : ١٩ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٣ ،
 ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ،
 ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ،
 ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٥ ،
 ١٠١ ، ١٥١ ، ١٥٨ ، ١٧٠ ، ١٨٤ ،
 ١٨٨ ، ١٩٥ .
 عبد الكريم الأمير : ٢٩ ، ١٧٤ ،
 . ١٧٥

زيد بن علي الوزير : ١٦٨ ، ١٨٧ ،
 . ١٨٩
 زيد مطيع دماج : ٦٨ .
 زيد الموشكي : ٣٧ ، ١١٢ ، ١٤٦ ،
 ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٨٦ ،
 . ١٩٤
 (س)
 سمود بن عبد العزيز (الأمير) : ١٦٨ .
 سلام الرازحي : ١٧٨ ، ١٧٩ .
 (ش)
 شكيب أرسلان : ٣٢ ، ١٩ ،
 . ١١٠ ، ١٣٤
 (ع)
 عبد الرحمن بن عبد الله الحضرمي :
 . ١٧٣
 عبد الرحمن السكواكي : ١٧٦ ، ٥٥ .
 عبد الرحمن بن محمد الحداد : ١٤٧ .
 عبد السلام صبره : ١٦٣ .
 عبد العزيز آل سعود (الملك) :
 . ١٠٩
 عبد الغني الرافعي : ٥٤ .
 عبد القادر علام المصري : ١٠٢ .
 عبد القادر القاظمي : ١٨٣ .
 عبد الله بن أحمد الأيراني : ١٢٣ .
 عبد الله البردوني : ٥٣ ، ١٤٨ ،
 . ١٧٠

عمر الجاوى : ٢٤، ٣٠، ٣٩، ٤١،
٤٣، ٥٦، ١٣١، ١٣٦، ١٤٣،
١٥٥ .

(ف)

فاروق محمد لقمان : ١٨١ .
فيصل بن عبد العزيز (الأمير) :
١٦٨ .

(ق)

قاسم أمين : ٥٤ .

(م)

محب الدين الخطيب : ٣٢ .
محمد أحمد حيدرة : ١٧٧ .
محمد أحمد السياغى : ٤٠، ٤٣، ٨٤،
١٧٥ .
محمد بن أحمد عبد الرحمن الشامى : ٥٩ .
محمد بن أحمد المطاع : ٥٩، ١٦٣ .
محمد أحمد مطهر : ٢٦، ٢٣، ٥٩،
٦٠، ٦٦، ١٥٩ .
محمد أحمد نعمان : ١٧٤ .
محمد أنعم غالب : ١٦٩، ١٨٧، ١٩٢ .
محمد حسن : ١٨٣ .
محمد حسن عماد الذارى : ٢٧،
٨٣، ٨٥ .
محمد بن حسين عبد القادر : ١٦٣ .
محمد راغب : ١٦٤ .

عبد الكريم مظهر : ٢٩، ١٧٥ .
عبد النافع الجندى : ١١٥، ١٣٣،
١٤٦، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٠ .
عبد الهادى الجواهري : ٩٧ .
عبد الواسع بن يحيى الواسع : ٢٧،
٨٩، ٩٠ .
عبد الولى بن على السماوى : ٨٣ .
عبد الوهاب نعمان : ١٩١ .
على أحمد أبو الرجال : المقدمة، ١٧،
١٩، ٥٩ .
على بن اسماعيل المؤيد : ٣٣ .
على الألس : ١٧٩ .
على حمود الديلى : ١٩٤ .
على الشماخى : ١٦٣، ١٦٤ .
على بن عبد الله الوزير : ١٨٨، ١٨٩ .
على بن على صبره : ١١٢ .
على محمد رجاء : ١٧٩ .
على محمد الزرقه : ٢٠، ٢٨، ٩٠،
١٥٩ .
على محمد السنيدار : ١٦٣ .
على ناصر العنسى : ٣٧، ١٩٤ .
على ناصر القردعى : ١٦٦ .
على بن يحيى الاريانى : ١٣٧، ١٨٥ .
على بن يحيى حميد الدين (سيف
الإسلام) : ٨٨، ١٨٨ .

محمد مصباح الريدي : ١٧٩ .
 محمد بن يحيى حميد الدين (الإمام
 المنصور) : ١٦٥ .
 محمد بن يحيى حميد الدين (سيف
 الإسلام) : ١٧٧ .
 يحيى الدين الجندى : ١٤٦ .
 يحيى الدين العنسى : ٢٧ ، ٢٨ ، ٦٦ ،
 ٦٧ ، ٦٨ ، ٧١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،
 ١١٥ ، ١٥٢ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،
 ١٧١ ، ١٧٩ ، ١٨٠ .
 مصطفى صادق الرافعى : ٥٤ .
 مصطفى كامل (باشا) : ٩٣ .

(ن)

ناصر بن مبخوت الأحمر : ١٦٥ .
 نزيه مؤيد العظم : ١٥٣ ، ١٧٢ .

(ي)

يحيى بن الحسين (الإمام الهادى) :
 ١٩٠ .
 يحيى بن حمود النهارى : ٢٦ ، ٣٣ ،
 ٦٩ ، ٧٠ ، ٨٥ ، ١٢٣ ، ١٣٣ ،
 ١٣٤ .
 يحيى بن محمد الإبرياني : ١٥٩ .

محمد صالح السفيدار (العزى) : ١٦٣ .
 محمد عكارس : ١٦٣ .
 محمد صالح العلقى : ٩٩ ، ١٧٩ .
 محمد صالح المسمرى : ١٤٥ ، ١٤٦ ،
 ١٧١ ، ١٨٤ .
 محمد الطاهر بن حاشور : ١٣٤ .
 محمد عامر : ١٧٩ .
 محمد عبد الخالق حجر : ١٧٩ ، ١٨٣ .
 محمد عبد الله الشامى : ٣٤ ، ٥٤ .
 محمد عبد الله الفسيل : ٣٧ ، ١٦٦ .
 محمد عبد الولى : ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .
 محمد عبده (الشيخ) : ٣٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
 ١٠٥ ، ١٢٨ ، ١٧٦ .
 محمد على (باشا) : ١٧ .
 محمد عل ربحان : ١٣٤ .
 محمد على هلوبه (باشا) : ٩٤ .
 محمد على لقمان : ١٨١ .
 محمد بن قاسم أبو طالب : ١١٤ ،
 ١١٥ ، ١٨٤ .
 محمد المحلوى : ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٦ .
 محمد بن محمد الخالدى : ١٧ ، ٨٦ ،
 ١١٥ ، ١٣٤ ، ١٦٤ ، ١٦٦ .
 محمد بن محمد زبارة : ١٧ ، ٤٤ .
 محمد محمود الزيرى : ٣٧ ، ١١٥ ،
 ١٦٣ ، ١٧٤ ، ١٨٤ .

— ٤٢٠ —

| | |
|-----------------------|------------------------------------|
| ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٢ ، ١٥١ | يحيى بن محمد حميد الدين (الإمام) : |
| ١٥٨ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٥٥ | ٣٠ ، ٢٩ ، ٢٣ ، ٢١ ، ٢٠ ، ١٩ |
| ١٦٦ ، ١٦٥ ، ١٦٤ ، ١٦٣ | ٣٩ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ٣٦ ، ٣٥ ، ٣٤ |
| ١٧٢ ، ١٧٠ ، ١٦٨ ، ١٦٧ | ٥١ ، ٤٩ ، ٤٤ ، ٤٣ ، ٤١ ، ٤٠ |
| ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧ | ١٠١ ، ٩٨ ، ٥٨ ، ٥٣ ، ٥٢ |
| ١٨٦ ، ١٨٤ ، ١٨٢ ، ١٨١ | ١١٢ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩ |
| ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٨ ، ١٨٧ | ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٠ ، ١٢٤ |
| ١٩٥ ، ١٩١ | ١٥٠ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٣ |

الفهرس

صفحة

| | | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----------------------------------|
| ٧ | ... | ... | ... | ... | ... | المقدمة |
| ١٧ | ... | ... | ... | ... | ... | دراسة وتحليل |
| ١٧ | ... | ... | ... | ... | ... | التعريف بالمجلة وبنواحيها الشكلية |
| ٣٢ | ... | ... | ... | ... | ... | ظروف صدور المجلة |
| ٥٢ | ... | ... | ... | ... | ... | اتجاهات المجلة |
| ٥٨ | ... | ... | ... | ... | ... | جانب الأدب |
| ٧٠ | ... | ... | ... | ... | ... | جانب التاريخ |
| ٨٢ | ... | ... | ... | ... | ... | العلم والمفهوم الجديد |
| ٨٥ | ... | ... | ... | ... | ... | المجلة والعلوم بالحديثة |
| ٩٢ | ... | ... | ... | ... | ... | الجانب الوطني |
| ١١٩ | ... | ... | ... | ... | ... | الجانب العربي والإسلامي |
| ١٣٥ | ... | ... | ... | ... | ... | الجانب الدولي |
| ١٤٢ | ... | ... | ... | ... | ... | مدى نجاح الحركة |
| ١٤٨ | ... | ... | ... | ... | ... | أسباب توقف المجلة |
| ١٥٤ | ... | ... | ... | ... | ... | مسألة وفاة الوريث |
| ١٦٢ | ... | ... | ... | ... | ... | الحركة وحركة المعارضة |
| ١٧١ | ... | ... | ... | ... | ... | عناصر حركة المعارضة |
| ١٩٣ | ... | ... | ... | ... | ... | المجلة والبريد الأدبي |
| ١٩٥ | ... | ... | ... | ... | ... | الخاتمة |

— ٤٢٢ —

| صفحة | | | | | | |
|------|-----|-----|-----|-----|-----|--|
| ١٩٩ | ... | ... | ... | ... | ... | مجموعة المقالات |
| | | | | | | — مقالات : الإصلاح |
| ٢٠١ | ... | ... | ... | ... | ... | بقلم أحمد عبد الوهاب الوريث وأحمد المطاع |
| | | | | | | — مقالات : في التاريخ اليمني |
| ٢١٨ | ... | ... | ... | ... | ... | بقلم أحمد المطاع |
| | | | | | | — مقالات : نظرة في الأدب العربي |
| ٣٥١ | ... | ... | ... | ... | ... | بقلم عبد الله العزب |
| ٣٩١ | ... | ... | ... | ... | ... | الصور |
| ٤٠٥ | ... | ... | ... | ... | ... | المراجع |
| ٤١٥ | ... | ... | ... | ... | ... | — فهرس الأعلام |
| ٤٢١ | ... | ... | ... | ... | ... | — الفهرس العام |

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٦/٤٧٦٩

مكتبة مذبول

٦ ميدان طلعت حبيب - القاهرة ب : ٧٥٦٤٢١

طبع بالمطبعة الفنية ب : ٣٩١١٨٦٢